

# رسالة الحكيم

في

الوعظ والأرشاد

مترجم

من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية

مترجم من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية

مترجم من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية

# منتدى سور الانزبكية

---

WWW.BOOKS4ALL.NET

# دُرَّةُ النَّاصِحِينَ فِي الْوَعْظِ وَالْإِرشَادِ

مُتَالِفٌ

عُثْمَانُ بْنُ حَسَنٍ بْنِ أَحْمَدَ الشَّاذِلِيّ الْخُوْبَرِيّ

مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ







## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من الناصحين ، وأفهمنا من علوم العلماء الراسخين . والسلام على من نسخ دينه أديان الكفرة والطالحين ، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا بشمسك شريعتهم صالحين .

وبعد : فيقول السيد البائس الفقير ، إلى رحمة ربه القدير ، عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الحنوفى . أكرمهم الله بطفه وكرمه الطى : قد كنت ما كنا في البلدة المظيعة للنبوة بالقسطنطينية . صانها الله تعالى وسائر البلاد من الآفات والبلىة .

فلما رأيت بين الإخوان الطلبة وللشايخ اللوالى ، الذين هم بين الأنام كالمصاييح في ظلم الليالى ، منوعة مرغوبة فيما بينهم وبين العلماء الفضلاء ، الذين هم كانوا باعتصام معدن العلم وورثة الأنبياء ، لكنها غير مرتبة على نسق القرآن العظيم والفرقان الحميد ، أردت أن أكتبها وأصلح خطأها بناية لتلك الحميد ، وقد صادفنا بعض الطلبة من إخواننا يقولون بألسنتهم ما ليس في كتابنا ويحفظون بل يكفرون في نصائحهم ومواعظهم إلى المنعمين في النعاس ، ويسرون الحناس التى يوسوس في صدور الناس . فعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . صرفناه عن إلقاء القلق في قلوبنا . ثم طرأ بي من الأيام الحادثة مرض شديد بأمر الله وتقدير الملك الحميد ، وكنت ذا فراش عدة من الأيام ، بحيث ما قدرت على نبذة من الكلام ، ونذرت في أثناءه إن عصفت العاصم من الآفات والبلاء ، أت ألقى مسعوقا بين الشاي والبرالا ، وأتقى على وجهه القرطاس ضياء الشمس والأنوار ، وأجرى بين الأنام ماء للذ والبار .

ولما رزقت الخلاص من الرض للسطور ، وما بقى عندي شيء من الفطور ، وعثرت على هذه الأقوال ، وما وقفوا بأيديهم في الخطأ والضلال ، وأخذت في الكتابة بناية للذك للنان ، صار كل مسائلها كأنهن الياقوت والرجان ، لم يطمئن إنس قبلهم ولا جاث . ورببت كل آية بتنظيم القرآن الكريم ، وانتفيت ما دل على أوصاف الجنان والجحيم ، وألحقت بعض الأحاديث المشرفة والتقصص الطيفة ، فيمن يعمل عمل قوم لوط من الحيث والحيث .

وبينت ما شأنه في الدنيا والآخرة ، ويظهر بحسب الخلد أو الرجم على قياس الزاني والزانية . ولما  
خرجت من بطن الأم إلى دار الفناء ، واحتاجت إلى اسم معين من أشرف الأسماء ، سميناها :  
« درة الناصحين » جعلها الله بين الإخوان من الصالحين . إلا أني ألتمس من بعض الأذكياء  
فضلاً عن الفضلاء والكبراء أن يصلح ما وقع خطأ مني ، وأن يرفع ما نشأ سهواً عني ؛ لأن  
الإنسان محل النسيان ، ولأن شروع مثلي في مثل هذا من القضاة . كما أن كتابة الأكل من  
الضياعة ، والاعتغال بمثل هذا في أثناء التحصيل ، كإلقاء النقود الجيدة في النيل ، ما الضور  
وما التكفير إلا من الغفران ، ما الدب وما التقصير إلا من الصيان .  
والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل . وهو حبيب ونعم الوكيل . له الحمد على كل حال  
سوى الكفر والضلال ، وهو المنزه عن الشبه والمثال ؟

المؤلف

## دعاء

يقال عند ابتداء المجلس

صلوا على رسولنا محمد ، صلوا على طيب قلوبنا محمد ، صلوا على خفيص ذنوبنا محمد ، اللهم  
صل على محمد وعلى آل محمد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، واعبد ربك  
حتى يأتيك اليقين ، صدق الله العظيم ، يبلغ رسوله الكريم ، ونحن على ما قال خالقنا ورازقنا  
ومولانا من الشاهدين الشاكرين بقلب سليم . ثم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم  
الم ذلك الكتاب . . . إلى آخره

## دعاء

يقال عند ختام المجلس

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه  
أجمعين . اللهم نظم أحوالنا وحسن أفعالنا ، وخلصنا من ألم القهر والنيل واعصمنا من البلاء  
والوباء والطاعون ، ومن شرور الأعداء والشياطين والنفس الأمارة بالسوء ، اللهم يسر لنا  
الانتظام في جميع الأمور الدينية والدنيوية وحصل مرادنا بالخير . اللهم بدمنا من الشر والصيانة .  
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء . يا حيّ يا قيّوم  
والأحوال حول حالتنا إلى أحسن حال . اللهم كثير النوال ، ويا خالق جميع الأنفال ، وقتنا ثبة  
الخير في جميع الأقوال والأحوال . اللهم سلمنا وسلم ديننا ، ولا تسلب وقت التزعم لإعتنا ، ولا  
تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا وارزقنا خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير .

## دعاء

يقال عند ختام الكتاب جميعه

اللهم ربنا ياربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وحب علينا يا مولانا إنك أنت التواب  
الرحيم ، واهدنا ووقتنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يركه ختم القرآن العظيم ، وبهرمة  
حبيبك ورسولك الكريم ، واعف عنا يا كريم ، واعف عنا يا رحيم ، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك  
وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .

اللهم زيننا بزينة ختم القرآن ، وأكرمنا بكرامة ختم القرآن ، وشرفنا بهرارة ختم القرآن .  
وألبننا بهلمة ختم القرآن ، وأدخلنا الجنة مع القرآن ، وعافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة  
بهرمة ختم القرآن ، وارحم جميع أمة محمد بهرمة ختم القرآن . اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا

قربنا ، وفي القبر مؤنساً ، وفي القيامة شقيماً ، وعلى الصراط نوراً ، وإلى الجنة رفيقاً ،  
ومن النار سقياً وحجاباً ، وإلى الخيرات كلها دليلاً وإماماً . بخضتك وجودك وكرمك  
يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة ، وبكل كلمة كرامة ، وبكل آية سعادة ، وبكل  
سورة سلامة ، وبكل جزء جزاء . وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين  
الطيبين الطاهرين .

اللهم انصر سلطانتا سلطان المسلمين ، وانصر وزراءه ووكلاءه وعساكره إلى يوم الدين .  
واكتب السلامة والعافية علينا وعلى الحجاج والقرظة والسافرين والتقيين في برك وبهرك من  
أمة محمد أجمعين .

اللهم بلغ ثواب ما قرأناه ونور ما تفوتناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان هدية واصلة إلى  
روح نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإلى أرواح أولاده وأزواجه وأصحابه رضوان الله  
تعالى عليهم أجمعين ، وإلى أرواح آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا  
وأخواتنا وخالاتنا وأصدقائنا وأسيادتنا وأقربائنا ومشايخنا ولئن له حق علينا ، وإلى أرواح جميع  
المؤمنين وللمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين .  
جزى الله عنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما هو أهله . سبحانه ربك رب العزة عما يصفون  
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .

## دعاء

يقال عند الانتهاء من الطعام

الحمد لله الذي قال في كتابه : ( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب السفرفين ) والسلامة  
والسلام على رسولنا محمد الذي يحب الأسفياء والأغنياء للطميين ، وعلى آله وأصحابه المحبين  
الفقراء والمساكين والسكرمين .

اللهم اجعل نعمتنا دائماً ودوننا قائمة ، وأولادنا علماء ، ولا تسلط علينا ظالماً . اللهم  
لرحم صاحب هذا الطعام والآكلين ، وأعط البركة لمالك صاحب هذا الطعام والحاضرين  
وأطعمتنا من طعام الجنة ، وأسقنا من شراب الكوثر ، وزوجنا بحور عين ، وأكرمنا بروية  
جمالك يا إله العالمين .

اللهم زد ولا تقا بهمة سيد المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .



## المجلس الأول : في فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة :- ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( شهر رمضان ) مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف للضاف ، أى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان ، وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه حذف ، أو بدل من أيام معدودات . والشهر من الشهرة . ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع داية في ابن داية علما للتراب للعلمية والتأنيث ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان » فصل حذف للضاف لأمن الالتباس ؛ وإنما معناه بذلك إما لا تمنعهم فيه من حر الجوع والعطش أو لا تمنعهم الذنوب فيه أو لو قومه أيام الرمض ؛ أى الحر حينئذ تقوا أحواء الشهور عن اللغة القديمة ( الذى أنزل فيه القرآن ) أى ابتدئ فيه إنزاله ، وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجها إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى ( كتب عليكم الصيام ) . وعن النبي عليه الصلاة والسلام « نزلت صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والزبور لثمان عشرة من رمضان ، والقرآن لأربع وعشرين » والموصول بصلته خبر للبتدأ أو صفة والخبر فن شهد والفاء لوصف البتدأ بما تضمن معنى الشرط . وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ( هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ) حال من القرآن ، أى أنزل فيه وهو هداية الله للناس بإعجازه وآياته واضحات عما يهدى إلى الحق ويغرى بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام ( فاض يضاوى )

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل » أى لحقه ذل وحقارة « ذكرت عنده ولم يصل على » ورغم أنف رجل عنده أبواه أو أحدهما فلم يصل في حقهما عملا يدخل بسببه الجنة ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان وتم رمضان قبل أن يغفر له « لأن رمضان شهر رحمة ومغفرة من الله تعالى فإن لم يغفر له فيه فهو مغبون ( زبدة الواعظين ) وروى عنه عليه الصلاة والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » ( زبدة الواعظين ) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من فرح بدخول رمضان حرم الله جسمه على النيران » . وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان أول ليلة من رمضان يقول الله تعالى من ذا الذى يحبنا فتحبه ، ومن ذا الذى يبغينا فخطبه ، ومن ذا الذى يستغفرنا لنغفر له بحرمة رمضان ، فيأمر الله تعالى

الكرام الكائين في شهر رمضان بأن يكتبوا لهم الحسنات ولا يكتبوا عليهم السيئات ويحسبوا الله تعالى عنهم ذنوبهم الماضية . روى أن مصعب إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنزلت ليلة أول شهر رمضان ، والتوراة لست ليال من رمضان بعد سبعمائة عام من مصعب إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والزبور لاثنتي عشرة ليلة منه خلت من بعد التوراة بخمسمائة عام ، والإنجيل لثمان عشرة منه بعد الزبور بألف ومائتي سنة ، والفرقان لسبع وعشرين منه بعد الإنجيل بستائة وعشرين سنة ، انتهى ( من كتاب الحياة ) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو تعلم أمي مافي رمضان لجنسوا أن تكون السنة كلها رمضان » لأن الحسنه فيه مجتمعة والطاعة مقبولة والدعوات مستجابة والذنوب مغفورة والجنة مشتاقه لهم ( زبدة الواعظين ) وعن حفص الكبير أنه قال : يقول داود الطائي : غلبني النوم في أول ليلة من رمضان فرأيت الجنة فكأنني جالس على شط نهر من در وياقوت إذ رأيت جوارى الجنة كأنهن الشمس من نور وجههن ، قلت : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قلن : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نحن للعالمين الصائمين الراكعين الساجدين في شهر رمضان ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « الجنة مشتاقه إلى أربعة نفر : تالي القرآن وحافظ اللسان ومطعم الجياع والصائمين في شهر رمضان » ( روثي المجالس ) وفي الخبر « إذا هل هلال رمضان صاح العرش والكرسي ولللائكة ومدونهم يقولون طوبى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام بما عهد الله تعالى لهم من الكرامة واستغفرت لهم الشمس والقمر والكواكب والطيور في الهواء والسمك في الماء وكل ذي روح على وجه الأرض في الليل والنهار إلا الشياطين عليهم اللعنة فلذا أصبحوا لا يترك الله تعالى أحدا منهم إلا يغفر له . ويقول الله تعالى للملائكة : اجعلوا صلواتكم وتسيحكم في رمضان لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » . حكى أن رجلا اسمه محمد كان لا يصل قط فاذا دخل رمضان يزين نفسه بالثياب والطيب ويصل ويتنقى ماله . قيل له لم فعل ذلك ؟ فقال هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عني خطيئة ، فمات فرؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربه بحرمة تعظيبي رمضان . وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا استيقظ أحدكم من نومه في شهر رمضان وتحرك في فراشه وتقلب من جانب إلى جانب يقول له ملك قم بارك الله فيك ورحمك الله ، فاذا قام بنية الصلاة يدعو له الفرائض ويقول اللهم أعطه الفري للرفوعة ، وإذا لبس ثوبه يدعو له الثوب ويقول اللهم أعطه من حلل الجنة ، وإذا لبس نعليه يدعو له نعله ويقولان اللهم ثبت قدميه على الصراط ، وإذا تناول الإناء يدعو له الإناء ويقول اللهم أعطه من أكواب الجنة ، وإذا توضأ يدعو له الماء

ويقول اللهم طهره من الذنوب والخطايا ، وإذا قام إلى الصلاة يدعو له البيت ويقول اللهم  
وسع قبره ونور حفرته وزد رحمة ويظهر الله تعالى إليه بالرحمة ويقول عند الغناء يا عبيد منك  
الغناء وما الإجابة ومنك السؤال وما الثواب ومنك الاستغفار وما الغفران » (ريدة الواعظين)  
وفي الخبر « إن رمضان يحيى يوم القيامة في أحسن صورة فيسجد بين يدي الله تعالى فيقول  
الله تعالى : يا رمضان سل حاجتك فله يد من عرف حقتك فيدور في العرصات فيأخذ يد من  
عرف حقه فيقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى : يا رمضان ماذا تريد ؟ فيقول أريد أن  
توجه بتاج الوفاء فيتوجه الله تعالى بألف تاج ثم يشفع في سبعين ألفاً من أهل الكبائر ثم  
يزوج بألف حوراء مع كل حوراء سبعون ألف وصيفة ثم يركبه على البراق فيقول الله تعالى  
ماذا تريد يا رمضان ؟ فيقول أنزله بجوار نبيك فينزله الله الفردوس فيقول الله يا رمضان ماذا  
تريد ؟ فيقول قضيت حاجتي يا رب أين كرامتك فيعطى مائة مدينة من باقوتة حمراء ووزبرجدة  
خضراء وفي كل مدينة ألف قصر » (رهرة الرياض) وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه  
عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة »  
وعن زيد بن ربيع عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على مائة في كل يوم  
جمعة غفر الله له ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر » (ريدة الواعظين) ع أبو هريرة - أي دوى  
البخاري عنه « من قام رمضان » أي أحيا لياليه بالعبادة عبر ليلة القدر تحديراً أو معناه  
أدى التراويع فيه « إيماناً » أي تصديقاً بثوابه « واحتساباً » أي إخلاصاً تنسبها على الحالة أو على  
أهلها مغفولان له « غفر له ما تقدم من ذنبه » (مشاريق) وعن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة  
والسلام أنه قال : « إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها للثيرة  
وتتحرك أوراق أشجار الجنة فيسمع من ذلك صدى لم يسمع السامعون أحسن منه فتنظر  
الحور العين إلى ذلك فيقلن : اللهم احمل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً لنا من عبد  
صام رمضان إلا روجه الله تعالى زوجة من تلك الحور في الجنة كما قال الله تعالى في كلامه  
القديم ( حور مقصورات في الخيام ) وعلى كل حوراء منهن سبعون حلة ليست على لون  
واحد ولكل امرأة سرير من باقوتة حمراء منسوجة بالحرير وعلى كل سرير سبعون فراشاً وسبعون  
مائدة من ألوان الطعام هذا لمن صام رمضان سوى ما حمل من الحسنات » فينبغي للمؤمن  
أن يحترم شهر رمضان ويحترز من المنكرات ويشتغل بالطاعات من الصلاة والتسبيح  
والذكر وتلاوة القرآن . قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : إني أعطيت أمة محمد  
نورين كبلا يضرم ظلمتان ، فقال موسى : ما النوران يا رب ؟ قال الله تعالى : نور رمضان  
ونور القرآن ، فقال موسى وما الظلمتان يا رب ؟ قال الله تعالى : ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة .  
(درة الواعظين) وعن أس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« من حضر مجلس العلم في رمضان كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ويكون معي تحت

العرش ، ومن داوم على الجماعة في رمضان أعطاه الله تعالى بكل ركة مدينة غلام من نعم الله تعالى ، ومن بر والديه في رمضان بنال نظر الله تعالى بالرحمة ، وأنا كميل في الجنة ، وما من امرأة تطلب رضا زوجها في رمضان إلا ولها ثواب مريم وآسية ، ومن قضى حاجة أخيه المسلم في رمضان قضى الله تعالى له ألف حاجة يوم القيامة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أسرج في مسجد من مساجد الله تعالى في رمضان كان له نور في قبره وكتب له ثواب المصايف في ذلك المسجد وصلت عليه لللائكة واستغفر له حملة العرش ما دام ذلك في المسجد » ( ذخيرة العابدين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النيران ولم يفتح باب منها وفتحت أبواب الجنان ولم يخلق باب منها ويقول الله تعالى في كل ليلة من رمضان ثلاث مرات : هل من سائل فأعطيه مؤله ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ وصلى الله بكل يوم من رمضان ألف ألف عتيق من النار قد استوجب العذاب وإذا كان يوم الجمعة يعتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار ، فإذا كان آخر يوم من رمضان يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر » ( زبدة الواعظين )

صوم يوم الشك على سبعة أوجه : ثلاثة منها جائزة مع الكراهة ، وثلاثة بغير كراهة ، وواحد لا يجوز أصلاً . أما الثلاثة التي هي جائزة مع الكراهة . فالأول هو أن يصوم يوم الشك بنية رمضان . والثاني أن يتوى به واجباً آخر . والثالث أن يصومه بنية مترعة . يعني إن كان من رمضان فهو منه وإن كان من شعبان فهو منه هذه جائزة وأما الثلاثة التي هي جائزة بغير كراهة فهو أن يصوم يوم الشك بنية التطوع أو بنية شعبان أو بنية مطلقة . وأما الواحد الذي لا يجوز أصلاً فهو أن يصوم يوم الشك على أنه إن كان من رمضان فأنا صائم وإلا فلا فهو لا يجوز أصلاً ( فاضيلان ) .

### الجلس الثاني : في فضيلة الصوم

سورة البقرة - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) يعني الأنبياء . والأمم من لدن آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه توكيد للحكم وترغيب إلى الفعل وتطبيب للنفس . والصوم في اللغة : الإمساك عما تنازع إليه النفس . وفي الشرع : الإمساك عن القطرات الثلاث يابس النهار فأنها معظم ما تشبهه النفس ( لعلكم تتقون ) للمعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي بدوها ، كما قال عليه الصلاة والسلام « يا معشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أعنى للبصر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فليصمه بالصوم فانه له وجاء ، أو الإخلال بأدائه لأصاحبه وقدمه (أياماً معدودات) مؤقتات يسد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير بهال عيلاً ، ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل بإسار موصواً لدلالة الصيام عليه ، والراد بها رمضان ، أو ماوجب صومه قبل وحبوه ونسج به وهو عاشوراء ، أو ثلاثة أيام من كل شهر ، أو مكاً كتب على الظرفية أو على أنه مفعول لان لكتب عليكم على السنة ، وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام ، لمسا روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله ، وقيل زادوا ذلك لثوان أصابهم (لمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضره الصوم ويصرمه (أو على سفر) أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يخطر (قبلة من أيام آخر) أي فليصم صوم عدة أيام للرض أو السفر من أيام آخر إن أضر (قاصي يضاوي) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « جاءني جبرائيل ، وقال يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه ثلاثاً كان من أهل الجنة » (زبدة) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال حكاية عن ربه تعالى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به » لأن الصوم سر ليس فيه عمل يشاهده بخلاف سائر الطاعات ولأنه سر لا يراه أحد لا الله تعالى فالتزم جزاءه ، ولما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إنا كان في القيامة يحيى قوم لهم أجنحة كأجنحة الطير فيطربون بها على حيطان الجنة ، فيقول لهم خازن الجنة ، من أنتم ؟ فيقولون نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون لا ، ثم يقول لانيأ هل رأيتم الصراط ؟ فيقولون لا ، ثم يقول هم وجدتم هذه الدرجات ؟ فيقولون عبدنا الله تعالى سرّاً في دار الدنيا وأدخلنا الجنة سرّاً في الآخرة » (زبدة الواعظين) وإذا خاف الصائم على نفسه الهلاك من الجوع والعطش أو كان مريضاً فخاف زيادة للرض جاز له أن يخطر لأن الحالة حالة الضرورة والضرورات تبيح المحظورات (روضة العلماء) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أعطيت أمي حملة أهياء لم تعط لأحد قبلهم : الأول إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم بالرحمة ومن نظر الله إليهم بالرحمة لا يمديه بعده أبداً ، والثاني يأمر الله تعالى الملائكة بالاستغفار لهم ، والثالث أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، والرابع يقول الله تعالى للجنة اتخذى زيتتك ويقول طوبى لعبادي المؤمنين هم أوليائي ، والخامس يصر الله تعالى لهم جميعاً » . ولما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه



للصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى في كل ساعة من رمضان يفتح ستارة ألف رتبة من النار لمن استوحب المذاب إلى ليلة القدر ، وفي ليلة القدر يفتح بعمد من أعنى من أول الشهر ، وفي يوم القدر يفتح بعمد من أعنى من أول الشهر إلى يوم القدر » (مشكاة) وعن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان آخر ليلة من رمضان مكنت السموات والأرض ولللائكة مصيبة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » قبل يارسول الله أي مصيبة هي ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ذهاب رمضان فان السموات فيه مستجبة والمسحقات مقبولة والحسنات مضاعفة والمذاب مطروح » . فأى مصيبة أعظم من ذهاب رمضان فإذا بكت السموات والأرض لأجلنا فمن أحق بالبكاء والتأسف لما ينقطع عنا من هذه الفضائل والكرامات ( حياة القلوب ) وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق ملكا له أربعة أوجه من وجه إلى وجه مسيرة ألف سنة فوجهه يسجد إلى يوم القيامة يقول في سجوده : سبحانك ما أعظم جمالك ، وبوجهه ينظر إلى جهنم ويقول الولد لمن دخلها ، وبوجهه ينظر إلى الجان ويقول طوبى لمن دخلها ، وبوجهه ينظر إلى عرش الرحمن ويقول رب ارحم ولا تطلب صاعى رمضان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام » (زهرة الرياض) . وعن أنس عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى يأمر الكرام الكائين في شهر رمضان أن يكتسبوا الحسنات لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يكتبوا عليهم السيئات وينهب عنهم ذنوبهم الماضية » . وقال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيماناً واحتساباً حفر له ما تقدم من ذنبه » (زهرة الرياض) يقال الصوم ثلاث درجات : صوم العوام وصوم الخواص . وصوم خواص الخواص . أما صوم العوام ، فكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخواص فهو صوم الصالحين ، وهو كف الجوارح عن الآثام فلا يتم ذلك إلا بعبادة حمسة أشياء : الأول غش البصر عن كل ما يلهي شرعاً . والثاني حفظ اللسان عن النية والكذب والتبعية واليمين النموس ، لما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حمسة أشياء تعبط الصوم » أي تبطل ثوابه : « الكذب والنية والتبعية واليمين النموس والنظر بشهوة » . والثالث كف الأذن عن استماع كل مكروه . والرابع كف جميع الأعضاء عن المكاره وكف البطن عن الشهوات في وقت الإفطار ، إذ لا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فله كن بني قسراً وهدم مصر . قال عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » . والخامس أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يملأ بطنه ولذا قال عليه الصلاة والسلام « ما من وعاء أفيض إلى الله من بطن مليء من الحلال » . وأما صوم خواص الخواص فصوم القلب عن اللحم الدنية والأمكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكيفية ، فإذا تفكر هذا الصائم فيما سوى الله يحصل النظر من صومه وهو رتبة الأنبياء والصديقين ، فان تحقيق هذا المقام الإقبال إلى الله تعالى بالكيفية والانصراف عن غيره ( رتبة الواعظين )

اعلم أن الصوم عبادة لا يقع عليها حواس العباد فلا يلهي إلا الله والصائم فصول الصوم عبادة بين الرب والعباد وثمة كل من هذا عبادة ومطاعة لا يعرفها إلا الله أضافها إلى نفسه فقال « الصوم لي وأنا أجزى به » وقيل أضافه إلى نفسه لأن الصوم عبادة لا يقع لأحد فيها شركة مع الله تعالى لأن من العباد من يعبد الصم ويسجد له ويصل للشمس والقمر ويتصدق لأجل الصم وهم الكفار وليس من العباد أحد يصوم للصم أو للشمس أو للقمر أو للنهار بل يصوم لله تعالى حالاً قلنا كان هذا عبادة لا يتعبدها غير الله وهي عبادة حالمة لله تعالى أضافه إلى نفسه ، فقال : « الصوم لي وأنا أجزى به » قوله وأنا أجزى به يعني أكون له من صومه على كرم الربوبية لأعلى استحقاق العبودية . وقال أبو الحسن معنى قوله وأنا أجزى به كل طاعة ثوابها الجنة والصوم جزاءه لقائي أنظر إليه وينظر إلى ويكلمني وأكله بلا رسول ولا ترجمان انتهى ما قاله في مختصر الروضة فاحفظه وانصح الناس ولا تكن من التشبهين . وهو زللنا أن يحس امرأته وقبلها في رمضان عندنا إذا كان يأمن على نفسه فإن خاف على نفسه الجماع أو الإزال بنفسه ليس فلا يجوز ذلك . وقال سعيد بن السيب لا يباح للصائم الثقيل واللي خالف أو لم يخف لما روى عن ابن عباس أن شاباً قام إلى ابن عباس فقال له أقبل وأنا صائم ؟ فقال لا ، قائم إليه شيخ فقال أقبل وأنا صائم ؟ فقال نعم ، فناد إليه الشاب فقال له : أحمل له ما حرمت على ونحن على دين واحد ؟ فقال لأنه شيخ يملك إربه وأنت شاب لا تملك إربك . يعني عضوك وعورتك (روضة العلماء) قيل المراد بالصوم قهر عدو الله فإن وسيلة الشيطان بالشهوة وإنما تحوى الشهوات بالأكل والشرب فلا يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وكسر الشهوات إلا بتدليل النفس بخلق الأكل ، وقد روى في مشروعية الصوم أن الله تعالى خلق النمل ، قال أقبل فأقبل ، ثم قال أدبر فأدبر ، ثم قال من أنت ومن أنا ؟ قال النمل أنت ربى وأنا عبدك الضعيف ، فقال الله تعالى يا عقل ما خلقت خلقاً أعز منك ، ثم خلق الله تعالى النفس قال لها أقبلي فلم تجب ثم قال لها من أنت ومن أنا ، فقالت أنا أنا وأنت أنت فمذهبها ما ربههم مائة سنة ثم أخرجها فقال من أنت ومن أنا ، فأجابه كالأول ثم جعلها في نار الجوع مائة سنة فألها فأقرت بأنها العبد وأنه الرب ، فأوحى الله تعالى عليها الصوم بسبب ذلك (مشكاة) قيل الحكمة في فرضية الصوم ثلاثين يوماً أن أدينا آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل في الجنة من الشجرة بنى في جوفه مقدار ثلاثين يوماً فلما تاب إلى الله تعالى أمره بصوم ثلاثين يوماً بلياليها لأن مدة الدنيا أربعة : الطعام والشراب والجماع والنوم فانها حجاب تصد عن الله تعالى وحرص على عهده وأمنه بالتهار وأيسر الأكل بالليل وهو فضل من الله تعالى وكرم علينا (بهجة الأنوار) حكى أن مجوسياً رأى أنه في رمضان يأكل في السوق فصربه وقال لم لم تحفظ حرمة المسلمين في رمضان ؟ فمات المجوسى فرآه عالم في المنام على سرير العزة في الجنة فقال أنت مجوسيا ؟ فقال بلى ولكن صمت وقت اللوث فداء من فوقى يا ملائكتي لا تركوه

جهوسياً فأكرموه بالإسلام بمرسته لرمضان ، فالإشارة أن الجهوسى لما احترم رمضان وجد  
الايان فكيف بمن صامه واحترمه ( زينة المجالس ) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« كما عن ربه تعالى » كل حسنة يعملها ابن آدم يضاعف له أجرها من عشرة إلى سبعمائة  
ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به . اختلف العلماء فى قوله تعالى الصوم لى وأنا أجزي  
به مع أن الأعمال كلها له وهو الذى يجزي بها . على أقوال : أحدها أن الصوم لا يقع فيه  
الرياء كما يقع فى غيره لأن الرياء يقع لابن آدم وإنما الصوم شىء فى القلب ، وذلك أن  
الأعمال لا تكون إلا بالمحركات إلا الصوم فإنما هو بالنية التى تخلص عن الناس . وثانيها أن  
للمراد قوله وأنا أجزي به أنه انفراد بلم مقدار ثوابه وتضعيف أجره ؛ وأما غيره من الصادات  
قد يطلق عليها بعض الناس . وثالثها معنى قوله الصوم لى وأنا أجزي به أى أنه أحب العبادة  
إليه . ورابعها الإضافة إليه وهى إضافة تكريم وتضعيف كما يقال بيت الله . وخامسها أن  
الاستثناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب فلما تقرب الصائم إلى الله بما  
يوافق صفاته أضافه إليه . وسادسها أن المعنى كذلك لكن بالنسبة إلى الثلاثة لأن ذلك  
صفاتهم . وسابعها أن جميع الصادات يوفى منها مظالم العبادة إلا الصيام . واثق العلماء على أن  
للمراد بالصوم فى قوله : الصوم لى وأنا أجزي به صيام من سلم صيامه من اللصاى قولاً وهماً  
( ،فتح الصلاة ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه فك « من قام رمضان إيماناً واحتساباً  
غفر له ما تقدم من ذنبه » صدق رسول الله فيما قال .

### المجلس الثالث : فى فضيلة العلم

سورة البقرة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وعلم آدم الأسماء كلها ) إما بخلق علم ضرورى بها فيه أو بإلقاء فى روعه ولا ينتقل  
إلى ساقية اصطلاح لتسلسل . والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمت ففهم .  
وآدم اسم أجهى كآدر وشائع ، واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من  
أديم الأرض لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض  
سبلها وحزنها فخلق منها آدم لذلك يأتى بنوه أخياراً ( ثم عرضهم على الثلاثة ) الضمير فيه  
التسميات المذكورة عليها ضمناً إذ التقدير أسماء التسميات حذف للضاف إليه دلالة لضاف  
عليه وعرض عنه اللام كقوله تعالى ( واشتعل الرأس شيباً ) لأن العرض للسؤال عن أسماء  
للعروضات فلا يكون للعروض نفس الأسماء بها إن أريد به الألفاظ وللمراد به ذوات الأشياء  
أو معلولات الألفاظ وتذكيره فتليب ما اشتمل عليه من العقلاء ( فقال أنبثوني بأسماء  
هؤلاء ) ببيكت لهم وتنبيه على هجرهم عن أمر الخلافة فان التصرف والتدبير فى الوجودات  
واقامة للمدلة قبل تحقق المعرفة والقوى على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس

بتكليف لكون من باب التكليف بالمال ( ( إن كنتم صادقين ) في زعمكم أنكم أحق بالخلافة نصمتكم ) قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا ) اعتراف بالجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهاراً لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه ( إنك أنت العزيز ) الذي لا يخفى عليه خافية ( الحكيم ) الحكيم لمبتداه الذي لا يضل إلا ما فيه حكمة بالغة ( قاضي يضاهي ) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أجهلكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة » ( شفاء شريف ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً إلى العلم سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الجنان في البحر إن العطاء ورثة الأنبياء » . وعن أبي ذر أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يا أبا ذر لأن تصدق قطع باباً من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تصدق قطع باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة » وقال عليه الصلاة والسلام « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى له ثواب سبعين نبياً » وقال عليه الصلاة والسلام « من جلس عند العالم ساعتين أو أكل معه قهوتين أو مع من معه كفتين أو مشى معه خطوتين أعطاه الله تعالى جنتين كل جنة مثل الدنيا مرتين » ( مشكاة الأنوار ) وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « سألت جبريل عن أصحاب العلم فقال هم سرج أمتك في الدنيا والآخرة طوبى لمن عرفهم والويل لمن أنكرهم وأبغضهم » ( كواشي ) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى الصلاة مع الجماعة وجلس في حلقة العلم وسمع كلام الله وعمل به أعطاه الله تعالى ستة أشياء : الرزق من الحلال ويسجد من عذاب القبر ويعطى كتابه يعينه ويعر على الصراط كالبرق الخاطف ويعشر مع النبيين وبني الله في بيتنا في الجنة من ياقوتة حمراء له أربعون باباً » ( زبدة ) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال « للعطاء درجات فوق درجات المؤمنين بسمائة درجة ما بين الدرجتين خمائة سنة » . يقال العلم أفضل من العمل بخمسة أوجه : الأول العلم بغير عمل يكون والعمل بغير علم لا يكون . والثاني العلم بغير عمل ينفع والعمل بغير علم لا ينفع . والثالث العمل لازم والعلم منور كالسراج . والرابع العلم مقام الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام « عطاء أمي كآبياء بني إسرائيل » . والخامس العلم صفة الله والعمل صفة العباد وصفة الله أفضل من صفة العباد ( تيسير ) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « خير صليان عليه السلام بين العلم والملك فاحتر العلم فأعطى العلم والملك » . وقال بعض الحكماء : العلم ثلاثة أحرف : عين ولا ميم واشتقاق العين من صلين ، واشتقاق اللام من اللطف ، واشتقاق الهم من اللذات . فالعين يحاوذ

صاحبه إلى عليين ، واللام بحمد لطيفاً ، واليم بحمد ملكا على الخلق . وقال يدل على شرف العلم قوله تعالى لحمد عليه الصلاة والسلام ( وقل رب زدني علماً ) لأن الله تعالى أعطى محمداً كل العلوم ولم يأمره بطلب زيادة غير العلم ( مجالس الأبرار ) حكى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى باب المسجد فرأى الشيطان عند بابه ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا إبليس ما تصنع هنا ؟ فقال الشيطان أريد أن أدخل المسجد وأفسد صلاة هذا المصلى ولكن أخاف من هذا الرجل النائم قال صلى الله عليه وسلم : يا إبليس لم لم تخف من المصلى وهو في العبادة والناجاة مع ربه وتخاف من النائم وهو في النفلة قال الشيطان : للمصل جاهل وإفساده أسهل ولكن النائم عالم إذا أغويت المصلى وأفسدت صلاته أخاف من يقظته وإصلاحه عسير ، فقال عليه الصلاة والسلام « نوم العالم خير من عبادة الجاهل » ( منهاج التاملين ) وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أن يحفظ العلم فليبه أن يلزم خمس خصال : الأولى صلاة الليل ولوركتين . والثانية دوام الوضوء . والثالثة التقوى في السر والعلانية . والرابعة أن يأكل لتقوى لا للشهوات . والخامسة السواك » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرف الدنيا والآخرة مع العلم والعالم الواحد أكبر من جبة الفضل عند الله تعالى من ألف شهيد » وللإيراد من العالم في هذا الحديث هو تامل عمل بطله . قال عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق تحت العرش مدينة مكتوباً على بابها من رزق المطهر فكأنما زار الأنبياء » ولما قال صلى الله عليه وسلم « جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة » وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق مدينة من نور تحت العرش مثل الدنيا تضر مررات فيها ألف شجرة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ومرجان ، فإذا كان يوم القيامة خضت أوراقها ثم ينادى مناد من قبل الرحمن أين الذين سوا الصلوات الخمس مع الجماعة فيجلسوا في حلقة العلم يجيئون إلى ظل هذه الأشجار اليوم فيجيئون فيجلسون تحت هذه الأشجار ، ثم يوضع بين أيديهم مائدة من نور فيها ما تشبه الأنفس ولله الأعين ، فيقال لهم كلوا منها جميعاً » ( كذا في مكاشفة الأسرار ) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « مامن مؤمن يحزن بموت عالم إلا كتب الله تعالى له نوابية ألف عالم وألف شهيد » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « موت العالم موت العالم » وفي السكواشي : من هتم امرأ من أهل العلم بكلمة الجحاح يكفر وتطلق امرأته طلاقاً بائناً عند محمد وعند أهل الفقه . وقال الصدر الشهيد في فتاوى بديع الدين : من استخف بالعالم يكفر وتطلق امرأته بائناً . وقال عليه الصلاة والسلام « سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء والفقهاء فيبتليهم الله تعالى بثلاث بليات : أولاها رفع البركة من كتبهم . والثانية يسلط الله تعالى عليهم سلطاناً طامناً . والثالثة يخرجون من الدنيا بنير إيمان » ( كذا في مكاشفة الأسرار ) وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال



« إذا كان يوم القيامة يؤتى بأربعة نفر عند باب الجنة غير رؤية الحساب والعذاب : الأول العالم الذي عمل عمله ، والثاني الحاج الذي حج بغير عمل الفناء ، والثالث الشهيد الذي قتل في المعركة ، والرابع السخي الذي اكتسب مالا حلالاً وأنفقه في سبيل الله بغير رياء فينازع بعضهم بعضاً لدخول الجنة أولاً فيرسل الله تعالى جبرائيل ليحكم بينهم فيسأل أولاً الشهيد فيقول له ما عملت في الدنيا وأنت تريد دخول الجنة أولاً فيقول قتل في المعركة لرضا الله تعالى فيقول بمن صممت ثواب الشهيد ؟ فيقول من العلماء فيقول احفظ الأدب لا تختم على مملك ثم يرفع رأسه إلى الحاج فيقول مثله ذلك ، ثم إلى السخي فيقول مثله ذلك ، ثم يقول العالم إلى ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخي وبسبب إحسانه فيقول الله عز وجل صدق العالم يارضون اتخأ أبواب الجنة حتى يدخل السخي الجنة وهؤلاء بعده » ( كذا في مشكاة الأنوار ) وقال عليه الصلاة والسلام « صل العالم على العابد كفضل على أدناكم » ، وكذا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنا عليم أحب علياً . وقال الحسن رحمه الله عليه : مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء فيترجح مداد العلماء على دم الشهداء ، وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « كن عالماً أو متعلماً أو عاملاً ولا تكن رابعاً قهلك » قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال « العلم بالله » لأن قلب العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل ، فلم من هذا أن العلم أشرف جوهرها من المادة ولكن لا بد للعبد من المادة مع العلم وإلا لكان علمه هباءً منثوراً . وقال « انظر إلى وجه العالم عبادة » وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس خيراً » ( زبدة الواعظين ) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله جعل بنى آدم على ثمان خصال : منها أربع لأهل الجنة : وجه مليح ولسان فصيح وقلب تقى ويد سخی ، وأربع لأهل النار : وجه عابس ولسان فاحش وقلب هديد ويد بخيل » صدق رسول الله ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام « احلروا ثلاثة أصناف من الناس وهم العلماء الغافلون والفقراء المداهنون والتصوفون الجاهلون » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « قوام الدنيا بأربعة أشياء : أولها علم العلماء ، والثاني بعلل الأمراء ، والثالث سخاوة الأغنياء ، والرابع بدعوة الفقراء » ولولا علم العلماء هلك الجاهلون ، ولولا سخاوة الأغنياء هلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء هلك الأغنياء ولولا عدل الأمراء لا كل بعض الناس بعضاً كأيام كل الدائب لنقم . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من أتق درهما على طالب العلم فكأنما أشق مثل جبل أحد من الذهب الأحمر في سبيل الله تعالى » وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاة في الجماعة مع المسلمين أربعين يوماً لم تنفك ركة كتب الله له راحة من النفاق » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى الصبح ثم جلس يذكر الله تعالى يسطيه الله تعالى

في الفرموس مبعين نصراً من ذهب وقصة » وقال النبي عليه الصلاة والسلام « إنما مثل الصلاة كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى عليه ريح » ؟ قالوا لا قال « كذلك الصلاة تغسل الذنوب » ( دقائق الأخبار ) .

### المجلس الرابع : في فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وإذا سألك عبادي عنى فإنى قريب ) أى قل لهم إنى قريب ، وهو تمثيل لمكان علمه بأفلاك العباد وأقوالهم وأفعاله على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روى : أن أعرابيا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناجيه ؟ فزلت هذه الآية ( أجب دعوة الداع إذا دعان ) تحرر القرب ووعد الداعى بالإجابة ( فليستجيبوا لى ) أى إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوتهم لمهماتهم ( وليؤمنوا بى ) أمر بالثبات والمداومة عليه ( لهم يرشدون ) راحين إصابة الرشاد وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسر ها . واعلم أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عتب بهذه الآية للمدانة على أنه خير بأحوالهم مبيع لأقوالهم بحبيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيذاً له وحثاً عليه . ( قاضى يضاوى ) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصل على النبي عليه الصلاة والسلام فإذا صلى عليه يهزى ذلك الحجاب ويدخل الدعاء ، وإنما لم يفعل ذلك رجح دعوته » . حكى أن واحداً من الصلحاء جلس للشهد ونسى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فرأى رسول الله فى نومه قيام عليه الصلاة والسلام فقال له : لم نسيت الصلاة على ؟ قال يا رسول الله اعتلت ببناء الله وعبادته فنسيت الصلاة عليك ، قال عليه الصلاة والسلام أما سمعت قولى : الأعمال موقوفة والدعوات مهبوسة حتى يصل على ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها صلاة على ردت عليه حسناته فلم يقبل منها شيء ( رتبة ) وروى أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال : إلهى هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتى حيث أسمعنى كلامك ؟ قال الله تعالى يا موسى إن لى عبداً أخرجهم فى آخر الزمان فأكرمهم بشهر رمضان وأنا أكون أقرب إليهم منك ، فأتى كلمتك ويبنى وبينك سبعون ألف حجاب فإذا صامت أمة محمد وايضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت الإفطار ، يا موسى طوى لمن عطش كبده وجاع بطنه فى رمضان فلا أجاريهم دون قاتى . فينبى للمافل أن يعرف حرمة هذا الشهر ويحفظ قلبه فيه من الحسا

والعداوة المسلمين ومع ذلك يكون خافاً وغائباً الله أجل صومه أم لا ؟ حيث قال الله تعالى ( إنما يتقبل الله من التقيين ) يخرج الصائمون من قهورهم ويعرفون صيامهم يتقلون بالموائد والتحف والأباريق يقال لهم كلوا قد جعتم حين شبع الناس واشربوا قد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فياً كلون وشربون وساس في الحساب ( تنبيه النافلين ) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال لا مثل النبي عليه الصلاة والسلام عن فضائل التراويح في شهر رمضان فقال : يخرج المؤمن من ذنبه في أول ليلة كيوم ولدته أمه ، وفي الليلة الثانية يفرجه ولا يوبه إن كانا مؤمنين ، وفي الليلة الثالثة ينادي ملك من تحت العرش لتأف السبل غفر الله ماتقدم من ذنبك وفي الليلة الرابعة له من الأجر مثل قراءة التوراة والإنجيل والقرآن والفرقان ، وفي الليلة الخامسة أعطاه الله تعالى مثل من صلى في المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ، وفي الليلة السادسة أعطاه الله تعالى ثواب من طاف بالبيت للعمور ويستغفر له كل حجر ومدر ، وفي الليلة السابعة فكأنما أدرك موسى عليه السلام وعصره على فرعون وهامان وفي الليلة الثامنة أعطاه الله تعالى ما أعطى إبراهيم عليه السلام ، وفي الليلة التاسعة فكأنما عبد الله تعالى عبادة النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي الليلة العاشرة برقه الله تعالى خيرى الدنيا والآخرة ، وفي الليلة الحادية عشرة يخرج من الدنيا كيوم ولد من نطن أمه ، وفي الليلة الثانية عشر جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وفي الليلة الثالثة عشرة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء ، وفي الليلة الرابعة عشرة حادت الملائكة يشهدون له أنه قد صلى التراويح فلا يحاسبه الله يوم القيامة ، وفي الليلة الخامسة عشرة تصلى عليه الملائكة وحملته العرش والكرسى ، وفي الليلة السادسة عشرة كتب الله براءة النعمة من النار وبراءة الحصول في الجنة ، وفي الليلة السابعة عشرة يعطى مثل ثواب الأنبياء ، وفي الليلة الثامنة عشرة نادى ملك يا عبد الله إن الله رضى عنك وعن والديك ، وفي الليلة التاسعة عشرة يرفع الله درجاته في الفردوس ، وفي الليلة العشرين يعطى ثواب الشهداء والصالحين ، وفي الليلة الحادية والعشرين بنى الله له بيتاً في الجنة من النور ، وفي الليلة الثانية والعشرين جاء يوم القيامة آمناً من كل غم وهم ، وفي الليلة الثالثة والعشرين بنى الله له مدينة في الجنة ، وفي الليلة الرابعة والعشرين كان له أربع وعشرون دعوة مستجابة ، وفي الليلة الخامسة والعشرين يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر ، وفي الليلة السادسة والعشرين يرفع الله له ثوابه أربعين عاماً ، وفي الليلة السابعة والعشرين جاز يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف ، وفي الليلة الثامنة والعشرين يرفع الله له ألف درجة في الجنة ، وفي الليلة التاسعة والعشرين أعطاه الله ثواب ألف حبة مقبولة ، وفي الليلة الثلاثين يقول الله يا عبدي كل من ثمر الجنة واعتسل من ماء السلسيل واشرب من الكوثر أنارك وأنت عبدي ( مجالس ) وعن عائشة رضي الله

عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (خ م) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « كان النبي عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأخير من رمضان حتى توفاه الله » ثم اعتكف أزواجه بعد أي اعتكفن في بيوتهن وقد قال الفقهاء يستحب للنساء أن يعتكفن في مكانهن (شرح المصنف) .

### المجلس الخامس : في اطمئنان القلب بمشاهدة قدرة الله تعالى

سورة البقرة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ) إنما سأل ذلك ليصير قلبه حيّاً ( قال أولم تؤمن ) مآلى قادر على الإحياء باطاعة التركيب والحياة ( قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ) أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون القلب بإضافة إيمان إلى الوحي والاستدلال ( قال غلذ أربعة من الطير ) قبل طاوساً ودبكا وغراباً وحمامة ( فصرهن إليك ) فأملهن واضمهن إليك لتدبها وتعرف شأنها لتلا تلتس عليك بعد الإحياء ( ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ) أي ثم حزنهن ( ثم ادعهن ) قل لمن تعالين بادن الله ( يأتينك سعيًا ) ساعيات مسرعات طبرانا أو مشياً ( واعلم أن الله عزيز ) لا يهزهما مما يريد ( حكيم ) ذو حكمة بالغة في كل ما يخلقه ويقرر . ( قاضي يضاوي ) .

( وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ) قال الحسن : كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه مر على دابة ميتة قال ابن حريج كانت جيفة حمار على ساحل البحر فرآها وقد توزعت دواب البحر والبر فكان إذا مد البحر جاءت الخيتان ودواب البحر فأكلن منها لما وقع منها في البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها لما وقع منها في التراب يصير تراباً فإذا ذهبت السباع عنها جاءت الطيور فأكلت منها لما سقط منها رفقه الريح في الجو فلما رأى ذلك تعجب منها وقال يارب قد علمت أنك نجسها من بطون السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعابن فأزداد يقيناً فمات به الله ( قال أولم تؤمن قال بلى ) يارب علمت وآمنت ( ولكن ليطمئن قلبي ) أي ليسكن قلبي إلى العناية والشهادة أراد أن يصير له علم اليقين وعين اليقين ( قال غلذ أربعة من الطير ) قال عجاهد : أخذ طاوساً ودبكا وحمامة وغراباً ، وقيل بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء ودبكا أحمر ( فصرهن إليك ) أي قطعن ومزقن ، وقيل اجهنن واضمهن إليك ( ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ) قال المفسرون : أمر الله تعالى إبراهيم أن يدبج تلك الطيور ويثقب ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض فصل ، ثم أمره أن يجعل أجزائها على الجبال . واختلفوا في عدد الجبال ، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أمر أن يجعل طائر أربعة أجزاء

ويصلها على أربعة جبال ؛ وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب . وقيل جزأهن عجة أجراء ووصفها على سبعة أجبل وأمسك رءوسهن ثم دعاهن بقوله : فتعالين هادن الله تعالى ، لحمل كل قطرة من دم طائر يطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ينظر حتى بقيت كل جثة بعضها إلى بعض في السماء بمير رأس ثم أقبلن إلى رءوسهن سجا فكلما جاء طائر طار رأس فان وجد رأسه دنا منه وإن لم يجده تأخر حتى يلقي كل طائر رأسه هناك قوله تعالى ( ثم ادعهن يأتينك سجا ) قيل للراد بالسج الإسراع والدنو ، وقيل لشيء كما قال الله تعالى ( فاسعوا إلى ذكر الله ) والحكمة في الذي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم أنها غير تلك الطير وأن أرحلها غير سليمة ، وقيل السج الطيران ( واعلم أن الله عز وجل حكيم ) ( تفسير معالم ) روى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أصناف السموات والأرض ثم نظر إليها نظرة بية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فخلق منه زبد ودخان وبخار وارتعد من خشية الله فمن تحت يرتعد ذلك الماء إلى يوم القيامة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء ، وخلق من ذلك الزبد الأرض ، ثم صلب الله ملكا من تحت العرش فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعهما على عاتقه وإحدى يديه كانت بالشرق والأخرى كانت بالغرب باسطين يابضتين على الأرضين السبع حتى صبطها فلم يكن لتقديمه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأهبط الله بالقوت خضراء من أهل درجة في الجنة علفها مسيرة خمسمائة عام فوضعهما بين سنام الثور إلى ذنبه فاستقرت عليها قدماء وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ولكن ذلك الثور في البحر فهو يتنفس في كل يوم نفسين فإذا تنفس مد البحر وإذا أمسك نفسه رجع فلم يكن قوائم الثور موضع قرار فخلق الله صخرة كلفظ سبع سموات وأرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهز الحوت العظيم اسمه نون وكنيته يلهوب ولقه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسأر حده خالي ؛ فالحويت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ، قال كعب الأجداد : إن إبليس تصعد إلى الحوت الذي كان على ظهر الأرض كلها والشجر والدواب وغيرها وقال له ألقى عن ظهرك هؤلاء الأفعال أجمع قال فهم الحوت أن يعمل ذلك فمات الله دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فضج إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت ، قال كعب إنه ليسطر إليها وتنظر إليه فان هم شيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت هو الذي أقسم الله به فقال ( ن والقلم وما يسطرون )



صلى الله العظيم ( تفسير ثعلبي رحمه الله تعالى ) هذه كلها من قدرة الله تعالى العلى الكبير للكمال .

( نوع آخر متعلق بأحوال الدنيا والآخرة ) ذكر في الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كانت لأخيه عنده مظنة من عرض أو مال فليطلب من المظلوم أن يهبها له أو يستعمل منه أو يقص منه قبل أن يأخذ منه خصاله يوم لا يوجد دينار ولا درهم » .  
( حكاية ) إن صياداً في الزمن الأول أخذ سمكة فأخذها منه العوان وضربه فقال الصياد يارب خلقتني ضعيفاً وخلقتني قوياً حتى ظننتني سيطر عليه خلقتك من خلقتك فاجعله عبداً للمسلمين ، فلما ذهب العوان إلى حاره عوى السمكة ، فلما وضعها على اللائدة وأراد أن يتناولها لدهنت السمكة بإذن الله تعالى وأخذ السود يده فلم يقدر على الصبر حتى قطعها ثم سرى إلى فراشه حتى قطعها ثم نلم قرأى في المنام من يقول له رد الحق إلى صاحبه حتى تنجو من هذه العلة ، فلما استيقظ علم ذلك فجاء إلى الصياد فأعطاه عشرة آلاف درهم واستعمل منه فلما جعله في حل تأثر منه السود فصارت يده كما كانت بقدره الله تعالى ( مكاشفة القلوب )  
عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه أنه قال « إذا عوفي الرجل ووضع في قبره جاءه ملك وقعد عند رأسه وعذبه وضربه ضربة واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه إلا قطع وتلهب في قبره ثم قيل له قم يلذن الله فإذا هو يقوم مستوياً فيصبح صيحة يسمعا ما بين السماء والأرض إلا المني والإنس ثم يقول له لليت لم فعلت هذا ولم تعذبني وأنا أقيم الصلاة وأؤدى الزكاة وأصوم رمضان ؟ فيقول أعذبتك بأنك مررت يوماً بمظلوم وهو يستنث بك فلم تقمته وصليت يوماً ولم تنزه من بولك » ولذا قيل : لصرة المظلوم حاجة كما روى عنه عليه الصلاة والسلام « من رأى مظلوماً فاستغاث به فلم ينتهضه ضربه في قبره مائة سوط من نار » ( مكاشفة القلوب )  
قال النبي عليه الصلاة والسلام « من زنى امرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة كانت أو أمة لفت بغير عوبة فتح الله له في قبره ثلاثمائة باب من نار يئصب فيه إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يدخل النار مع الداخلين » ( حياة القلوب ) .

حكى أن الحسن البصري ومالك بن دينار وثابت البناني دخلوا على رابعة المدنية ، فقال الحسن ياربسة استأري منا واحداً فإن النكاح سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قالت : لي مسائل من أجابها زوجت نفسي منه ، فسألت الحسن أولاً ما تقول حيث قال يوم لليتاني هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي من أي صنف أكون ؟ فقال لأدري ، فقالت حين صوري لللك في زعم أمي هل كنت شقية أو سعيدة ؟ قال لأدري ؟ قالت إذا قيل لواحد أن لا تخافوا ولا تحزنوا ولواحد لا تحزنوا لكم من أي صنف أكون ، قال لأدري ، قالت القبر يكون روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران كيف يكون قبري ؟ قال لأدري

قالت يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كيف يكون وجهي ؟ قال لأدري ، قالت إذا نادى  
لثادى يوم القيامة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة وفلان بن فلان قد شقي شقاوة  
فمن أكون أنا ؟ قال لأدري فبكوا جميعا وخرجوا من عندها ( بهجة الأنوار ) .

وحكى أيضا أنه لما مات روج رابعة العدوية استأذن في الدخول عليها الحسن البصري وأصحابه  
فأذنت لهم في الدخول عليها وأرخت سترا وجلست وراء الستر ، فقال لها الحسن وأصحابه إنه قد  
مات بملك ولا بد لك منه ، فقالت نعم ولكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي ؟ قالوا الحسن  
البصري فقالت إن أجبتني في أربع مسائل فأنا لك ، قال سأل إن وقفت الله تعالى أجبتك . قالت  
ما تقول لو مت وخرجت من الدنيا أخرج على الإعلان أم لا ؟ قال هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ،  
ثم قالت ما تقول لو وصعت في القبر وسألني مكر ونكير أتدر على جوابها أم لا ؟ قال هذا  
غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، قالت إذا حذر الناس يوم القيامة وتطابرت الكتب أعطى  
كتابي يميني أم شمالي ؟ فقال هذا غيب أيضا ، ثم قالت إذا نودي للناس فريق في الجنة  
وفريق في السعير كنت أنا من أي الفريقين ؟ قال هذا غيب أيضا ، قالت من كان له قم هذه  
الأربعة كيف يشتغل بالترويح ، ثم قالت يا حسن أخبرني كم جزء خلق الله العقل ؟ قال  
عشرة أجزاء : تسعة للرجال وواحد للنساء ، ثم قالت يا حسن كم جزء خلق الله الشهوة ؟ قال  
عشرة أجزاء : تسعة للنساء وواحد للرجال . ثم قالت يا حسن أنا أتدر على حفظ تسعة أجزاء  
من الشهوة مخزء من العقل وأنت لا تدر على حفظ جزء واحد من الشهوة بتسعة أجزاء من  
العقل ، فبكى الحسن وخرج من عندها ( مشكلة الأنوار ) .

### المجلس السادس : في فضيلة إعطاء الصدقة في سبيل الله

سورة البقرة - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ) أي مثل ثقتهم كمثل حبة أو  
مثلهم كمثل بادر حبة على حنط مضاف ( أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ) أسند  
الإنبيات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والنساء والنبت على الحقيقة هو الله  
تعالى . والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة  
وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه ، وقد يكون في المدة والدخن وفي البر في الأرض للغة في بعض  
الأراضي ( والله يضاعف ) تلك المضاعفة ( لمن يشاء ) بمضاه على حسب حال التقى من إخلاصه  
وعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب ( والله واسع ) لا يضيق عليه ما يتفضل  
به من الزيادة ( عليم ) بنية الحق وقدر إتقانه . ( قاضى يضاوى ) .

نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وبعالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرمتها لري فقال له رسول الله «بارك الله لك فيما أمسكت وبما أعطيت» وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له فزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال الكلبي ومقاتل: زلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت له أربعة دراهم ولم يملك غيرها، فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم في السر وبدرهم في العلانية فزلت (الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال عليه الصلاة والسلام: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة». روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام «ما من دعاء إلا بينه وبين الله تعالى حجاب حتى يصلي صاحبه على محمد فإذا فعل ذلك خرق الحجاب واستجيب له الدعاء». وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام «لما خلق الله تعالى الأرض وتحركت خلق الجبال فوضعا عليها فاستقرت فحصب لللائكة وقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم الماء فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة يمينه يخطبها عن حماله فهو أشد منه» لكن بعد رعاية أمور: أحدها أنت تحفي الصدقة كما قال الله تعالى (وإن غصوها وتوزوها اقترءوا فهو خير لكم) وبهذا السبب بالغ السلف في إخفاء صدقاتهم عن أمين الناس حتى طلب بعضهم قبرا أمسي لئلا يعلم من للتصدق، وبعضهم ربط في ثوب الفقير نائما، وبعضهم ألق في طريق الفقراء ليأخذوها والثاني أن تخلص من للن والأذى كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالنار والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس). والثالث أن تخرجها من أطيب أموالك كما قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) حتى لا تكون ممن قال الله تعالى فيهم (ويكرهون) الآية ولما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» أي الحلال كما قال سعيان الثوري: من أتقى الحرام في طاعات الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر إلا بالماء الطاهر والذهب لا يطهر إلا بالحلان. والرابع أن تعطى بوجه طليق مستبشر غير مستكره كما قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ولما قال عليه الصلاة والسلام «سبق درهم على مائة ألف» يسي أن

درهما واحداً من الحلال بالاستدثار أفضل من مائة ألف مع الكراهة . والخامس أن  
 تحرى بصدقك محلا وتطلى العالم التقي الذي يستعين بها على طاعة الله تعالى وتقواه أو الصالح  
 للقل ولذا قال الله تعالى ( إنما الصدقات للفقراء والمساكين ) وروى عن النبي عليه الصلاة  
 والسلام أنه قال : الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها تكلمت بخمس كلمات : الأولى  
 كنت صغيرة فكبرتني ، والثانية كنت حارسى فالآن صرت حارسك . والثالثة كنت عدواً  
 فأحببتني . والرابعة كنت غائبة فأبقيتني . والخامسة كنت قليلة فكثرتني كما قال الله تعالى  
 ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم  
 يظم أحداً حتى يشعه ويسقيه حتى يرويه إلا بهمه الله تعالى من النار وجعل بينه وبينها  
 سبعة خنادق بين كل خندقين خمسمائة عام ونادت جهنم يا رب الذن لي بالسجود فكرا  
 لك فقد أردت أن تصق أحداً من أمة محمد من عذابى لأنى كنت أمتحنى من محمد أن  
 أعذب التصديق من أمتي فلا بدلى من طاعتك ثم أمر الله تعالى ليدخل الجنة للتصدق  
 بلقمة خبز أو بقضة تمر . وقد حكى أنه كان فى يوم إسرائيل قسط شديد منين متوالية  
 وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها فى فيها فأكلها فتادى السائل فى الباب أعطيت له  
 لقمة فأخرجتها من فيها فدفعها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لأن تحطب وكان لها  
 ابن صغير معها فجاء الدب فغلبه وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم فى أثر الدب فبث الله تعالى  
 جبريل فأخرج الصبي من فم الدب فدفعه إلى أمه وقال لها : يا أمة الله أرسيت لقمة بلقمة  
 ( كذا فى تفسير الحنلى ) وكذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : إن امرأة أتت إلى النبي عليه  
 الصلاة والسلام وقد يست يدها اليمنى ، فقالت يا نبي الله ادع الله حتى يصلح يدي ، فقال لها النبي  
 عليه الصلاة والسلام ما الذى أيس يدك ؟ قالت رأيت فى المنام قد قامت القيامة والجحيم صمرت  
 والجنة أزلقت فرأيت فى نار جهنم والله فى يدها قطعة من اللحم وفى الأخرى حرقلة متبرية تنقى  
 بهما النار ، فقلت ما لك أراكى هذا الوادى وكنت مطيعة لربك وراضية عنك وزوجك ؟ قالت  
 يا نبي كنت فى الدنيا حجة وهذا للوضع لبخله ، قلت لها وما هذه الشحمة والحرقلة يدك ؟ قالت  
 هما اللتان تصدقت بهما فى الدنيا وما تصدقت فى جميع همري إلا بهما ، وقلت ابن أبى ؟ قالت هو  
 سخي وهو فى موضع الأسخياء ، ثم جئت إلى الجنة وإذا الذى قائم على حوضك يسقى الناس بارسول  
 الله فقلت يا أبى إن والدتي كانت امرأتك المطيعة لربها وأمت راض عنها ، وهى فى نار جهنم  
 تحرقى وأنت تسقى الناس من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فأعطيها شربة من الحوض ،  
 فقال يا ابنى حرم الله على البخلاء والذنين حوض النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذت  
 منه كأساً يلا لأن أبى فسقيت به أمى العطشى ، ثم سمعت صوتاً يقول أيس الله تعالى

يدك حيث سقيت العاصية العجبة من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فالتبته فإذا يدي قد يست ،  
ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام قولها وضع عصاه على  
يدها ، فقال لعلي بحق الرؤيا التي حكيت أصلح يدها فصلحت يدها فصارت كما كانت » قال النبي  
عليه الصلاة والسلام : « السقاء شجرة في الجنة أعصاتها متدييات في الدنيا لمن أخذ عصا منها قامه  
إلى الجنة ، والبخل شجرة في النار أعصاتها متدييات في الدنيا لمن أخذ عصا منها قامه إلى النار »  
وكذا قال عليه الصلاة والسلام « السقي قريب إلى الحق والخلق ، والبخل بعيد من الحق والخلق »  
كما قال عليه الصلاة والسلام « البخل لا يدخل الجنة ولو كان زاهداً » . حكى أن حذأة جاءت إلى  
سليمان بن داود عليها السلام فقالت إن رجلا له شجرة وأنا أفرع على تلك الشجرة وهو يرفع  
أفراخي فدعا سليمان عليه السلام صاحب الشجرة لئله منه ، وقال لشيطانين إني آمركما إذا كان  
العام القابل ورفع هذا الرجل فرع هذا الطير نخله واجعله نصفين وارميا نصفه إلى الشرق  
ونصفه إلى الغرب فلما كان العام القابل نسي صاحب الشجرة قوله سليمان عليه السلام ، وأراد  
أن يصد الشجرة وقد تصدق بلقمة فرع فرع الطير ، فجاء الطير إلى سليمان عليه السلام  
وشكا من صاحب الشجرة فدعا سليمان عليه السلام الشيطانين فأراد أن يماقهما ، وقال لهما  
لم لا تفلان ما أمرتكما ؟ قالوا يا خليفة الله إن صاحب الشجرة لما أراد أن يصد الشجرة  
قصدا أن نأخذ له ولكن تصدق على رجل مسلم بقطعة خبز فبحث الله إليه ملكين من  
السماء حتى أخذوا كل واحد منا ورميا به فرمى أحدهما إلى الشرق والآخر إلى الغرب ودفع  
شرنا عنه يركه صدقه . وحكى أنه وقع الصحن في بني إسرائيل فدخل قهقير على باب غني  
فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة التي خبزا حارا فدفعته إليه  
وجاء النبي - مؤم الدار - قطع يده بلكة فحول الله حاله وأذهب ماله واقتصر ومات في حاله  
ولله ، وبنته تدور بين الأجواب سالمة وكانت حمية فجاءت يوما إلى باب رجل غني  
تفرحت والدته فتخطرت إليها وإلى جملها وأدخلتها إلى بيتها فقصت تزويجها إلى ابنها ،  
لما زوجتها زينتها وقدمت إليها مائة دليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل  
مع زوجها . فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب فأخرجني يدها اليمنى فأخرجت  
يدها اليسرى مرة أخرى فرد عليها مرات ، فتهتف هاتف من زاوية الباب فأخرجني يدها  
اليمنى يا أمي لقد أعطيت الحبز لأجنتنا ولا جرم نصطيك يدها فأخرجت يدها اليمنى تامة  
بشرة الله تعالى وأكلت مع زوجها فاعتبروا يا أولى الأنصار واشتقوا في سبيل الله حتى  
تناولوا سعادة المدايرين ( كذا في زبدة الواعظين ) : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
« من أكرم الصيف فقد أكرمني ، ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ، ومن أبغض الصيف



قد أبيض ومن أبيض قد أبيض الله تعالى » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخل معه ألف بركة وألف رحمة » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد يأية الضيف فيكرمه بما وجد من الطعام إلا فتح الله تعالى له باباً في الجنة » ومن عمر خبرها يعني أشبع جائعاً وجبت له الجنة ، ومن مع الطعام عن الجائع منع الله تعالى نفسه عنه يوم القيامة وعذبه في النار ، ومن أطمع جائعاً لوجه الله تعالى وجبت له الجنة . قال النبي عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة : طلب العلم والجهاد والكسب من الحلال لمطالب العلم حبيب الله تعالى والجهاد على الله والكسب من الحلال كريم على الله » صدق رسول الله ( دقائق الأخبار ) . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اتقوا النار » أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية ، أي حباً من الصدقة « ولو بشق تمر » أي حباً أو نصفها فإنه يسد الرمي سبباً للطفل فلا يحترق للصدق ذلك . اتفق البخاري ومسلم على الرواية عن عيسى بن حاتم ( كذا في الجامع الصغير ) . فالجواب أن الإنفاق في سبيل الله سبب الوصول إلى الأجر الجليل والنجاة من المخاوف والشدة والبلاء في الدنيا والآخرة كما روى الخطيب عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الصدقة تمنح حبيبين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجنان والبرص » ( كذا في الجامع الصغير ) .

## المجلس السابع : في ذم أكل الربا

سورة البقرة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الذين يأكلون الربا ) أي الأكلون له ، وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المعاملات وهو زيادة في الأصل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو قد يقد إلى أجل ، أو في العرض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه ( لا يقومون ) إذا بشوا من قبورهم ( إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ) إلا قياماً كقيام للصروع وهو وارد على ما يزعمون من أن الشيطان يحبط الإنسان فيصرع ، والحبط ضرب من غير استواء كحبط الشواء ( من اللس ) أي الجنون ، وهذا أيضا من زعماتهم أن الجن يمس فيحبط عقله ، وقد قيل من الرجل وهو متعلق لا يقومون أي لا يقومون من اللس الذي بهم بسبب أكل الربا أو يقومون أو يتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالصروعين لا لاختلاف عقولهم ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأنه لهم ( ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ) أي ذلك القاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإقضاءهما إلى الربح فاستحلوه استحلالة فكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس لمباينة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به

البيع ، والفرق بين ، فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين ففعل مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الثمن ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) إنكار للتسويتهم وإبطال للقياس بمصارضة النص ( فاضى يضاوى ) .

عن زيد بن الحباب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « من قال اللهم صل على محمد وأزله للزلزل القرب منك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » ( حفاء ) وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « أربعة حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذبحهم ميعها : مومن فخر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق وعاق الوالدين » رواه الحاكم . فيه تأويلان : أحدهما أنه محمول على من فعله ثم استعصه . والثاني أن لا يدخلهم الجنة أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ، ثم إنه قد يجازى عنه عن دخولها أولا ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازى بل يفوز الله تعالى عنه . وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام « اجنبوا السبع اللوحات قالوا وما هي ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي والفرار يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات » الحديث . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام « الربا ثلاثة وسبعون بابا أي مرها مثل أن يتكبح الرجل أمه » رواه الحاكم . وقال عليه الصلاة والسلام « نصيب الربا أعظم عند الله تعالى من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها الرجل في الإسلام » وقال عليه الصلاة والسلام « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » ( حياة القلوب ) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا باع الرجل الثمر بالدرهم والدينار بالدينارين فقد رانى فاذا عمل هيثا من الحيلة فقد رانى وخاف الله عز وجل وأخذ آيات الله عزوا » ( فردوس أكبر ) وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : « نحن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » رواه مسلم . وعن أبي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام في قصة الإسراء « . . . فأنطلق إلى جبريل إلى رجال كثيرة كل رجل منهم بطنه مثل بطن البعير الضخم متضدين بعضهم على بعض على سائبة آل فرعون يطوّم آل فرعون يمرضون على النار غدوا وعشيا يقبلون مثل الإبل التهمة » أى مثل الإبل التي صيح بها لتجد في سيرها ، أو كنى أنهم بالتحريك إفراط في الشهوة للطعام من الجوع « يخطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يفتنون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا تميل بهم بطونهم ليصرعون ، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا

يستطيعون أن يرجعوا أي أن يزيلوا مكاتهم حتى يشام آل فرعون « أي بطونهم » مقبلين ومديرين فلذلك عذابهم في البرزخ « أي بين الدنيا والآخرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « وآل فرعون يقولون اللهم لا تنقم الساعة أبدا » أي يوم القيامة يقول الله تعالى ( أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ) قلت « يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء آكلو الربا من أمته » ( لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من اللس ) « الآية . وعن حمزة بن جندب رضي الله تعالى عنه أنه قال « كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى الغداة أقبل عينا بوجهه ، فقال لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا قصص عليه ما شاء الله أن يقص فيوما قال هل رأى أحد منكم من رؤيا القية ؟ قلنا لا قال عليه الصلاة والسلام : لست أرى رأيت القية شخصين أتيا فأخرجاني إلى أرض مقدسة فاطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، على شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فاذا أراد أن يخرج رى الرجل الذي على الشط يحجر في فيه فروه حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رى في فيه حصر فبرح كما كان ، قلت ما هذا الذي رأيت في النهر ؟ قال آكل الربا » رواه البخاري . وعن أبي رافع رضي الله عنه أنه قال بث حنكاة فصة من أبي بكر فوضع الحنكاة في كفه والحرم في كفه الأخرى فكان الحنكاة أقل منها قليلا فأخذ مقرضا ليقطعه فقلت الزيادة لك يا خليفة رسول الله ، فقال أبو بكر صمت من النبي عليه الصلاة والسلام : « الزائد ولست بدينق النار » ( موعظة ) وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا ، فقال : إذا باع رجل ثوبا يساوي عشرة بشرين قد حصل ذلك الثوب مقابلا لعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منها مقابلا للآخر في الثابة عندها فلم يكن أخلاصا به شيئا بغير عوض . أما إذا باع عشرة دراهم بشرين قد أخذ عشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل فإن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يحسم عوضا عن الشرة الزائدة قد ظهر الفرق بين الصورتين ( حيلة القلوب ) وذكر في سبب تحريم الربا وجوه : أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين فقد أخذ أو فسخه فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام . والوجه الثاني إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير نصب ولا مشقة فيقضى ذلك إلى انقطاع ما فاع الناس بالتجارة وطلب الأرباح . والوجه الثالث أن الربا هو سبب انقطاع العروف بين الناس من القرض ، فلما حرم الربا طابت النفوس بخرق المحرم للمحتاج واسترجاع مثلها لطلب الأجر من

الله تعالى . والوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة جميع التكاليف معلومة للمخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك ، وهذا تصريح بأن النص يطل القياس ، لأنه جعل تحليل الله وتحريمه دليلاً على بطلان قياسهم ( حياة القلوب ) عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام ولا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعر بالشعر ولا التمر بالتمر ولا اللع باللع إلا سواء بسواء عينا بعين ، يدا بيد ، ولكن يبيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعر والتمر بالتمر باللع يدا بيد كيف شئتم من التفاضل ، لأن مخالفتها لا يكون ربا ، لأن الجنس معدوم فاحفظ ولا تكن من الغافلين ؛ وما نص على تحريم الربا فيه إن كيلا فهو كيلا أبدا كالبر والشعر والتمر أو نص على تحريمه وإن وزنا فهو وزن أبدا كالذهب ، والنقطة ولو تصورف بخلافه لأن النص قاطع وهو أقوى من السرف والأقوى لا يتركه للأدنى وما لانس به حمل على السرف كغير الستة المذكورة وهي قوله عليه الصلاة والسلام « لا تبيعوا الذهب بالذهب » إلى آخره . واعلم أن الحيل الشرعية للاحتراز عن الربا وإن كانت حادثة عند بعض الفقهاء إلا أنها مكروهة عند البعض وهو الأرجح . صورتها رجل أراد أن يستقرض عشرة دراهم من آخر بعشرة ونصف مدة شهر مثل أن يبيع الرجل ثوبا يساوي عشرة بعشرة إلى آخر ويسلمه ويأخذ منه عشرة ، ثم يقول الآخر بين المجلس : أبيع هذا الثوب بعشرة ونصف ويشترى المستقرض منه بذلك القيمة عدة معلومة والربا في هذه الصورة مندفع ولكن الأولى أن لا يخل مثل هذه الحيلة لأن التقوى خير من التقوى ، أو أن يعطى المقرض إلى المستقرض ثوبا يساوي اثني عشر درهما بقيمتيه في مدة معلومة ثم يبيع المستقرض إلى الأجني بعشرة ثم الأجني إلى البائع الأول وهو المقرض بعشرة أيضاً ويقول له أعط العشرة إلى فلان الذي اشتريت هذا الثوب منه ، فإذا أعطى البائع الأول الذي هو المشتري من الأجني والمقرض من وجه عشرة دراهم إلى المستقرض منه كان المستقرض مدبونا له بائني عشر درهما والزائدة أيضاً في هذه الصورة ليست ربا ولكن ينمى للمؤنس أن يحترز عن المعاملة النسيئة الشرعية حتى لا يؤخذ في دار الآخرة . وتخصيل هذا في الكتب الفقهية فضلك بمطالعة أصل هذه للنقولة من الترجمة إلى العربية وادع لناقها الفير بالأدعية الحبرية تل الشفاعة الصطفوية بعد التمسك بالسنة النبوية ، ولا تشكن في نعم الله الجليلة المفاضة على العباد للديبة حتى لا تحرم من السعادة السموية وأبصر ما أحضرتك بالإيمان والدقة النظرية .

## المجلس الثامن : في فضيلة الصلاة مع الجماعة

سورة البقرة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن الذين آمنوا ) بالله ورسوله وبنوا جادهم ( وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة )  
عطفهما على ما بينهما لإناقتها على سائر الأعمال الصالحة ( لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم )  
من آت ( ولا هم يحزنون ) على فائت ( قاضى يضاهى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان جالسا في المسجد ، فدخل عليه هاب فضله  
وأجلته مجتبه نوري أبي بكر رضى الله عنه ، ثم اعتذر النبي عليه الصلاة والسلام إليه فقال :  
« يا أبا بكر إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا أحد يصلى على أكثر منه فإنه يقول كل  
غداة وعشية : اللهم صل على محمد بن عبد الله عليه وسلم على محمد بن عبد الله عليه وسلم من لم يصل عليه  
وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه وصل على محمد كما  
يجبى الصلاة عليه فذلك أحسنه أعلى منك » . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى  
الصلوات الخمس مع الجماعة فله خمسة أشياء : الأول لا يصيبه فقر في الدنيا . والثاني يرفع الله تعالى  
عنه عذاب القبر : والثالث يعطى كتابه يحبه . والرابع يمر على الصراط كالبرق الخاطف .  
والخامس يدخله الله تعالى الجنة بلا حساب ولا عذاب » ( مساييح ) قال عليه الصلاة والسلام :  
« صلاة الرجل مع الجماعة خير من صلاة أربعين سنة في بيته منفردا » . وروى أن الجماعة تفضل  
على الفرد بسبع وعشرين درجة . وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم  
القيامة يحضر الله قوما وجوههم كالكوكب فضول لهم لللائكة ما أعمالكم ؟ فيقولون كنا  
إذا سمعنا الأذان قلنا إلى الطهارة والوضوء ولاشتغل بغيره ، وقوما وجوههم كالقمر ، فيقال  
لهم : ما أعمالكم ؟ فيقولون كنا نتوضأ قبل الأذان ، وقوما وجوههم كالشمس فيقولون بعد  
السؤال : كنا نسمع النداء في السجدة » ( عدة الراغبين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه  
قال : « إذا كبر البعد للصلاة يقول الله تعالى لللائكة ارفضوا دنوب عبدي عن رقبتة حتى يجبدني  
طاهرا فأخذ لللائكة الدنوب كلها فإذا فرغ البعد من الصلاة تقول لللائكة باربنا أنبدها عليه  
فيقول الله تعالى يا ملائكتي لا يليق بكرمى إلا الموقد غفرت خطاياهم » . وعن النبي عليه الصلاة  
والسلام أنه قال : « إن الله تعالى يحضر مساجد الدنيا يوم القيامة كأنها تحت يمين قوائمها من  
النسب وأعناقها من الرعفران ورددوسها من السك وأذانها من الزبرجد الأخضر والمؤذنون  
يخردونها والأئمة يسوقونها فيمررون في حرصات يوم القيامة كالبرق الخاطف فيقول أهل  
القيامة : أهؤلاء من لللائكة القربين أم من الأبيساء والرحلين ؟ فينادى لأبل هؤلاء

من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يحفظون الصلوات بالجماعة » ولما قال عليه الصلاة والسلام « من توضأ بالماء الجاري وصلّى خلف الإمام القارى قد استحق رحمة الله البارى » ( زبدة الواعظين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله تعالى جبرائيل عليه السلام على أحسن صورة وجعل له ستائة جناح طول كل جناح مابين للشرق والغرب نظر إلى نفسه فقال إلهي هل خلقت أحسن صورة مني ؟ فقال الله تعالى لا ، فقام جبرائيل وصلّى ركعتين شكراً لله تعالى فقام في كل ركعة عشرين ألف سنة ، فلما فرغ من الصلاة قال الله تعالى يا جبرائيل عدي حق عبادتي ولا يجدي أحد مثل عبادتك لكن يجيء في آخر الزمان نبي كريم حبيب إلى يقال له محمد وله أمة ضيفة مذبذبة يصلون ركعتين مع سهو وقصان في ساعة يسيرة وأفكار كثيرة وذنوب كبيرة فوعزني وجلالي إن صلاحهم أحب إلى من صلاحك لأن صلاحهم بأمري وأنت صليت بغير أمري ، قال جبرائيل يارب ما أعطيتهم في مقابلة عبادتهم ؟ قال الله تعالى أعطيتهم الجنة للأوى ، فاستأذن من الله تعالى أن يراها فأذن الله تعالى له فأتى جبرائيل وفتح جميع أجنحته ثم طار ، فكلما فتح جناحين قطع مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، وكلما ضم قطع مثل ذلك فطار على هذا ثلاثة عام صبر وزل في ظل شجرة وسجد لله تعالى فقال في سجوده : إلهي هل بلغت نفسك أو ثلثها أو ربعها ؟ فقال الله تعالى يا جبرائيل لو طرت ثلثائة ألف عام ولو أعطيتك قوة مثل قوتك وأجنحة مثل أجنحتك فطرت مثل ما طرت لا تصل إلى عشر من أعشار ما أعطيت له لامة محمد في مقابلة ركعتين من صلاحهم » ( مشكاة الأنوار ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على تمطيا إلى جعل الله تعالى من تلك الصلاة ملكا له جناحان جناح بالشرق وجناح بالغرب ورجلاه تحت الأرض السابعة وعنقه متصل بالمرح ويقول الله تعالى لهذا الملك صل على عبدى كما صلى على نبيي محمد عليه الصلاة والسلام فيصل عليه إلى يوم القيامة » ( زبدة الواعظين ) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يروى عن الله تعالى أنه قال : ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي لي حقا ، ومن ضيعهن فهو عدو لي حقا ، قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال : الصلاة والصوم وحمل الجباة ، قال : هن أمانة بين الله وبين عبده ، أمر بالمحافظة عليهن » والمراد منها إقامتها في أوقاتها مع إتمام القرائن والواجبات والسنة حتى إن الرجل إذا صلى في غير وقتها قد ضيعها على ما روى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « ليل أسرى بى إلى السماء رأيته رجلا ونساء يضربون على رؤوسهم فتسيل دماغمهم كالتبر العظيم يقولون يا ربنا ولا يا ربنا فقلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال الذين يصلون الصلاة في غير وقتها » والحدليل عليه قوله تعالى ( تخلف من عدم خلف أمانع الصلاة واتبعوا الشهوات ) الآية ، وكذا إذا لم يصحبها بالجماعة كما روى أن رجلا جاء

إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال إنى رأيت فى المنام كأن فى إحدى يدي عشرين ديناراً وفى الأخرى أربعة فسقط العشرون من يدي واحترت الأربعة فقال عليه الصلاة والسلام هل صليت العشاء بالجماعة ؟ قال لا قال الساقط من يدك فضل الجماعة التى فاتتك ، وأما الأربعة فالتى صليت فى بيتك لم تقل منك (زهرة الرياض) قال عليه الصلاة والسلام « من حافظ على الصلوات كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ونجاة » (تبيين المحارم) قال عليه الصلاة والسلام « عشرة نفر لا يقبل الله صلاتهم : رجل صل وحيداً بغير قراءة ، ورجل يصلى ولا يؤدى زكاته ، ورجل يؤم قوما وهم له كارهون ، ورجل يملوك آبق ، ورجل شارب الخمر مدماً ، وامرأء زوجها ساخط عليها ، وامرأة صلت بغير خمار ، والإمام الجابر الخائز ، ورجل أكل الربا ، ورجل لانتهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر » قال عليه الصلاة والسلام « من لم تنبه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عبد الله إلا مقناً وبهلاً » وقال الحسن إننا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء فليست بمصل وردت صلاتك يوم القيامة على وجهك كالخرقة النخية لتوسعة (مكاشفة القلوب) وعن معاذ بن جبل وحابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنهما قالا لما عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام ليه للعراج إلى السموات رأى فى السماء الأولى ملائكة يذكرون الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى ، وفى الثانية رأى ملائكة يذكرون الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى لا يرفقون رءوسهم ، وفى الثالثة رأى ملائكة يسجدون لله تعالى منذ خلقهم الله لا يرفقون رءوسهم إلا حين سلم عليهم نبياً محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرقصوا رءوسهم وردوا سلام النبي عليه الصلاة والسلام ثم سعدوا ثانياً إلى يوم القيامة ، ولقد صارت السجدة الثنتين ، وفى الرابعة رأى ملائكة يتشهدون ، وفى الخامسة رأى ملائكة مسبحين ، وفى السادسة رأى ملائكة مكبرين ومهللين ، وفى السابعة رأى ملائكة مسلمين منذ خلقهم الله تعالى هم قلب النبي عليه الصلاة والسلام واشتهى أن يكون له ولأمة هذه العبادات كلها فلم الله تعالى همه واشتياقه عليه الصلاة والسلام فجمع عبادة ملائكة السموات السبع وأكرم نبيه عليه الصلاة والسلام بها وقال : « من أدى الصلوات الخمس نال عبادة ملائكة السموات السبع » (روضة العلماء) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصلاة مرضاة الرب وسنة الأنبياء وحب للملائكة ونور المعرفة وأصل الإيمان وواجبات السعادة وقبول الأعمال وبركة فى المال والكسب وسلاح على الأعداء وكرهة الشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى قبره إلى يوم القيامة وظل على رأسه يوم القيامة وتاج على رأسه ولباس على يديه وستر بينه وبين النار وحببة بين يدي الرب وتقل فى اللباز وجوار على الصراط ومعتاق للجنة » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهم اسمه

( ٣ - مرة الناصحين )

حريش من ولد القرب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من الشرق إلى الغرب فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام يا حريش إلى أين تذهب ولم تطلب ؟ فيقول خمسة نقر : الأول تارك الصلاة ، والثاني مانع الزكاة ، والثالث هالك الوالدين ، والرابع شارب الخمر ، والخامس التكلم في السجد بكلام الدنيا ، فلذا قال الله تعالى ( وأن للساجدة فلا تدعوا مع الله أحداً ) فاعتبروا بأولى الأبصار ولا تسكنوا من الغافلين . ( زبدة الواعظين ) .

### المجلس التاسع : في فضيلة التوحيد

سورة آل عمران — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( شهد الله أنه لا إله إلا هو ) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإزالة الآيات الناطقة بها ( ولللائكة ) بالإقرار ( وأولوا العلم ) بالإيمان بها والاحتجاج عليها ، شبه ذلك في البيان والكتف بشهادة الشاهد ( قائماً بالقسط ) عتياً للعدل في قسمه وحكمه . وانتصابه على الحال من الله ، وإنما جاز إفراده بها ولم يجر سواه زيد وصمروا كما لعدم القبي كقوله تعالى « ووجهنا له إسحق ويعقوب نافلة » أو من هو العامل معنى الجهة أي ضرر قائماً أو أخيه لأنه حال مؤكدة أو على اللبس أو الصفة للسق وبه ضيف لفصل وهو مندرج في للشهود به إذا جعلته صفة أو حالاً من الضمير . وقرئ القائم بالقسط على البذل من هو أو الخبر المذروف ( لا إله إلا هو ) كرهه للتأكيد ولزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليتنبى عليه قوله ( المزيح الحكيم ) فيعلم أنه للوصف بهما ، وقدم المزيح لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكته ، ورفعها على البذل من الضمير أو الصفة للعامل . عهد . وقد روى في فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال « جاء صاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدى هذا عهدى عهداً وأنا أحق من وفى بالهد أدخلوا عبدى الجنة » وهى دليل على فضل علم أصول الدين وسرف أهله ( إن الدين عند الله الإسلام ) جملة مستأخدة مؤكدة للأولى أى لا دين مرضى عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد والتدريج بالشريع الذى جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ( وما اختلف الدين أوتوا الكتاب ) من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب للخدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق . وقال قوم إنه مخصوص بالغرب وتقام آخرون مطلقاً أو في التوحيد قلت النصارى ، وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقيل هم قوم موسى عليه الصلاة والسلام اختلفوا بعده ، وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ( إلا من بعد ما جاءهم العلم ) أى بعد ما علموا حقيقة الأمر أو تمكنوا



لنقطت عليهم ويد كل منهم لواء مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله يجمعون كل ليلة جمعة من رجب حرم جبل طاب يتضرعون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ويحولون ربنا ارحم أمة محمد بلاءهم ويستغفرون ويتضرعون إلى الصبح فيقول الله تعالى يا ملائكتي وعزتي وجلالي قد غفرت لهم « (بحالي الأبرار) قيل إن في رجب ثلاثة أحرف راء يدل على رحمة الله وجهه يدل على جرم السعد وباءه يدل على بر الله تعالى كأنه يقول يا عبدي جلت جرمك وجنائك بين برى ورحمى فلا يبق لك جرم ولا جناحة بجرمة شهر رجب (بحالي الأنوار) وقيل إن رجب بعد ما يفيض يصعد إلى السماء فيقول الله تعالى يا شهرى هل يهونك ويعظمونك ؟ فيسكت ولا يتكلم حتى يسأل ثانيا وثالثا . ثم يقول : إلهى أنت ستار العيوب أمرت خلقك بأن يستروا عيوب غيرهم وسماى رسولك أحم أنا صمت طاعتهم ولم أجمع مصيبتهم فذلك معنى الأحم ، ثم يقول الله تعالى أنت شهرى يجب أحم وعبادى معيون قبلتهم مع عيوبهم بجرمتك كما قبلتك وأنت معيب وأعفر لهم شذامة واحدة فيك ولا نكتب لهم للمعاصي فيك (أعرجية) وقيل معنى أحم لأن الكرام الكاتبين يكتبون الحسنات والسيئات في سائر الشهور وفي هذا الشهر يكتبون الحسنات ولا يكتبون السيئات فلا يسمعون فيه شراً حتى يكتب (مشكلة الأنوار) وقال عليه الصلاة والسلام « إن رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى » وأخرج أبو محمد الحلال في فضائل رجب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثاني كفارة ستين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر كما في الجامع الصغير . قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : إنه عليه الصلاة والسلام لم يصم بعد رمضان إلا رجب وشعبان . أخرج البخارى ومسلم أنه قال عليه الصلاة والسلام « إن في الجنة نهرا يقال له رجب أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب حقاء الله من ذلك الشهر » (أعرجية) وإنما معنى رجب لأن العرب ترجه أى عظمه تقول رجيت الشيء إذا عظمته ومن تعظيمهم له أن خدع الكعبة يفتحون باب الكعبة في هذا الشهر كله ولى سائر الأشهر لا يفتحون إلا يوم الاثنين والخميس ويقولون الشهر شهر الله والبيت بيت الله والعبد عبد الله فلا يجمع عبد الله من بيت الله في شهر الله (أعرجية) . حكى أن امرأة في بيت للقدس كانت عابدة إذا جاء شهر رجب فقرأ كل يوم (قل هو الله أحد) اثنى عشرة مرة تعظيها له وكانت تزرع اللباس الأطلس وتلبس ثوب البلاس فحرضت في رجب وأوصت ابنها بأن يداقها مع بلاسها فكفنها ابنها في ثياب مرصعة رياء للناس فقرأها في المنام فقالت يا بنى لم لم تأخذ بوصيتى إلى غير راضية عنك فانتبه فزعا ونش قبرها فحفرها في قبرها وتخير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهرنا رجب

لا تركه في القبر فريداً وحيداً (زينة الواعظين) . روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول جمعة لا ينبي ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويحتمون في الكعبة فينظر الله لهم ويقول يا ملائكتي اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تنفّر ابن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل الناس جياح يوم القيامة إلا الأنبياء وأهل بيهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فاتهم حساب لا حور لهم ولا عطش » (زينة الواعظين) روى في الخبر « إذا كان يوم القيامة ينادي صام ابن الرجبين ؟ فيخرج نور فيتبع جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ذلك النور ويتبع الرجبين ثم يمرّون على الصراط كالبرق الخاطف ثم يسجدون لله تعالى شكراً لتجاوزهم الصراط فيقول الله تعالى أيها الرجبون ارضوا رءوسكم اليوم قد قضيت السجود في الدنيا في شهرى ارتحلوا إلى منازلكم » (رولق المحاسن) . حكى عن ثوبان أنه قال : كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام فررتنا بمقبرة فوقف عليه الصلاة والسلام فبكى بكاء شديداً ثم دعا الله فقلت له لم يبكيت يا رسول الله ؟ فقال « يا ثوبان هؤلاء يسيرون في قبورهم ودعوت لهم مخفف الله عنهم العذاب » ثم قال عليه الصلاة والسلام « يا ثوبان لو صام هؤلاء يوماً من رجب وما ناموا منه ليلة ما عذبوا في قبورهم » فقلت يا رسول الله : أصوم يوم وقيام ليلة منه ينع عذاب القبر ؟ قال عليه الصلاة والسلام « يا ثوبان والذي منى بالحق بيأمن مسلم ومسلمة يصوم يوماً ويقوم ليلة من رجب يريد بهما وجه الله إلا كتب الله عادة سنة صام نهارها وقام ليالها » . (زينة الواعظين) قالوا الأحاديث الواردة في صلاة الرغائب موضوعة ولهم بوضعها ابن الجهم وبعد هذا التصريح لا اعتماد بصحتها المذكورة في بعض الكتب والرسائل لأنهم لم ينفروا أمر الدين وحصول الثواب والعقاب من الشارع لعدم استئصال العقل فيه فذلك الصلاة في هذه الليلة لم يصلها النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه ولم يحث عليها فلا يحصل فيها الثواب بل يكون فعلها عبثاً يخشى منه العقاب (روى) قال الشافعي في الإقناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فلم يثبت فيه صلاة مخصوصة تختص به فعل هذا ينبغي ممن له ديانة وإذعان أن لا يلتفت إلى ما انكسب عليه الناس في هذا الزمان ولا ينتر بشيوعه في دار الإسلام وكثرة وقوعه في البلاد العظام من صلاة الرغائب في ليلة الجمعة الأولى منه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لناكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار » وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « شر الأمور محدثاتها » وكل من هذين الحديثين يدل على كون تلك الصلاة في هذه الليلة بدعة وضلالة لكونها من محدثات الأمور لعدم وقوعها في عصر

الصحابة والتابعين ولا في عهد الأئمة المهتدين بل حدثت بعد المائة الراسية من الهجرة النبوية ولذلك لم يسرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها وقد ذمها العلماء من أعيان التأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتقة على منكرات فائزك هذا واعتصم بالطاعات حتى تجد الجنات العاليات وعلو الراتب والدرجات (مجالس روى) كما قال صاحب مجمع البحرين في شرحه إن رجلاً يوم العيد في الجبانة أراد أن يصل قبل العيد فبها على حكرم الله وجهه فقال الرجل يا أمير المؤمنين إنى أعلم أن الله لا يطلب على الصلاة فقال على وإنى أعلم أن الله تعالى لا يشيب على فعل حتى يقمعه رسول الله ويحث عليه فتكون صلاتك عبثاً والعبث حرام فلهذا تعالى يهديك به لتألفك لرسوله خذ ما حررت ولا تكن من الشقيين (من مجالس روى ملخصاً) . وروى الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال «خلق الله تعالى وجوه الخوارج أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصمر وأحمر» وخلق منها من الزعفران والمسك والخمر والكافور وشمها من القرفة فمن أصابع رجلها إلى ركبها من الزعفران الطيب ومن ركبها إلى سرتها من المسك ومن سرتها إلى عنقها من العبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ولو صفت بصفة في الدنيا فصارت مسكاً مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من أحباء الله تعالى ما بين منكها غرسخ وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خواتيم وفي رجلها خلاخيل من الجواهر واللؤلؤ» (دقائق الأخبار) .

## المجلس الثاني عشر : في فضيلة الرجال على النساء

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهم قيام الولاية على الرعية وتل ذلك بأمرين وهي وكسبي قال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تعصيه الرجال على النساء بكال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك حصوا بالنسوة والإمامة والولاية وإقامة النعائم والشهادة في محامق القضاء ووجوب الجهاد والحمة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في اليراث والاستبعاد بالفراق (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة . روى أن سعد بن الربيع أحد تبعاء الأنصار نشرته عليه امرأة حبشية بنت زيد بن أبي زهير فطعها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشكاها فقال عليه الصلاة والسلام «لنقص منه» فزلت فقال «أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذى أراد الله خير» (فالساحات قاتلت) مطبات الله قائمت بهتوى الأرواح (حافظات الغيب) لمواجب الغيب أى يحفظن في عينة الأرواح ما يجب حفظه في النفس والمال (بما حفظ الله) يحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ العيب والحلت عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذى حفظه

الله لمن عليهم من الهر والنفقة والقيام بحفظهم والحب عنهم وقرئ بما حفظ الله بالنسب على أن ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والتمنى بالأمر الذي حفظ حتى الله أو طاعته وهو التحف والشفقة على الرجال . ( قاضي يصادى ) .

نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع الأنصاري لعظم امرأته بنت محمد بن مسلمة فجاءت إلى رسول الله فأمر بالقصاص فزل عليه جبرائيل من ساعته بهذه الآية ( الرجال قوامون على النساء ) يعنى مسلطون في أمور النساء وتأديبين ( أبو الليث ) روى عن فضيل بن عبيدة أنه قال : دخل رجل لصلى صلاة فقال اللهم اغفر لي وارحني فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « هبلى أيها الصلىء إذا صليت فاقصد فاحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادع » ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام « أيها الصلى ادع نجب » ادع نجب كذلك من مع اسمى فصل على استجاب الله كل دعاء « روى عن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن عبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » ثم تلا عليه الصلاة والسلام ( الرجال قوامون على النساء ) يعنى مسلطون على تأديبين وأمورهن . وروى عن أنس بن مالك أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « المرأة إذا صلت خفيها وصامت شهريها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها تدخل من أى باب شاءت من أبواب الجنة » رواه أبو نعيم ، عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « للمرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأياما للمرأة خدمت زوجها سبعة أيام أعلق عنها سبعة أبواب النار وفتحت لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت بغير حساب » . وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت في أول اليوم الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب الله لها براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب ورفع الله تعالى لها بكل يوم وليقة درجة أربعين شهيداً إذا كانت ذاكرة لله تعالى في حيضها » . وقال الحسن البصري هذه للنساء الصالحات اللطيفات لزوجها في الأمور الشرعية ( حكى ) أن رجلاً في عهد النبي عليه الصلاة والسلام خرج غازياً فقال لامرأته لا تخرجى من هذا البيت حتى أرجع إليك فمرض أبوها فأرسلت رسولاً إلى رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أطعمي زوجك وكذا مرة بعد مرة فأطاعت زوجها ولم تخرج من البيت ثبات أبوها ولم تره فصبرت على ذلك حتى رجع زوجها إليها فأوحى الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن الله قد غفر لها باطاعة زوجها . وروى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها

ألف حسة وغقر لها ألقى خطيئة واستمر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة « روى أبو منصور في مسد الفردوس . وأما فمن غرّوى عن علي رضي الله عنه أنه قال : دخلت أنا وفاطمة على رسول الله عليه الصلاة والسلام فوجدناه با كيا قلنا ماذا يبكيك يا رسول الله ؟ قال « رأيت النساء ليلة أسرى في إلى السماء في شدة عذاب مذكرت فأسهن وبكيت قلت يا رسول الله ما الذي رأيت قال رأيت امرأة معاقة من شعرها وبغل دملغ رأسها ورأيت امرأة معقة بلسانها قد أخرجت يدها من ظهرها والقطران يصب في حلقها ورأيت امرأة معقة بشديها من وراء ظهرها والزقوم يصب في حلقها ورأيت امرأة معقة قد شدت رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وقد سلطت عليها حيات وعقارب ورأيت امرأة تأكل جسدها والنار تو قدمي نحتها ورأيت امرأة يقطع جسدها بقراس من النار ورأيت امرأة تصودة الوحه وتأكل أعضائها ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار مخرج دماغها من منخرها وبدنها من منخر البرص والجذام ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبذن الحمار لها ألف ألف زوج من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب تدخل المقارب والحيات من قبلها أو من فيها وتخرج من دبرها واللائكة يضربون على رأسها بمقامع من نار « فقامت فاطمة وقالت يا أبي وباقرة عيني أخبرني ما كانت أعمال هذه النساء ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « بالاطمة أما اللطمة بشعرها فكانت لا تكتم شعرها من الرجال ، وأما المعقة بلسانها فكانت تؤذي زوجها بلسانها « ثم قال عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعاً ثم عقد حلق عنتها « وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيا امرأة عديت زوجها بلسانها فهي في لعة الله وسخطه ولامة اللائكة والناس أجسين « وروى عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً إلا أجب الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل « وأما المعقة بشديها فكانت ترضع أطفاله الخلق من غير أمر زوجها وأما المعقة برجلها فكانت امرأة تخرج من بيتها غير إذن الزوج ولا تفصل من الخيض والنفاس . وأما التي تأكل جسدها فكانت تزين للرجال وتغتاب الناس . وأما التي يقطع جسدها بقراس من النار فكانت تشهر نفسها للناس يعني ليروا زيتها وتحب كل من يراها بهذه الزينة من الرجال . وأما التي شدد رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وسلطت عليها الحيات والمقارب فكانت تنهد على الصلاة والصيام ولم تتوسأ ولم تصل ولم تفصل من الجنابة . وأما التي رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبذن الحمار فكانت ثمامة وكلابة . وأما التي على صورة الكلب فكانت فتنة لبعض زوجها « وروى عن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أيا امرأة قالت لزوجها عليك لعة الله

وهي ظالمة لأنها آفة تعالى من فوق سبع سموات وكل شيء خلقه الله تعالى إلا الثقلين ، أي الإنس والجن ، وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرأة أدخلت على زوجها النعم في أمر النفقة أو كلفته مالا يطيقه لا يقبل الله منها صرفا ولا عدلا » وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو كان جميع ما في الأرض ذهباً وفضة وحملت امرأة إلى بيت زوجها ثم نظرت عليه يوماً من الأيام بقولها من أنت إنما المال لي ولا مال لك أحبب الله محلياً ولو كان كثيراً » وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أيما امرأة خرجت من بيت زوجها بشير إذنه لأنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حتى ترجع إلى بيت زوجها » وروى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « للمرأة إذا خرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راض بنى زوجها بكل قدم يمشي في النار » ثم ذاب الله ذلك الجبار ، وروى عن طلحة بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرأة كلمت في وجه زوجها فتدخل عليه النعم فهي في سخط الله إلى أن تضحك في وجه زوجها فتدخل عليه السرور » وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فاستتعت بأت الزوج عصيان عليها لعنتها لللائكة حتى تصبح » رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وروى عن سلمان الفارسي أنه قال : دخلت فاطمة رضي الله تعالى عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله كأنني وبين علي البارحة مزاح ونشأ من الكلام أن غضب علي بكلمة خرجت من في قلبي رأيت أن علياً قد غضب ندمت وعصمت فقلت له يا بني أبرئ عني وطفقت حوله اثنتين وسبعين مرة حتى رضي عني وضحك في وجهي مع الرضا وأنا خائفة من ربي فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام يا بنتي والذي بعثني بالحق نبياً إنك لو مت قبل أن يرضي علياً لم أصل عليك ثم قال « يا بنتي أما علمت أن رضا الزوج هو رضا الله وغضب الزوج هو غضب الله ، يا بنتي أيما امرأة هبت عبادة كعبادة مريم بنت عمران ثم لم يرض عنها زوجها لا يقبل الله تعالى منها يا بنتي أفضل أعمال النساء إطاعة الزوج وإسعادها ليس لها عمل أفضل من الفزل ، يا بنتي جلوس ساعة عند الفزل خير لمن من عبادة سنة ويكتب لمن بكل طاقة أي بكل نوع من الثياب من غزل من ثواب شهيد ، يا بنتي إن المرأة إذا غزلت حتى تمسكو زوجها وصيانتها وجبت لها الجنة وأعطاه الله بكل من تسربل من أثوابها مدينة في الجنة » قال النبي عليه الصلاة والسلام « أيما رجل كان له امرأتان فلم يمدل بينهما في النفقة ولم يسوي بينهما في التضعف والمطعم والشرب

فهو يرى من وأنا يرى منه ولا نصيبه في شفاعتي إلا أن يتوب » وقال عليه الصلاة والسلام  
« من كان له امرأتان فمال إلى إحدهما دون الأخرى » وفي رواية « ولم يعد بينهما جاء يوم  
القيامة وأحد شقي مائل » . ( كذا في مرشد التأملين ) .

### المجلس الثالث عشر : في فضيلة بر الوالدين

سورة النساء - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ) صفاً أو غيره ، أو شيئاً من الإشراف حلياً أو خفياً  
( وبالوالدين إحساناً ) وأحسنوا بهما إحساناً ( وبذي القربى ) وبصاحب القرابة ( واليتامى  
والمساكين والجار ذي القربى ) الذي قرب جواره ، وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال  
بغيب أو دين ؛ وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحفظه ( والجار الجنب ) البعيد أو الذي  
لا قرابة له . وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة جوار له ثلاثة حقوق حق الجوار  
وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق  
واحد حق الجوار وهو الشكر من أهل الكتاب » ( والصاحب بالجنب ) الزيق في أمر حسن  
كشتم وتصرف وصناعة أو سفر فانه معك وحصل بجنبك وقيل للرأفة ( وابن السبيل )  
السافر أو الضيف ( وما ملكت أيمانكم ) العبد والإماء ( إن الله لا يحب من كان مختالاً )  
يأبى من أقاربه وحيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ( خوراً ) يتعاهر عليهم . ( قاصى يضاوى ) .

وعن عامر بن ربيعة أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من صلى على  
صلاة صلت عليه ثلاثون صلاة كما صلى على فليقل من ذلك العدد أو ليكثر » ( شفاه شريف )  
قال الله تعالى ( وقضى ربك ) أى أمر أمراً مقطوعاً به ( أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين  
إحساناً ) بأن تحسنوا بالوالدين لأنهما السبب الظاهر للوجود والتميش ( إما يلقن عندك  
الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ) فلا تضجرهما يستغفر منهما ويستقل من  
مؤثهما ، وهو صوت يدل على تضجر ( ولا تنهرا ) ولا تزجرهما هما لا يسبك بأعلاظ  
( ولل لهما قولا كريماً ) جيلاً ( وانخفض لهما جناح الذل ) تذلل لهما وتواضع لهما ( من  
الرحمة ) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لافتقارهما إلى كل من كان أقر خلق الله تعالى  
إليهما ( وقل رب ارحمهما ) وادع الله تعالى بأن يرحمهما برحمته الباقية ( ككريمي صغيراً ) برحمة مثل  
رحمتها على وتربيتها وإرشادها لي في حال صغري ( قاضى يضاوى ) . ( ت ) من أنه  
هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعبدوا الرحمن » أى  
أفردوه بالعبادة لأن السحق للعبادة هو الله تعالى فمن أشرك في عبادة ربه شيئاً لا يقبل منه  
عمله وهو في الآخرة من الخاسرين كما قال الله تعالى ( لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن

من الخاسرين) فعلى العاقل أن يخلص في عبادة ربه كما قال الله تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ) ( زبدة الواعظين ) يقال للوالد على الولد عشرة حقوق : الطعام إن احتاج ، والخدمة إن احتاج ، والإجابة إن دعا ، والإطاعة إن أمر غير معصية ، والتكلم معه باللين دون الغلظة ، وإن احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها ، والشئ خلفه ، والإرضاء له بما رضى لنفسه ، والإكرام له بما يكره لنفسه ، والدعاء له بالمنعة كلما دعا لنفسه ( تنبيه الغافلين ) عن الفقيه أنه قال سئل عن الوالد إن مات ماذا سخطين على الولد هل يمكن أن يرضيها بعد وفاتها ؟ قيل يمكن بثلاثة أشياء : أولها أن يكون صالحا ، والثاني أن يصل قرابتهما وأصدقاهما ، والثالث أن يستغفر لها ويدعو لها ويتصدق لها ( تنبيه الغافلين ) عن أنس بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل للؤمن الجنة حتى يأمن جاره من لسانه . وقال عليه الصلاة والسلام : « من أكرم جاره وجبت له الجنة ومن آذى جاره لعنه الله وللائكة والناس أجمعون » ( حياة القلوب ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أغنى على الضيف درهما فكأنما أشق ألف درهم في سبيل الله » وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « ما من أحد يأويه الضيف فأكرمه إلا فتح الله له بابا من الجنة » . ( حكي ) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا جاءه ضيف قلم بنفسه بخدمة قيل في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الملائكة يقومون في منزل فيه ضيف فأما أستحي أن أجلس وللائكة قائمون » ( أعرابية ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أخشى جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : إن الصيف إذا دخل على أخيه للسلم دخلت معه ألف بركة وألف رحمة وغفر الله ذنوب أهل ذلك البيت ولو كانت ذنوبهم أكثر من زبد البحر وورق الأشجار وأعطاء الله تعالى ثواب ألف شهيد وكتب له بكل لقمة أكلها الضيف ثواب حبة مبرورة وعمرة مقبولة وبني الله تعالى في مدينة في الجنة ، ومن أكرم ضيفا فكأنما أكرم سبعين نبيا » ( كنز الأخبار ) روى عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وولد صالح يدعو له بالمتبرة وعلم ينتفع به » ( تنبيه الغافلين ) قال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا فإن الصدقة تذكرك من النار » . وروى عن بعض أهل العلم أنه قال : أفضل الأعمال إجابة بطن شعبان بالصيام ( أخلص الخالصة ) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى حزوة تموك جاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها ثلثي وعيالي أربعة آلاف درهم وأقرضت منها لربي



أربعة آلاف درهم فقال عليه الصلاة والسلام « يا عبد الرحمن بارك الله لك فيها أمكت وفيها أعطيت »  
 وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لأجهازه فقلت هذه الآية ( مثل الذين ينفقون  
 أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء  
 والله واسع عليم ) قال الفقيه : التصديق كمثل الزارع لأن كان الزارع صادقاً في عمله ويكون البذر جيداً  
 ويكون الأرض عامرة يكون الزرع طيباً كثيراً فكذلك إذا كان التصديق صالحاً والوسائل طيباً حلالاً  
 ووضع موضعه فيكون الثواب أكثر ( شفاء أمدوعي ) وقال الفقيه أبو الليث : قد ذكر الله تعالى  
 في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وجميع كتبه وأمر في جميعها وأوحى لكل جميع رساله يجعل  
 رضاء في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين . وسئل النبي عليه الصلاة والسلام أي الأعمال أفضل ؟  
 فقال عليه الصلاة والسلام « الصلاة » في وقتها ثم بالجهاد في سبيل الله « ( كذلك التنبيه )  
 ويقال ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث : لا تقبل واحدة منها بنير الأخرى : الأولى قوله تعالى  
 ( أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا تقبل الصلاة منه . والثانية  
 قوله تعالى ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) فمن أطاع الله تعالى ولم يطع الرسول لا تقبل إطاعته  
 لله . والثالثة قوله تعالى ( أن أشكركم ولو أهديت ) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه  
 لا يقبل الله تعالى شكره . والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « من أَرْضَى والديه  
 فقد أَرْضَى خاله ومن أسخط والديه فقد أسخط خاله » ( تنبيه القاطنين ) روى أن سليمان عليه  
 السلام سافر بين السماء والأرض حتى بلغ بحراً عميقاً فرأى في البحر موجاً هائلاً فأمر بالريج  
 أن تسكن فكنس الريج فأمر بحفرنا بأن يموس في البحر فخاص الضمير فلما بلغ  
 نهره رأى قبة من حرة بيضاء لا تحب لها فأخرجها ووضعها بين يدي سليمان عليه السلام  
 فتعجب من ذلك فدعا الله فافتتح باب القبة فإذا فيها شاب ساجد ، فقال سليمان عليه  
 السلام من أنت أمن اللائكة أم من الجن أم من الإنس ؟ قال بل أنا من الإنس فقال سليمان  
 عليه السلام بأي سبب نلت هذه المحرمة قال ير الوالدين لما كانت والدتي هجوراً كنت  
 أحملها على ظهري ، وكان دعاؤها لي اللهم ارزقني القاعة واجل مكانه بمسد وفان في موضع  
 لاني الأرض ولا في السماء ، ولما توليت كنت أدور على ساحل البحر فرأيت فيه قبة من  
 حرة ففرت إليها فافتحت القبة لي فدخلت فيها فانطبقت القبة بالذن الله تعالى فكنس  
 لأندري أتى الهواء أنا أم في الأرض ورزني الله فيها ؟ فقال سليمان عليه السلام كيف  
 يرزقك الله فيها ؟ قال إذا جئت خلق الله فيها شجرة وعليها ثمر فرزني منه وإذا عطشت يبيع  
 منها ماء أهد ياشأ من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج ، فقال سليمان عليه السلام  
 كيف تعلم الليل والنهار فيها ؟ قال ، إذا انصرف الصبح ابيضت القبة فأعرف أنه نهار ،

وإذا قربت الشمس تكون القبة في الظلام فأعرف أنه جاء الليل فدعا الله تعالى فانطلقت القبة وهو فيها كما كانت (جمع اللطائف) . حكى أن موسى عليه السلام قال : إلهي أرني حليسي في الجنة ، فقال الله تعالى اذهب إلى البلد الفلاني إلى السوق الفلاني هناك رجل تصاب وجهه كذا فهو حليسيك في الجنة ، فلعب موسى عليه السلام إلى ذلك المكان فوقف هناك إلى وقت الغروب فأخذ القصاب قطعة لحم وطرحها في زنبيل ، فلما انصرف قال موسى عليه السلام : هل لك في الضيف ؟ قال نعم فمضى معه حتى دخل داره فقام الرجل وطبخ من ذلك اللحم مرققة طيبة ثم أخرج من داره زنبيلاً فيه سموز ضعيفاً كأنها لم يرح حمامة فأخرجها منه فأخذ منقعة وكان يضع الطعام في فيها حتى شبعت وفصل ثوبها وجففه وألبسها ثم وضعها في الزنبيل فركت السموز شفتيها . قال موسى عليه السلام قد رأيت شفتيها قائتا : اللهم احصل ابني جليس موسى في الجنة ، ثم أخذها الرجل فقلتها على الوتر ، فقال موسى عليه السلام ما ألقى منعت ؟ قال إن هذه والدتي قد صنعت حتى لا تقدر على القعود ، فقال موسى عليه السلام لك المشارة ، أنا موسى وأنت حليسي في الجنة . يسرها الله بجرمة أصحائه الطيبة وجرمة من هو أفضل البرية . هذه حكاية لطيفة في الزينة فليها بالصدق والعمدة .

(حكى) أن محمداً بنى إبراهيم عليه السلام فاستضافه ، فقال له إبراهيم عليه السلام ما أصيبك حتى تخرج عن ديك وتترك الجورية وانصرف ؟ فأوحى الله بإبراهيم ما ينبغي حتى يخرج عن دينه ما شرك لو أضعته هذه اليلة ونحن نطمعه وسفيه سبعين سنة وهو يكفر بنا ، فلما أصبح إبراهيم عليه السلام طلب الجوسي فوجده خلف عليه ، فقال له الجوسي : ما أحجب أمرك بالأمس تطردني واليوم تطالبني ؟ فأخبره إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أوحى إلى في أمرك كذا وكذا ، فقال الجوسي إيمانني رب الأرباب بهذه العلامة وأنا أكفره ؟ أمد يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله (كذا في بعض كتب الوعظة وذكره أيضاً الشيخ سعدى في بستانه) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن في الصدقات خمس خصال : الأولى تزيدكم في أموالكم ، والثانية دواء للمرض ، والثالثة : يرفع الله تعالى عنهم البلاء ، والرابعة : يعمرون على الصراط كالبرق الخاطف ، والخامسة : يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، صدق رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال الصلوات الخمس وأفضل الأخلاق التواضع » صدق رسول الله (دقائق الأخبار)

## المجلس الرابع عشر: في فضيلة المحبة لله ورسوله

سورة النساء — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ) مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها بمراقبة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً ( من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ) بيان للذين حاله من أو من ضميره . فسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأبياء الفاضلون سكمال العلم والعمل المتجاوزون حد السكمال إلى درجة التكامل ، ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم نارة بحراقي النظر في الحقيق والآيات وأخرى بمطرح التصفية والرباضات إلى أوج العرفان حتى اطلسوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه ، ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجهد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى ، ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ( وحسن أولئك رفيقا ) في معنى التصحب ، ورفيقا بسبب على التغير أو الحال ، ولم يصح لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق ، أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا . ( قاضى يعاقى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ومن صلى على عشرأ إذا أصبح وعشرأ إذا أمسى كسبه الله تعالى من الثرع الأكبر يوم القيامة وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ( زينة الواعظين ) ( من النبيين ) بيان لسم عليهم والتعرض لمعية سائر الأبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام في بيان حكم طاعة نبيا عليه الصلاة والسلام لجريان ذكرهم في سبب التروك مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته عليه الصلاة والسلام متفحة لطاعتهم لاشتمال شربته على شرائعهم التي لا تخير تنير الأعصار ( أبو السعود ) ( والصالحين ) الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ، وليس للراد بالمعية الاتحاد في المصلحة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث الخ ( أبو السعود ) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : إن هذه الآية رلت في حق نوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على مفارقه فأتى النبي يوما وقد تغير وجهه وأهل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بين من وجع ولا مرض غير أنى إننا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخطت أن لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع السيئ وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزل وإن لم أدخل فلا أراك أبداً فكيف يكون بها حتى فترلت ( ومن يطع الله والرسول ) الآية ( نصير ) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من أحب الله تعالى أكثر ذكره ، وثمرته أن يذكره الله برحمته وعمرانه ويدخله الجنة

مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ومن أحب النبي عليه السلام أكثر من الصلاة عليه ومثرت الوصول إلى شعاعته ومحبته في الجنة » ( كذا في الجامع الصغير ) عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة » لمن أراد أن ينال رؤية النبي عليه الصلاة والسلام فليحبه جاشديداً ، وعلامة الحب الإطاعة في سنته السنينة ولا كثار الصلاة عليه ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال « من أحب شيئاً أكثر من ذكره » ( رواه في الفردوس ) ( حق ) عن عمر بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل من قضاة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله أرأيت أني إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وثلت لياليه وأديت الزكاة لمن أنا ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا وصعب أصعب ما لم يمت والديه » لأن عاقب الوافدين بعيد من الرحمن ( مشكاة الأنوار ) عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا أراد الله تعالى أن يدخله للؤمنين الجنة يبعث إليهم ملكاً ومعه هدية وكسوة من الجنة فإذا أوردوا الدخول قال لهم الملك تقبوا فان معي هدية من رب العالمين فقالوا ما تلك الهدية فيقول لذلك هي عشرة خواتم مكتوب في أحدها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وفي الثاني : ادخلوها بسلام آمنين . وفي الثالث : أذهبت عنكم الأحزان والهموم . وفي الرابع ألبستكم الخلل . وفي الخامس : وزوجهم بحور عين . وفي السادس : أني جزيتهم اليوم بما سبوا أنهم هم الفائزون . وفي السابع : صرتم شباباً لا يهرمون أبداً . وفي الثامن : صرتم آمنين لا تخافون أبداً . وفي التاسع : ورفيقكم الأنبياء والصديقون والشهداء والصلحون . وفي العاشر : كنتم في جوار الرحمن ذي العرش الكريم العظيم ، فيدخلون الجنة فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » ( سفينة الأبرار ) ( حق ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من تمسك بسنتي عندلسا دأمني لله أجر مائة شهيد » ( ت ) عن زيد بن طلحة عن أبيه عن حده عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الذين يداغريوا وسيرجع غريباً ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من خلقه » ( الطريقة المحمدية ) قال مقاتل : عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة : عمل إبراهيم وكبش وإسماعيل وناقة صالح وحيوت يونس وبقرة موسى وسحار عزيز ونملة سليمان وهند بن قيس وكلب أصحاب الكهف وبراقي محمد عليهم الصلاة والسلام ، فكلامهم يصيرون على صورة الكلب ثم يقضى بين العباد فلا يبقى يومئذ ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شهيد إلا ظن أن لا ينجو لما يرى من شدة المذابح والحساب وهو لذلك اليوم إلا من عصمه الله ( مشكاة الأنوار ) عن الحسن البصري رحمه الله عليه أنه قال : رأيت بهرام السجعي يوماً من الأيام يبش القابر ويأخذ

وهو الموقى ويطن بالصا في ثقب الأذن فان تفتت عشاء من ثقب الأذن إلى الثقب الآخر رمى ذلك الرأس وإن لم تمتد أصلا رماه أيضا وإن قرت موضع الدماغ قبله ودهه ، فسأله عن ذلك ، فقال أما الذي تمتد فيه العصا من الأذن إلى الأذن الأخرى فهو الذي سمع النصيحة والقول الحق فدخل في أذن وخرجا من الأذن الأخرى ولم يخرأ في دماغه ولم يأخذها فلا خير فيه . وأما الذي لا تمتد فيه أصلا فهو الذي لم يسمعهما لشغله بمراد نفسه وشهواتها فلا خير فيه . وأما الذي قرت الصا في دماغه فهو الذي أخذ النصيحة والقول الحق وثبت في دماغه فهو القبول عند الله فأقبله وأدفعه ( حياة مخلوب ) روى أحمد والبحاري ومسلم والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كالأى الجامع الصغير : قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى أعددت » أى حيات ، فيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن كذا قاله المناوى « لعبادى الصالحين » أى القانتين بما وصف عليهم من حق الحق والخلق « ملا عين رأت » أى ما لا رأت العيون كلها فان العين في سياق النفي تنفي الاستحراق ومثله قوله « ولا أذن سمعت » بتقوين عين وأذن ، وروى بفتحهما « ولا حطر على قلب بشر » معناه أن الله تعالى ادخر في الجنة من النعم والخيرات والذات عالم يطلع عليه أحسن من الخلق بطريق من الطرق ( كذا ذكره المناوى ) .

اعلم أن قلب ثلاثة أمور هى أصناف حسنة ، وهى عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع بل يعلم ، وعمل لسانه وهو يسمع ، وعمل أعصابه وهو يرى ، فإذا آتى العبد هذه الأشياء عملا صالحا يجعل الله له سموعة ما لا أذن سمعت ولم ير به ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا حطر على قلب بشر ، فلي البعد أن يواظب على الطاعات لأن الله لا ينقص شيئا من أجور الحسنة بل يعطى الجنة والمجرات ( سنانية ) روى عن حاتم الزاهد أنه قال : من ادعى حب مولاه من غير ورع فهو كذاب ، ومن ادعى دخول الجنة من غير إتفاق مال فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب ، ومن ادعى حب المرحات من غير صحة مع الفقراء والسالكين فهو كذاب ( تنبيه الغافلين ) وعن سعدون الجبوني أنه كان يكتب في كفه : الله ، فقال له السرى السقطى ما تصنع بسعدون ؟ فقال أنا أحب الله تعالى وقد كتبت اسم ربى في قلبي حتى لا يبتكته غيره وكتبت على لساني حتى لا يذكر غيره والآن كتبت على كفى حتى أنظر إليه بيني فيكون نظرى مشغولا به ( مشكاة الأنوار ) .

( حكى ) أن ممنون تزوج بامرأة في آخر عمره فوفدت له بنتا ، فلما بلغت ثلاث سنين وجد في قلبه تعلقا بها فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت ونصبت علام كل نبى دولى ووراء علم رفيع نوره قد سد الأفق فأسأل عنه فقالوا هو علم المهين الخالمين فرأى ممنون نفسه بينهم فجاء واحد من اللالكة فأخرجهم من بينهم ، فقال ممنون أنا أحب الله تعالى

وهذا علم المهين فلم تفرحني ؟ قال : نعم أنت من المهين لله تعالى ، فلما حلت محبتك لولدك في قلبك صوّنا اسمك من المهين لله تعالى ، فبكى ممنون وتضرع في نومه فقال إلهي إن كان الولد ما نالني منك فادفعه عني حتى أقرب إليك بطلقك وكرمك ، فسمع صائحاً يقول واوبلاء فأتبه فقال ماهذه الصيحة قالوا إن ابنتك سقطت من السطح فأتت . فقال الحمد لله الذي أذهب الئاع عني (مشكاة الأنوار) وعن ذي النون المصري أنه قال : رأيت رجلاً في الهواء جالساً متربهاً وهو يقول : الله ، قتل من أنت ؟ قال أنا عبد من عباد الله . قتل عاوجدت هذه الكرامة ؟ قال تركت هواي لهواء فأجلسني الله تعالى في الهواء . وكذا روى عن ممنون المجنون أنه كان مشهوراً بحجة مولاه وكان يسميه الناس ممنون المجنون وسماه الخواص ممنون المذهب وهو يسمي نفسه ممنون المكذاب فارتقى يوماً على النبر ليعظ الناس فلم يلتفتوا إلى قوله فترك الناس وانحلت إلى قتاديل السجد ، فقال اصموا أتم يا قتاديل خبراً عجيباً عن لسان ممنون ، فقرأوا أن القتاديل قد دخلوا في الرقص وتقطموا وتناطلوا لتأثير كلام ممنون ( كذا في زبدة الواعظين ) . فالحاصل أن الإطاعة لله تعالى ولرسوله سبب لمراقبة النبيين والأولياء والصالحين . عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً أبطحق بهم ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «الرجع من أحب» ( كذا في الصايغ ) فمن أحب الله تعالى أكثر ذكره ، فثمرته أن يذكره الله تعالى برحمته وغفرانه ويدخله الجنة مع أنبيائه وأوليائهم ويكرمه برؤية جلاله ، ومن أحب النبي عليه الصلاة والسلام أكثر الصلاة عليه فثمرته الوصول إلى شفاعته ومحمته في الجنة ( سنانية ) روى عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون على إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب» ( هفاء شريح ) .

## المجلس الخامس عشر : في بيان فضيلة السلام

سورة النساء — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ) الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله ، فإن قاله للسلام زاد وبركاته وهي النهاية ، وإما برد مثله لما روى « أن رجلاً قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك ، فقال الرجل نعمتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إنك لم تترك لي فضلاً فرمعت عليك مثله » وذلك لاستجماع أئمام للطلاب السلامة عن اللغز وحصول

لنافع وبائها ، ومنه قيل أو للترديد بين أن يحى السلم بعض النجبة وبين أن يحيى بتائها وهذا  
الوجوب على الكفاية . وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وفي قراءة القرآن وفي الحمام  
وعند قضاء الحاجة ونحوها ( إن الله كان على كل شيء حسيما ) يحاسبكم على النجبة  
وغيرها ( فاضى يمازى ) .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : **والسلام**  
اسم من أسماء الله فأفشوه بيسكم » وفي رواية « إذا سلم للسلم على السلم فرد عليه صلت عليه  
للائكة سبعين مرة ، فإن لم يرد عليه رد عليه من ثم معه ثم يلحنونه سبعين مرة » وكان  
أبو سلم الحولاني رضى الله عنه يمر على قوم فلا يسلم عليهم ، ويقول لا يحض من السلام عليهم إلا أنى  
أخشى أن لا يردوا على قتلهم لللائكة ( من بحر العلوم ) وذكر ( في بيان المعارف ) « إذا  
مردتم قوم فسلموا عليهم فإذا سلمتم عليهم وحب عليهم الرد » وقال : يسلم للماضى على القاعد  
والصغير على الكبير والراكب على السائق وراكب الفرس على راكب الخمار ويسلم القدي بأئيك  
من خلقك ويسمع الراد حواه لأنه إذا لم يسمع لم يكن جواباً ويسلم على أهل بيته حين بدخله ،  
فإن دخل بيتاً ليس فيه أحد فليقل السلام عليا وعلى عباد الله الصالحين فإن اللائكة يردون  
سلامه فتحصل تلك البركة أزيد وأتم . واحتلف العلماء في التسليم أفضل من تركه وبه تأخذ . وفي  
يسلم عليهم ، وقال بعضهم لا يسلم عليهم ، وقال بعضهم التسليم أفضل من تركه وبه تأخذ . وفي  
ريدة السائل : إن قال رجل السلام عليك بإزيد فرد عليه عمرو لا يسقط عن زيد . وفي روضة  
العلماء : إذا استقبل واحد لواحد احتلف الفقهاء . قال بعضهم يسلم الذى جاء من المصر على الذى  
جاء من القرية لأنه جاء من الأمان فيسلم على الذى جاء من القرية ليكون إخباراً عن سلامة  
حال المصر . وقال بعضهم يسلم الذى جاء من القرية على الذى جاء من المصر لأن الذى جاء  
من المصر جاء من أفضل المواضع ، وكفى بهذا هاديا إن كنت من القانع ، وانشر بين الناس  
ضياء الطالع ، وكفى هوف العلماء بالسيوف اللامع ( شرح ) وقال عليه الصلاة والسلام « من  
صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام أحمى فى ذلك الكتاب » قيل إن الابتداء  
بالسلام قبل الكلام أو الحاجة سنة مستحبة ليس بواجب ، واستماعه مستحب بل واجب على  
الصحيح ، وهو سنة على الكفاية ، ورده فرض كفاية ، فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى  
عن جميعهم وسلام كلهم أفضل وأكمل . وكذا رده واجب بحيث لو لم يسمعه لا يسقط عنه  
هذا الفرض حتى قيل لو كان تسلم عليه أصم يجب على التسلم أن يحررك شفعية وبريه بحيث  
لو لم يكن أصم لسمعه انتهى . وقيل إذا قال الرجل السلام عليك بالإفراد فقل وعليكم السلام  
بالجمع لأن المؤمن لا يكون وحده بل معه لذلك فلا ينبغي أن يقول التسلم عليك بالإفراد  
لأنه إذا قال ذلك فقد حرم للملائكة وحرم نفسه من جواب الملائكة ، وإن كانوا مستغنين

من تسليحنا فليست يستعين من جوابهم بالرحمة . وأما صفة الرد فالأفضل أن يقول وعليكم السلام بالواو فلو حذفها جاز وكان تركها للأفضل ، ومن أراد أن يسلم إن شاء يسلم بالترخيف وإن شاء بالتكثير ؟ وأما في سلام الصلاة بالترخيف ، ويشترط أن يكون الرد على الفور ، فإن أخره ثم رده لم يعد جواباً وكان آثماً بترك الرد لأن في تركه إهانة للسلم ، ولو آتى سلام من غالب مع رسوله أوفى ورقة وجب الرد على الفور ، ولا سلام على أهل البدعة والكفر والعجب .

واختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدأهم به فذهبوا تحريم ابتعائهم ووجوب رده عليهم بأن يقول عليك بلا واو وعليك مثله فقد ورد دليلنا في عدم الابتداء قوله عليه الصلاة والسلام « لا يبتدئوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا قُيِّم أحدكم في الطريق فاضطروه إلى منه » لأن الابتداء بالسلام إعزاز لهم ولا يجوز الإعزاز للكفار . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » إيماناً كاملاً « ولا تؤمنوا حتى تهابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم وأبو داود ، وفيه الحث العظيم على إفتاء السلام وبنه للسلميين كلهم من عرفت ومن لم تعرف انتهى . قال في التارخاتية : ويكره تحريماً عند قراءة القرآن جهراً لكن يرد جوابه لكونه قادراً على تحصيل فضيلتي القرآن ورد السلام وعلى منعه القرآن وكذلك عند مذاكرة العلم ، ولا يسلم على أحد ممن نذاكروا العلم ، وإن سلم فهو آثم وكذا عند الأذان والإقامة ، والصحيح أنه لا يرد السلام أيضاً في هذه المواضع وإن كان بالإحشاء انتهى . وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لي شيء عنته لم فنته ولا شيء لم أفعله لم لم تفعله » وقال يا أنس إني موصيك بومية فاحفظها : أكثر الصلاة في الليل تهيبك الحفظة وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم يزد الله في بركاتك ؟ وإن استطعت أن لاتأوى إلى فراشك إلا على طهارة فافعل فانك إن مت مت شهيداً ، وإذا خرجت من عند أهلك فسلم على من بقيت يزد الله حسناتك ، ووتر كبير للسلين وأرحم صغبرهم أكن أنا وأنت في الجنة كهاتين وشبك بين السبابة والوسطى ، واعلم يا أنس أن الله يرضى عن العبد باللقمة يأكلها فيحمد الله عليها والشرية من ماء يشربها فيحمد الله تعالى » الحديث . وعن ابن سلام رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة غرفاً من ألوان كلها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قالوا يا رسول الله لمن تلك الترف ؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام .



قلنا : ومن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال سأخبركم عن ذلك : من لقي أخاه وسلم عليه فقد ألقى السلام ، ومن أطعم أهله وعباده من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان وستامن هوال فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة والغداة « أى الفجر » مع جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام « وهم اليهود والنصارى والمجوس ، كما صرح به الإمام الأنسلى رحمة الله انتهى . ويكره السلام عند رواية الحديث وعند الأذان وعند الإقامة إذا كان القوم مشغولين ببناء الأذان والإقامة ، والسلام يأتى ولكن بحدود جوابه ، وعلى من كان فى الخلافة عندئذ حينئذ رحمة الله تعالى عليه يرد به قلبه لابلائه . وقال أبو يوسف لا يرد مطلقا . وعند محمد يرد به بدالمرأى من الحاجة ، وعلى الصلى ، والسلام يأتى ولا يرد جوابه ، وعلى السائل وإن سلم السائل فلا يجبرده ؛ وعلى القاضى فى الحكمة ولا يجب الرد عليه ؛ وعلى أستاذه عند العرس ولو سلم لا يجبرده ، وعلى لأص الشطرنج ، وعلى لاعب المرد وغيره ، وعلى للبتدعة ، وعلى لللاحدة ، وعلى الزنادقة ، وعلى المضحك ، وعلى قارئ القصة البكاية ، وعلى أهل الفرو ، وعلى أهل السب ، وعلى أهل المجر ، وعلى القاعد على رؤوس الطريق ليظهر إلى المرأة الحسناء أو إلى الأمر الصريح وعلى العريان سواء كان فى الحمام أو غيره وعلى المازح ، وعلى الكذاب ، وعلى من يرب الناس وعلى للشغل فى السوق ، وعلى آكل الطعام فى السوق أو على الدكان والناس ينظرون ، وعلى للنس ، وعلى مطير الحمام وعلى الكافر ( قاله ابن كمال ياها يبر الله ما شا فى شرح حديث السلام قبل الكلام ) وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تكلم قبل السلام فلا تحيوه » . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « ان إبليس عليه اللعنة يكى عد سلام للؤمن ويقول واويلاه لا يفترق هذان المؤمنان حتى يفرا فها « الحديث . قالوا تحية النصارى وضع اليد على القم ، وتحية اليهود الاشارة بالاصبع ، وتحية المجوس الانحاء ، وتحية العرب حيالك الله ، وتحية المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحى أشرف التحيات ( من اللغويات ) وعن عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه « أن رجلا جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليكم فرد عليه فقال لك عشر حسنات ، ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال له لك ثلاثون حسنة ، ثم أتى آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومنعنه فرد عليه فقال لك أربعون حسنة « ( كذا فى مشكاة المصابيح ) .

### المجلس السادس عشر : فى وفاة النبى عليه الصلاة والسلام

سورة البائدة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( اليوم أكلت لكم ديك ) بالنصر والاعطاف على الأديان كلها أو بالتصميم على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ( وأتممت عليكم نصي )

بالحداية والتوفيق ، أو باكمال الدين ، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ( ورضيت لكم الاسلام ) اختاره لكم ( ديناً ) من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير . ( قاضى يضاوى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « قال جبرائيل يا محمد إن الله تعالى خلق بهراً من وراء جبل قاف وفي البحر سمك يصلى عليك فمن أخذ منه سمكة يمست يدها وتصور السمكة من جملة الأصجار » هذا إشارة إلى أن السبد إذا صلى على محمد وصل الصلوات الخمس بالجماعة ينجم من أيدي الزبانية ومن عذاب النار . روى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « ما يبك بك يا عمر » قال أبكاني أنا كئيفي زيادة من ديننا فإذا كل فانه لا يكمل شيء إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام « صدقت » ( أبو السموه ) . ( قوله اليوم ) اللام للعمد والمراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية ، وقد روى أن هذه الآية نزلت بعد عصر يوم الجمعة برهات في حجة الوداع والنبي عليه الصلاة والسلام واقف برفة على الأبل ولم ينزل بعدها شيء من الفرائض حين نزلت لم يطلق النبي عليه الصلاة والسلام احتمال معانيها فأنكأ على ناقته فحركت الناقة فترل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد قد تم اليوم أمر دينكم واضطجع ما أمرك ربك وما نهاك فأجمع أصحابك وأخبرهم بأنني لا أنزل عليك بعد هذا اليوم فرجع النبي عليه الصلاة والسلام من مكة وآتى المدينة فجمع أصحابه وقرأ عليهم الآية وأخبرهم بما قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام ففرح أصحابه وقلوا قد تم ديننا إلا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فانه قد اغتم وآتى منزله وغلق الباب وانتقل بالبكاء في الليل والنهار فسمع الأصحاب ذلك فاجتمعوا وأتوا منزل أبي بكر رضى الله تعالى عنه وقالوا يا أبا بكر لم تبكى في موضع الفرح والسرور لأن الله تعالى قد أتم ديننا ؟ فقال يا أصحاب أتم لا تعلمون ما يسيكم من الصائب أما سمعتم أنه إذا تم أمر بدأ قصه وهذه الآية تنبئ عن اقتراننا وعن كون الحسن والحسين يتيمين وعن كون أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أرامل فوقع الصراح بين الأصحاب وبكوا جميعاً ومع غيرهم البكاء من حبرة أبي بكر رضى الله تعالى عنه وجاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا يا رسول الله لا ندرى ما حال الأصحاب غير أنا نحن بكاءهم وصراخهم فتغير لون النبي عليه الصلاة والسلام وقام مسرطاً حتى انتهى إلى الأصحاب فرآهم في ذلك الحال فقال ما يبكم ؟ فقال هل رضى الله تعالى عنه إن أبا بكر يقول إنى سمعت من هذه الآية راحة وفاة رسول الله وهل يستدل بهذه الآية على وفاته ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق أبو بكر بما قال وقد قرب ابن عمي من يدك رحاك وقت فرأى مسكم ، وهذا إشارة إلى أن أبا بكر أعلم السعادة فلما سمع أبو بكر ذلك صاح صيحة وخر معشياً عليه وارتعد على رضى الله تعالى عنه واعتز الأصحاب وحافوا بأحجمهم وبكوا بكاء شديداً حتى بكى الحساك والأحجار معهم والثلاثة في السموات وبكت

الدود والحوانات في البراري والبحار ثم صاح النبي عليه الصلاة والسلام كل واحظمن الأصحاب وودعهم وبكى ووصى لهم ثم عاش بعد نزول هذه الآية أحداً وثمانين يوماً ، وقيل لما نزل قوله تعالى ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ) الآية عاش عليه الصلاة والسلام بعدها خمسين يوماً ولما نزل قوله تعالى ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) عاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً ولما نزل قوله تعالى ( وانقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ) الآية عاش بعدها أحد وعشرين يوماً ، وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها بعد يومًا للنبر فخطب خطبة فبكت منها العيون ووجلّت منها القلوب واقتشعرت منها الأبدان وبشر وأندر ، وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لما قرب وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أمر بلالاً أن ينادي الناس للصلاة فنادى فاجتمع لها جرون والأنصار إلى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحلّ ركعتين خفيفتين بالناس ثم صعد للنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة بليغة وجلّت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال : « يا معاشرة المسلمين إني كنت لكم نبياً وناهما وداعياً إلى الله باده وكنت لكم كالأخ للشقيق والأب الرحيم موت كانت له عدى مظلة فليقم وليتصم من قبل القصاص في القيامة فلم يقم إليه أحد حتى قال ثانياً وثالثاً فقام رجل يقال له عكاشة بن محصن فوقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام فقال فذاك أنى وأمى يا رسول الله لولا أنك ناشدتنا مرة بعد مرة ما كنت أقدم على شيء من ذلك ولقد كنت معك في غزوة بدر حارب ناقى ناقك فقلت عن الناقة ودنوت منك حتى أقبلت فشدك فرفعت القضيبي الذي تضرب به الناقة للسرعة في المشي وضربت به خاصرتي فلا أدرى أعمداً كان منك يا رسول الله أم أردت به ضرب ناقك ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حلها يا عكاشة أن يتمم لك رسول الله بالضرب » فقال النبي عليه الصلاة والسلام لبلال « يا بلال اطلق إلى مزل فاطمة فأنتى بقضيبي » فخرج بلال من المسجد ويده على رأسه فقال لهذا رسول الله أعطى القصاص من نفسه فقرع باب فاطمة فقالت من على الباب فقال جئتك لقضيبي رسول الله فقالت فاطمة يا بلال ما يصنع ابن بالقضيبي فقال يا فاطمة إنك أبك يبطى القصاص من نفسه فقالت فاطمة يا بلال من الذي يطيب قلبه أن يقتص من رسول الله ؟ فأخذ بلال القضيبي ودخل للسجد ودفع القضيبي إلى رسول الله والرسول دفعه إلى عكاشة ، فلما نظره أبو بكر وعمر فلما قالا يا عكاشة نحن بين يديك فاقص منا ولا تقتص من النبي عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله « اتقدا قد عرف الله تعالى مكانكما » فقام على رضي الله تعالى عنه فقال يا عكاشة أنا في الحياة بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام لا يطيب قلبى أن تقتص من رسول الله عليه الصلاة والسلام فهذا ظهري ويطى فاقص مني يديك وأجلدني يديك فقال عليه الصلاة والسلام « يا عكاشة قد عرف الله مكانك ونيتك » فقام الحسن والحسين قالا

يا عكاشة أأنت تعرفنا أنا مبطل رسول الله والقصاص منا كالقصاص من رسول الله ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لها « أفعدا يا قرقي عيني » ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام « يا عكاشة اضرب إن كنت صادرا » فقال يا رسول الله ضربتني وأنا طار عن ثوبي فكشف رسول الله من ثوبه فصاح للسلون بالكاء فلما نظر عكاشة إلى يابس جسم الرسول انكب عليه وقبل ظهره وقال فداللدروحي يا رسول الله من يطيب قلبه أن يقتبس منك يا رسول الله ؟ وإعاضته رجاء أن يمس جسمي بجسمك الشريف ويحفظوني بحرمته من النار فقال عليه الصلاة والسلام « وألمن يجب أن ينظر إلى أهل الجنة فينظر إلى هذا الشخص » قام السلون فيقولون بين عينيه ويقولون طوبى لك نلت الدرجات العلى ومراقبة محمد عليه الصلاة والسلام في الجنة انتهى . اللهم يسر لنا شفاعته بمرتك وجلاك ( من الوعظة الحسنة ) قال ابن مسعود : لما دنا وفاة النبي عليه الصلاة والسلام جمعنا في بيت أمنا عائشة ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال « مرحبا بكم رحمكم الله ، أوصيكم بشقوى الله وطاعته قد دنا العراق وقرب للقلب إلى الله تعالى وإلى الجنة للأوى فليخلفني على وليصب الماء الأفضل ابن عباس وأسماء بن زيد بينهما وكفوني في ثيابي إن شئتم أو حلة يمانية بيضاء فلما غلتموني ضموني على سري في بيتي هذا على غفير لحدى ثم أخرجوا عني ساعة فأول من صلى على الله عز وجل ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جوده ثم سائر الملائكة ثم أدخلوا على غوجا فوجا وصلوا على « فلما سمعوا مراقي النبي عليه الصلاة والسلام صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله أنت رسولنا وشمل جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت هنا فإلى من ترجع ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « تركتكم على المحبة والطريقة البيضاء وتركتم لكم وأعطينا ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت لأوت إذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا تست قلوبكم فلينبوها بالأخبار في أحوال لأوت « ففرض رسول الله عليه الصلاة والسلام في آخر شهر صفر وكان مرساً ثمانية عشر يوما يموده الناس وكان ابتداء مرضه الذي مات فيه صداما مرضه عليه السلام ، وبث عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ومات فيه فلما كان يوم الاثنين تقل مرضه فأذن بلال أذان الصبح وقام يباب رسول الله فقال السلام عليك يا رسول الله فقالت فاطمة إن رسول الله مشغول بنفسه فدخل بلال للسجد ولم يفهم كلامها فلما أشرق الصبح جاء بلال ثانيا وقام بالباب فقال كذلك فسمع رسول الله صوته فقال « أدخل يا بلال إلى مشغول بنفسى وتقل على مرضى ، يا بلال مرأيا بكر أن يصلى بالناس » فخرج بلال باكيا ووضع يده على رأسه وهو ينادى وأمسيناه واتخطاع رجاء وانكسار ظهراء يا ليتني لم تلهني أي فدخل للمسجد فقال يا أبا بكر إن رسول الله يأمرنا أن تصلى بالناس هو مشغول بنفسه ، فلما رأى أبو بكر محراب رسول الله خاليا عنه لم يتألك نفسه فصرخ صراحا وحر منشيا عليه

فخرج المسلمون معه فسمع النبي عليه الصلاة والسلام ضجيجهم فقال يا فاطمة ما هذا الصياح والضجيج ؟ قالت ضجج المسلمون لفقدك منهم فدعا رسول الله عليا والفضل بن عباس واتكأ عليهما غرح إلى السجد وصل بهم ركعتي القبر من يوم الاثنين ثم ولى بوجهه إلى الناس فقال يا معشر المسلمين أتم لي وداع الله تعالى وكشفه عليكم بتقوى الله وطاعته فاني مفارق الدنيا وهذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا فقام وذهب إلى بيته ، فأوحى الله تعالى إلى ملكه الموت أن اهبط إلى حبيبي بأحسن صورة وارفق به في قبض روحه فان أدن لك أن تدخل فادخل وإن لم يأتك فلا تدخل وأرجع فهبط ملك الموت على صورة أمراي فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أأدخل ؟ فأجابت فاطمة فقالت يا عبد الله إن رسول الله مشغول بنفسه ، ثم نادى الثانية فقال السلام عليكم يا رسول الله ويا أهل بيت النبوة ؟ أأدخل ؟ فسمع عليه الصلاة والسلام صوته فقال يا فاطمة من على الباب ؟ قالت رجل أمراي نادى فقلت إن رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثالثة فقلت مثله فنظر إلى نظارة فاقشر جلدي وخاف قلبي وارتعدت فرائصي وتغير لوني فقال عليه الصلاة والسلام أتدري من هو يا فاطمة ؟ قالت لا ، قال عليه الصلاة والسلام هو عاظم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات وغرب الدور ومصر القصور فيكث فاطمة رضى الله تعالى عنها بكاء شديداً فقالت واويلتاه لموت خاتم الأنبياء وامسيعيتاه لمات حير الأنبياء ولا تقطاع سيد الأصفياء واحسرتاه لا تقطاع الوحي من السماء فقد حرمت اليوم من كلامك ولا أسمع صد اليوم سلامك فقال عليه الصلاة والسلام لا تبكي فانك أول أهلي لحولاً بي ثم قال عليه الصلاة والسلام ادخل بأمك الموت فدخل فقال السلام عليك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام و عليك السلام يا ملك الموت أحت زائراً أم قابضاً ؟ قاله جئت زائراً وقابضاً إن أذنت لي وإلا فأرجع فقال يا ملك الموت أين تركت جبرائيل ؟ قاله تركته في السماء الدنيا ولللائكة يحزونه فلم يلبث ساعة حتى هبط جبرائيل عليه الصلاة والسلام وجلس عند رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ألم تعلم أن الأمر قد قرب فقال بلى يا رسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم بشرني مالي عند الله من السكرانة فقال إن أبواب السماء قد فتحت واللائكة صفوا ينتظرون في السماء لروحك وأبواب الجنان قد فتحت والحدود كلها قد تزينت ينتظرون لروحك فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله ، ثم قال بشرني يا جبرائيل كيف تكون أمي يوم القيامة ؟ قال أشرك أن الله تعالى قال إني حرمت الجنة على سائر الأنبياء حتى تدخلها أنت وحرمتها على سائر الأمم حتى تدخلها أمك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبى ووال غمى . ثم قال عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت أدن مني فدنا بجال قص روحه فلما بلغ الروح من السرة قال عليه الصلاة والسلام يا جبرائيل ما أشد مرارة الموت افقنى جبرائيل وجهه عنه ، فقال عليه الصلاة

والسلام لإبراهيم أكرهت النظر إلى وجهي ؟ فقال يا حبيب الله من يطبق قلبه أن ينظر إلى وجهك وأنت في سكرات اللوت ، قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كان روح النبي عليه الصلاة والسلام في صدره وهو يقول : أوصيكم بالصلاة وما ملككم إيمانكم ، لما برح يوصي بهما حتى انقطع كلامه ، وقال علي رضي الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر نفسه حرك شفتيه مرتين فألتفت صهي فسمعتة يقول خفية أمتي أمتي فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

فلو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مفلساً

وروي أن علياً وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام على السرير ليغسله فاذا بهاتف يهتف من رواية البيت بأعلى صوت لا تنسلوا محمداً فإنه طاهر مطهر فوقع في نفس شيء من ذلك فقال علي من أنت فإن النبي أمرنا بذلك ؟ فاذا بهاتف آخر ينادي يا علي غسله فإن الهاتف الأول كان إبليس عليه اللعنة محمداً علي محمد وقصد أن لا يدخل محمد قبره مغسولاً فقال علي جزاك الله خيراً إذا أخبرني أن ذلك إبليس عليه اللعنة فمن أنت ؟ قال أنا الحضر حضرت جنازة محمد عليه الصلاة والسلام فغسله علي رضي الله تعالى عنه وصحب الماء الفعل بن عباس وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم أجمعين وإبراهيم عليه الصلاة والسلام جاء بمحيط من الجنة وكسوه ودقوه في حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها ليلة الأربعاء وسط الليل وقيل ليلة الثلاثاء وهي قائمة على قبر النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون يامن لم يلبس الحبر ولم يتم على القبر الوثير يامن خرج من الدنيا ولم يشيع بطنه من خبز السمير يامن اختار الحبر على الحرير يامن لم يتم طول الليالي من خوف السمير .

### المجلس السابع عشر : في ذم شارب الخمر

سورة السائدة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأصاب ) أي الأصنام التي نصبت للعبادة ( والأرلام ) سبق تفسيرها في أول السورة ( رجس ) قدر تعاف منه القول وأفرده لأنه خير للخمر وخير للمطوفات مخدوف ، أو خير لمضاف مخدوف كأنه قال إنما تعاطى الخمر والميسر ( من عمل الشيطان ) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه ( فاجتنبوه ) الضمير للرجس أو لما ذكر أو لتعاطى ( لعنكم فاعلموا ) لكي تتلحوا بالاجتناب عنه . واعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بإنما وقرنها بالأصاب والأرلام وسماها رجساً وجعلها من عمل الشيطان تنبها على أن الاشتغال بهما شر محض أو غالب وأمر بالاجتناب عن عيبتها وجعل سبب رجسها من الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيها من الفساد الدنيوي والديني القسوة للتحريم . ( قاصي يصاوي ) .

روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا

صلى المؤمن على قبض تلك الصلاة ملك الموت بدين الله تعالى وبلغها إلى قبري فيقول الملك يا محمد إن فلان بن فلان من أمتك صلى عليك فأقول لمن صلى عشر صلوات وقلبه حلت شعاعته لك ثم يصعد الملك حتى يقبض إلى العرش فيقول يا رب إن فلان بن فلان صلى على جيبك عهد مرة ويقول الله تعالى بلغه مني عشر صلوات ثم خلق الله تعالى من صلاته بكل حرف ملكا له ثلاثمائة وستون رأساً وفي كل رأس ثلاثمائة وستون وجهاً وفي كل وجه ثلاثمائة وستون لساناً وفي كل لسان ثلاثمائة وستون حرفاً فيكتب ثواب ذلك المصل على النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة . روى أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما غرس الكرم ولم تخضر جاءه إبليس عليه السلام فقال يا نبي الله إن أردت أن تخضر الكرم فضعني أذع عليها سبعة أشياء فقال اغسل أصله فذبح أسداً ودماً ونمراً وابن آوى وكلباً وديكاً وثعلباً وحب دماء في أصل الكرم فاختضرت من ساعتها وحملت الكرم من الغيب سبعين لوتاً وكانت تحمل من قبل لوتاً واحداً طردك كان هارب الخمر شجاعاً كالأسد وقوراً كالكلب وعضباناً كالتمر وعهدنا كابن آوى ومقاتلاً كالكلب ومتقياً كالطوبى ومصوناً كالهديك ( حيلة القلوب ) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » ( رواه البخاري ) . قوله « وهو مؤمن » الوابو له حال تخديره هو حال كون شارب الخمر ليس بمؤمن عند الشافعي لأن الصل جزء من الإيمان الكامل عنده وعندنا ليس بجزء في مطلق الإيمان ولأن الإيمان الكامل فذلك كان تارك الصل مؤمناً عندنا لأنه مثل رسول الله عن قوله : لا يشرب خارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فأدار دائرة واسعة في الأرض ثم أدار في وسط الدائرة دائرة أخرى ، فقال الدائرة الأولى للإسلام والدائرة الثانية للإيمان فإن شرب البعد أورث أوسرى حرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ولا يخرج من دائرة الإسلام إلا بالكفر نعموا بالله تعالى . اعطوا أيها الإخوان أن الإيمان والإسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) أي من النبيين لأننا اختار منزلة النار . بدل منزلة الجنة ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » رواه الطبراني . وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا زنى البعد أو شرب الخمر نزع الله عنه الإيمان كما ينزع الإنسان القبيص من رأسه » رواه الحاكم ، وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « إنا زنى البعد أو شرب الخمر خرج من الإيمان فكان فوق رأسه كالنملة فادفع من ذلك الصل » ( ح - حرة الناصحين )

رجع إليه الإيمان « رواه البخارى . قال التقيہ أبو الیث : لیک وشرب الخمر فان شربها عشر خصال مذمومة : اولها أنه إذا شرب الخمر یصیر بمنزلة الجنون فیصیر ضحکة للعیان ومذموماً عند العقلاء . والثانية أنها منجبة للعقل ومثقلة للمال . والثالثة أن شربها سبب للمداوة بین الإخوان والأصدقاء . والرابعة أن شربها ینتج عن ذکر الله وعن الصلاة . والخامسة أن شربها یحمله علی الزنا لأنه إذا شرب الخمر یمکن أن یطلق امرأته وهو لا یشعر . والسادسة أنها مفتاح کل شر لأنه إذا شرب الخمر سهل علیه جمیع المعاصی . والسابعة أنها تولى حفظه بإدخاله فی مجلس الفسق . والثامنة أنه یوجب علیه الحد ثمانین جلدة وإن لم یضرب فی الدنیا یضرب فی الآخرة بسوط من نار علی رءوس الناس ینظر إلیه الآباء والأصدقاء . والتاسعة أنه غلق باب السماء علی نفسه لأنه لا یرفع حسنته ولا دنائته أربعین يوماً . والعاشر أنه یحاطر علی أنه ینجف علیه أن ینزع منه الإيمان مذمومه ، فهذه العقوبات فی الدنیا قبل موته وقل أن یتنبی إلی عقوبات الآخرة ، فلا ینبى للماتل أن یتخار لفة قلیة علی لفة طویة ، وروی عن أبی أمامة عن النبی علیه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة لا یدخلون الجنة : سدم الخمر وقاطع الرحم ومصدق السحرة ومن مات سدم الخمر سقاء الله تعالى من نهر التوبة وهو نهر یمری من فروج الزانیات یؤدی أهل النار من تن ریحہ » رواه أحمد وابن عدی ، وروی عن عائشة رضی الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله علیه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فلا تزوجه وإن مرض فلا یعوده وإن مات فلا تصلوا علیه ، فوالله یثنى بالحق نبیا ما شرب الخمر إلا ملعون فی التوراة والإنجیل والزبور والفرقان ، ومن أطعمه لفة سوط الله علی جسده حیه وعقربا ، ومن قفى حاجته فقد أعانه علی هدم الإسلام ، ومن أقرضه قد أعانه علی قتل مؤمن ، ومن جاله حشره الله یوم القیامة أعمى لاحبلة » الحدیث . وقیل الکبائر الإشرک بالله وقتل النفس بغير حق وشرب الخمر والزنا والفواحش وقذف المحصنات والزنا وعقوق الوالدین للمسلمین بقول أوبخل وقرار من الرخص من رجل واحد أو رجلین فی الحرب وأكل مال الیتیم ظلماً وشهادة الزور وأكل الربوا وأكل فی شهر رمضان بغير عذر عاصداً ومقاطعة الرحم والیسین الفاجرة وأكل أموال الناس ظلماً والنقص فی السکیل والیزان وتهدیم الصلاة علی وقتها وضرب المسلم بغير حق وشم النبی علیه الصلاة والسلام والكذب علی النبی متعمداً وکتمان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة وقتل نفسه أو قطع عضو من أعضائه والبیاعة والسحابة بین الرجل والمرأة والسعاية عند الظالم والسحر ومنع الزكاة والأمر بالفسق والنهي عن المعروف والوقیفة فی أهل السلم وإحراق الحیوان بالنار واستناع للمرأة من زوجها بلا سبب فسکها کایم . وروی عن عثمان بن عفان رضی الله تعالى عنه قال : سمعت النبی علیه الصلاة والسلام یقول : « اجشوا الخمر فإنها أم الخائث فانه کان رجل من عن کان قبلکم یتعمد ویتزل الناس



فلتقتبه امرأة سوء فأرسلت إليه خادما فقال : إنا ندعوك للشهادة فدخل فطقت كلما دخل باباً أعلقتة مونه حتى إذا أفضى أى بلغ إلى امرأة جالسة وعندها ملام وزحاجة فيها خمر قالت إنا لم ندعك للشهادة ولكن ندعوك لقتل هذا العلام أو نضع على أو تشرب كأساً من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك ، قال فلما رأى أنه لا بد من ذلك قال أسقى كأساً من الخمر فقتله كأساً من الخمر فزال عقله حتى وقع عليها أى جاسعها وقتل العلام . فاحتجبوا الخمر فانه لا يجتمع إيمان وإيمان الخمر في صدر الرجل أبداً إلا ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه ، روى ابن جابر في صحيحه ، أما قصته برصيصا فمن أى بعد عن رحمة الله تعالى بسبب شرب الخمر . وذلك أن برصيصا عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يصح الله فيها طرفة عين وكان له ستون ألفاً من تلاميذه يمشون في الهواء يركب عبادته حتى تسبب الملائكة من عبادته قال الله تعالى : ماتسيون منه ، إني أعلم بالماضين إن برصيصا في حلى يكفر ويدخل النار أبداً الأبدن يشرب الخمر فسمع إبليس عليه اللعنة ذلك القول فلم أن حلاكة في يده فجاء إلى صومته على صورة طائر قد لبس السوح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد ؟ قال أنا طائر جئت إليك لأكون عوناً على عبادتك فله تعالى فقال من أراد عبادة الله تعالى فله يكونى صاحبها فقام إبليس يهد الله تعالى ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب . قال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لاتأكل ولا تشرب وإنى عبت مائتين وعشرين سنة ولم أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس أنا أذنبت ذنبا فني ذكرته سقط عني النوم والأكل قال برصيصا ما حيلتى حتى أكون مثلك ؟ قال اذهب فاعص الله ثم تب إلى طهانه رحيم حتى تجد سلاوة الطاعة قال أى شيء أقبل ؟ قال الزنا قال لا أفعله قال اتسل مؤمنا قال لا أفعله قال اشرب الخمر للسكر فانه أهون وخمسك الله قال ابن أجدته . قال اذهب إلى قرية كنذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشتري منها الخمر فشرب وسكر وزنى فدخل عليها زوجها فضربه حتى كاد أن يقتله ، ثم إن إبليس تمثل في صورة إنسان وسعى به إلى الحاكم فأخذه وجلدوه للمعسر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر له بالصلب لأجل الهم فلما صلب جاء إبليس إلى برصيصا في تلك الصورة قال كيف حالك ؟ قال من أطاع لمرين السوء بطراؤه هكذا ، قال إبليس كنت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول لُنزلتك قال أريد وأعطيك ما أريد قال اسجد لي سجدة واحدة ، قال لم أقدر أن أسجد لك على الخشب قال اسجد بالإيمان فاسجد وكفر بالله وخروج من الدنيا بلا إيمان تعود بالله تعالى ( حياة القلوب ) . روى أن عبد الرحمن بن عوف مع طعاما وشرا با ففردا قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الخمر مباحة ما حكموا وشربوا فلما انحوا أى سكروا وحاء وقت صلاة للغرب قدموا أحدهم ليصل بهم فقرأ : قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأتم عابدون ما أعبد بل لا تغزى ( لا تشربوا الصلاة وأتم

سكاري) الآية ، ثم كانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ، ثم نزل في تحريمها (إنما الخمر واليسر) الآية ومعنى لا تشربوا الصلاة لا تشربوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله عليه الصلاة والسلام : « حنبوا مساجدكم صيياكم ومجانبيكم » (كشاف) وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف يا أخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وبأكلون مال اليسر قزلت (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) الآية . يمسى أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من اللباحات إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة شاء عليهم وحمدنا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ، ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ؟ فتقول ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا حسنا تريد أن يزيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ فيما فعل (تفسير كشاف ملخصا) .

### المجلس الثامن عشر : في ذم الحسد

سورة الثالثة - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وائل عليهم نبأ ابن آدم ) قاييل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج كل واحد منهما قوامه الآخر فسخط منه قاييل لأن توأمة كانت أجمل فقال لها آدم عليه الصلاة والسلام قربا قربانا فمن أينكما قبل تزوجها ، قبل قربان هابيل بأن زلت نارقا كلته فاراداه قاييل سخطا رفقلا ماضل ( بالحق ) صفة مصدر محذوف أي تلاوة متلبسة بالحق أو حال من ضمير ائل أو من نبأ ابن آدم أي متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين ( إذ قربا قربانا ) ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حلف للضاف أي ائل عليهم نبأها نبأ ذلك الوقت ، قيل كان قاييل صاحب زرع وقرب أردأ فح عنده ، وهابيل صاحب خمر وقرب جماليا ( فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ) لأنه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص إليه في قربانه ، وقصد هابيل إلى أحسن ما عنده ( قال لأقتلك ) بوعده بالقتل لقرط الحسد له على قبل قربانه ، ولذلك ( قال إنما يتقبل الله من المتقين ) في جوابه : أي إنما أجمت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قلى ظم فتلتني ؟ وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويحتج في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لاني إزالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متقي ( فاصي يضاهي ) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ليت جبرائيل فقال لي أبشرك أن الله تعالى يقول : من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه »

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال اللهم صل على محمد وأرله للزول القرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي يوم القيامة » (شفاء شريف) قوله (ابن آدم) قيل لم يرد بها ابن آدم لصلبه وإعناهما رجلا من بني إسرائيل ولقد قيل في حقهم (من أجل ذلك كتب على بني إسرائيل أنه من قتل) الآية ، لكن الصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنهما من صلبه يدس عليه قوله تعالى (فبست الله فرأياً) الآية لأن القاتل لم يدر ما يصنع بالقتول حتى تعلم من فعل القرباب (تفسير الخازن) قيل محمد هائل إلى كبش أحسن حافي غنمه فخر به وأضر به في نفسه ما الله تعالى ، وقيل قرب أردأ فتح عنده فوضعا قربانها على جبل ثم دعا آدم عليه الصلاة والسلام فزلت من السماء نار فأكلت قربان هائل ولم تأكل قربان قاييل فضبط قاييل على هائل وأمنه لأبيه الحسد إلى أن أتى آدم عليه الصلاة والسلام إلى مكة لزيارة البيت وطلب عنهما فقص قاييل هائل وهو في غنمه وقال لأهلك قال هائل لم تقتلني ؟ قال إن الله قيل قربانك ورد قرباني وتريد أن تسكن أخى الحساء وأنسك أخذك الميمنة فتحدث الناس أنك خير من ويغفر ولك على ولدي (تفسير الخازن) وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم في الكتب الأول : إن آدم عليه الصلاة والسلام كان تقي حواء في الجنة قل أن يسبب الخطيئة فعملت بقاييل وأخته ولم تحب عليهما وحما ولا وصبا ولا طمعا ولم تر دعا وعت الولادة فلما سقط إلى الأرض تقيها فعملت بهييل وتوأمته فوجدت الوح والوصب والطلق والتم وكان الرجل منهم يزوج ابنته لأخي إخوانها شاء غير توأمها الذي ولدت معه ، فلما كبر قاييل وهائل وكان بينهما ستان أمر الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج قاييل ليودا وزوج هائل إقليا وأخت قاييل وكانت إقليا أحسن من ليودا فبلغ آدم عليه الصلاة والسلام ذلك ورضي هائل وسخط قاييل وقال هي أختي وأنا أختي بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض إلى آخر القصة (تفسير الخازن) ذكر في الأخبار أن حواء كانت تلد لآدم عليه الصلاة والسلام في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدت أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قاييل وتوأمته إقليا وآخرهم عبد الميث وتوأمته أمة الميث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه الصلاة والسلام : وقال ابن عباس لم يمت آدم عليه الصلاة والسلام حتى بلغ ولده روله ولده أربعين ألفاً ، واختلفوا في مولد قاييل وهائل فقال بعضهم غنى آدم عليه الصلاة والسلام حواء بعد إهابهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قاييل وتوأمته إقليا في بطن ثم هائل وتوأمته ليودا في بطن (تفسير الخازن) قال ابن جريج لما قصد قاييل قتل هائل لم يدر كيف يقتله ؟ فتمثل له إبليس عليه اللعنة وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر وأسقط حجراً آخر عليه وقاييل يظنه فله القتل فقتل مثله وقيل وهائل قائم ، واختلفوا في موضع قتله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على جبل ثور وقيل عند عقبة جبل حراره

وقيل بالبصرة في موضع السعد الأعظم (نخس الحازن) فلما قتله أصبح من النادمين على قتله لما كان فيه من التعمير في أمره وحمله على رقبته سدة أو أكثر على ما قيل ولعلله من الغراب لسود لونه وتبرأ أبوه منه ، إذ روى أنه لما قتله أسود جسده فسأله آدم عليه الصلاة والسلام عن أخيه فقال ما كنت عليه وكبلاً ، قال بل تكلت فلذلك أسود وحسدك وتبرأ منه ومكت بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما قتله من أحله (قاضي) . قيل هرب بعده إلى عدن من أرض اليمن فأدركه إبليس عليه اللعنة فقال إنما أكلت النار فربان هايل لأنه كان يبعد النار فاصنع أنت مثل ذلك فعلت فهو أول من اتخذ آلات اللهو واتهمك في المعاصي من شرب الخمر وعبادة الأوثان والزنا وغيرها من القواصص حتى أهرقهم الله بالطوفان في أيام نوح عليه الصلاة والسلام ، ومن ارتكب مثل تلك الأفعال حشر مع قاييل وأولاده يوم القيامة (رونق المجالس) وفي الحديث « لا تقتل نفس ظلماً إلا وعلى قاييل كفيل » أي نصيب « من دمها طائفة أول من سن القتل » وكذا قيل إن أول من حسد في السموات كان إبليس عليه اللعنة فجرى عليه ما جرى ، وأول من حسد في الأرض كان قاييل حيث حسد أخاه هايل فجرى عليه ما جرى ويكفي في النصيحة للعاقل حالهما ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن لنعم الله تعالى أعداءه - قبل من هم يارسول الله - . قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال يمين الحكماء أمهات الخطايا ثلاثة . الحسد والحرم والكبر ، أما الكبر فكان أصله من إبليس حيث تكبر وأبى من السجدة فلمس ، وأما الحرم فكان أصله من آدم عليه الصلاة والسلام حيث قيل له الجنة كلها مباحة لك إلا هذه الشجرة فعلمه الحرم فأخرج منها ، وأما الحسد فكان أصله من قاييل حيث قتل أخاه هايل فصار كافراً بسبب حسده ، وكذا قال الفقيه أبو الليث : ثلاثة لاستجاب دعوتهم : أكل الحرام ومكارتقية ، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين . وعن عطية بن عوزة السعدي أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن النصب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليسوا » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن فيكم من يكون سريع الغضب سريع النوى وفيكم من يكون سريع الغضب بطيء النوى فخيركم من يكون بطيء الغضب سريع النوى وشركم من كان سريع الغضب بطيء النوى » (زبدة الواعظين) .

أعلم أن للحسد ثمان آفات : الأولى إفساد الطاعة ، إذ روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والعشب » أو يؤديه إلى الكفر . والثانية الإقصاء إلى فعل المعاصي إذ الحسد لا يغني عن النية والكذب والسبب والنميمة عادة (طب) عن ضمرة بن نطلة أنه قال : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » . والثالثة حرمان الشعاعة (طب) عن عبد الله

ابن جرير عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليس مني فؤاحيد ولا ذوات نعمة ولا ذوات كفاة ولا أنا منه ، ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه الآية ( والذين يؤدون الأمانات والمؤمنين ) ما اكتبوها فقد احتملوا بها وأنا وإنا بيننا ) . والراية دخول النار ( دليلى ) . عن ابن عمر وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ستيدخلون النار قبل الحساب بسنة . قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية والمهاجرين بالكبر والتجار بالحيانة وأهل الرمايق بالجهل والعلماء بالحسد » . والخامسة الإفضاء إلى إضرار الغير فلذا أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم حيث قال ( ومن شر حاسد إذا حسد ) وقال عليه الصلاة والسلام : « استمبوا على قضاء الخوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود » . والسادسة التنبؤ والمهم من غير فائقة بل مع وزر ومضية ، قال ابن السكيت : لم أر ظالماً أشبه بالظالمين الحاسد : نهب دأهم وعقل هائم وغم لازم . والسابعة عصى القلب حتى يكاد لا يفهم حكماً من أحكام الله تعالى ، قال سفيان : لا تكن حاسداً تكن سريع الفهم . والثامنة الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده وينصر على عدوه ، قلنا قيل : الحسود لا يسود ( طريقة محمدية ) .

### المجلس التاسع عشر

#### في نزول المائدة من السماء بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام

سورة المائدة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وإذا أوجبت إلى الحواريين ) أى أمرتهم على ألسنة رسل ( أن آمنوا بي وبرسولي ) يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة ( قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ) مخلصون ( إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم ) مصوب بادكر أو ظرف لقولوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم ( هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ) لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة ، وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة ، وقيل الذى هل يستطيع ربك : أى هل يحيك ، واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب ( قال اتقوا الله ) من أمثال هذا السؤال ( إن كنتم مؤمنين ) بكماله قدرته وصحة نبوته ، أو صدقتم فى ادعاء الإيمان ( قالوا نريد أن نأكل منها ) نهيئ عند وبيان لما دعاهم إلى السؤال ( وتطمئن قلوبنا ) بانضمام هم للشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته ( ونعلم أن قد صدقتنا ) فى ادعاء النبوة وأن الله يجب دعوتنا ( ونصحبون عليها من الشاهدين ) إذا استشهدتنا ، أو من الشاهدين الذين دون السامعين للمعجزة ( قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ) أى يكون يوم نزولها عيدا نسطعه ، وقيل العيد السرور العائد ، ولذلك صلى يوم العيد عيدا ( لأولنا

وآخرنا) بدل من لنا بعبادة العالم ، أى عيداً لتقديسنا ومتأخريننا ( وآية ) عطف على عيداً ( منك ) صحتها ، أى آية كاثرة منك دالة على كمال قدرتك وصحة بوقى ( وارزقنا ) المائدة والتكر عليها ( وأنت خير الرزقين ) أى خير من يرزق لأنه خالق الرزق ( قال الله إني منزلها عليكم ) إجابة إلى سؤالكم ( فمن يكفر بعدكم فإني أعذبه عذاباً ) أى تعذيباً ( لا أعذبه أحداً ) الصمير المصدر أو للعذاب ( من العالمين ) أى عالمي زمانهم أو العالمين مطلقاً ( فاضى يضادى ) .

روى في الأخبار : « ثلاثة أشياء لا تزن عند الله جناح يموسة : أحدها الصلاة بلا خضوع وخشوع . والثاني الذكر بالجملة لأن الله تعالى لا يستجيب دعاء قلب غافل . والثالث الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام من غير حرمة ونية » كذا قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » ( زينة ) . روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا اللهما فتم يطعمكم فصاموا فصاروا فقالوا لو عملنا لأحد قضيتنا لأطعمنا ثم سألوا الله تعالى المائدة فأقبلت لللائكة بمائدة يحملونها ، عليها سعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم . وقال كعب نزلت منكوسة تطير بها اللائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم . وقال قتادة كان عليها تمر من آثمار الجنة . وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء . واختلف في أن عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وإن كان أضاعها إلى نفسه في الظاهر ولكن كلاهما يحتل طلب نزولها ( نسابورى ) قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد وهو قوله تعالى ( فمن يكفر بعدكم فإني أعذبه ) الآية خافوا أن يكفر بعضهم فاستنصوا وقالوا لا نريد هذا فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن ؛ والصحيح الذى عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت ، كما روى أن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس صوفاً وصل ركعتين فطأطأ رأسه وحض بصره ثم دعا بما دعا وأجيب بما أجيب ، وإذا بشفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحنها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم ، فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثقلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ، ثم قال لهم ليقيم أحسكم عملاً بكتفب عنها ويدكر اسم الله عليها ويأكل منها ، فقال سمعون رئيس الخواريين أنت أولى بذلك ، فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف للتدبيل وقال بسم الله خير الرزقين فإذا سمكة مشوية بلا فلول ولا شوك تسيل دماً وعد رأسها ملح وعد ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث ، وإذا حمسة أرغفة على واحد منها ريتون وعلى الثاني حبل وعلى الثالث صمن وعلى الرابع حبن وعلى الخامس قديد ، فقال سمعون يا روح الله أمت طعم الدنيا أم من طعام الآخرة ؟ قال

ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدره العاليه كلوا ما سأتم واشكروا بمدكم الله يوزدكم من فضله فقال الحواريون بروح الله لو أرتنا من هذه الآية آية أخرى ، فقال يا سمعان احبى باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت تعادى مشوية ثم طارت الملائكة ثم عصوا بعدها فاحسوا فرقة وخنازير ، وقيل كانت تأتيمهم أربعين يوماً صبا يجمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار ما كلون حتى إذا طاف الله طارت وهم يعطرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برى ، ولن يمرض أبداً ، ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدة في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك لمسح منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكسافات وما كلون العذرة في الحشوش ، فلما رأى الناس ذلك فرزوا إلى عيسى وبكوا على المسوخين ، فلما أصبحت الخنازير عيسى عليه السلام بكى وجعلت تطيف به عليه السلام وحمل يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فيكون ويشيرون برءوسهم ولا يقدرعون على الكلام فصاخوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

( قصة حجة ) يا أيها الإخوان سألت قوم عيسى من عيسى عليه السلام طعاماً فأولوا غضيباً وموكم رحمة الله ومغفرته ، وإنما سمى المبدعين لأنهم بدعوا في السمرة بين ، ولهذا روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى لللائكة يا ملائكتي إن كل عامل يطلب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم أشهدوا أنى قد عفرت لهم قياتى للنادى يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم فقد بدلت سيئاتكم بالحسنات من فضل الله تعالى » كذا قال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى المصلى وسجدوا لرهبهم يقول الله تعالى يا عبادى لي صمت ولى أقطرت ولى صليت قوموا معورداً لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « اجتهدوا يوم الفطر في الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة وأكثروا التسيح والتلبيل فإنه اليوم الذى يغفر الله فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة والمغفرة » . قال وهب ابن منبه يهزى إبليس في كل عيد ليجمع عنده الأباليس فيقولون يا سيدنا من أغضبك من السماء والأرض حتى تكسره ؟ فيقول لا ولكن الله غفر لعله الأمة في هذا اليوم فليكن أن تشعلوهم بالذات المخطورات وشرب الخمر حتى ينضمهم الله فيعذبهم ( كذا في الزبدة ) وعليك بالصلاة فخرج من أداء ما في الصلاة وتدخل في سرير الجلبة .

## المجلس المشرون : في فضيلة صيام ستة أيام من شوال

سورة الأنعام — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) أى عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى ، وقرأ  
بمقرب عشر بالتثنية وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا ما وعد من الأصناف وقد جاء الوعد بسبعين  
وسبعمائة وبغير حساب ، ولذلك قيل لمراد بالمشرة الكثرة دون العدد ( ومن جاء بالسيئة فلا يعزى  
إلا مثله ) قصة للعبد ( وعم لا يظلمون ) بنفس الثواب وزيادة العقاب ، ( فاصبر يا صابري ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء  
يوم القيامة ومعه نور لم يقم ذلك النور بين الخلق كلمهم لو سمعهم » وقال عليه الصلاة  
والسلام « من صلى على مرة فلا ذنب له ذرة ولا حبة » ( زبدة الواعظين ) . أخرج ( م ) عن  
أبي هريرة وأبي أيوب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صام رمضان ثم أتته ستا  
من شوال كان كصيام الدهر كله » وهو معنى قوله تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها )  
لأن السنة ثلاثمائة وستون يوماً وصوم رمضان ثلاثون يوماً وهو يعدل ثلاثة أيام فبقى ستون  
يوماً فإن صام ستاً من شوال وهى تعدل ستين يوماً فقد كتبت السنة وهو معنى قوله عليه  
الصلاة والسلام « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله » . وحكى عن  
بعض كرامته حذراً من التشبه بأهل الكتاب في زيادتهم على الفرض . وأجيب عنه بأنه  
قد زال التشبه بفصل يوم الفطر ولأن الأول فرض والآخر نافلة ( درة الواعظين ) روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من شوال  
فإن صام تلك الستة كتب الله تعالى له بعد كل خلق من خلقه حسنة ويمحو عنه سيئة  
ويرفع درجاته » ، قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن لبيت مناة عضو على كل عضو  
من أعضائه ألف قم إلا على القلب فإنه موضع المعرفة لمن صام هذه الستة هون الله عليه  
سكرات الموت كشراب الماء البارد للعطشان » ( درة الواعظين ) قبل من حرس شجرة رجاء  
ثمراها يسقيها عند زمانها فعلامه إنسا كما خضرة أوراقها فإذا اخضرت ومضى مدة ثم أصابها  
حر الشمس وجحت أوراقها علم أنها لم تمسك وإذا لم تجف أوراقها بل زادت علم أنها  
تمسك فكذلك حال العبد في رمضان يسارع إلى الصوم والصلاة والخيرات رجاء قبولها بركة  
رمضان فعلامه قبولها أن يكون البعد بعد رمضان على الطاعات والعبادات . ( حياة القلوب )  
وعن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : كنت بمكة ثلاث سنين فكان رجل  
من أهل مكة يهوى إلى البيت الحرام كل يوم عند الظهر ويطوف بالبيت ويصلي ثم يسلم  
على ورجع حتى ألفت به والنبي فرض يوماً ودعاني وقال إذا مت فأغسلني بنفسك وصل على



وإدفعي ولا تتركيني تلك الليلة فريدي في قبري وميت صدقيري ولقي التوحيد حين سؤال مكرو ونكرو  
 خضعت له ، فظاقت ما أمرني به وبنت عند قبره فكنت بين النوم واليقظة إذ سمعت مناديا يسميان  
 لأحاجة له إلى حفظك وتلقيك قلت بماذا ؟ قال بصيام رمضان وإتياعه ستامن شوال فاستيقظت  
 فلم أر أحدا فتوسأت وصليت حتى نمت ثم رأيت ذلك ثلاث مرات عرفت أنه من الرحمن لا من  
 الشيطان الرجيم فاصرغت من عند قبري وأنا أقول اللهم وقتي لصيام رمضان وإتياعه ستامن شوال  
 فوقى الله الكبير للكمال ( بدر الدرد ) ( حق ) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ،  
 أنه قال : الصائم بعد رمضان كالكلاب بعد الفراء أي من غرغ من الصوم ثم رجح إليه بكون كمن  
 هرب من القتال ثم عاد إليه ، ولتراد أن يصوم ستا من شوال ولهذا كان النبي يقول صوم  
 يوم بعد رمضان أحب إليه من صوم الشهر كله ( مشاوي ) عن عبد الوهاب أنه قال  
 السر في مشروعية الصوم في هذه الأيام أن النفس ربما أقبلت بهتها على الشهوات  
 في يوم العيد وحصل لها فيه شيء من النعمة والحجاب فكادت هذه الستة كأنها جواب لما  
 قص من الأداء والخلل في صوم رمضان كالسفن التابعة للفرانس أو السجود للهو ،  
 وكيفيتها أنها متوالية وقد قال بعض العلماء المحققين وزمرة الواسلين الأفضل أن يكون صيام  
 الستة متواليا غير متفرق لأن المتوالي أقرب في جلاء الباطن من للتفرق ولذا قال سيدي علي  
 زاهد ينبغي في صوم هذه الستة ما ينبغي في صوم رمضان بل هي أشد منه لأنها حوابر  
 والكلام في أفضليته فإن فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر حصلت له فضيلة الاتباع ( سط )  
 عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان  
 ثم أتبعه ستا من شوال فخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ( كذا في الترهيب والترهيب ) عن  
 كعب الأحمار أنه قال : مرضت فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاء علي إلى منزلها ، فقال  
 يا فاطمة ما يريد قلبك من حلوات الدنيا ؟ قالت يا علي أشتي رمانا ففكر ساعة لأنه  
 ما كان معه شيء ثم قام وذهب إلى السوق واستعرض هدها واشترى به رمانة فرجع إليها  
 فرأى شخصا مريضا مطروحا على قارعة الطريق فوقف على ؟ فقال له ما يريد قلبك  
 يا شيخ ؟ فقال يا علي لي خمسة أيام هنا وأنا مطروح ومر الناس على ولم يلتفت أحد إلى  
 يريد قلبي رمانا ففكر في نفسه ساعة ، فقال لنفسه اشترت رمانة واحدة لأجل فاطمة  
 لأن أعطيتها لهذا السائل بقيت فاطمة محرومة وإن لم أعطه خالفت قوله تعالى ( وأما  
 السائل فلا تنهر ) والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا تردوا السائل ولو كان على  
 فرس » ففكر الرمانة فاطمة الشيخ لم يزل في ساعته وعوفيت فاطمة رضي الله تعالى عنها  
 وجاء علي وهو مستحي فلما رأته فاطمة رضي الله تعالى عنها قامت إليه وضمت إلى صدرها

قالت أما إنك معصوم فوعزة الله تعالى وحلله إنك لما أطمعت ذلك الشيخ الزمان زاله  
عن قلبه اشتاء الزمان قرح على كلامها فأتى رجل قرح الباب فقال هي من أنت فقال أنا سلمان  
الفارسي اتخ الباب ققام على وفتح الباب ورأى سلمان الفارسي ويده طبقى معطى رأسه بمعدل  
فوضعه بين يديه ، فقال على عن هذا سلمان ، فقال من الله إلى الرسول ومن الرسول إليك فكشف  
الغطاء فإذا فيه تسع رمانات ، فقال يا سلمان لو كان هذا إلى لكان عشرة لقوله تعالى ( من جاء بالحسنة  
فله عشر أمثالها ) مصحك سلمان فأخرج رمانة من كفه فوضعا في الطبق فقال يا على والله كانت عشرة  
ولكن أردت بذلك أن أجربك ( روضة التقين ) والحكمة في تضاعف حسنات هذه الأمة ثلاث أغياء :  
أحدها أنه كان أعمار الأمم الماضية طويلة وطاعتهم كثيرة وأعمار هذه الأمة قصيرة فكانت  
طاعتهم قليلة فضل الله هذه الأمة على الأمم السابقة بتضخيف الأعمال وتخفيف الأوقات  
ولية القدر لتكون طاعتهم أكثر من طاعات الأمم الماضية ، كما روى أن موسى عليه  
السلام قال يارب إني وجدت في التوراة أمة تكتب حسناتهم عشراً وسيئاتهم مثلاً فاجعلهم  
أمتي قال الله تعالى يا موسى تلك أمة عهد نجسي في آخر الزمان . والثاني درجات الجنة  
تستحق بطاعة خالصة من غير تخصيص وطاعة هذه الأمة مع التخصيص فوسع الله تعالى  
أضعافاً من فضله وكرمه ليكون تخصيص طاعة هذه الأمة كاملاً بالأضعاف حتى يعلم  
أنهم ينالون درجات الجنة بالأضعاف . والثالث وضع الأضعاف فإن الغناء يوم القيامة  
يتعلقون بحصونهم فيذهبون بأعمالهم فيبقى لهم الأضعاف فيقول الخصم يارب أعطني من  
أضعافه فيقول الله تعالى إنها ليست من فضله بل هي من رحمتي وأنا لا أقبض منه رحمتي بل  
أعطيتك بعملي ( ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ) ( روضة العلماء ) .

( حكاية ) قال عبدالله بن المبارك : حُببت سنة من السنين فكسبت في حبر إسماعيل  
وعنت فيه . فرأيت في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال إذا رجعت إلى بغداد فادخل في  
هجرة كذا واطلب بهرام الجوسي واقرا عليه من السلام وقل له إن الله تعالى عنك راض  
فاتبعت وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذه رؤيا من الشيطان فحوسأت فطلعت  
بالكعبة ماشاء الله فلبى التوم فرأيت كذلك ثلاث مرات فلما تم الحج رجعت إلى بغداد  
فدخلت تلك الهمة فطلبت دار بهرام الجوسي فوجدت شيخاً كبيراً قلت أنت بهرام الجوسي ؟  
قال نعم أسلفت الناس سلفاً جديداً بين الناس وهذا عندي خير قلت لهذا حرام عند  
محمد عليه الصلاة والسلام ، قلت هل لك خير غير ذلك ؟ قال نعم كان لي أربع بنات  
وأرسة بين فزوجت من أبائى قلت هذا أيضاً حرام ثم قلت هل عندك خير غير ذلك ؟  
قال نعم جعلت وليمة للمحوس وقت تزويج البنات لأبائى قلت هذا أيضاً حرام قلت

هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم كان عندي بنت من أجمل النساء ما وجدت لها كفواً فروحها من نفسي وجعلت وليمة تلك الليلة وكان في تلك الليلة من الجوس أكثر من ألف قلت هذا أيضاً حرام قلت هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم لي ثمن البالي وطئت اسقى على فراشي فجاءت امرأة مسلمة من أهل ديبك لسرج من سراجي فأوقدت اسراج فخرجت وأطفأت السراج ثم دخلت ثانياً وأوقدت السراج وخرجت ثم أطفأته قلت في نفسي لعل هذه جارية العوس فخرجت خلفها فدخلت منزلها فرايت لها أربع بنات فلما دخلت قلن لها يا أماه هل جئت لنا بشيء فإنه لم يسق لنا طاقة وصبر على الجوع ، فقصت عيناها وقالت لمن استحييت من ربي أن أسأل شيئاً من أحد دونه وأطلب حاجة من عند الله تعالى وهو مجوس . قال بهرام فلما سمعت كلامها رجعت إلى داري فأحلت طبقاً وجعلته ملائكة من كل شيء فذهبت به بنفسي إلى دارها وأعطيته إيهاها صرحت . قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه قلت هو هذا الخير ولك النشارة وبشرته بالرؤيا التي رأيتها وقصصت عليه الرؤيا . قال بهرام المجوس : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . غفر من ساعته ومات فلم أبرح حتى غسلته وكفنته وصليت عليه . وكان عبد الله بن المبارك يقول يا عباد الله استعملوا السعادة مع خالق الله تعالى فإنه ينقل الأعناء إلى درجة الأحياء وله لذلك في الأرض والسماء نصر الله لنا بحق أعظم الأسماء وبهرمة معاشير الأنبياء ( زبدة ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بحسنة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بعثتها حتى يلقى الله عز وجل » .

### المجلس الحادي والمثرون : في فضيلة دعاء الجهر والخفية

#### سورة الأعراف — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ) أي دوى تضرع وخفية فإن الإحياء دليل على الإخلاص ( إنه لا يحب المتدينين ) المداورين ما أمروا به في الدعاء وغيره ، فيه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب حالاً يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء ، وقبل هو السباح في الدعاء والإسهاب فيه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم يتحدون في الدعاء وحسب للسر أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل . ثم قرأ — ( إنه لا يحب المتدينين ) » ( قاضي يضاوي ) .

عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستفتح أي يطلب الفتح والظفر على الكعاب من الله تعالى « بسؤالك المهاجرين » أي بقراءتهم يعني

يركة دعائهم بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحرمة عبادك الفقراء المهاجرين ، وهذا يدل على تعظيم الفقراء والرغبة في دعائهم والتبرك بوجودهم ( من حسان الصايح ) وقع في ترعيات الأبرار : « قوام الدنيا بأربعة أشياء : بطم العلماء وعدل الأمراء وبسخاوة الأغنياء وبتطاء الفقراء ، ولولا العلماء لهلك الجهلاء ولولا عدل الأمراء لأكل الناس بعضهم بعضاً كما يأكل الدب النعم ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لحربت السماوات والأرض » ( موعظة ) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث دعوات مستجابة لأشك فيهن : دعوة الوالد لولده ودعوة للسافر ودعوة للظلوم » حتى روى عن النبي عليه الصلاة والسلام : « اتق دعوة للظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب يرضيها الله فوق التهام وفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » يعني لا أصبح حنك ولا أريد دعاءك ولو مضى زمان طويل لأني حليم لأعجل بقوية الساد فللهم يرجعون عن الظلم والتوب إلى إرضاء المحسوم والتوبة ( مجالس ) قيل في فضيلة الدعاء إن منصور بن همار كان يحض الناس مقام سائل فطلب أربعة دراهم ، فقال منصور من يعطيه ما سأله حتى أدعوه أربع دعوات فكان مملوك أسود في طرف السعد وكان سيده يهودياً وكان معه أربعة دراهم جمعها قدام وقال : أيها الشيخ أنا أعطيه أربعة دراهم على شرط أن تدعوني أربع دعوات كما أقول وأريد ، فقال نعم فأعطاه وقال يا شيخ أنا مملوك فادع لي بالعتق ومولاي يهودي فادع له بالإسلام وأنا فقير فادع لي بالفقر حتى يفتني الله من فضله عن خلقه وادع الله لي أن يخفر ذنوبي ، فدعاه فلما رجع رأى مولاه فأخبره بالقصة فاستطاب اليهودي ذلك وقال قد اعتقتك من مالي وإلى الآن كنت مملوك فأنت اليوم مولاي فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قد هاركك في جميع مالي . وأما الحاجة الرابعة أعنى الفخران فهو ليس في يدي وإلا كنت أصغر الجميع فسمع هاتفا يقول من السماء من زاوية البيت قد اعتقتكما من النار وغفرت لكما ولنصور معكما ( رونق المجالس ) قيل الدعاء من أقوى الأسباب في رفع الكروه وحصول الثرام ولكن قد لا يستحق أنه إما لضغنه لنفسه بأن يكون دعاء لا يهيه الله تعالى لما يهمن العدوان ، وإما لضغنه القلب وعدم إقباله على الله تعالى وجميته عليه وقت الدعاء ، وإما لحصول الساع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ودين الذنوب من القلوب واستيلاء النغلة والسهو والهوى كما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ... وأهلوا أن الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب غافل » ( من اللوايح ) قيل أربعة أشياء تزيد في العمر : الأول تزوج الأبيكار ، والثاني النوم على الفبال ، والثالث الاغتسال بالماء الجاري ، والرابع أكل التفاح بالأسحار . ( وحكي ) أنه كان رجل من

الصالحين قد مضى حاله من القوت والثقة وكانت له امرأة قتلت زوجها ادع الله يوسع علينا الدنيا  
فدعا الرجل فدخلت المرأة النار فرأت في الزلوبة ابنة من ذهب فأخذتها ، فقال الرجل أخفق  
كيف عشت فرأى للرجل في النوم أنه دخل الجنة فرأى قصرأ قد تقص بمقدار ابنة قال لمن هذا ؟  
فقال لك فقال أين هذه الابنة ؟ قيل بستانها إليك ، فالتبه الرجل فقال للمرأة هات ابنة فأخذها  
ووضعتها عند رأسه ودعا فقال إلهي قد رددتها إليك فردها الله تعالى إلى موضعها ، وكنا قال  
عليه الصلاة والسلام « ماأخذ أحد لقمة من الدنيا إلا وقد قص الله تعالى حسنة من الآخرة »  
كما قال الله تعالى ( من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه من كان يريد حرث الدنيا نؤثره منها  
وماله في الآخرة من نصيب ) قال عمر رضي الله عنه : « رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
إذا هو مصطمع على حصير وقد أثمر الحسير في جنبه قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع الدنيا عليك  
فإن ملوك فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يبديون الله ، فقال قد ادع الله فإني أهاب  
وهؤلاء قوم عجبت لهم طياتهم في الدنيا » وفي رواية : « أما ترى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة »  
وعن عمرو بن شعيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « خصلتان من  
كانتا في كنبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاتسدى به  
ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه غمد الله تعالى على ما تفضل به عليه كما قال  
الله تعالى ( ولا تحمونا مافضل الله به بضعكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء  
نصيب مما اكتسبن واستلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء علياً ) » . وعن شقيق  
الزاهد رحمه الله عليه أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار  
الفقراء راحة النفس وفراخ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء لعب النفس وشغل القلب  
وحدة الحساب ( كذا في رتبة الراعظين ) .

### الجلس الثاني والعشرون : في بيان الإيمان

سورة الأنفال — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إيماناً للؤمنون ) أي الكامنون في الإيمان ( للذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) فرحت  
بذكره استعظاماً له وتوباً من جلاله ، وقيل هو الرجل يهيم بمعية فيقال له اتق الله فيزج  
عنها خوفاً من عقابه ، وقرئ وجلت بالفتح وهو لغة أي فرحت وخامت ( وإذا تكلم عليهم  
كلمات زادهم إيماناً ) زيادة للؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الدلائل  
أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن  
الحصل داخل فيه ( وعلى ربهم يتوكلون ) يقوضون إليه أمورهم ولا يحشون ولا يرجون إلا إياه  
( الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ) لأنهم حققوا إيمانهم

بأن ضموا إليهم مكارم أعمال القلوب من الحشية والإخلاص والوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي للعباد عليها كالصلاة والصدقة ، وحقا صفة مصدر محذوف أي إيماناً حقاً أو مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً ( لهم درجات عند ربهم ) كرامات وعفو منزلة . وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم ( ومنفرة ) لما فرط منهم ( ورزق كريم ) أعد لهم في الجنة لا يتقطع عدده ولا ينتهي أبداً . ( فاضى يضاهى ) .

عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على في كتاب لم تزل لللائكة تستغفر له ما بقى اسمي في ذلك الكتاب » ( حماد شريف ) عن الحسن البصري أنه قال : رأيت أبا عصمة في المنام قلت ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ربي ، قلت بهم ؟ قال ما ذكرت حديثاً إلا صليت على النبي عليه الصلاة والسلام ( زبدة ) قوله ( إنما ) تفيد الحصر . والمعنى ليس للؤمنين الذين يخالفون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم إذا ذكر الله وحلت قلوبهم ( تفسير الخازن ) قوله ( وجلت قلوبهم ) أي خافت . قال أهل الحق : الخوف على قسمين : خوف العقاب وخوف العصاة وخوف الحية والمظنة وهو خوف الخواص لأنهم يملكون عطية تعالى فيخافون أشد الخوف ، أما العصاة فيخافون عقابه فبالؤمنين إذا ذكر الله وجل قلبه على قدر رحمته في ذكر الله تعالى ( تفسير الخازن ) قوله ( زادهم إيماناً ) للمؤمن أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فزادوا به بذلك إيماناً وتصديقاً لأن زيادة الإيمان بزيادة ذلك على وجهين : الأول هو الذي عليه طاعة أهل العلم على ما حكمه الواحدى أنه قال كلما كانت الدلائل أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول حكمة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد إيمانه . والثاني أنهم يصدقون بكل ما ينزل عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام فكذلك تجد تكاليف صدقوا به فزادوا بذلك الإقرار تصديقاً وإيماناً ( تفسير الخازن ) قوله ( أولئك هم المؤمنون حقاً ) فيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل واحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتفق بمسألة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلقوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً أو أنا مؤمن إن شاء الله أولاً ؟ قال أصحاب الحنفية الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين : الأول أن للتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله تعالى وصحذا القول في القائم والقاعد فصعدك هذه الثلاثة يجب فيها أن يقول للمؤمن أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله . والثاني أن الله تعالى قال

(أولئك هم المؤمنون حقا) قد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله شك  
 فيها قطع الله بذلك لا يجوز (تفسير الحارثي) قوله (وبما رزقناهم ينفقون) عن أنس بن مالك  
 عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها البرص »  
 قوله (لهم درجات) يعني مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تفاوتوا بأحوالهم في الأخذ بتلك  
 الأوصاف المذكورة فهذا تفاوت مراتبهم في الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال . وقال (عط) :  
 درجات الجنة يرقون فيها بأعمالهم (ت) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه  
 قال : « إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام » ، وعن سعيد عن النبي صلى الله تعالى  
 عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداها لم يستغنوا »  
 (حازن) عن أبي الرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أم قال : « ألا أنبئكم بغير أعمالكم  
 وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إيقاق الذهب والفضة وخير لكم  
 من أن تلقوا عدوكم وتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » قالوا بلى يا رسول الله ، قال  
 هو ذكر الله تعالى » (مصاييح) قيل وإنما كان ذكر الله تعالى أرفع من سائر العبادات  
 كلها لأن سائر العبادات وسيلة إلى ذكر الله فكان ذكر الله هو للطلب الأعلى والتصدق  
 الأقصى إلا أنه ينقسم إلى قسمين : أحدهما ذكر باللسان والآخر ذكر بالجان فهو غير ملفوظ  
 باللسان ولا مسموع بالأذان بل هو فكر وملاحظة قلب وهو أعلى مراتب الله كذا جاء في الخبر  
 « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » وهو لا يحصل إلا بتأدب القلب باللسان مع  
 حضور القلب حتى يتمكن الله كذا في قلبه ويحصل الصوف عن غيره (جهالسي روى) روى عن  
 النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان أمي لرجح إيمان  
 أبي بكر » ، وكذلك روى عن أبي هريرة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري قالوا عن النبي  
 عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا  
 يدل على أن الإيمان يريد وينقص وحجتنا أن الإيمان بمسألة عن التصديق لما ذكرنا من  
 الدلائل وهو لا يقل الزيادة والنقصان . وأما قوله تعالى في سورة الفتح « ليزدادوا إيمانا مع  
 إيمانهم » قلنا ذلك في حق الصحابة لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون فيكون  
 تصديقهم قلبا زيادة على الأول أما في حقا فلا لأنه انقطع الوحي ، وأما قوله تعالى (إنما  
 المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قلنا ذلك صفة المؤمنين والمؤمنون في الطاعات  
 متواترون أما في الإيمان فلا ، وأما قوله تعالى (زادتهم إيمانا) فالمراد منه اليقين لا تقس  
 الإيمان ، وأما حديث أبي بكر قلنا كان ترجعا في الثواب لأنه سابق في الإيمان وقد قال  
 عليه الصلاة والسلام : « الدال على الخير كفاعله » وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يخرج  
 (٦ - درة الناصين)

من النار من كان في قلبه شعرة من الإيمان « قلنا روى في سنن الروايات » يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان « فيجب حمله على هذا بما ذكرنا من الدلائل ، ( كذا في بحر الكلام ) وعن الحسن أن رجلا سأله أسؤمن أنت ؟ قال الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله ( إنما المؤمنون ) الآية فوالله لأأدري أنا منهم أم لا ، وعن الثوري من زعم بأنه مؤمن بالله حقاً لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إثم منه يعني كالا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وهذا يعلق من يستثنى في الإيمان ، وكان أبو حنيفة ممن لا يستثنى فيه ، وحكى عنه أنه قال لتأخذهم لتستثنى في إيمانك ؟ قال أباطا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله ( والذي أطعم أن يغفر لي ) فقال له لا اتدبته في قوله : « أولم تؤمن قال بلى » ( كشاف ) واعلم أنهم اختلفوا في جواز الاستثناء في الإيمان فذهب الشافعي وأصحابه إلى الجواز بأن يقول أنا مؤمن إن شاء الله كما مر هذا الاختلاف فيما سبق وتعلقوا بقول الثوري فإنه إذا لم يجز القطع بالإيمان جاز أن يقول وهذا إنما يتم لو كان المراد بالإيمان في الآية مجرد الإيمان وليس كذلك بل المراد بالإيمان الكامل لأن قوله ( إنما المؤمنون الذين ) يفيد الحصر وكذا قوله ( أولئك هم المؤمنون حقا ) كما سبق تخصيصها ولو كان المراد مجرد الإيمان يلزم من انتفاء إحدى الصفات انتفاء الإيمان وليس مراد الحسن من الإيمانين إلا مجرد الإيمان الكامل فقد ظهر أن لا تعلق لسأله الاستثناء بالآية أصلاً ولم يجوز أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء لأنه يوجب الشك في إيمان المؤمن وهو اليقين وقد حمل على التبرك كقوله تعالى ( لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ) والله تعالى منزّه عن الشك ، أو الإيمان في الآل عند الموت ، وحاصل هذا النزاع أن الإيمان لو أريد به التصديق والعمل جاز الاستثناء لجواز الشك في الإيمان بالصلح الصالح والنعك في الجزء مستلزم للشك في الكل ، وإن أريد به مجرد التصديق فإن كان المراد بالاستثناء الشك لم يجز وإن كان المراد غيره جاز فاذن النزاع لفظي ، وقوله أباطا لإبراهيم يعني أن إبراهيم رجا للفرقة ولم يجزم بها ، وهو مشعر بجواز الاستثناء وفيه منع لأن عدم القطع بالفرقة لا يوجب عدم القطع بالإيمان كما مر في كلام الثوري . وأما قوله ( بلى ) فهو جزم بالإيمان ، كذا في حاشية الكشاف عليك بخطها ليس في قولنا انحراف ، عن شقيق التلمذي أنه قال : كان إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى يمشي في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له يا أبا إسحاق قال الله تعالى في كتابه ( ادعوني أستجب لكم ) ونحن مذمومون فاستجاب لنا . قال يا أهل البصرة ماتت لوليتكم في عشرة أشياء كيف يستجاب دعاؤكم : الأول عرقم الله تعالى ولم تؤنوه حقه



والثاني قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه وواقتسموه . والرابع تقولون إنكم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تعملوا بسنته . والخامس ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار وربيت فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن اللوت حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلتم بعبود إخوانكم ولم تنظروا لعيوب أنفسكم . والتاسع أكلتم نعمة ربكم فلم تشكروا له . والعاشر دغتم أموالكم ولم تعتبروا بهم ( حياة القلوب ) .

### المجلس الثالث والعشرون : في بيان ترك أوامر الله تعالى

#### سورة الأنفال — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ) تعطيل القرائن والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالنفل في المنام ( وتخونوا أماناتكم ) فيا بينكم ، وهو مجرم بالسطم على الأول أو منسوب على الجواب بالواو ( وأنتم تعلمون ) أنكم تخونون أو وأنتم عدا تميزون الحسن من القبيح ( واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ) لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو في الغاب أو في عنة من الله ليلوكم فيها فلا يحصنكم حبهم على الحياة كأي لاية ( وأن الله عتده أجر عظيم ) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأبطلوا محكم بما يؤديكم إليه . ( فاضى يضاوى ) .

روى في سبب نزول هذه الآية « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صلح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن النضر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبسط إليهم فقالوا فما ترى هل تنزل على حكم سعد ؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى عشت أني خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أدنو طعاما ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي ؟ فكث سبعة أيام حتى خر مضياً عليه ثم تاب الله عليه وقبل له قد تيب عليك فقل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني بقاء عليه الصلاة والسلام فله يده فقال إن من عام توبتي أن أهب ردائي قومي التي أصمت فيها الذم وأن أخرج من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يهزئك التلث « أي بأن تصدق به . اعلم أن تعطيل السنة الترك لها ، قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنن وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من هدى مضوا عليها بالواحد » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ليأتى على الناس زمان تخلق سنن في كمال يخلق التوب على الأبدان وتحدث البدعة فمن أبغ سنن

يومئذ صار غريباً وبقي وحيداً ومن اتبع بدعة الناس وحدهم حين صاحبوا أو أكثر فقالوا يا رسول الله هل بعدنا أحد أفضل منا ؟ قال بلى ؟ قالوا فبرونك يا رسول الله ؟ قال لا قالوا هل ينزل عليهم الوحي ؟ قال لا قالوا كيف يكونون فيه ؟ قال كالملح في الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح في الماء قالوا كيف يعيشون في ذلك الزمان ؟ قال كالود في الخل قالوا كيف يحفظون دينهم ؟ قال كالبحر في اليد إن وضعه طفيء وإن أسكه وعصره أحرق اليد . فاعتبروا يا أولى الأبصار يقول رسول الله ﷺ للهلك النفاق ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تمسك بسنني عند فساد أمتي لله أجر مائة شهيد » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عشرة مما علمن وحملن من أحوالكم إبراهيم : خمس في الرأس وخمس في الجسد . أما التي في الرأس فالسواك والضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية ، وأما التي في الجسد فالختان والاستحداد وتنظيف الإبط ونقص الأظفار ( ٧ ) ولكل عضو عبادة حتى الختان لقد ذكر قال الله تعالى لأدم عليه الصلاة والسلام : إني عرشت الأمانة عليهن فلم يطعها فهل أنت تأخذها بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت حملها آدم عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى إن حملت فأعييك أجل لبصرك حجابها فإذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحمل لك فأغض حجاب عينيك خوفاً من عقابي وأجل لسانك باباً بصراعين فإذا خشيت أن تتكلم الفصحى فأغلق باب لسانك خوفاً من عقابي وأجل لك أذنين فإذا خشيت أن تسمع الكلام الذي لا يحمل لك استماعه فاحفظ أذنيك من الاستماع وأجل ففركك لبساً فإذا خشيت أن تكشفه فاستر به خوفاً من عقابي وكف يديك عن الحرام ورحلك عن الشيء إلى مالا يحمل لك فإذا ذكر عقابي وهذه الذكورات كلها أمانة الله تعالى ( موعظة ) قال وهب بن منبه : لما ضرب الدرهم والدينار حملهما إبليس عليه اللعنة وقلهما ووضعهما على عينيه وقال الويل لمن أحبكما من حلال والويل لمن الويل لمن أحبهما من حرام . قيل : إن رجلاً جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أرض فسأله عن أرضه فأخبره بسعة أرضه وكثرة النعم فيها فقال عليه الصلاة والسلام له : كيف تظفون ؟ قال إنا نتخذ ألوانا من العظام وماكلها ثم قال تصير إلى ماها ؟ قال إلى ما تعلم يا رسول الله يعني تصير بولا وفائطاً ، فقال عليه الصلاة والسلام كذلك مثل الدنيا صدق من روى ونطق وقال الله تعالى في أسرار الوحي : يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السموات والأرض وسلم صيام أهل السموات والأرض ثم أرى في قلبه مقدار ذرة من حب الدنيا من رياستها وزيبتها لا يجاورني في داري ( موعظة ) قال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتموها فالفرج أمانة والرجل أمانة واليد أمانة واللسان أمانة والسين أمانة والأذن أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له فمرض الله

هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والحيال لقوله تعالى ( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ) قال لحي آخملن هذه بما فيها ؟ قلن وما فيها ؟ قال إن أحسن جوزين وإن عصين عوقبن قلن يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً قلنا ذلك خوفاً وحشية وتعظيماً لربنا أن لا يقمنه لا مخالفة لأمره ( فأبى أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فآثروا ما سبق على ما يخفى » وروى أنه عليه الصلاة والسلام جلس يوماً يحدث أصحابه فبكوا فغضب أسامة بن زيد فقال أشكو إليك يا رسول الله قسوة قلبى لوضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره ثم قال أخرج باعدو الله ، فبكى ثم قال عليه الصلاة والسلام : « جمود العين من قسوة القلب وقسوة القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب من نسيان اللوت ونسيان اللوت من طول الأمل وطول الأمل من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة » روى عن فضيل بن عياض قال : جعل الشركلة في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد ، عليك بتركها تنال الدرجات العليا .

### المجلس الرابع والعشرون

في قوله تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة الآية

سورة التوبة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله ) يجوز أن يراد به الكثير من الأجار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرس على المال والضرب به ، وأن يراد به السلطون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقتراعه بالمرشيين من أهل الكتاب للتخليط ( فبشرهم بمداب أليم ) هو الكي بها ( يوم يحسى عليها في نار جهنم ) أى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها ( فتسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ) لأن جمعهم وإسراكهم كان لطلب الوجاهة بالنسب والنتم بالمطاعم الشهية والملابس البسية ( هذا ما كنزتم ) على إرادة القول ( لأنفسكم ) لمنفعتهم وكان عين مضرتها وسبب تدميرها ( فلدنوا ما كنتم تكنزون ) أى وبال كنزكم أو ما كنزونه . ( فاضى يضاهى ) .

عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج من عندي جبرائيل أتى فأخبرني عن ردى عروجل أنى قال : أى مسلم صلى عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتى عليه عشرأ فأكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإذا صليتم فصلوا على تعظيماً الحديث ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل ما له

يوم القيامة محمداً أقرع » وهي الحجة التي لا شرع رأسها أي تشرط لرأسها من كثرة سمها ولها  
 ثقتان سوداوان فوق عينيها » يطوق ذلك الشجاع طوقاً في عنقه فيملذه عذاباً شديداً ويقول  
 أنا مالك الذي كنزته في الدنيا ولم تؤد زكاته كما قال الله تعالى ( ولا يحسن الدين يجعلون بما آتاهم الله  
 من فضله خوفاً لهم بل هو شرهم فيطوفون ما بهلوا به يوم القيامة ) » (مشكاة) عن أبي هريرة  
 رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته إذا  
 كان يوم القيامة صفحته مفتوح من النار فأحس عليها في نار جهنم تحترق بها سائر تلك الأموال  
 جبهته وجنباه وظهره وكذا برحت أعينته في يوم كان مقداره ألف سنة كما قال الله تعالى ( وإن يوما  
 عند ربك كألف سنة بما تعدون ) حق يقضى بين العباد فيرى سيئه إما إلى الجنة وإما إلى النار »  
 (زبدة الواعظين) يقال إن الله قرن الصلاة بالزكاة في كتابه فقال ( أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة )  
 وجه النظم بينهما أن الصلاة حق الله تعالى والزكاة حق العباد ، فالواجب مراعاتهما بأمر الله تعالى  
 ومرجع جميع العبادات إلى هذين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية وجميع العبادات ينقسم  
 إليهما ، ولما قيل ثلاث آيات نزلت مقرونة ثلاث لا يقبل واحدة منها بغير الأخرى : أولها قوله تعالى  
 ( أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا يقبل منه الصلاة . والثانية قوله تعالى  
 ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه إطاعة الله تعالى . والثالثة  
 قوله تعالى ( أن أشكرن ولو أشكرن ) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لا يقبل منه شكره لله تعالى  
 ( تنبيه الغافلين ) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من منع نفسه عن خمس منع الله  
 عنه خمسا : الأول من منع الزكاة من ماله منع الله حفظ ماله من الآفات . والثاني من منع العشر مما  
 يخرج من الأرض منع الله تعالى البركة من كل كسبه . والثالث من منع الصدقة منع الله تعالى عنه  
 العافية . والرابع من منع الدعاء لنفسه منع الله تعالى عنه الإجابة . والخامس من منع الحضور مع  
 الجماعة منع الله تعالى كمال الإيمان فلا يكون إيمانه كاملاً » (زبدة الواعظين) روى عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال « حسنوا أموالكم بالزكاة وداووا أمراضكم بالصدقة واستقبلوا أنواع  
 البلاء بالدعاء والتضرع » صدق رسول الله فيما قال ، وروى الحسن عن النبي عليه الصلاة والسلام  
 أنه كان يحدث هذا الحديث لأصحابه لم عليه نصراني فسمع هذا الحديث فذهب وأدى زكاته  
 وكان له شريك خرج للتجارة إلى مصر فقال إن كان محمد صادقاً في قوله يظهر صدقه ويصير مالى  
 مع شريكي محسناً وأسلم وأؤمن به ، وإن ظهر كذبه فأخرج عليه بالسيف فأقتله فإذا قد ورد  
 من القافلة مكتوب أن الصوص قد قُتِلوا علينا الطريق وسلبوا أموالنا ولباسنا وكل شيء معنا  
 فسمع النصراني بذلك فاضطرب حاله وقال فيه ما قال فخرج عليه بالسيف بنية القتل فبعد ذلك ورد  
 مكتوب آخر من شريكه أن لا تحزن ولا تهتم أنا كنت في خلف القافلة فوقع عليهم الصوص

وَأَنَا فِي السَّلَامَةِ وَمَعِيَ جَمِيعُ مَا نَاظَرْنَا قَرَأَ النَّصْرَانِيُّ مَكْتُوبَهُ قَالَ إِنَّهُ صَادِقٌ وَنَحْنُ حَقٌّ فَبَجَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْرِضْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَمِنَ وَتَشَرَّفَ بِشَرَفِ الْإِسْلَامِ ( رُوَيْدَةُ الْعُلَمَاءِ ) عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ خُرجَ شَيْءٌ مِنْ جَهَنَّمَ اسْمُهُ حَرِيرٌ مِنْ وَادٍ الْقَرْبِ طَوْلُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَحَرَضُهُ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ ، فَيَقُولُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ إِلَى آيِنٍ تَنْهَبُ بِحَرِيرِي ؟ فَيَقُولُ إِلَى الْمَرْصَاتِ فَيَقُولُ : لِمَنْ تَطْلُبُ ؟ فَيَقُولُ أَطْلُبُ خَمْسَةَ قَرَارٍ الْأَوَّلُ تَارِكُ الصَّلَاةِ وَالثَّانِي مَالِعُ الزَّكَاةِ وَالثَّالِثُ عَاقِ الْوَالِدَيْنِ وَالرَّابِعُ هَارِبُ الْحَرِّ وَالْخَامِسُ التَّكَلُّمُ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ( وَأَنْ لِلسَّاجِدِ لَهُ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) » ( زَيْدَةُ الْوَاعِظِينَ ) وَعَنْ أَبِي الْفَرَجَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِأَن أُدْفَعَ مِنْ فَوْقِ نَصْرٍ فَأَنْكَسِرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَجَالَةِ النَّفْسِ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَعَجَالَةُ النَّفْسِ قَبِيلُ يَارَسُولَ اللَّهِ وَمِنْ النَّفْسِ ؟ قَالَ الْأَغْنِيَاءُ » وَكَلَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ وَالسَّلَامُ « أَطْلَعْتُ عَلَى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطْلَعْتُ عَلَى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْأَغْنِيَاءَ » كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ الْفُقَرَاءَ الْهَاجِرِينَ وَالسَّالِفِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ سِوَايَ وَلَمْ أَرْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ يَدْخُلُهَا مَعَهُمْ إِلَّا عِندَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ مِنَ الْعَشِيرَةِ الْبَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ » وَالْعَشِيرَةُ الْبَشَرَةُ بِالْجَنَّةِ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَحُلِي وَمُطَلَعَةُ وَالزَّيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَسَمِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ وَضَوَّانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَيْلٌ لِلْأَغْنِيَاءِ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُونَ رَبَّنَا ظَلَمْنَاهُ خُفُوفًا الَّتِي فَرَسَتْ عَلَيْهِمْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أُعَذِّبُهُمْ وَلَا أُعْرِبُهُمْ وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ( وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ) » ( وَحِكْمِي ) أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِرَاقِ كَمْ يَجِبُ مِنَ الزَّكَاةِ فِي مِائَةِ دِرْهَمٍ قَالَ أَمَّا عَلَى الْعَوَامِ فَأَمْرُ الصَّرْعِ عَلَى كُلِّ مِائَتَيْنِ خَمْسَةً وَأَمَّا نَحْنُ لِيَجِبَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ جَمِيعُ السَّالِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ( وَأَتَّقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ) وَسُئِلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبِيلُ مَا الْفَرَاغُ ؟ قَالَ عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، قِيلَ وَمَا السَّنَنُ ؟ قَالَ تَرَكْتُ الدُّنْيَا ، قِيلَ وَمَا مَقْدَارُ الزَّكَاةِ ؟ قَالَ بِذَلِكَ الْجَمِيعِ قَبِيلُ أَلَيْسَ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ مِنْ مِائَتَيْنِ دَرَاهِمٍ ؟ قَالَ ذَلِكَ عَلَى الْبِخْلَاءِ قَالَ لَهُ السَّالِلُ مَنْ إِيْمَاكُ فِي هَذَا لِلذَّهَبِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ مَحْدَقِي بِمَجِيعِ مَا لَهُ لِمَجْلِسٍ فِي كِسَاءٍ حَقٌّ جَاءَ جِبْرَائِيلُ بِكِسَاءٍ مِثْلِهِ فَقَالَ لَهُ السَّالِلُ هَلْ لَكَ حِجَّةٌ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ لَمْ يَكُنْ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى ( إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ) الْآيَةُ وَمَنْ بَاعَ مَا لَهُ لِحَبْلِهِ تَسْلِيْمَهُ وَالْأَمْوَالَ اسْمُ طَامٍ . حِكْمِي أَنَّ فَارُونَ بْنَ يَصْهَرَ بْنَ قَاهَتْ بْنَ لَاقِي بْنِ يَسْتَوْبِ

ابن إسحق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ابن عم موسى وكان يقرأ التوراة عن قلبه ولكن يوافق لموسى عليه السلام كما يوافق السامري له وكان حاملا لفرعون ويؤذى موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداريه لقراءته فلما نزلت آية الزكاة صالحة من كل ألف دينار على دينار ومن كل ألف درهم على درهم والحال أن الزكاة عليهم كانت إخراج ربيع لئلا يطمعوا فصارت كالتل فزادها كثيرة فطمعوا من البخل ، ولذا قيل كان يحمل مفاتيح خزائنه ستون جلا لكل خزانة مفتاح لا يزيد للفتاح على أصبع فقال لبني إسرائيل إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فأمر بما شئت فقال اتقوا بغلابة الزانية حتى ترميه بنفسها فجاءوا بها فجعل قارون لها ألف دينار وقال لها قولي إن موسى ومثني وأنا حمل من جمع قارون الناس وكان اليوم يوم عيد لهم فقال قارون لموسى عليه الصلاة والسلام عطفنا وأوجز فوعظ موسى عليه الصلاة والسلام فقال في أثناء كلامه : من سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ومن رنا وهو يحسن رجلاه ، فقال قارون وإن كنت أنت ؟ فقال وإن كنت أنا ، تمام وقال إن بني إسرائيل يزعمون أنك زنت بغلابة فقال ادعها فأحضرت وحلفها موسى عليه الصلاة والسلام فقال باللهي خلقك وخلق البحر وأمر التوراة أن تصدق فتدبركها الله تعالى ووقفها فقالت يا موسى أنت يرى بما يقول ، إن قارون جعل لي ألف دينار على أن أفنك بنفسى وأخلف من الله تعالى أن أقلف رسولك غر موسى ساجداً يكي فقال يارب إن كنت نيك حقا فأعطني فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني جعلت الأرض مسخرة في أمرك فزها ماشئت ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معي فليعتزل عه فاعتزل الناس كلهم إلا رجلين فقال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال ثانياً خذهم فأخذتهم إلى أوساطهم وهم يتضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال ثالثاً خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم وهم يتضرعون إليه وموسى عليه الصلاة والسلام لا يلتفت إليهم لشدة غضبه فقال رابعاً خذهم فانطبقت الأرض عليهم ، فأصبح بنو إسرائيل يتناجوث بينهم فقالوا إنا دعا موسى على قارون ليرث داره وكنوزه ، فسمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله كما قال الله تعالى ( فنسفنا به وبداره الأرض ) فهو يصحرك وينهب كل يوم مقدار قامة رجل حتى إذا بلغ قعر الأرض الأسفل بقي إلى يوم ينفع في الصور ( مشكاة ) قبل كان قارون يخرج في زبنته على بخلة يضاء عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن عينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة حارية يضرب عليهم الحلل والديباج فتكبر على موسى عليه الصلاة والسلام بشكديه ومخالفة أمره فغضب الله به وبداره الأرض ( موعظة ) قال عليه الصلاة والسلام : رأيت ليلة المعراج وراء جبل قاف مدينة مملوءة من

بن آدم فلما راؤنى قالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك يا محمد فأمنوا به وعلمتهم أحكام الشريعة وبعد ذلك سألت منهم من أتم ؟ قالوا يا محمد نحن قوم من بنى إسرائيل فلما مات موسى عليه الصلاة والسلام وقع الاختلاف بين بنى إسرائيل وظهر الفساد فقتلوا فى ساعة واحدة ثلاثة وأربعين نبيا وبعد قتل الأنبياء ظهر ماتا رجل عابد زاهد وأمروا الناس بالمعروف ونهواهم عن المنكر وفى ذلك اليوم قتلهم بنو إسرائيل كلهم فظهر بينهم فساد قوى ونحن خرجنا من بينهم وجئنا إلى ساحل البحر ودعونا الله أن يخلصنا من فسادهم فبينما نحن ندعوا وتضرع إذ تقببت الأرض ووفعنا وكنا تحت الأرض ثمانية عشر شهراً وبعد ذلك خرجنا إلى ذلك المكان وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد وصانا إذا رأى أحدكم وجه محمد عليه الصلاة والسلام نهي آخر الزمان فسلموا عليه منى ، فقالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك لعلنا نعلمهم النهي عليه الصلاة والسلام القرآن والصلاة والصوم وأداء صلاة الجمعة وسائر الأحكام (حماية من يس شريف) .

### المجلس الخامس والعشرون : فى فضيلة رجب

سورة التوبة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن عدة الشهور ) أى مبلغ عددها ( عند الله ) معصوم عدة لأنها مصدر ( اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ) فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر ، وقوله ( يوم خلق السموات والأرض ) متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدراً . والمعنى إن هذا أمر ثابت فى نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة ( منها أربعة حرم ) واحد غرد وهو رجب وثلاثة سرد وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ( ذلك الدين القيم ) أى تحرير الأشهر الأربعة هو الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به ورائة منها فكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويعرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه وأخيه لم يهجه ( فلا تظلموا فيهن ) فى الحرم ( أنفسكم ) أى بهتك حرمتها وارتكاب حرامها ؟ والجهور على أن حرمة للقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بالارتكاب العاصي فيهن فانه أعظم وزراً كارتكابها فى الحرم وحال الإحرام . ومن عطاء أنه لا يعمل للناس أن يغزوا فى الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ، ويؤيد الأول ما روى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن حين فى هوال وذى القعدة ( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ) جميعاً ، وهى مصدر كُف عن التوبة فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ( واعلموا أن الله مع المتقين ) شهادة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم ( فاضى يضاوى ) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : رأيت ليلة العراج نهراً مائلاً أحلى من الصل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك قلت لجبرائيل يا جبرائيل لمن هذا ؟ قال لمن صلى عليك

في رجب. قال عليه الصلاة والسلام أنيوا إلى ربكم واستغفروا من ذنوبكم واجتنبوا المعاصي في الشهر الحرام وهو رجب كما قال الله تعالى ( يستأثرونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ) الآية ، فيه تقديم وتأخير . يعني يستأثرونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز أو لا ( قل قتال فيه كبير ) والمندر فيه أفتح لحرمته عند الله ، كما أن الطاعة مضاعفة فيه ومعها حراماً لتعظيم القتال ثم نسخ تحريم القتال فيهن قول الله تعالى ( واتلوا حيث تفضحون ) والحكمة باقية والذنوب مغفورة والطاعة مقبولة وثوابها مضاعف في الشهر الحرام لأن الحسنة الواحدة في سائر الشهور بشرة أمثالها كما قال الله تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) الآية ، وفي رجب بسبعين وفي شعبان بسبعائة وفي رمضان بألف وليس بإضعاف الحسنة إلا لهذه الأمة خاصة ( خزنة العلماء ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن أردتم الراحة وقت اللوت من العطش والخروج مع الإيعان والنجاة من الشيطان فاحرموا هذه الشهور كلها بكثرة الصيام والتمس على ما سلف من الأئمة واذكروا خالق الأنام قدحوا حنة ربكم بسلام : ( زهرة الرياض )

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : لقيت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقلت له من أين جئت يا معاذ ؟ قال جئت من عند النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلت ما سمعت منه ؟ قال سمعت من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة ، ومن صام يوماً من رجب يتخى به وجه الله دخل الجنة ثم دخلت على رسول الله فقلت يا رسول الله إنك معاذاً أخبرني بكذا وكذا فقال عليه الصلاة والسلام : صدق معاذ : ( زهرة الرياض ) واعلم أن ما سيتلى من القصص الطليعة والكلام الشريف من خاتم النبوة . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبة يوم النحر في حجة الوداع : ألا إن الزمان قد استدار كهيبة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان : والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة . يعني أن الزمان الذي انقسم إلى الشهور والأعوام عاد إلى ما كان عليه ورجعت السنة إلى أصل الحساب الذي اختاره الله تعالى يوم خلق السموات والأرض وعاد الحج إلى ذي الحجة بعد ما كان أهل الجاهلية أزالوه من محله بالنسبة الذي أحدثوه وهو النسبة الذي ذكره الله تعالى في كتابه وقال ( إنما النسبة زيادة في الكفر ) ومعناه تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر فأنهم في الجاهلية كانوا يحظرون الأشهر الحرم وراثة من إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فكانوا يحرمون فيها القتال حتى أحدثوا النسبة فغيروا التحريم لأنهم كانوا أصحاب حروب وفارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون حتى عطيهم ترك المحاربة فيحلبونه ويحرمون مكانه شهراً آخر حتى دفعوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرمون من شهور



العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى ( ليواطئوا عدة ما حرم الله ) أي ليواطئوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها ، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين ، وروى عبادوا في عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر وأربعة عشر شهراً . وروى أنها حدثت ذلك في كثرة لأنهم كانوا اقراء هاريج إلى الفارات . وكان جماعة بن عوف الكندي مطاعا للجاهلية فكان يقوم على جبل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه ثم يقوم على القابل فيقول إن آلتكم قد حرمت عليكم الحلل فحرموه ، جعل النبي زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث مصيبة لزداد كفراً ( فزادتهم رجساً إلى رجسهم ) كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً ( فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ) ( كشاف ) ليتسع لهم الوقت وذلك ورد التنصيص على المدنى القرآن والحديث . أما القرآن لما سبق آخا وهو قوله تعالى ( إن عدة الشهور ) الآية . وأما الحديث فانه عليه الصلاة والسلام بين فيه أن السنة اثنا عشر شهرا وإنما هي أشهر مقدرة بسير الشمس كما يفعل أهل الكتاب وممن هذه الأشهر القمرية أربعة حرم ثلاثة منها متواليات وهي : ذوالقعدة وذو الحجة والحرم واحد فرد وهو شهر رجب ، وإنما أضيف إلى مضر فيها سبق في الحديث لأن قبيلة كانت تزيد في تعطيله واحترامه ولذلك سبب إليهم . وقد كان فيه لأهل الجاهلية أحكام : منها أنهم كانوا يحرمون فيه القتال على ما سبق فكانت تحرمة جارية في ابتداء الاسلام . واختلف العلماء في بقائه ، وذهب الجمهور إلى النسخ ، واستدلوا عليه بأن المعصاة اشتغلوا بها النبي عليه الصلاة والسلام بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد فلم يترك عن واحد منهم أنه توقف عن القتال في شيء من الأشهر الحرم وهذا ينك على إجماعهم على نسخه ، ومنها أنهم كانوا في الجاهلية يذبحون فيه ذبيحة يسونها خيرة . واختلف العلماء في حكمها بعد الاسلام فالأكثر على أن الاسلام أبطلها لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : « لا فرج ولا خيرة » والفرج بفتحين أول ولد تله الناقة فكان أهل الجاهلية يذبحونه لألتهم في الجاهلية ويتركون به . والخيرة ذبيحة كانت تذبح في الشهر الأول من رجب وتسمى رجية وكان يقرب بها أهل الجاهلية في الجاهلية وأهل الاسلام في صدر الاسلام ثم نسخت بحديث « لا فرج ولا خيرة » . وقد روى عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه قال : ليس في الاسلام خيرة وإنما كانت الخيرة في الجاهلية كانت أحدم يصوم رجا ويمتر فيه ويشبه القديح فيه بأخذه موسم عيد . وروى عن طلوس رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « لا تتخذوا شهراً عيداً ولا يوماً عيداً » وأصل هذا أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتخذوا وقتاً من الأوقات عيداً إلا ما جاءت الشريعة بأخذه عيداً . وهو في الأسبوع يوم الجمعة وفي العام يوم الفطر ويوم الأضحي وأيام

التشريق ، وأما ما عدا ذلك فاختاره عبداً وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة الحميدة بل هو من أعياد المشركين وقد كانت لهم أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الاسلام أبطلها الله تعالى وعوض من أعيادهم الزمانية عيد الفطر وعيد النحر وأيام التشريق ، وعن أعيادهم المكانية الكعبة وحرفات ومعنى ومزدلفة يسرنا الله عز وجل ، وليس من غير هذه اللوازم موسم ولا من هذه الأماكن إلا وفيه لله تعالى وظيفة من وظائف طاعته يتقرب بها إليه ولطيفة من لطائف شعاعه يصيب بها من يشاء من عباده بفعله ورحمته ، فالسعيد من اغتم هذه اللوازم والأما كن وتقرب فيها إلى مولاه بما شرع فيها من وظائف الطاعات حتى يصيبه شعة من تلك النفعات ويأمن بها من عذاب النار وما فيها من المصائب . وأما الصوم فيه فقد ورد فيه أحاديث من جعلها ما رواء البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « في الجنة نهر يقال له رجب أشد يابضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاء الله تعالى من ذلك النهر » هذا في صيام بسنه . وأما صيام كله فلم يصح فيه بخصوصه شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه وإنما ورد في صيام الأتسهر الحرم كلها ورجب أحدها فيلزم أن لا ينهى عن صومه . وقد روى عن أبي قلابة رضي الله تعالى عنه أنه قال : في الجنة قصر لصوم ورجب . قال البيهقي إن أبا قلابة رضي الله تعالى عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عن فروقه عن يسمع عن النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم قد روى عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله وكرهه الإمام أحمد أيضاً وقال يخطر منه يوماً أو يومين وحكاه عن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم لكن نزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهراً آخر ، وقد قال للآوردى في الاقتناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فيه فلم يثبت فيها ما يختص به كما ذكرنا تفصيلها فيما سبق ( من مجالس الروي ) وقال ابن الهمام رحمه الله تعالى عليه : ما تردد من العبادات بين الواجب والبعدة يؤتى به احتياطاً وما تردد بين السنة والبعدة يترك لأن ترك البعدة لازم وأداء السنة غير لازم فترك الصلاة بما تردد بين السنة والبعدة فحين تركها ولا يهل لأحد فعلها لا منفرداً ولا جماعة لأن الجماعة فيها بدعة أيضاً ( وهذا من مجالس الروي في موضع آخر ) روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول جمعة لا يبقى ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويجمعون في الكعبة فيظفر الله تعالى إليهم ويقول يا ملائكتي أسألوا ما شتمت فقولوا ربنا حاجتنا أن تفرغن صلوات رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم ، ومن طائفة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال النبي عليه الصلاة والسلام « كل الناس يجيئون يوم القيامة إما الأنبياء وأهل بيته وسائر رجب وشعبان فانه » باع لا حوج لهم ولا عطش ،

( ربيعة الواعظين ) حكى أن امرأة في بيت للقدس كانت عامدة فإذا جاء رجب تحرأ كل يوم ( قل هو الله أحد ) إحدى عشرة مرة تعطيها له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس الثياب البالية فمرضت في رجب وأوصت ابنتها بأن يدفنها في ثياب بالية فتكفها بثياب مرتفعة رياء للناس فمرآها في النوم فقالت يا بني لم تأخذ وصيقي وأنا معك غير راضية فانتبه فرعاً وبش قبرها فلم يجدها في قبرها وتجهرو بكى بكاء عديداً لسمع نداء يقول أما عصت أن من عظم شهرنا رجس لم يترك في القبر فريداً وجبداً ( ربيعة الواعظين ) .

### المجلس السادس والعشرون : في فضيلة السخاء

سورة التوبة : ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكون من الصالحين ) نزلت في ثعلبة ابن حاطب أتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال ادع الله لي أن يرزقني مالا يقال عليه الصلاة والسلام : يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال : والذي مثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فانخذ غنائم ثم كايمنوا الدود حتى ضاقت بها المدينة فزل وأدبا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه النبي عليه الصلاة والسلام فقيل كثرماله حتى لا يسمع مواد فقالة يا وبع ثعلبة ، قم على الصلاة والسلام مصدقين لأخذ الصدقات لاستقبلها الناس بصدقهم ومرا يطعنا فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جرية أو ما هذه إلا أخت الجرية فأرجعا حتى أرى رأيي فنزلت . فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي عليه الصلاة والسلام إن الله منى أن أقبل منك غسل عثر التراب على رأسه فقال هذا حراء عملك قد أمرتك فلم تطعن قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وعلمك في زمن عثمان ( فلما آتاهم من فضله بخلوا به ) ممنوا حق الله منه ( وتولوا ) عن طاعة الله ( وهم معرضون ) وهم قوم عادتهم الإعراض عنها . ( فاضى يعاوى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة رضي الله عنها : يا عائشة لا تنامي حتى تصلي أربعة أشياء حتى تخشى القرآن وحتى تجعل الأنبياء لك شفعا يوم القيامة وحتى تجعل للسليين راضين منك وحتى تجعل حبة وحمرة ، فدخل عليه الصلاة والسلام في الصلاة فبقيت على فراشي حتى أتم الصلاة . فلما أتمها قالت يا رسول الله فذلك أبي وأبي أمرتي بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها . فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إذا قرأت ( قل هو الله أحد ) ثلاثا فكأنك خست القرآن ، وإذا صليت على رجل الأنبياء من قبلي فقد صرنا لك شفعا يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكلمهم

يرضون منك ، وإذا قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حجت واعتمرت ،  
 (تفسير حق) روى عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن  
 حاطب الأنصاري كان ملازماً لمسجد رسول الله ليلاً ونهاراً ، وكانت جيبته كركبة البعير من كثرة  
 السجود على الأرض والحجارة فيوماً من الأيام خرج من المسجد من غير لبس والافتخار بالصيام  
 والصلاة ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام مالك لعمل عمل الثائقين بتحصيل الخروج ؟ فقال  
 يا رسول الله خرجت حيث لي ولا مرأتى ثوباً واحداً وهو الذي علي فأنا أصلي فيه وهي حريانة في  
 البيت ثم أعود إليها فأنزعه وهي تلبسه فتصل فيه طامع الله لي أن يرزقني مالا ، فقال عليه الصلاة  
 والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ، ثم أتاه بعد ذلك ثانياً فقال يا رسول  
 الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟  
 والنبي صلى الله عليه وآله لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال  
 يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بذلك بالحق نيا لئن رزقني الله تعالى مالا لأعطين  
 كل نبي حق حقته فدعا عليه الصلاة والسلام وقال اللهم ليرزق ثعلبة مالا فاتخذ منها فمعت  
 كما ينمو اللود حتى ضاقت بها المدينة فتحنى عنها قتل وادياً من أوديتها وهي تنمو كما  
 ينمو اللود وكان يصلي معه عليه الصلاة والسلام الظهر والعصر ويصلي سائر الصلوات  
 في غتمه ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ، ثم  
 كثرت قباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة وإذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى  
 الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : ما فعل  
 ثعلبة ؟ قالوا يا رسول الله أخذ غتماً ما يسعها واد ، فقال ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقات  
 فبعث رسول الله رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم حتى أتيا ثعلبة فطلبا  
 منه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله الذي فيه القرائن فلم يعطها وقال ما هذه إلا جزية  
 أو أخت الجزية وقال أرجعاً حتى أرى رأيي وأشكر تفكرى ، فلما رجعا إلى النبي عليه  
 الصلاة والسلام قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين ثم أنزل الله تعالى هذه  
 الآية في سورة التوبة وعند عليه الصلاة والسلام رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج  
 حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى أتى النبي عليه  
 الصلاة والسلام وجاءه بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام إن الله مني أن أقبل منك  
 صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض  
 رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فجاء بها إلى أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقال أقبل صدقتي  
 فأبى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وأنا أقبلها علم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافة فقال أقبل صدقتي فقال لم ، قبلها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عثمان رضى الله تعالى عنه فقال أقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكل هذه الضغينة من البخل وحسب المال وترك الزكاة ومن أجل أن خلف الوعد سبب لنفاق جعل خلف الوعد ثلث النفاق وهذا إشارة إلى أن « آية النفاق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤمن خان » ( ابن كمال بلغا وحيات القلوب ) . روى « أنهم سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا يا رسول الله إذا خرجت من الدنيا فظهر الأرض خير لنا أم يطن الأرض ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسعياءكم وأمركم هوى يكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شروركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى ناسككم فبطنها خير لكم من ظهرها » ( موعظة ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « السماء شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بصن منها أدته إلى الجنة ، والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بصن منها أدته إلى النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا عن أنفسكم وعن ممتلكاتكم ولو بشربة ماء فإن لم تصدقوا على ذلك فبآية من كتاب الله فإن لم تطمأئنا شيئا من كتاب الله فادعوا بالمنعة والرحمة فقد وعدكم بالإحابة » ( حياة القلوب ) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من تصدق ببدل نعمة من مصكب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها يمينه ، ثم يريها لصاحبها كإبري أحدكم فلو حق تكون مثل الجبل » والراد بذلك يظلم ذاتها ويبارك فيها ويزيدها من فضله حتى تتحل في الليزان . ومصدق هذا الحديث في سورة البقرة ( يحق الله الربا ) أي يذهب الله بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه الربا ولا يقبل منه فعل الخير ( ويربى الصدقات ) أي يزيدها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الثواب في الآخرة . سؤال : لم جعل ثواب الصدقة أفضل من سائر الأعمال . جواب : لأن إعطاء المال أحد على النفس من سائر الأعمال وكل عمل عبته أكثر فثوابه أكثر لما روى عنه عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال أحزها » كما قال الله تعالى في آل عمران ( لن تتأوا البر ) أي لن يبلغوا حقيقة البر ( حق تنفقوا مما تحبون ) أي حتى تصدقوا من أموالكم التي تحبونها ( وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ) أي الله تعالى يطلع ويجازي عليه . أخرج مع عن حابر رضى الله تعالى عنه أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس توجهوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا ، ويددوا بالأعمال الصالحة قبل أن تثنوا ، وصلوا الذي يسكن بينكم ويكن بكمرة

ذكركم له تعالى ، وأكثروا الصدقة في السر والعالية ترزقوا وتنصروا وتحبوا » ( خادى ) .  
 عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الصدقة تسعين باباً من السوء » الصدقة على أربعة أوجه  
 الواحدة بشر والواحدة بسبعين والواحدة بسبعائة والواحدة بسبعة آلاف . أما الواحدة بشر  
 فهو أن يدفعها إلى الفقراء ، وأما الواحدة بسبعين فهو أن يدفعها إلى دى الرحم ، والواحدة  
 بسبعائة فهو أن يدفعها إلى الإخوان ، وأما الواحدة بسبعة آلاف فهو أن يدفعها إلى طالب العلم  
 ومريد هذا قوله تعالى في سورة البقرة ( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أبتت  
 سبع سنابل في كل سبعة مائة جنتوا لله بضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ) وعن أنس رضى الله  
 تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من كان له مال فليصدق بماله ومن كان له  
 علم فليصدق بعلمه ومن كان له قوة فليصدق بقوته » ( جامع الأرهاار ) وعن أنس رضى الله  
 تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لما خلق الله تعالى الأرض تحركت  
 ومادت خلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فصعبت اللائكة من عدة الجبال فقالوا يارب هل من  
 خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟  
 قال نعم النار فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم الماء فقالوا يارب هل  
 من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من  
 الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة يحميه يحفيها عن فعاله فهو أشد منه » وإنما كانت  
 الصدقة للوصوة أشد من الريح الأشد مما قبله لأن صدقة السر تطفى غضب الرب الذى  
 لا يقابله شيء كما قال الله تعالى ( وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ) وبهذا السبب  
 بالغ السلف في إخفاء صدقهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أسمى لئلا يعلم  
 أحد من المتصدق وبخسهم ربطها في ثوب الفقير فأما وبخسهم ألقاها في طريق الفقير  
 ليأخذها ( موعظة ) حكى أنه وقع القمص في بني إسرائيل فدخل فقير على باب من  
 فقال لصدوقا قطعة خير لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة التي خبزا طرا فمدته إليه  
 وجاء التي الشثوم داره فقطع يد بنته خول الله حله وأذهب ماله واقتصر ومات في حال  
 ذلك وبنته تدور بين الأبواب ساللة وكانت جيلة فجاءت يوماً إلى باب من فخرجت  
 والله التي فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها بيتها فقصمت تزويجها إنها فلما تزوجها زينتها  
 وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها فقال  
 لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجني يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى  
 مرة أخرى فردد عليها مرات فنهف هانف من زاوية البيت أخرجني يدك اليمنى يأمق  
 لقد أعطيت الخبز لأجلك ولا جرم سيطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى باللائام بقدره الله

تعالى وأكلت مع زوجها ( وحكى ) أنه كان في بني إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في ثوبا لتأكلها نادى سائل في الباب لله لقمة فأخرجتها من ثوبا فدفعها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لتحتطب وكان لها ابن صغير معها فلما جاء الدبيب لحمله وذهب فوكت الصبغة فلهبت الأم في أثر الدبيب فبكت الله تعالى جبرائيل فأخرج المسمى من الدبيب فدفعه إلى أمه وقال لها يا أمه الله أرزيت لقمة بقصة ( كذا في تفسير الحق ) .

### المجلس السابع والعشرون : في بيان الرزق

سورة هود - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ) غذاؤها ومعاشها لتكفله إله فضلا ورحمة وإنما آتى بانظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحمل على التوكل فيه ( وبسم مستقرها ومستودعها ) أما كتبها في الحياة والذات والأصلاط والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفصل ومودعها من اللود والتعار حين كانت بعد بالقوة ( كل ) كل واحد من الدواب وأحوالها ( في كتاب مبين ) مذكور في اللوح المحفوظ ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه طالما بالمعلومات كلها ، وبما بعدها بيان كونه قادراً على المعصنات بأسرها تفرراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد . ( فافهم يضاهي ) .

دفع الله عن أعلامه الخلق والحق . وفي الحديث « لا صلاة لمن لم يصل على » قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل على مرتضى عمره . وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيته لم تقبل منه » . قال المدركي السواب أنه من قول أبي جعفر الصادق محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ولا على أهل بيته رأيت أنها لا تتم (شفاء شريف) قال الشيخ الأستاذ الإمام أحمد . إنه عليه الصلاة والسلام تزوج بأمرأة وزفها إلى بيته وعمل وليلته وجمع أصحابه في داره ، وكان الطعام قليلاً ، وكانوا يلحسونه لكونه ماثماً من قلة الدقيق فيتحدث كل واحد منهم شيئاً والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلى ، فلما فرغ قال فبم أتم تحدثون ؟ قالوا في باب الرزق ، فقال عليه الصلاة والسلام ألا أحدثكم بحديث حدثني به جبرائيل ؟ فقالوا يا رسول الله نعم قال عليه الصلاة والسلام : حدثني جبرائيل أن أخى سليمان كان يصل على شاطئ البحر فرأى نعمة تسير وفي ثوبا ورقة خضراء فصاحت على شاطئ البحر فخرج ضفدع وحملها على ظهره وغطس بها ، ثم بعد ساعة علت النعمة فوق الماء وحادت فقال سليمان أخبرني بالقصة ، فقالت في أسفل هذا البحر صخرة صماء وفي وسطها دودة قد جعل الله رزقها إلى فكل يوم أحمل ماروقها

الله تعالى إليها مرتين وحلق في في هذا البحر ملكا على صورة خفدع فيحملني فيفوس في البحر حتى يضي على تلك الصخرة فتشقي حتى تخرج تلك المودة منها فأطعمها بما يكون معي ثم تحملني الخفدع إلى رأس الماء ، فكلما أكلت المودة رزقها قالت سبحان الذي خلقني وفي البحر صيرني ولم ينسني بالرق أفيدى أمة محمد من الرحمة ٩ ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) ( روى المجالس ) اعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المخلوقات وما خصت به من اللغات . وفي الآية مسائل : المسئلة الأولى قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان لأن الدابة اسم مأخوذ من الديب ، وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلقت على كل حيوان ذي روح مذكرا كان أو مؤنثا إلا أنه بحسب حرف العرب اختص بالتمس والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية للوضع الأسلي القوي فيدخل فيه جميع الحيوانات وهذا متفق عليه بين المفسرين ، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والحيال والله يهيئها دون غيره والله تعالى عالم بكيفية طالعها وأعضائها وأحوالها وأهليتها وموعها ومساكنها وما يواقعها وما يحالفها ، وهو الدبر لأطباق السموات والأرض ( من التفسير الكبير ) وتحرير السؤال أن الرزق تفضل من الله . وكلمة على الوجوب فيتأنيان . والجواب أنه تفضل في الرتبة الأولى ، ثم لما ضمن وتمكفل به صار واجبا . في الرتبة الثانية فلا منافاة كما في منور العباد . فإن الصوم مثلا كان تبرعا فإذا نذرته كان واجبا وقال الإمام : الرزق واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان ، ومعناه أن الرزق باق على تفضله لكن لما وعد به وهو لا يخل بما وعد صور بصورة الوجوب فتأنيان : إحداهما التحقق لوصوله . والثانية حمل العباد فيه على التوكل عليه ( حاشية الكشف ) روى أن الإمام الزاهدي أراد أن يتقن يقينا في الرزق فخرج إلى بركة وقصد جبلا ثم دخل غاراً وقصد في زاوية النار قال وكنت أنظر كيف يرزق هناري فضلت قاذلة من طريقها ، فجاء الطير عليهم فطلبوا أكتانا يدخلونها فدخلوا الغار الذي هو فيه فراءوه ، فقالوا يا عبد الله فلم يجبه فقالوا رجما وجد البرد فلم يقدر على الكلام فأوقدوا نارا فحرقوه حتى دثوه وكلموه فلم يجبه فقالوا رجما جامع الفقير قدموا إليه سفرة فأشاروا إليه فلم يتناول منها شيئا ، قالوا هذا من مدة مديدة لم يجد شيئا فأطبقوا له لبنا حاراً حتى يأكله فعملوا فالودجا من السكر وقدموه إليه ، فلم يتنعمت إليه ، فقالوا قد اشتبكت أسنانه ، فقام من جلهم رجلان وأخذنا سكيناً ليفتحا له ففتحاه وطرحا اللقمة في له فضحك فقال له أنت مجنون ؟ فقال لا ولكن أردت أن أجربهم في رزقي ففعلت أنه يرزقني ويمزق عيده حيث كان وأين كان وكيف كان ( روى المجالس ) .



( حكاية ) حكى أن إبراهيم بن آدم كان سبب توبته أنه كان يوماً من الأيام قد خرج إلى الصيد فزله منزلاً وبسط السفرة لياً كل الطعام ، فبينما هو كذلك إذ جاء غراب وأخذ منها قطعة خبز بمنقاره وطار فتعجب من ذلك فركب فرسه وذهب خلف الغراب حتى صعد الغراب الجبل وغاب عن عينه فصعد إبراهيم بن آدم الجبل لطلبه فرأى من بيد ذلك الغراب فلما دعا إبراهيم طار الغراب ورأى رجلاً ممدود اليد والرجل مضطجعا على قفاه ، فلما رأى إبراهيم ذلك الرجل على هذه الحالة نزل عن فرسه وحل عقده فسأله عن حاله وقصته ، فقال الرجل إنه كنت تاجراً فأخذني قطاع الطريق وأخذوا بما كان معي من المال وما تملكون ولكن شدوني وطرحوني في هذا الموضع سبعة أيام فصار كل يوم يحىء الغراب بالخبر ويجلس على صدرى ويكسر الخبز بمنقاره ورضعه في فمى وما تركنى الله تعالى جائعاً في تلك الأيام ، فركب إبراهيم وأردفه خلفه وجاء به إلى الموضع الذى نزل فيه ، وقاب إبراهيم بن آدم وزرع ثيابه للفاخرة ولبس الصوف وأعتق عبده ووقف عقاره وأملأه وأخذ يده عصا وتوجه إلى مكة بلا زاد ولا راحة وتوكل على الله تعالى ولم يهتم بالزاد فلم يبق جائعاً حتى دخل السكبة وشكر الله تعالى ( حديث أربعين ) . قال حاتم الأصم : التوكل على أروسة أوحه : توكل على الخلق ، وتوكل على المال ، وتوكل على النفس ، وتوكل على الرب ؛ فالتوكل على الخلق يقول مادام فلان فلا هم لى . والتوكل على المال يقول مادام مالى كثيراً فلا يضرنى شئ . والتوكل على النفس يقول مادام حسدى صحيحاً فلا ينقص منى شئ . وهذه الثلاثة توكل الجاهلين . والتوكل على الرب يقول لا أبالى أصبحت غنياً أم فقيراً فإن معى ربي يمكنى كيف شاء ( حديث أربعين ) قال الله تعالى ( كلوا من رزق ربكم واشكروا له ) وحقيقة الشكر أن لاتستعين بنعمة الله على بصيئته وأن تستعمل كل عضو فيها خلقه من الطاعات ، فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات لتبقى عنك أبواب جهنم السبعة ذات البركات فإذا استعملتها فيها خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغة القلب بالإخلاص فتحت لك أبواب الجنة الثمانية ( شرح للصايغ ) . وإذا طعت أن من توكل على الله لا يئلى جائعاً ورزق كل حيوان على الله تعالى كما ورد النص في كتابه العزيز فاعلم مستغنى عليك من الأحاديث الواردة من خاتم النبوة في جواز السؤال وعدمه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم : « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » رواه ابن عمر ؛ والراء بعدئها يوم القيامة في وجه السائل ما يلحقه في الآخرة من القضيعة والخوان لأن السؤال حرام في الأصل ولا يباح إلا عند الضرورة وإنما كان الأصل فيه الحرمة لأنه لا ينفك عن عدة أمور : الأول إظهار الشكوى من الله ، فكما أن

العبد للملوك إذا كان سؤاله شيئاً على مولاه فكذلك سؤال العبد يكون شيئاً على الله تعالى وهذا يقتضى أن يحرم السؤال ولا يحل إلا عند الضرورة كالا يحل أكل الميتة إلا عند الضرورة . والثاني إبطال نفسه لغير الله ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى . والثالث إبداء الشك منه غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبدل ويستحي أن يرى المنع في صورة البخله في ذلك نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وبكل منهما يحصل الأذى وهو حرام لا يحل إلا عند الضرورة ؛ ثم إنه إن بطل لا يدل له إلا حياء أو رياء فيحرم على الآخذ أخذه . إذا فهمت هذه المحظورات فهمت قوله عليه الصلاة والسلام « السؤال من القواحي وما أحل من القواحي غيره » . فانظر كيف سماه قاحشة ، ولا خفاء أن القاحشة لا يباح إلا عند الضرورة . واختلف العلماء في أي وقت يحل السؤال ؟ قال بعضهم من وجد غداء يومه وعشاء ليلته لا يحل له السؤال . وقال بعضهم من قدر على الكسب ليس له أن يسأل إلا إذا استغرق أوقاته لطلب العلم . وقال بعضهم ليس لنا وسع القادر بل نستدركه ذلك بالتوقيف . وقد ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « استصوا بنى الله تعالى ، قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال عداة يوم وعشاء ليلة » . وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الشعب قد سأل إلحاقاً » . وفي لفظ آخر « أربعون » ، واختلاف الروايات في التقديرات يلزم أن يحمل على أحوال مختلفة ، لما يحتاج إليه السائل في الحال من طعام يومه وليلته ولناس يلبسه وماوى بيته فيه فلا شك فيه . وأما سؤاله للمستقبل فلا لأن فيه ثلاث أحوال : إحداهما ما يحتاج إليه غداً . والثانية ما يحتاج إليه بعد أربعين يوماً أو خمسين يوماً . والثالثة ما يحتاج إليه بعد السنة فنقطع أن من معه ما يكفيه ويكفي عياله سنة فسؤاله حرام لأن ذلك غاية النقص ، فإن كان يحتاج إليه قبل السنة لكن يتقدم على السؤال في ذلك الوقت ولا يعوته فرصة السؤال لا يحل له السؤال لأنه مستغن عن السؤال في الحال ، وربما لا يمشى إلى الند فيكون قد سأل ما لا يحتاج إذا وجد معه ما يكفيه من غداء يومه وعشاء ليلته وإن كان يعوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر السؤال يباح له السؤال ، لأن البقاء إلى السنة غير بعيد وهو تأخير السؤال يخاف أن يقع مضطراً عاجزاً عما يفنيه وتراخي لئلا يحتاج فيها إلى السؤال لا قبل الضبط وهو منوط باجتهاده ونظيره لنفسه فيستغنى قلبه ويصل به ولا يصغى إلى تخويف الشيطان لأنه بعد الفقر ويأمر بالفضضاء التي أيسرت للضرورة ، فإن من هيز عن الكسب واشتد جوعه وخاف على نفسه يلزمه السؤال لأن السؤال نوع اكتساب لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « السؤال آخر الكسب » ، فإن ترك السؤال في تلك الحالة حتى مات يأثم لأنه ألقى نفسه إلى الهلكة إذا كان السؤال يوصله إلى ما يقوم به نفسه فالسؤال في تلك الحالة كالكسب ولا ذل في السؤال في تلك الحالة وإنما الذل إذا

سأل من غير حاجة فإن من ملك قوت يومه لا يحل له السؤال لأنه يذلل نفسه من غير ضرورة وهو مخالف للحديث السابق ( من مجالس الروى ملخصاً ) .

### المجلس الثامن والعشرون : فى بيان ذم إعانة الظالم

سورة هود - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ولا تركبوا إلى الذين ظلموا ) ولا تعينوا إليهم بأذى ميل لأن الركون هو الميل اليسير كالترنابهم وتعظيم ذكرهم ( فتمسك النار ) بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وحدثهم ما يسمى ظالماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين : أى اللوسومين بالظلم ثم بالميل كل الميل ثم بالظلم نفسه والاهتمام فيه ، ولعل الآية أبلغ ما يتصور فى التمسك عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها لتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي الإفراط والتعريط ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم فى نفسه ، وقرئ تركبوا بكسر التاء على لغة تعيم وتركبوا على البناء للمفعول من أركبه ( وما لكم من دون الله من أولياء ) من أنصار يمتعون العذاب عنكم ، والواو للحال ( ثم لا تصرون ) أى ثم لا ينصركم الله إذ سبق فى حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستتماد نصره إليهم ، وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوحى لهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة القاء بمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله تعالى يعذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أتبع ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً . ( قاضى مضامى ) .

من أبى طلحة رضى الله عنه « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه فقالوا يا رسول الله إنا نرى السرور فى وجهك فقال إنه أمانى لذلك فقال يا محمد أما برضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يسئ عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قال قلت بلى » رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . وروى أن ظالماً من الظلمة قصد أن يزور ظالماً زاهداً فلما قرب الظالم ستر الزاهد وجهه فاستعذر ابنه وقال إن والذى مرض مرضاً شديداً فستر وجهه لذلك ، فقال الشيخ الزاهد له ليس لى مرض ولا وجع ولكن أردت أن لا أنظر وجهك فرجع الظالم تائباً مستغفراً فغفر الله تعالى لها أما الشيخ فلم يمد نظره إلى وجه الظالم وأما الظالم فلتوجه من ظلمه هكذا صحت من استلذى عليه رحمة الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يسمى الله فى أرضه » . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى بركة هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا قبل له يموت فقال دعه يموت ( كذا فى الرحية ) وعن ميمون بن مهران أنه قال : فى صحبة السلطان خطر إن أعطته خاطرت بدينك ، وإن عصيته خاطرت بنفسك والسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك ( تنبيه الناقلين ) .

( حكي ) أن ظالماً كان يظلم ضعيفاً أعواماً فلما طال ظلمه قال المظلوم للظالم يوماً إن ظالك على قد طاب بأربعة أشياء : هي أن الموت يسمننا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والدين يحكم بيننا ( من أخلص الخامسة ) وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من سن سنة حسنة » يعني في الإسلام وهو مقتدى به في هذه السنة « فلما أجرها وأجر من عمل بها » يعني أن كل من أتى بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » وهو مقتدى به في هذه السنة « فطيه وزرها ووزر من عمل بها » يعني أن كل من أتى بهذه السنة السنية يكتب عليه وزرها ووزر من عمل بها ( من أحاديث البخاري ومسلم ) . عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « مثل النبي عليه الصلاة والسلام عن أحب المباد إلى الله تعالى فقال أنفع الناس للناس ، وعن أفضل الأعمال قال إدخال السرور على قلب المؤمن بطرد عنه جوعاً أو يكشف عنه كرباً أو يقضي له ديناً ، ومن مشى مع مسلم في حاجة له كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يمينه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام ، ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السوء يغسد الإيمان كما يغسد الخيل السل » فلم من هذا الحديث أن أحب المباد إلى الله تعالى من ينفع الناس وأن أفضل الأعمال إدخال السرور على قلب المؤمن بأن يدفع عنه الجوع أو يكشف عنه الكرب أو يقضي دينه ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة له كان كصيام شهر مع اعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يمينه ثبت الله قدميه على الصراط كما مر آنفاً ويؤيده ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أمان مظلوماً حزينا مطروحاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة واحدة منها إصلاح أمره في الدنيا واتنتان وسبعون درجة في الآخرة » . وعنه أيضاً أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أصبح لا ينوي الظلم على أحد غفر له ما جنى ، ومن أصبح ينوي نصرة المظلوم ونصاء حاجة المسلم كانت له كأجر حبة مبرورة » . وكذا روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من فرج عتق مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » وكذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أمان مظلوماً أمانه الله يوم القيامة في الجواز على الصراط وأدخله الجنة ، ومن رأى مظلوماً فاستنث به فلم ينثه ضرب في القبر بمائة سوط من النار » ( مجالس البصري ) وجاء في الآثار : يتنادى الشاذلي يوم القيامة اتقوا هرعون فيؤتى به على رأسه فلدسوة من النار لايسأ قبيحاً من قطران راكباً على خنزير ثم ينادي أبا الجبارون المتكبرون ! فيؤتى بهم ويطلق بهم إلى النار وإمامهم فرعون ، ثم ينادي ابن قايل فيؤتى به كذلك ثم ينادي ابن الحاسدوز أصمهم إليه ! فانه إمامهم إلى

النار ، ثم ينادى أين كعب بن الأشرف فدرئيس علماء اليهود ؟ كما جاء في الخبر « لو آمن لآمن جميع اليهود » فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين كذبوا الحق والعلم ليسوفونهم معه إلى النار فهو إمامهم ، ثم ينادى أين أبو جهل فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين الذين كذبوا على الله ورسوله فيكون إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين الوليد بن النبرة ؟ فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين المستهزلون بفقرهم للمسلمين فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين أجدع قوم لوط الذي رسم اللواط ليؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين يلوطنون ؟ فيؤتى بهم فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين امرؤ القيس ؟ فيؤتى به كذلك ثم يجمع الشعراء الذين كذبوا فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين مسيلة الكذاب ؟ فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الذين كذبوا الكتاب فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين زبليس عليه اللعنة ؟ فيؤتى به كذلك ثم يقول يا حاكم العدل ادفع لي جندى ومؤذنى وقرآن ومصاحفى ووررائى وقهائى وخزائى ونجارى وطباى وحواشى ، فيقال يا ملعون يا مدحور من جندك ؟ فيقول هم الذين أصابهم الحرص ومؤذنى المحامون وقرائى للفتون ومصاحفى الوائم والستوشم وقهائى الذين يستهزئون بأصحاب السائب وبأكلون الطيات وخزائى الذين يحضرون خوان السكر ويمنعون الزكاة ونجارى بائعو البربط وطباى الذين يضربون الطبوك والنف وحواشى الذين يفسون الكروم لأجل الكر . فتخرج حية طول عنقها مسيرة سبعين عاماً فتجمعهم فتطردهم إلى النار ، ثم يدعى الخلق إلى الحساب فيقول الله تعالى يا جبريل أول من يدخل حتى محمد عليه الصلاة والسلام فيوضع على رأسه تاج من نور ويطس حريراً أخضر ويحمل بين يديه سبعون ألف علم ، فيحصل لواء الحمد ثم ينادى أين الذين كانوا يختارون الفقر ويرون الفقراء وكانوا على طريق محمد عليه الصلاة والسلام واتبعوا السنة فيقال انطلقوا مع نبيكم إلى الجنة ، ثم يؤتى بأدم عليه السلام وعلى رأسه تاج من نور وبين يديه ثمانية آلاف علم فيقال أين الذين حبوا واعتصموا ؟ فأدم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى إبراهيم عليه السلام كذلك بين يديه عشرون ألف علم ثم يقال أين الذين يحبون الأضياف ويرون الغرباء ؟ إبراهيم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى يوسف عليه السلام كذلك بين يديه عشرة آلاف علم ، ثم يقال أين الذين تركوا أهواء أنفسهم حين قدروا فيوسف عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى يعقوب عليه السلام كذلك ، ثم يقال أين الذين يحسنون إلى جيرانهم فيحبوب عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتى موسى عليه السلام ثم ينادى أين الذين قالوا الحق لوجه الله تعالى لموسى عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى هارون عليه السلام ثم يقال أين الذين عدلوا في خلافتهم فهارون عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى أيوب عليه السلام ثم يقال أين الذين صبروا في أمراضهم وبلائهم فأيوب عليه السلام إمامهم إلى الجنة ؟

ثم يؤتى بأبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى رأسه تاج من نور لا يسا من سندس وإستبرق فينادى مناد أين الصديقون فأبو بكر إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بعمر رضي الله عنه ثم يقال أين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فصر إمامهم إلى الجنة ثم يؤتى بثمان رضي الله عنه وعليه لباس الحياء ثم يقال أين الذين تركوا المعاصي حياء من الله تعالى فثمان إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى جلي رضي الله عنه ثم يقال أين النارون في سبيل الله فجلي إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بالحسن والحسين رضي الله عنهما ثم يقول أين المظلومون ولتقتلون في طاعة الله فها إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بمعاذ بن جبل رضي الله عنه ثم يقال أين الفقهاء فهو إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بلال الحبشي رضي الله عنه ثم يقال أين المؤذنون فهو إمامهم إلى الجنة ؟ ( تفسير التيسير ) وفي الحديث : « من أدنى مؤمناً قد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى فليقبوا مقعده من النار » يعني يدل مكانه من الجنة إلى النار ، وإذا كان يوم القيامة يعلق للظالم بالظالم والحكم بالحكم ويقول بيني وبينك العادل في حكمه يعلم الظالمون ماذا يفعل بهم حين يؤخذ من حسناتهم وتندفع إلى مظلومهم ( كذا في زبدة الواعظين ) .

( حكي ) عن بلال رضي الله عنه أنه قال « كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في صلاة أبي بكر الصديق بمكة فصرع الباب فخرجت فإذا رجل نصراني يقول هل هنا محمد بن عبد الله ؟ فقال يا محمد تزعم أنك رسول الله ، فإن كنت كذلك حقاً فأنصرني على من ظلمني ، قال عليه الصلاة والسلام من ظلمك ؟ قال أبو جهل بن هشام أخذ مالي فقام عليه الصلاة والسلام وذلك عند المحارة ، قال بلال قلنا يا رسول الله إنه الآن في القيولة فيشقى عليه ذلك ونحاف أن يلضب عليك ومؤذيك فلم يسمع كلامنا فذهب إلى أبي جهل وقرع عليه الباب منضجاً فخرج أبو جهل بالضب فإذا هو رسول الله قائماً فقال ادخل هلا أرسلت إلى قاتيك فقال عليه الصلاة والسلام أخذت مال هذا النصراني رد عليه ماله فقال أبو جهل ألمسدا جئت ؟ فلو بشت إلى أحداً لرددته عليه فقال عليه الصلاة والسلام لا تطول ولكن ادفع ماله إليه فقال لعامله أخرج جميع ما أخذته منه وردده عليه وقال عليه الصلاة والسلام يا رجل هل وصل إليك مالك ؟ فقال لم إلا سنة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام لأبي جهل أخرجها فطلبها في بيته فلم يجدها فدفع أبو جهل إليه بدلاً خيراً منها فقالت امرأة أبي جهل والله لقد تواضعت ليتيم أبي طالب كل التواضع والتذلل فقال أبو جهل لو رأيت ما رأيت لم تقولي هكذا قالت ما رأيت ؟ قال لا تخشيني بل قومي رأيت على منكبيه أصدى كلاً هممت أن أقول لا أدفع كانا بخير مني فذلك تواضعت قال بلال فلما رأى النصراني ما رأى من أبي جهل قال يا محمد إنك رسول الله وديك حق فأسلم وحسن إسلامه بركة إعانة للظالم » ( زبدة الواعظين ) .

## المجلس التاسع والعشرون : في بيان أحوال الناس يوم القيامة

سورة إبراهيم — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وأنذر الناس ) يا محمد ( يوم يأتيهم العذاب ) يعني يوم القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام هذابهم وهو مفعول ثان لأنذر ( فيقول الذين ظلموا ) بالشر والفساد والتكذيب ( ربنا أخرنا إلى أجل قريب ) أخر العذاب عنا ورددنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجلنا وأبقنا مقبل ما تؤمن بك ونجيب دعوتك ( نجيب دعوتك وتفتح الرسل ) جواب للأمر ونظيره « لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » ( أو لم تكونوا اتسمتم من قبل ما لكم من زوال ) على إرادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على الطائفة دون الحكاية . ولغنى اتسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت ( وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ) بالكفر والمعاصي كعادهم ومجود ( وتبين لكم كيف فعلنا بهم ) بما شاهدون في منازلهم من آثار ما تركهم وما توارث صدكم من أخبارهم ( وضررنا لكم الأمثال ) من أحوالهم : أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في القراية كالأمثال للضرورة . ( قاضي يضاوي ) .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ومن صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ، ومن صلى على عشراً صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه برأتين برائة من النار وبراءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء » ( حياة القلوب ) روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان وصنف معشاة على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يحشون على وجوههم ؟ قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يحشهم على وجوههم ، أما إنهم يمشون على وجوههم من كل حذب وشوك » رواه الترمذي . وأما المشاة فالملذون من المؤمنين ، وأما الركبان فالمشوقون الساقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأما المشاة على وجوههم فهم الكفار ، وقد جعل أن يكونوا ثلاثة أصناف : صنف من المسلمين وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما التكبر المتعبر للشر الذي لا يقبل للوعظة فهو لاء يحشرون على وجوههم وأباعرهم يحشون الحديث . قوله عليه السلام : « راضين راضين » فيما سيأتي هوام المؤمنين الذين خلطوا هملاً صالحاً وآخر سيئاً لهم أصحاب العصية وهم الصنف الأول ، والصنف الثاني الركبان للسرعون إلى ما أعد لهم في الجنان وهم الذين اجتنبوا الشبهات لطيم الساقون ( ابن ملك ) اتفقوا على رواية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه « يحشر الناس على ثلاث طرائق راضين وراضين واثنان على جبر وثلاثة على بسير

وأربعة على بصير وعشرة على بصير . وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل السكابة والتخيل  
لن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأهد سرعة وأكثر سبابة . فان قلت ركوب الاثنين  
وأخواته بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلت بطريق الاعتقاب لكن الأول أن يحمل على وجه  
الاجتماع لأن في الاعتقاب لا يكون الاثنان ولا الثلاثة على بصير واحد حقيقة . وإنما اتصم على  
ذكر الحرة إشارة إلى أنها غاية عدد الراكبين على بصير وذلك البصير لتحمل عشرة من بدائع  
فطرة الله تعالى كنفقة صالح حيث قويت على ما لا يتولى عليه غيرها من النوى وإنما لم يذكر الحرة  
والسنة وصبرها إلى الشدة للإيجاز ولم يذكر أيضاً في السابقين من ضرر منهم بركوب بصير لأن  
المراد من الناس غير الخواص ، ولعل ذلك يكون مرتبة الأبياء والأولياء وتحشر بقبيهم النار  
وهم الفرقة الثالثة تخيل معهم حيث قالوا من القيولة وهي اليوم في الظهر وثبت معهم  
حيث بانوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا . يعني أن النار تلازم هذه  
الفرقة في جميع أحوالهم وهم الكفار . قال بعض السراخ هذا الحشر يكون قبل القيامة أحياء  
إلى الشام بقرينة قيلوتهم وبنوتهم لأن هذه الأحوال إنما تكون في الدنيا ولأن الناس يشتركون  
من القور حاة عبر موصوفين بالركوب والتعاقب . وهذا آخر أشراف الساعة كما حاد في حديث  
آخر « وآخر ذلك نار تخرج من قبر عدن تطرد الناس إلى محشرهم » . وقال بعضهم يكون  
بعد البعث لأن الحشر إذا ذكر مطلقاً يصرف إلى ما بعد الموت وهو المختار للإمام التورثي  
لما روى عن أبي هريرة من الحديث المتقدم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف » إلى  
آخر الحديث . وأما الظالم فمن أبي هريرة روى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى  
عن ربه تعالى أنه قال « يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي وعلى عبادي ألا تظلموا » رواه  
مسلم والترمذي . فمعنى هذا الحديث أنى نهيت وتعاليت عن الظلم ، وعن جابر رضى الله تعالى  
عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح  
فان الشح أهلكت من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . قال  
القاضي عياض : وهو على ظاهره فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدى يوم القيامة سبيلا  
حيث يسمى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ، ويحتمل أن الظلمات ههنا الشدائد ، وقوله  
« فان الشح أهلكت من كان قبلكم » يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر به في الدنيا  
وفي الآخرة . وقال جماعة : الشح البخل ، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما  
عنده ، وعن أبي هريرة روى الله تعالى عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من كانت عنده  
مظلة لأخيه من عرض أو من شيء آخر فليستحله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن  
كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلة وإن لم يكن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه وحملت



عليه » ( رواه البخارى والترمذى ) . فان قلت هذا ينال قوة تعالى ( ولا تزد وزر ولا تزد ) ( أخرى ) . قلت الظالم فى الحقيقة مجرى بغير ظلمه وإنما أحد من سيئات للظالم تخفيفاً له ونهتياً للعدل ، فعنى الآية أن واحداً لو قال لاخر أحمل عنك وزرك لا يؤاخذ به فى الآخرة . قال الفقيه ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى فان الله تعالى كريم أن يتجاوز عنك وإن كانت الذنوب بينك وبين العباد للاحية لك سوى إرضاء الخصم فينبغى للظالم أن يتوب من الظلم ويستحل من الظالم فى الدنيا فاما لم يقدر عليه فينبغى أن يستغفر له ويسعوه فانه يرجى أن يهلك بذلك . عن يمين بن مهران أن الرجل إذا ظلم إنساناً فان أراد أن يستحل منه قتله ولم يقدر عليه فاستغفر له فى دبر كل صلاة خرج من مظلته . قال بعض أهل المعرفة : الظلم ثلاثة أوجه : ظلم يفرقه الله تعالى إن شاء . وظلم لا يفرقه الله تعالى . وظلم يعضى الله تعالى فيه فاما الظلم الذى يفرقه الله فهو ظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلاة والصوم والزكاة والحج وفعل المحارم . وأما الظلم الذى لا يفرقه الله فهو الشرك كما قال الله تعالى فى سورة النساء ( إن الله لا يعمر أن يشرك به ويضر ما دون ذلك لمن يشاء ) وفى هذه الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فانه فى خطر الشبهة إن شاء عفا عنه وأدخله الله الجنة بكرمه وإن شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة رحمة وإحسانه لأن الله تعالى وعده الجنة لما دون الشرك فهو محل فى النار . وأما الظلم الذى يقضى الله تعالى فيه قضاء يظلم المباد بها بينهم كالنيبة والبهتان والنميمة وقتل النفس بغير حق وأكل للال الحرام والمصرب والشتم وغير ذلك من حقوق العباد .

### موقعة حسنة

( حكى ) أنه كان لمارأنا أحدهما شدد والآخر شديد لىكا قهراً مات شديد ومظك شدد وحده الدنيا وكان يقرأ الكتب فسمع ذكر الجنة فقال أصنع فى الدنيا مثل الجنة على وجه الأرض فتشاور اللوك فقال إني أريد أن أبني الجنة التى وصفها الله تعالى فى كتابه فقالوا الأمر إليك والدنيا كلها فى حركك فأمر أن يجمعوا ذهباً وفضة من الشرق والغرب ثم جمعوا بنائين واختاروا منهم ثلاثمائة رجل تحت يد كل رجل ألف رجل فطافوا عشر سنين ووجدوا أرضاً طيبة فيها الأشجار والأنهار فبدءوا بناء الجنة فرسحوا فى فرسخ لينة من ذهب ولينة من فضة ، فقامت بأؤها أحروا فيها أنهاراً وغرسوا فيها أشجاراً جذوعها من فضة وفروعها من ذهب وبنوا فيها قصوراً من ياقوت أحمر وبلور أبيض وعلقوا الدر والياقوت على أقصان الأشجار وألقوا الجواهر واللؤلؤ فى الأنهار والى السك والغبر فيها بين الأنهار والأشجار ، فقامت بنؤها أرسلوا إلى شدد

وأخبروه بتأمل الجبة فسار إليها بأهل مملكته فسكران الملوك والأعوان يأخذون الذهب والفضة ظلماً فلم يبق شيء منهما إلا مقدار درهمين في عرق صبي يقيم فأخذوا منه غرفع الصبي وجهه إلى السماء فقال :  
 إلهي أنت تعلم بما يعمل هذا الظالم ببيادك وإيمانك فأغشنا بإحياء المستحيين ، فأمن ملائكة السماء  
 على دعاء الصبي فأرسل الله تعالى جبرائيل فلما كان منها مسيرة يوم وليلة صاح جبرائيل من السماء  
 فهلكوا جميعاً قبل الدخول في الجبة فلم يبق منهم غني ولا فقير ولا ملك بسبب دعاء الصبي  
 للظالم ( زبدة الواعظين ) .

اعلم أيها العزيز ما قلنا لك وإياك ولشئ إلى باب السلاطين لأنه من غير ضرورة ظلمة واقتراف  
 مصيبة فإن لكى تواضع وإكرام لهم وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم بقوله ( لأعرض عن من تولى  
 عن ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ) وهو تكبير لسوادهم وإعانتهم على ظلمهم وإن كان ذلك لسبب  
 طلب ما لهم فهو مسمى إلى حرام ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من تواضع لشيء فلهذه ذهب  
 ثلثا دينه » هذا في غنى صالح لما غنىك بالثنى الظالم وإعانتك لذلك لأن المرء قلبه ولسانه ونفسه فإذا تواضع  
 لشيء شغفه ولسانه ذهب ثلثا دينه ، فلو اعتقد فضله بقلبه كأنواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله  
 وعلى الجبة فحركاتك وسكناتك بأعضائك محصورة عليك فلا تحرك شيئاً منها في محبة الله أصلاً  
 واستعملها في طاعة الله . واعلم أنك إن قصرت في المراقبة فليك يرجع وبالله أى عقابه وإن شمرت  
 فإليك تمود عمره ونوابه ولقضى عنك وعن عمالك ، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة ، وإياك أن  
 تقول إن الله كريم رحيم يعرذتوب الصاة فان هذه كلمة حق لا يجوز أن يراد بها باطل وحاسب  
 هذا القول إدراكاً لحداس حقيقة حاله ملتبس بالحقيقة بتلقيب رسول الله حيث قال « الكيس »  
 أى العاقل الخادق « من دان نفسه » أى بذل « وعمل لما بعد الموت » أى حق من أتبع نيه هواها  
 شهواتها « وتغنى على الله الأمانى » أى الرخاء بلا عمل . واعلم أن قوله هذا يشبه قول من يريد  
 أن يصير فقيراً عالماً في علوم الدين فاشتغل بالباطل ، وكقول من يريد ما لا يترك الحراثة والتجارة  
 والكسب ( بداية الهداية للإمام القزالي ) .

### المجلس الثلاثون : في بيان مغفرة توبة التائب

سورة الحجر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( نبي عبادى آتى أنا الصبور الرحيم . وأن عذابي هو المذاب الأليم ) فذلك ما سبق  
 من الوعد والوعيد وتقرير له ، وفى ذكر للغمرة دليل على أنه لم يرد بالمتين من يتق الذنوب  
 بأسرها كبيرها وصغيرها ، وفى توصيف ذاته بالفران والرحمة دون التذليل ترجيح الوعد  
 وتأكيده . ( فاضى يضاهى ) .

سبب نزول هذه الآية : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج على أصحابه وهم مضطربون .

قال: «أتشعكون وين أيديكم النار» فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال: يقول المصطفى يا محمد لا تخط عبادة فاني غفور رحيم بهم - (عيون) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «ألا أنبئكم بأبخل البخل ألا أنبئكم بأعجز الناس؟» أي من طلب الرحمة والغفرة بالصلاة على صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكر اسمه المصطفى بين يديه «من ذكرت عنده فلم يصل على» اللهم صل على محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل محمد وصحبه وأهل بيته وسلم ، فلم من هذا الحديث أنه لا يترك الصلاة عليه كلما ذكر اسمه إلا عاجز هروم من الخير . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد» وفيه بيان كثرة عقوبته كي لا يترحم من برحمته فيأمن عذابه «ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة» أي من غير الثبات إلى العقوبة «ما فطن من حته أحد» وفيه بيان كثرة رحمة كي لا يخاف كافر من الإيمان بعد صين كثيرة في الكفر ، فلي الصبر أن يكون خائفاً وراجياً من الله لأن الخوف والرجاء كالجناب حين المؤمن لأنه يصل بهما إلى ما يرجو من الله تعالى ويأمن من عذابه . وقال لقمان لاه: يا بني ارج الله رجاء لاتأمن فيه من مكروه وخف الله خوفاً لا يأس فيه من رحمته . قال القتيبي أبو القيث رحمه الله تعالى : علامة الخوف تتبين في ثمانية أشياء : أولها أن يبين في لسانه فيمنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم . والثاني أن يخاف في أمر خطه فلا يدخل بطنه إلا حلالاً قليلاً وبأكل من الحلال مقدار حاجته . والثالث أن يخاف في أمر يصره فلا يظفر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بين الرغبة وإعما يكون نظره على وجه العبرة . والرابع أن يخاف في أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام وإعما يمد يدها إلى ما فيه الطاعة . والخامس أن يخاف في أمر قنبيه فلا يمشي في مصيبة الله تعالى وإعما يمشي في طاعة الله . والسادس أن يخاف في أمر قابله فيخرج منه المداومة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة وشقعة للسلبين . والسابع أن يصعق خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف الرياء والنفاق . والثامن أن يخاف في أمر صعه فلا يسمع إلا الحق (مناية) قال الإمام القشيري قدس سره لما ذكر حديث للتقين في الآية التي قبل هذه الآية بقوله (إن للتقين في جنات وعبود) الآية وما لهم من رفيع المزية علم انكار قلوب العاصين ، فقال لنييها خبر عبادي العاصين أي أنا الغفور الرحيم : أي إن كنت الشكور الكريم للمطيعين فاني أنا الغفور الرحيم للعاصين ، وجاء في الخبر مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن رجلاً يؤمر به إلى النار فافا بلغ ثلث الطريق انثت وإذا بلغ نصف الطريق انثت وإذا بلغ ثلث الطريق انثت ، فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله ويقول

لم التفت ؟ فيقول يارب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك ( وربك الغفور ذو الرحمة ) فقلت  
 لك تنفري ، فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ( ومن يضر الذنوب إلا الله ) فقلت  
 لك تنفري ، ولما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك ( قل يا عبادي الذين آمنوا على أنفسهم  
 لا تقنطوا من رحمة الله ) فرددت طمعا ، فيقول الله تعالى اذهب قد غفرت لك . فلي العاقل  
 أن يسأل من الله تعالى المغفرة لذنوبه ويكفي من خشية الله تعالى ، ويعترف بتقصيراته ويتوب إلى الله  
 تعالى إنه تعالى تواب لا يرد التائب خائبا من بابه . حكى أنه رأى بعض الصالحين في النوم فسله  
 عن حاله ، فقال نجوت بعد كل جهد ، قيل بأي الأعمال وجدت النجاة ؟ قال بالبكاء من خشية الله  
 تعالى وطول الاستنجار ( كذا في الخالصة ) قال عليه الصلاة والسلام : « الجنة أقرب إلى أحدكم  
 من شراك نعله والنار مثل ذلك » إشارة إلى التذكور أي النار مثل الجنة في كونها أقرب من  
 شراك النعل وإنما كانت الجنة والنار كذلك لأن سبب دخولهما قبل الشخص وهو العمل الصالح  
 والسيء وهو أقرب إليهما شراك نعله ( شرح للمصباح ) والمراد من السبب سبب ظاهري لأنه  
 قال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يخرج من النار ولا أنا أدخل الجنة  
 بعمل إلا برحمة الله تعالى » أي لكن رحمة الله تدخل الجنة ، وليس المراد توهين أمر العمل  
 بل نفي الاعتزاز به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :  
 « خرج من عدى جبرائيل آتياً فقال يا محمد والهدى بشك بالحق بيا إن عداً من عباد الله تعالى  
 عبد الله خمسمائة عام على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل جبل  
 وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فإذا أمسى نزل وأصاب من العين الموضوء وأخذ تلك  
 الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً ولا يعمل للأرض ولا شيء\*  
 على جسده سيلا حتى يمته وهو ساجد فعمل وقال جبرائيل نمر عليه إذا هبطنا وإذا  
 هرجنا وهو على حاله في السجدة ونحن نجد في العلم أنه يمت يوم القيامة فيوقف بين  
 يدي الله تعالى فيقول له الرب تبارك وتعالى أدخلوا عبيد الجنة برحمتي فيقول بل بعمل فيقول  
 الله تعالى قيسوا عباد عبيدي بنعمتي عليه وبمدي فوجد نعمة البصر قد أساطت بعبادة  
 خمسمائة سنة وبقي عليه النعم الباقية بلا عبادة في مقابلتها فيقول الله تعالى أدخلوا عبيدي  
 النار قال فيجبرونه إلى النار فينادي العبد فيقول برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله رددت إلى  
 فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول : يا عبيدي من خلقتك ولم تك شيئا فيقول العبد أنت يارب  
 فيقول أكان ذلك بمسلك أم برحمتي ؟ فيقول بل برحمتك فيقول الله تعالى من قوالك على عادة  
 خمسمائة سنة ومن أنزلك في جبل وسط البحر وأخرج للواء الضرب من بين المالح وأخرج  
 تلك الرمانة كل ليلة وإنما شمر في السنة مرة ومن قبض روحك ساجداً ؟ فيقول أنت يارب

فيقول فذلك كله برحمتي وبرحمتي أدخل الجنة ( مشكاة ) قال عليه الصلاة والسلام : « إن أياكم عتبة لا يحوزها الثقلون من الذنوب إلا بعشقة عظيمة . وتلك العتبة ما بعد الثوب من الشدائد من القبر والحشر والوقوف بين يدي الله تعالى في الحشر والحساب والصراط واللبزان ومن علم يقيناً بوقوع هذه الأشياء يخفف أتعابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وعدم محبة في الدنيا لأن قلة الدنيا محض فائدة في حق صاحبه وسبب لحلو رنته ومزيد مثوباته ، ألا ترى إلى حاروي عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : « بث الفقراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسولاً فأتى الرسول فقال يا رسول الله إن رسول الفقراء إليك قال صلى الله عليه وسلم : مرحبا بك ومن جئت من عندهم جئت من قوم أحبهم الله . قال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحسون ولا تقدر عليه ويتصدقون ولا تقدر عليه ويمتقون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا ضروا بغسل ما لهم ذكراً فقال صلى الله عليه وسلم : بلغ عن الفقراء أن من صبر مكهم واحتسب فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء : الحصة الأولى أن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ويدخل سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب اللذة التي أعطاه الله تعالى . والثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لحق شيئاً لم يلحقه النسي وإن أنفق عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها . فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رحبنا بأرب ( تنبيه القافلين ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله فإن أتوب إليه في اليوم مائة مرة وفيه حث للأمة على التوبة لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان يتوب في اليوم مائة مرة مع عظم شأنه وكونه مصوماً فكيف لا يشتغل بالتوبة ليلاً ونهاراً من بدلس جريدة أعماله بالذنوب مرة بعد أخرى ، فلي هذا لا يكون المصير على المعاصي كاملاً في الإيمان بل يكون ناقصاً فيه وذلك لأن ترك الذنوب لا يتصور إلا بالصبر والصبر لا يتيسر إلا بالخشوف والخشوف لا يتحقق إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب ، والعلم بعظم ضرر الذنوب لا يحصل إلا بتدقيق الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لم يترك الذنوب وأصر عليها يصير كأنه لم يصدق الله تعالى ورسوله فيحذف عليه أمر عظيم عند اللوث إذ ربما يكون موته على الإصرار سيئاً لزوال الإيمان فيحتمل له بسوء الحاجة معاذ الله تعالى ويبقى في جهنم أبداً الآباد وإن لم يمت على سوء الحاجة بل مات على الإيمان يكون في مشيئة الله تعالى إن شاء يدخله جهنم ويصديه فيها بقدر ذنوبه ثم يخرجها منها ويدخله الجنة ولو بعد حين وإن شاء ينفو عنه ويدخله الجنة بلا عذاب إذ لا يسحيل أن يشملهم عموم الغفر

بسبب حق لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى ( مجالس رومی ) ومن كان أقرب إلى الله تعالى بالمصاب له في الدنيا أكثر والبلاء عليه أهد ، أما تسمع قوله عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس بلاءه : الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل » وقال الله تعالى ( ولبلونكم به من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ) وسبحا عظم أهل الدنيا في قلبك قد سقطت من عين الله تعالى وإياك أن تبدل لهم دينك لتالذ دينهم فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ( بداية الهداية للإمام الغزالي ) .

• فالقرآن مأمورات إلا من أحياء الله تعالى بمنزلة القناعة ، والقناعة راحة الأبدان وسلامة القلوب لمن نفع بالرزق للقسوم قد طهر بالآخر وطاب عيشه . فالتوكل على الله هو الاكتفاء بالله وإسقاط الخوف والرجاء ممن سوى الله تعالى . فالحرعبد إذا طمع والمسدح إذا قنع ( من المجموعة ) ( يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ) . قال السدي : أراد به الزكاة للقرونة ، وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ( من قبل أن يأتي يوم لا يسع فيه ) لا تضربون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا يسع فيمسي تبايعوا ما تنفقون ( كشاف ) أي لا فداء فيه مما يعا لأن الفداء شراء نفسه ( ولائحة ) أي لا صداقة ( ولا عفاة ) إلا باذن الله ( والكافرون هم الظالمون ) أي هم الكاملون في الظلم لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها توقعهم الشفاعة ممن لا يشفع لهم من الأوثان ( معالم التنزيل )

### المجلس الحادي والثلاثون : في بيان العدل والإحسان

سورة النحل — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن الله يأمر بالعدل ) بالتوسط في الأمور اعتقاداً كاللوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب للتوسط بين محض الخير والقدح وعملاً كالاعتدال بأداء الواجبات للتوسط بين البطالة والتهرب وخلفاً كالجود للتوسط بين البخل والتبذير ( والإحسان ) إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالنطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ( وإيشاء ذي القربى ) وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تخصيص للبيان ( ونهى عن الفحشاء ) من الإفراط في مشايمة القوة الشهوية كالزنى فإنه أتبع أحوال الإنسان وأغصها ( وللنكر ) ما ينكر على متعاطيه من إثارة القوة النفسية ( والنهى ) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم ( يظلمكم ) بالأمر والنهي والتمييز بين الخير والشر ( لعلكم تذكرون ) تحفظون ( قاضى يضاوى ) .

قال عليه الصلاة والسلام « البخل » أي الكامل في البخل كما يخيه تعرف للتميز

« من ذكرت عنده » أى من ذكر اسمى يسمع منه « فلم يصل على » لأنه دخل على نفسه حيث حرمه صلاة الله عليه عسراً إذا صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واحدة ( كذا فى الجامع الصغير ) قال عليه الصلاة والسلام « أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان » أى ذو حكم وسلطة « مقسط » أى عادل « متصدق » أى محسن إلى الفقراء « موفق » بفتح الفاء الذى يوفق طاعة الله والمسلمين إلى الحكم « ورجل » يعنى والثانى رجل « رحيم رقيق القلب » أى رقيق قلبه رقة وشفقة ورحمة « لكل ذى رحم ومسلم » أى للأقارب والأجانب « ووعيف » أى والثالث رجل صالح « متعفف » أى مانع نفسه مما لا يحل ولا يليق « ذو عيال » ولا يجعله حب العيال على تحصيل المال الحرام بل يختار حب الله على حب العيال « وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا صبر له » أى لا تمالك له « عند » أى « الشهوات » فلا يرتفع عن حرام ، والذى عصى الدين ولهذا أبدل منه « الدين » ثم فىكم سبع « قيل هم أهل البطالات لا هم لم فى عمل الآخرة » لا يفون « أى لا يطلبون » أهلاً « فأعرضوا عن الزوج وارتكبوا الفواحش » ولا مالا « أى لا يطلبون مالا بكسب الحلال إذ لا رغبة لهم فى عمل أيديهم » وقيل هم الذين يدورون حول الأمراء يخدمونهم لا يبالون من أى وجه يأكلون ويلبسون أمن الحلال أنهم الحرام ليس لهم همة إلى أهل ولا إلى حال بل قصروا أنفسهم على للأكل والشرب « والخائن الذى لا يخفى له طمع » أى لا يخفى له طمعه فى شيء ما « وإن دق » أى قل « إلا خافه » أى إلا حصى فيه حتى يحرقه فيحرقه ، أو مثله لا يطعم فى موضع خيانة إلا خان ما طعم فيه وإن كان للطمع فيه شيئاً يسيراً وهذا هو الثانى من الخمسة « ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يمدحك » أى لا يعارفى عبادته إلاك عن أهلك ومالك « صباحه ومساءه » أى يمدحك فى أكثر أحواله « وذكر » أى قال الراوى ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخمسة « البخل والكذب » أى البخل والكذاب فأقام المصدر مقام اسم الفاعل ، وهذا هو الرابع « والشظير » بكسر الشين والظاء للجمتين يتحللما الكون هو السوء الخلق « القحاش » نعت له أى هو مع سوء خلقه خفاش فى كلامه وهذا هو الخامس ( كذا فى شرح المصباح لابن ملك ) قال الإمام القشيري قدس سره : أمر الله تعالى العبد بالعدل فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخلق . فالعدل بينه وبين ربه إثبات حق الله تعالى على حفظ نفسه وتقديم رضاء على هواها والتجرد عن جميع التراجع والتفرد بملازمة جميع الأوامر والعدل فيما بينه وبين نفسه معها فيما فى هلاكها . والعدل الذى بينه وبين خلقه بنقل النصيحة وترك الخيانة لها قل أو كثر والإصاف لهم بكل وجه وأن لا يسوء إلى أحد لا بالقول ولا بالفعل ولا بالعزم . اعلم أنت الأمر بهذه الأشياء الثلاثة جامع لجميع ما أمر الله تعالى به فى القرآن وكذلك التمسى عن الأشياء الثلاثة جامع لجميع ( ٨ - حرة الناصحين )

ما نهى الله تعالى عنه في القرآن ولذلك يقرأ كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة هذه الآية لتكون  
 عظة جامعة للناس كلهم ، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : أجمع آية في القرآن هذه ،  
 وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : جامع التقوى في قول الله تعالى ( إن الله يأمر بالعدل ) الآية ( من  
 القيوم واليسير ) روى عن عثمان بن مظعون أنه قال : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
 يدهون إلى الإسلام فأسلمت استحياء مخالفتهم لم يقرر الإسلام في قلبي لحضرت عنده صلى الله تعالى  
 عليه وسلم ذات يوم فبينما هو يحدثني إذ رأيت بصره يشخص إلى السماء رأسه عن يمينه رفته مرة  
 أخرى ثم خفضه عن يساره ثم أقبل على همرا وجهه برفض عرفانك عنه من تلك الحالة النازلة عليه ،  
 فقال عليه الصلاة والسلام : بينا أنا أحدثك إذ رفعت بصرى إلى السماء قرأت جبرائيل نزل عن  
 يميني فقال يا محمد قرأ ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) « إلى آخر الآية » قال عثمان  
 فاستقر الإيمان في قلبي يومئذ فكان نزول هذه الآية حياً لاستقرار إيمان عثمان بن مظعون  
 كذا ذكره ابن الشيخ ، فمن كان صاحب لب يتعظ بمواعظ الله تعالى ويتصمح بنصائح  
 رسول الله عليه الصلاة والسلام ويتخذه تنبيهاته قال عليه الصلاة والسلام : « أتندرون  
 من الفليس ؟ قالوا الفليس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن  
 للفليس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا  
 وأكل هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسنة وهذا من حسنة فان  
 قضيت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .  
 ولما قال عليه الصلاة والسلام : « من كانت له مظنة لأخيه من عرض أو شيء أخر  
 فلينحل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر  
 ظله وإن لم يکن له حسنة أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » ( مشكاة للصايغ )  
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه  
 وسلم قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس  
 الخلائق حتى يتخير من أي الجور شاء » ( كذا في الباب ) روى أن الله تعالى قال لموسى  
 عليه السلام : من قدر وعفا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة ومن نظرت إليه نظرة واحدة  
 لم أعد به بخاري ( روضة للنبي ) فلي العاقل أن يستاد العفو عن الناس والإحسان إليهم  
 ويحترز عن الغيظ والنصب لأنه يؤدي إلى النار حفظنا الله من النار وأدخلنا الجنة مع  
 الأبرار . حكى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت بمرة فشرت فصب المرفة عليه  
 فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاي استعمل قول الله تعالى ( والكاظمين  
 الغيظ ) قال قد صلت ، فقالت استعمل ما بعده ( والعافين عن الناس ) قال قد حقوت عليك



قالت الجارية ( والله يحب المحسنين ) فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى ( روضة  
التقين ) ( الذين ينفقون في السراء والضراء ) أى في اليسر والعسر ، فأولعاد كرم من أحلاق المؤمنين  
للموجبة للجنة ذكر السخاء وقد جاء في الحديث عن أن هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من  
النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، والجاهل السخى أحب  
إلى الله من العالم البخيل » . ( والكاظمين الفيض ) أى الجارعين الفيض عند امتلاء قلوبهم منه ،  
والكاظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الفيض أن يتلى غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره ، وعن  
أبي صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينقله دعا الله يوم القيامة على رءوس  
الخلائق حتى يختار من الخور ما شاء » ( والعافين عن الناس ) أى عمن ظلمهم وآساءهم ( والله يحب  
المحسنين ) ( معالم التنزيل ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرءى أى الرجل » على دين خليله  
أى صديقه وصاحبه « فليظفر أحدكم » أى الخليل « إلى من يخاله » أى يخافه « فاطلب  
رفيقاً » أى صاحباً يكون شريكك في العلم وصاحبك « في أمر دينك » أى في فعل دينك  
« ودنياك » لأن الخليل يحصل منه فوائد دينية كالعلم والعمل والسخاء والشفاعة في الآخرة  
ودنيوية كالجاه والامتثال والمجاورة وغيرها ، ومنهم من هذا الحديث أنه لا يصحب من ساء  
حلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة فيقع في المحبة ( هذا الحديث في بداية  
الهداية للإمام الترمذي ) .

## المجلس الثاني والثلاثون : في بيان معراج النبي عليه الصلاة والسلام

### سورة الإسراء - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( سبحان الذي أسرى ببنده ليلاً ) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التزكية وقد يستعمل  
هنا له فيقطع عن الإضافة ويمنع الصرف واتصافه بفعل متروك وإظهاره وتصدر الكلام  
به لتزكته عن العجز عما ذكر بعد ، وأسرى وسرى بمعنى السبر ، وليس له نصب على  
الظرفية ولأنه الدلالة بتشكيكه على تقليل مدة الأسراء ولذلك قرئ من الليل أى ببنده  
كقوله تعالى « ومن الليل قهجه به » ( من للسجد الحرام ) بينه لما روى أنه عليه الصلاة  
والسلام قال : بينا أنا في السجد الحرام لي الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني  
جبرائيل عليه السلام بالبراق « أو من الحرم ، وماء للسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه  
محيط به ليطلق المبدأ للنهي . لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان نائماً في بيت أم هانئ  
بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها . وقال : مثل لي التبيون  
فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشاً فحبسوا منه استعانة وارتد ناس من آمن

به وسى رجال إلى ابن بكر رضى الله تعالى عنه ، فقال إن كان قال لقد صدق ، فقالوا  
أصدقه على ذلك ؟ قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق ، وكان ذلك قبل الهجرة  
بسنة ، واختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام كان في النوم أو في اليقظة بروحه أو بجسده ،  
والأكثر على أنه أسرى جسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى  
إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستعالوه ( إلى للسجد الأقصى ) بيت المقدس لأنه  
لم يكن حيث وراءه مسجد ( الذى باركنا حوله ) يركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي  
ومتعبد الأنبياء من ابن موسى عليه السلام ومحفوظ بالأنهار والأشجار والثمار ( لثريه  
من آياتنا ) كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وبمثل الأنبياء له  
ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من النية إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات ،  
وقرىء ليريه بالياء ( إنه هو المسيح ) لأقوال محمد عليه الصلاة والسلام ( البصير ) بأخائه  
فيكرمه وبقربه على حسب ذلك ( قاضى يضاوى ) .

عن الحسن بن علي عن أبيه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أعتكروا الصلاة على فان  
صلاتكم مغفرة قد بويكم ، واطلوا إلى الوسيطة والدرجة الرفيعة فان وسيلتي عند ربى شفاعة  
لكم » ( الجامع الصغير ) وعن جابر بن عبد الله عن أبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيطة  
والفضيلة والدرجة الرفيعة وابسته مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له شفاعتى يوم  
القيامة » ( شفاء شريف ) سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الإسراء  
وكذبوه أنزلها الله تصديقاً لنبيه . وقال البرهان النسفى : لما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى  
الدرجات العالية وللراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يا محمد بماذا أشرفك قال عليه الصلاة  
والسلام تشرفنى بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية فأمر الله تعالى ( سبحانه ) أن أسرى بيده  
ليلا ( معراجية ) وفي تفسير السورة بالكلمة الدالة على التعجب قرينة دالة على أن الوارد بعدها  
أمر خارق للعادة وآية لا يحددها أحد إلا الله ، فلما قيل ليلا تبين بتلك القرينة أن المراد منه  
بعض الليل ، فان التبيين قريب من التقليل ، فكأنه قيل أسرى بيده في بعض الليل من مكة  
إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة ، فتمين بهذه القرينة تقليل مدة الإسراء والدلالة على أن الإسراء  
واقع في بعض الليل ( شيخ زاده ) ، فان قلت لفظ من في قوله ( من آياتنا ) يقتضى التبيين ، وقال الله  
تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ( وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ) وظاهر هذا  
يدل على تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد ولا قال به لما وجهه ؟ قلت : ملكوت السموات  
والأرض من بعض آيات الله تعالى ، لأن آيات الله تعالى أفضل من ذلك ، فاللهى برآه محمد عليه

الصلاة والسلام من آيات الله وهجابه أفضل من ملكوت السموات والأرض ، فظهر بذلك فضل محمد عليه الصلاة والسلام على إبراهيم عليه السلام ( من تفسير الباب ) .

الحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح وجهان : أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر السجود فكان الله يحب من خلقه بما أسدوا إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام من الاستمراء والسخرية . والثاني أن يكون خرج هجر الرد عليهم لأنه عليه الصلاة والسلام لما حدثهم عن الإسراء كذبوه فيكون للنفى ثمره الله أن يتخذ رسولا كذابا ( الإمام أبو حارث ) . فإن قلت ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد . قلت إن التسبيح جاء مقدما على التحميد مثل ( فسبح بحمد ربك ) وسبحان الله والحمد لله ، لأن التسبيح هو التزكية والتحميد هو الثناء ، والتزكية هو التخلية والتحميد هو التعلية ، والتخلية مقدمة على التعلية (مراجعة) .

وقال بعضهم المراد بالمسجد الحرام مسجد مكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « أول مسجد وضع في الأرض للمسجد الحرام » وهو مسجد مكة شرقها الله تعالى وقد قال الله تعالى ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ) وفي الصحيحين عن أبي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « أول مسجد وضع في الأرض للمسجد الحرام وبعده للمسجد الأقصى الذي أسسه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة » (مراجعة) . فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس ، والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف يصح الجمع بين التبريلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط . قلت : كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كانت عروجه إلى السماء على العراج ، وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه عليه الصلاة والسلام لو أخبر بصعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك ظنا أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس ولأنهم صدقه بما أخبر عنه من العلامات وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك أن الأقصى كالتوطئة لمراجعته إلى السماء ، فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمراجعته إلى السماء ( تفسير الخازن ) .

وعن الزهري ومروءة أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أصبح ليلة أسرى به وأخبر الناس بذلك ارتد ناس محنت صدقوه عليه الصلاة والسلام وقتلوا قتلة عظيمة وسى رجال من المشركين إلى أبي بصير ، فقالوا إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ومنه إلى السموات وجاء قبل أن يصبح ، قال لئن قال ذلك لقد صدق ، قالوا أنت تصدقه في هذا ؟ قال نعم أصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، فلما سمى الصديق وجاء واحد منهم فقال يا محمد قم فقام عليه الصلاة والسلام فقال ارفع إحدى رحليك فرفع ، ثم قال ارفع الأخرى فقال إن رقتها أمنت ، فقال الكافر إذا لم ترفع عن الأرض شبرا فكيف رقت إلى السماء وإلى سدة

النتهى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام اخرج من المسجد واحك بهذا القول لعل فاته يحبك فخرج من المسجد قلنى عليا لحكى له القصة قبل سيفه وضرب عنقه فأتى فأنكر الأصحاب على علي وقالوا لم نكلمه ؟ وقول النبي عليه الصلاة والسلام مقول وهو أمره بالجواب لا بالقتل ، فقال علي جواب للمعاند يكون هكذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يسجز عن جوابه لكن علم أنه لا يقبل الجواب فأرسله إلى لأكتله . وجوابه أن الرسول يحوله وقوته عاجز عن الخروج مقدار عبر ، لكن أمر للمراج إنما حصل بقوة القادر القوى الذى جميع القدر عند قدرته كذرة من الشمس وقطرة من البحر ، ثم اجتمعوا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا حوله يسألون عن أشياء فى بيت القدس فقالوا : أخبرنا من غيرنا أى تجارنا الذين مضوا إلى الشام هل أتيت غيثاً منها ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم مررت بغير بنى فلان وعلى بالروحاء وقد أضلوا بغيراً لهم وهم فى طلبه وفى رحلهم قدح من ماء أخذته فشربته ثم وضعت كما كان ، فاسألوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجوا ؟ قالوا هذه علامتكم قالوا أخبرنا عن غيرنا متى نبى ، إلينا قال عليه الصلاة والسلام مررت بها بالنعيم وهو موضع قيل الحرم قالوا فما عددها وأسمائها وهبتها ومن فيها ؟ قال هى كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها حمل أورق وهو ما يكون لونه كلون التراب عليه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس ، قالوا هذه علامة فخرجوا فى آخر الليل ينتظرون العير ليستدلوا بها على صدقه فى خبر الهاء إن ظهر صدقه ، فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر منهم هذه الابل والله قد طلعت يقدمها بغير أورق وفيها فلان وفلان كما أخبر عليه الصلاة والسلام فلم يؤمنوا وقالوا إن هنا إلامر ميين ( موعظة ) . عن أبى سعيد الخدرى أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الآية التى أسرى به فيها فقال « أتيت بدابة وهى أشبه الدواب بالابل وهو البراق الذى كان يركبه الأنبياء قال فانطلق بى يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء من يمينى يا محمد على رسلك فمضيت ولم أعرج عليه ثم سمعت نداء من شمالى فمضيت ولم ألتفت إليه ثم استقبلت امرأة وعليها من كل زينة لم تد يدنها وقالت على رسلك فمضيت ولم ألتفت إليها ثم أتيت بيت للقدس أو قال للمسجد الأتمى فزلت وأوثقته بالحلقة التى كانت الأنبياء يؤثقونه بها ثم دخلت المسجد فصليت فقلت يا جبرائيل سمعت نداء من يمينى فقال ذلك داعى اليهودية ، أما إنك لو وقفت عليه ليهودت أنتك فقلت سمعت نداء من شمالى فقال ذلك داعى النصرانية أما إنك لو وقفت عليه لتنصرت أنتك ، وأما للمرأة فكانت الدنيا تزيف لك أما إنك لو وقفت عليها لاختارت أنتك الدنيا على الآخرة ، ثم أتيت بإنسانين أحدهما فيه لبن والآخر فيه حمز فقال لى لشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته وتركزت الحمر فقال جبرائيل أصمت

القطرة أي أعطيت أمك الإسلام ، أما إنك لو أخذت الحجر قوت أمك » ( قصة ) . روى  
 أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لما كانت ليلة أسرى بي وأنا بكى بين النوم  
 واليقظة جاءني جبرائيل فقال يا محمد قم قمصت فاذا جبرائيل ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل  
 اتقني بطعت من ماء زمزم لكي أظهر قلبه وأشرح صدره قال عليه الصلاة والسلام فشق بطني  
 وغسله ثلاث مرات وقد اختلف إليه ميكائيل ثلاث طسوت من ماء فشرح صدري وزرع  
 ما كان فيه من خل وملاء حكمة وعلماء وإيمانا وختم بين كفتي بخاتم النبوة ، ثم أخذ جبرائيل  
 يدي حتى انتهى إلى سقاية زمزم فقال للملك اتقني بدنوب من ماء زمزم أو من ماء الكوثر  
 وقال لي نوصاً فوضأت ثم قال انطلق يا محمد فقلت إلى أين ؟ قال إلى ربك ورب كل شيء  
 فأخذ يدي وأخرجني من المسجد فإذا أنا برباق فوق الحمار ودون الحبل خد كعد الإنسان  
 وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وفوائمه كفتوائم الإبل وأظلاله كأظلاف البقر وظهره  
 كأنه درة يضاء عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان في مخذه يمر مثل البرق خطوه عند  
 منتهى طرفه فقال اركب . وهي دابة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور عليها البيت  
 الحرام فركبته ، ثم سار ومعه جبرائيل فقال أنزل هبل قال فزلت وصليت فقال جبرائيل أتندري  
 أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بطيبة وإليها المهاجرة إن شاء الله ثم سرنا ثم قال أنزل فصل  
 فزلت وصليت فقال أتندري أين صليت ؟ قلت لا ، قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى  
 ثم سرنا ثم قال أنزل فصل فزلت فصليت قال أتندري أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بيت  
 لحم حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فلما اتيت فإذا  
 أنا ملائكة قد زلوا من السماء وتلقوني بالبشارة والكرامة من عند الله تعالى يقولون : السلام  
 عليك يا أولي يا آخر يا حاضر . قال قلت يا جبرائيل ما تحيتم إلي ؟ قال إنك أول من  
 تمسق عنه الأرض وعن أمك وأول شافع وأول شفيع وإنك آخر الأنبياء وإن المحضر بك  
 وبأمك ، ثم جاوزنا حتى أتينا إلى باب المسجد فأنزلى جبرائيل وربط البراق في الحلقة  
 التي كانت تربطه الأنبياء فيها بخطام من حرر الجنة ، فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء  
 والرسلين ، وفي حديث أبي العالية « أرواح الأنبياء الذين بشهم الله من قبل من لم يدرس  
 ونوح عليهما الصلاة والسلام إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قد جمعهم الله عز وجل فسلموا  
 على وحيوني مثل نحية الملائكة ، قلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال إخوانك الأنبياء عليهم  
 الصلاة والسلام ، ثم أخذ جبرائيل يدي فأنطلق بي إلى الصخرة فمسد بي . قال لانا  
 معراج إلى السماء لم أر مثله حسنا وجمالا لم ينظر الناظرون إلى شيء قط أحسن منه ومنه  
 فخرج الملائكة أصله على صخرة بيت القدس ورأسه ملتصق بالسماء ، إحدى عارضيه بقوة

والأخرى ذبرجة درجة من فضة ودرجة أخرى من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو للمراح  
الذى يهبط منه ملك للوث لقبض الأرواح ، فإذا رأيتم بينكم شخص بصره فانه تقطع عنه  
للعرفة إذا طينه لحسه ، فاحتملنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام حق وضعى على جناحه ثم  
ارتفع إلى سماء الدنيا من ذلك للمراح ففرح الباب قبيل من ذا ؟ فقال أنا جبرائيل قبيل  
من معك ؟ قال همد ففتح الباب فدخلنا فيه ، وبينما أنا أسير فى سماء الدنيا إذ رأيت ديكاً له  
ريش أبيض كأشد بياض ، مارأيت مثله قط وله رغب أخضر تحت ريشه كأشد خضرة مارأيت  
مثله قط وإذا رجلاه فى تخوم الأرض السفلى ورأسه تحت العرش له جناحان فى منكبيه  
إذا فترها جاوز الشرق والغرب فإذا كان بسفلى الليل ففتر جناحيه وخلق بهما وصرخ بالتسبيح  
له عز وجل يقول : سبحان للك القدوس الكبير التعال لا إله إلا الله الحى القيوم ،  
فإذا فصل ذلك سمعت ديكاً الأرض كلها وخنقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ فإذا سكن ذلك  
الديك فى السماء سكنت ديكاً الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أزل منذ رأيت  
ذلك الديك مشتاقاً إلى أن أراه ثانياً ، قال عليه الصلاة والسلام ثم صعدنا إلى السماء  
الثانية فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا  
إلى السماء الرابعة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاستفتح إلى آخره ، ثم  
صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء السابعة فاستفتح إلى آخره ،  
ثم دخلنا فإذا أنا برجل أعمى جالساً على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم حلوس يفيض الوجوه  
فقلت يا جبرائيل من هذا الأعمى ومن هؤلاء وما هذه الأنهار ؟ قال هذا أبوك إبراهيم أول  
من فطم على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إرعاثهم بظلم ، قال رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا إبراهيم مستند إلى بيت فقال جبرائيل هذا البيت للمصور يدسسه  
كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة فإذا خرجوا لم يسودوا إليه ، قال عليه الصلاة والسلام فأتى به  
جبرائيل إلى سدة للنهى فإذا هى شجرة لها أوراق الواحدة منها تطفى الدنيا بما فيها ، وإذا  
نبتها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فسألت جبرائيل  
فقال : أما الباطنان فى الجنة ، وأما الظاهران فالتيل والقرات . قال ثم اتيت إلى سدة  
للنهى وأنا أعرف ورقها ونورها فغشيتها من نور الله ما غشى أى نجل وغشيتها الملائكة كأنهم  
جراد من ذهب من خشية الله تعالى ، فلما غشيتها ما غشى تحولت حتى لا يستطيع أحد أن ينعتها .  
قال عليه الصلاة والسلام : وفيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عز وجل ، ومقام جبرائيل  
فى وسطها ، فقال لى جبرائيل تقدم فقلت يا جبرائيل تقدم أنت فقال بل تقدم يا محمد إنك  
أكرم على الله منى فتقدمت وجبرائيل على أثرى حتى اتيت به إلى حجاب فراش الذهب فحرك

الحجاب قبل من ذا ؟ قال أنا جبرائيل ومعى عهد قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتمنى وغلف جبرائيل قفلى إلى أين ؟ فقال يا محمد وما منا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلاق ، وإنما أذن لى فى الدنو من الحجاب لاحترامك وإجلالك ، فانطلقى لللك فى أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فصرلك الحجاب ، قال لللك من وراء الحجاب من هذا ؟ قال أنا صاحب فراش الذهب وهنا عهد رسول العرب معى ، قال لللك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب حتى وضع يده بين يديه ، ثم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ثنوءه مكنسوه الشمس فالتصع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتمنى ، فلما رأيت العرش وجدته أوسع من كل شيء فقرئى الله عز وجل إلى مسند العرش وتزلت قطرة من العرش فوقعت على لسانى لما ذاق الناقون أحلى منها ، فأنبأت الله عز وجل نبأ الأولين والآخرين وأطلق لسانى بكلامه من هبة الله ، قلت : التحيات لله والصلوات والطيبات ، فقال الله عز وجل ثنؤه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال لى ربى عز وجل : يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمتك كما كلمت موسى تسليماً وجعلت أمك خير أمة أخرجت للناس وجعلتهم أمة وسطاً وجعلتهم الأولين والآخرين فعند ما آتيتك وحسن من الشاكرين ، ثم أفضى إلى أموراً لم يؤذن لى أن أخبركم وفرضت على وعلى أمى فى كل يوم خمسون صلاة ، فلما عهد إلى بهمة وتركى ما شاء الله ، قال لى ارجع إلى أمك وبلغهم عن فعلنى الرفرف الذى كنت عليه ولم يزل يفتننى ويرفضنى حتى أهوى بى إلى سيرة النسي ، فإذا أنا بجبرائيل أبصره بقلبي كما أبصره بعينى أمامى ، قال حيالك الله بما لم يحى أحدا من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ، وقد بلغك مقاماً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض ، فحينئذ لك بما حيالك الله من المنزلة الرفيعة والكرامة العاقلة عند بشكره ، فإن الله منعم يحب الشاكرين ، فحمدت الله على ذلك ، ثم قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيها حتى تزداد بذلك فى الدنيا زهادة إلى زهادتك وفى الآخرة رغبة إلى رغبتك فبجزنا حتى وصلنا بإذن الله تعالى لما ترك فيها مكاناً إلا رأيت وأخبرنى عنه ، فرأيت القصور من الدر والياقوت والزمرد ، ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر ، ورأيت فى الجنة ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك مفروغ منه بعد وإنما ينظر ، صاحبه من أولياء الله ، فتماظنى الذى رأيت وقلت : لئن هذا فليعمل العاملون ثم عرض على النار حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها ، ثم أخرجنى من السماء فمررت بالسموات متحدرين من

صاء إلى صاء حتى أتيت إلى موسى فقال ماذا فرض الله عليك وعلى أمته ؟ قلت خمسين صلاة .  
 فقال موسى إن أمته لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإن قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل  
 أشد العالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال  
 مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إليه  
 فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إليه ، فقال مثله فرجعت فأمرت بنس صلوات كل يوم  
 فأتيت إليه ، فقال إن أمته لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإن قد جربت الناس وعالجت بني  
 إسرائيل أشد العالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قلت سألت ربى حتى استحييت ولكن  
 أرضى وأسلم ، فلما جاوزته نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبدي وفى رواية أخرى  
 وأحزى بالحسنة عشر أمثالها ، قال عليه الصلاة والسلام : ثم انصرفت مع أخى جبرائيل  
 لا يخوتى ولا يهونه حتى انصرفنا إلى مضجعى ، وكان ذلك فى ليلة واحدة من ليالىكم  
 هذه قال عليه الصلاة والسلام : أنا سيد ولد آدم ولا غر وبيدى لواء الحمد ولا ظر .  
 قال ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله تعالى  
 عليه وسلم « لما كانت ليلة أسرى بنى وأصبحت بحكة ، عرفت أن الناس لا يصدقون  
 قعود عليه الصلاة والسلام حزناً ، فمر به أبو جهل عدو الله فأتاه فجلس إليه فقال  
 كالمستهرى هل استضدت من شئ . ؟ قال نعم أسرى بنى الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى  
 بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم . قال آتحدث قومك بما حدثتني ؟  
 قال نعم قال يا مشر بن كعب بن لؤى هلوا فجاءوا حتى جلسوا اليها ، قال حدث قومك  
 بما حدثتني قال : نعم ، أسرى بنى الليلة قالوا إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت  
 بين ظهرانينا ؟ قال نعم نسى رجال من المشركين إلى أبى بكر الصديق ، قالوا هل لك  
 من صاحبك خبر يزعم أنه أسرى به الليلة قال أو قد قال ؟ قالوا قال ، قال نعم لقد صدق  
 قالوا أنصدقه ؟ قال أصدقه فى أبعد من ذلك « هذه القصة بإيجاز . وأما رؤيته عليه الصلاة  
 والسلام لربه عز وجل : لاختلف السلف فى رؤيته سبحانه بين بصره فأنكرته عائشة ، عن  
 عامر عن مسروق : أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه رأى ليلة الإسراء فى  
 حال اليقظة ؟ فقالت قف شعري عما قلت أى اقتصر شعري . جسدى مما طلبت منى « ثلاث  
 من حديثك بهن فقد كذب : من حديثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت  
 ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) الآية وذكر الحديث ، وقال جماعة بقول عائشة  
 وهو الشهور عن ابن مسعود ، مثله عن أبى هريرة أنه قال إنما رأى جبرائيل واختلف عنه ،  
 وقال بانكار هذا وانتاع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء وللتكلمين . وعن



ابن عباس أنه رآه بينه ، وروى عطاء عنه رآه بخله . وعن أبي العباس عنه رآه بخواده مرتين . وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه ؟ فقال نعم ، والأشهر عنه أنه رأى ربه بينه ، روى ذلك عنه من طرق وقال : إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجبه قوله ( ما كذب القواد ما رأى أفتارونه على ما يرى ؟ . ولقد رآه نزلة أخرى ) قال للناوردي قيل إن الله قسم كلامه ورويته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين ، وحكى السمرقندي عن محمد ابن كعب القرظي وربيعة بن أنس « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل هل رأيت ربك ؟ قال رأيت بخواذي ولم أره بغيري » الخ ( غناء شريف ) .

وأما سبب النزاج فهو أن الأرض انتحرت على السماء فقالت الأرض أنا خير منك لأن الله تعالى زينني بالبلاد والبحار والأنهار والأشجار والجبال وغيرها ، فقالت السماء أنا خير منك لأن الشمس والقمر والكواكب والأفلاك والبروج والعرش والكرسي والجنات ، وقالت الأرض في بيت يزوره ويطوف به الأنبياء والرسول والأولياء وللمؤمنون حانة ، وقالت السماء في البيت للموريطوف به ملائكة السموات ، وفي الجنة التي هي مأوى أرواح الأنبياء والرسول وأرواح الأولياء والصالحين ، وقالت الأرض إن سيد الرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل الموجودات عليه أكل التحيات وطن في وأجرى شريعته على ، قلنا سمعت السماء بهذا هجرت وسكنت من الجواب ونوحته إلى الله فقالت إلهي أنت نجيب للضطر إننا دعاك وأنا هجرت عن جواب الأرض فأسألك أن تصعد محمداً إلى فأعترف به كما تعرفت الأرض بحاله وانتحرت به الأرض فأجبت دعوتها وأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه الصلاة والسلام في الليلة السابعة والعشرين من رجب لا تسبح هذه الليلة ولا عزرائيل لا تنبض الأرواح هذه الليلة ، فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام أجهت القيامة ؟ قال لا يا جبريل ولكن اذهب إلى الجنة وخذ البراق واذهب به إلى محمد فذهب جبرائيل ورأى أرواح ألف برقي يرتعون في رياض الجنة وعلى جهنم اسم محمد ورأى لهم برقا منكسراً رأسه يسكن وتسيل من عينيه الدموع ، فقال جبرائيل مالك يا برقي ؟ قال يا جبرائيل إنني سمعت منذ أربعين ألف سنة اسم محمد فوقع في قلبي حبة صاحب هذا الاسم وعشقتة وبعد ذلك لم أحتج إلى طعام ولا شراب واحترقت بنار المشق فقال جبرائيل أنا أوصلك بمشوقك ثم أسرجه وأجله وجاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى آخر القصة ( أعرجية )

## المجلس الثالث والثلاثون : في بيان فضيلة الإنسان

سورة الإسراء — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ولقد كرّمنا بني آدم ) بحسن الصورة والراح الأعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والإفهام بالنطق والاشارة والخط والهدى إلى أسباب العاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والسمكن في الصناعات والسيافى الأسباب والسيات العلوية والسعلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع ، إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناوله طعامه بغمه إلا الإنسان فإنه يرفقه إليه يده ( وحملناهم في البر والبحر ) على الدواب والسفن ، من حملته حملا إذا جلت لها ما يركبه أو حملناهم فيها حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يفرقهم الماء ( ورزقناهم من الطيبات ) للسلطات مما يحصل بعضهم وبغير علمهم ( وقضناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) بالقلية والاستيلاء أو بالشرف والكرامة وللسكنى جفسى اللاتكة أو الخواص منهم ، ولا يفرق من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفرادها ( قاصى يضاهى ) .

روى عن وهب بن منبه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « من سلم على عشرأ فكاكها أعق رقية » ( شعاع شريف ) « روى أن عمرو بن كعب وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهما دخل على النبى عليه الصلاة والسلام قالا يا رسول الله من أعلم الناس ؟ قال العاقل قالا من أعبد الناس ؟ قال العاقل ، قالا من أفضل الناس ؟ قال العاقل ، لكل شوء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل قوم راع وراعى للمؤمن العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل » ( حياة القلوب ) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : العقل عشرة أجزاء : خمسة منها ظاهر وخمسة منها باطنة ، أما الظاهرة فأولها الصمت كما قال عليه الصلاة والسلام « من صمت نجا » وقال عليه الصلاة والسلام « من كثر كلامه كثر سقطه » والثانى الحلم والثالث التواضع كما قال عليه الصلاة والسلام « من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله » والرابع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والخامس العمل الصالح . وأما الباطنة ، فأولها التفكير ، والثانى العبادة ، والثالث استعظام الذنوب ، والرابع الخوف من الله تعالى ، والخامس تهجير النفس وتذليلها ( حياة القلوب ) وفى الخبر « خلق الحسن على سبعة أقسام : اللطافة ولللاحة والضياء والنور والظلمة والرفقة والدقة ، ولما خلق الخلق وهذه الأشياء جعل لكل شيء منها قسما واحدا ، فجعل اللطافة للجنة ولللاحة للمحور العين والضياء للشمس والنور للقمر والظلمة لليل والرفقة والهدوء وزين السالم الأكبر يعنى السماء والأرض بهذه الأقسام ، ولما خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وحواء وهو العالم الأصغر زوجه بكل هذه الأشياء ، فجعل اللطافة لروحه ولللاحة لسانه والضياء لوحه والنور لبعده

والظلمة لشعره والرقة لقلبه والدقة لسره ، فكان الإنسان أحسن من كل شيء كما قال الله تعالى في حق ( في أي صورة ما شاء ركبك ) ، ( مجالس ) لا نزاع في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من اللاتسكة السفية إنما النزاع في اللاتسكة العلوية السامرية ، فقال أكثر الصحابة الأنبياء عليهم السلام أفضل وعليه الشيعة وأهل اللد ، وقالت المعتزلة للاتسكة أفضل وعليه القلاسة . وخرج أصحابنا بوجوه : الأول قوله تعالى ( وإد قننا للاتسكة اسجدوا لآدم ) فأمروا بالسجود لآدم وأمر الأذن بالسجود للأفضل هو السابق إلى الفهم . والثاني قوله تعالى ( وعلم آدم الأسماء كلها ) إلى قوله ( سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا إنك أنت العزيز الحكيم ) فانه يدل على أن آدم عليه السلام علم الأسماء كلها ولم يطمعها والعالم أفضل من غيره ، وقال الله تعالى ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) والثالث أن للبشر عوائق عن العبادة من شهوة وغضب وحاجة الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة منها شيء ، ولا شك أن العبادة مع هذه العوائق أدخل في الإخلاص وأحق فيكون أفضل ، وتفصيل هذا في شرح الصلاة التفتازاني على العقائد فليك يطلعه . قال عليه الصلاة والسلام : أفضل الأعمال أحمرها ، أي أشقها فيكون ثوابها أكثر . والرابع أن الإنسان ركب تركيباً بين تلك الذي له عقل بلا شهوة وبين البهيمة التي حالها شهوة بلا عقل فبقته له حظ من اللاتسكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ، ثم إن غلبت طبيعته على عقله فهو أشر من البهائم لقوله تعالى ( أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الضالون ) وقوله تعالى ( إن شر الدواب عند الله الصم ) وذلك يقتضي أن يكون من غلب عقله على طبيعته خيراً من اللاتسكة ( كذا في شرح المواقيف ) . ( حق ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وذريته قالت اللاتسكة يارب خلقهم يأكلون ويحربون وينكحون ويركعون ويلبسون الثياب وينامون ويسرحون ولم تجعل لنا شيئاً من ذلك فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا أجعل من خلقته يدي وشئت فيه من روعي كمن خلقته بكن فيكون ، أي كمن خلقته بمجرد الأمر وهو ذلك . يعني لا يستوى البشر والملك في الكرامة والقربة بل محرامة البشر أكثر ومنزلة أعلى ( مصابيح ) يقال تركيب الأفلاك والبروج مثل تركيب الإنسان ، فكذلك الأفلاك ستة كذلك الأعضاء والملك منقسم إلى اثني عشر برجاً وكذلك في الجسد اثنا عشر هجلاً هيان وأدان ومنخران وسيلان وثديان وفم وسرة ، ستة من البروج جنوبية وستة شمالية وكذلك ستة تحوب من جهة اليمن وستة من جهة اليسرى ، وفي القللك سبعة آتيم وفي الجسد سبع قوى سامية وناظرة وشامة وذاتقة ولامة ومطقة وناطقة ، فركاتك مثل حركات الكواكب وولادتك مثل طلوع الكواكب وموتك مثل غروب الكواكب وهذا الاعتبار في العالم

العالى . وأما في العالم السفلي فجبك كالأرض وعظامك كالجبال ومحك كالامدن وعروقتك كالجداول ولحك كالتراب وعمرك كالنباتات ووجهك كالشرق وظهورك كالغرب ويميتك كالجنوب . وقمائك كالشمس وتفسك كالريح وكلامك كالرعد وضحكك كالبرق وبكائك كالطرر وغضبك كالسحاب ونومك كاللوت وسهرك كالحياء وشبابك كالصيف وهيجوختك كالشتاء ( فبارك الله ! أحسن الخالقين ) وجعل في الكف خمسة وثلاثين عظما وفي الرجل كذلك ( زهرة الرياض ) روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ( رب العالمين ) أن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم أربعة أصناف : لللائكة والسياطين والجن والإنس ، ثم جعل هؤلاء الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منهم لللائكة وجزء واحد منهم الشياطين والإنس والجن ، ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين وجزء واحد منهم الإنس والجن ، ثم جعلها عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وجزء واحد منهم الإنس ، ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءا ، فجعل مائة جزء منهم في بلاد الهند ومصيرهم كلهم إلى النار وجعل اثني عشر جزءا في بلاد الروم ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في الشرق ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في المغرب كلهم من أهل النار ، وبقي جزء واحد ثلاثة وسبعون جزءا اثنان وسبعون منها أهل البدعة والضلالة وفرقة منها ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغير لمن يشاء ويغيب من يشاء ( تفسير الوسيط ) ،

مثل أبو بكر البلخي عن الفقيه لو أخذ جائزة السلطان مع علمه أن السلطان أخذها ضيقاً أيحل ذلك ؟ قال إن كان السلطان خلط الحرام بضمها يحض فلا بأس بأخذه ، وإن دفع إليه عين العصب من غير خلط لا يجوز أخذه . قال الفقيه أبو الليث هذا الجواب يستقيم على قول أبي حنيفة ، إذ عنده من غصب الحرام من قوم وخلط بضمها يحض يملكها الفاسد ويحكمون مديوناً لهم . وذكر في استان الطائفتين أن الناس اختلفوا في أخذ جائزة السلطان ، فقال بعضهم يجوز ما لم يعلم أنه يعطيه من الحرام ، وقال بعضهم لا يجوز . أما من أجازته فقد ذهب إلى ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال : إن السلطان يصيب من الحلال والحرام فما يملكه فأنما يملكه من الحلال . وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أعطى شيئاً من خير مسألة فليأخذها فأنما هو رزق الله تعالى » . وروى عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال : رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتيهما هدايا المختار فيقبلانها مع كونه مشهوراً بالظلم . وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله عليه عن حماد أن إبراهيم النخعي رحمه الله خرج إلى زهير بن عبد الله الأزدي وكان عاملاً على

حارون يطلب جائزته هو وأبو نذر الحمداني رضى الله تعالى عنه ، قال محمد رحمه الله وبه تأخذ عالم نعرف شيئاً من إعطائه حراماً وبه وهذا قول أبي حنيفة ( موعظة ) أقول في زماننا لا يمكن الأخذ بالقول الأحوط في الفتوى لأن الاستفتاء البالغ في الحلال على قانون الورع الأمل مما يفضى إلى المخرج سيما في حق الطيبة وهو مدفوع في الدين بل الترخع هو لليزان المستقيم لما لا يذمه الشرع فهو حلال ورحمة من الله تعالى على عباده فإذا تمسك أحد بالشرعية فليس لأحد أن يشكر عليه لأن الإسكار استخفاف بالشرعية لمن استخفها بخلاف عليه زواله الإيمان . إذا تحقق هذا فالورع والفتوى في هذا الزمان أن يحمل ما في يد كل إنسان ملكاً له ما لم يتقن أنه بيته منصوب أو مسروق وإن علم يقيناً أنه حراماً إنقال فاضحاً في فتاواه رجل دخل على سلطان قدم إليه شيء من للأكولات إن لم يعلم أنه بيته فصب يحمله أن يأكل لأن الأصل في الأشياء الإباحة والإملاء ( من استمدادات الحقير ) .

قال الله تعالى في سورة يس ( وآية ) عظيمة من أدلة على كمال قدرتنا ووجدانيتنا ( لهم ) أي يستدلون بها على صدقنا ( أنا ) أي بشأن عظمتنا ( حملنا ذريتهم في الفلك ) والمراد بالذرية الآباء والأجداد وإن كان اسم الذرية يقع على الأولاد ( للشحون ) أي للشحون والمراد بالفلك سفينة نوح عليه السلام ، وهؤلاء من نمل من حمل مع نوح عليه والسلام وكانوا في أصلاب آبائهم . قال بعضهم : المراد بالفلك للشحون سفينة هذا الزمان وذريتهم في السفينة التي تجري في البحر وليس لها بد ورجل وتقطع مسيرة عشرين يوماً في يوم واحد هذا كله يدل على كمال قدرتنا ( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيئتها ، وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الأنهار كالقوارض الكبار في البحر ، وهذا قول فتاة والضحاك وغيرهما . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن المراد من مثله الإبل في البر كالسفن في البحر يعني خلقنا لهم في البحر السفن يركبونها وخلقنا لهم في البر الإبل والفرس والحمار يركبونها ، وهذا كله يدل على قدرتنا وقوتنا ( من معالم التنزيل وغيره ) .

### المجلس الرابع والثلاثون : في بيان صلاة التهجد

سورة الإسراء - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ومن الليل فتهجد به ) أي بمنى الليل فانترك المجهود للصلاة والضمير للقرآن ( نافذة لك ) لمريضة والنافذة لك على الصلاة للفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبها بك ( حتى أن يشك ربك مقاماً محموداً ) مقاماً محموداً القائم فيه وكل من عرفه وهو يطلق على كل مقام يتضمن كرامة . والشهور أنه مقام الشاعرة لما روى عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام

أنه قال : هو التمام الذي أشفع له لأمتي ، وإحصائه بأن الناس يمدونه بقيامه فيه وماذا إلا مقام الشفاعة ، واتصافه بالظرف بإضمار فعله أي تقييماً مقاماً أو بتضمنين يعنيك بمعناه ، أو الحال يعني أن يسلك مقام ( قاضي يضاوي ) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ملأ من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على إلا وإنيهما لم ينصرفا حتى ينظر الله ذنوبهما ما تقدم وما تأخر من كرمه » . وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أنه كان جالساً في المسجد فدخل عليه شاب فسلمه وأجلسه بجانبه فوق أبي بكر ثم اعتذر عليه الصلاة والسلام فقال إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا من يصل على أكثر منه وهو يقول كل خدعة وعنى : اللهم صل على سيدنا محمد بعد من صلى عليه وصل على سيدنا محمد بعد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصل عليه وصل على محمد كما أمرت أن يصل عليه فذلك أحسنه أعلى منك » ( زبدة الواعظين ) قوله : ومن الليل متعلق ، بهجد أي تهجد بالقرآن في بعض الليل فترك المصنوع ، والأظهر أن يكون متعلقاً بتقدير عطف عليه فتهجد لأن الغناء لا بد لها من العطف عليه ، والتقدير قم من الليل تهجد بالقرآن ( شيخ زاهد ) وقوله : ومن الليل تهجد أي قم بعد نومك تهجد لأن التهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والبراد من الآية قيام الليل والصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الأمة في ابتداء الإسلام لقوله تعالى ( يا أيها الزملم قم الليل ) الآية ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاحتجاب بدليل قوله تعالى ( فاقرءوا ما تيسر من القرآن ) وبقي الوجوب ثابتاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل قوله تعالى ( نافلة لك ) أي زيادة لك يرد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله تعالى ، وقيل صار الوجوب منسوخاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حق الأمة فصار قيام الليل نافلة له عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك ( من تفسير الخازن ) للبراد بالنافلة الفصيحة لقضه على أمته بوجوبها عليه وزيادة ثواباً وهي فضيلة له لا مكفرة لذنوبه لكونه مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ( شهاب ) . فان قلت : لما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حق النبي عليه الصلاة والسلام . قلت فائدة التخصيص أن التوافل كفارات لذنوب العباد والنبي عليه الصلاة والسلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان نافلة له وزيادة في رفع الدرجات العاليات ، بخلاف الأمة فان لهم ذنوباً محتاجة إلى الكفارة فهم يحتاجون إلى التوافل لتكفير الذنوب والسيئات لا لخفض زيادة الثواب ، للإشارة إلى هذا المعنى جعل تطوعات النبي عليه الصلاة والسلام زوائد في مثوبته

بخلاف الأمة ( شيخ زاهد ) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقيام الليل وكتب عليه دون أمته ولكن صحح الشوى أنه سخط عن النبي عليه الصلاة والسلام فرضية التهجيد ( شهاب ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « رحم الله تعالى رجلا قام من الليل فصل وأيقظ امرأته وإن أبت لصبح بالماء وجهها ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصل فإن أبى نضحت بالماء وجهه » ( موعظة ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على فرضة وسنة لكم : البر والسواك وتيديم الليل » ( شهاب ) عن حمير بن الخطاب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله تعالى بتسعة أشياء : خمسة في الدنيا وأربعة في الآخرة ، الخمسة التي في الدنيا يحفظه الله من الآفات ويظهر أثر الطاعة في وجهه ورجبه قلوب عباده الصالحين والناس أجمعين وينطق لسانه بالحكمة ويحصل حكميا أى برزقه الفقه . والأربعة التي في الآخرة يحضر من القبر أيضا الوجه ويسر عليه الحساب ويمر على الصراط كالبرق الخاطف وسطى كتابه يمينه يوم القيامة ( روضة المراء ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : لية أسرى بي إلى السماء أوصاني ربي بخمسة أشياء فقال لا تعلق قلبك بالدنيا فإن لم أخلقها لك ، واجعل محبتك لي فإن مصيركم إلي ، واجتهد في طلب الجنة وكفى آيساً من الخلق فإنه ليس في أيديهم شيء . ودم على التهجيد فإن النصرمة مع قيام الليل ( شريعة الإسلام ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من استيقظ من النوم فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وللمؤمنات فقد غفر له ربه » ( روضة الواعظين ) قال إبراهيم بن آدم نزل بي أضياف فقلت لهم أريدكم ، قلت أوصوني بوصية حتى أخلف الله تعالى تكفينكم ، فقالوا نوصيك بسبعة أشياء : أولها من كثرت كلامه فلا تطمع فيه يقظة القلب ، وثانيها من كثرت أكله فلا تطمع فيه الحكمة ، وثالثها من كثرت اختلاطه بالناس فلا تطمع فيه خلوة الصالحة ، ورابعها من أحب الدنيا فلا تطمع فيه حسن الخاتمة ، وخامسها من كان جاهلا فلا تطمع فيه حياة القلب ، وسادسها من اختار محبة الظالم فلا تطمع فيه استقامة الدين ، وسابعها من طلب رضا الناس فلا تطمع فيه رضا الله تعالى عنه ( حديث الأربعين ) ( تب ) من أبى أمانة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم من الأنبياء والأولياء » روى أن آل داود عليه السلام كانوا يقومون ، وفيه نبية على أنكم أولى بذلك ، فإنكم خير الأمم ، وإيمان إلى أن من لا يقوم في الليل ليس من الصالحين الكاملين

« ومقرب لكم إلى ربكم » أى أقرب إلى محبة مولاكم بما تتقربون به إليه تعالى ، وفيه إشارة إلى الحديث القدسي وهو قوله : « لا يزال الصد يتقرب إلى ياكواقل حتى أحبه » « ومكفرة للسيئات ومحبة » هما مصدران مبنيان كالحمدية بمعنى الفاعل ، أى سائرة الذنوب ومحبة للمحبوب قال الله تعالى ( إن الحسنات يذهبن السيئات ) « ونهاية من الإثم » قال الله تعالى ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكر ) ( على الفارسي عليه رحمة الباري ) قال عليه الصلاة والسلام « أشفع لأمتي حين ينادى ربى فيقول أَرْضَيْتُ يا محمد ؟ فأقول يا رب رَضَيْتُ » ( حديث الأربعين ) عن عمر بن عبد العزيز أنه كان خليفة وكان من الزاهدين قالت له جاريته يوماً يا أمير المؤمنين إنى رأيت رؤيا هبة فقال ما رأيت ؟ قالت رأيت القيامة قد قامت وحشر الناس ونصب اليزان ومد الصراط عليها ، وجاءوا أولاً ببعد الملك بن مروان وقالوا له أخبر من هذا فلما وضع قدميه على الصراط وأراد أن يمشى ، فنامتى من خطوة أو خطوتين إلا سقط في النار ، ثم جاءوا بابيه الوليد بن عبد الملك وقالوا أخبرنا وضع قدمه على الصراط إلا وقع في النار ، وكان الخلقاء كلهم مثل ذلك ، ثم جاءوا بك يا أمير المؤمنين ، فلما قالت الجارية ذلك صاح عمر بن عبد العزيز صيحة واضطرب اضطراباً عظيماً كالسمك في الشبك وجعل يضرب برأسه أرضاً وجداراً والجارية تصيح وتقول : والله رأيت أنك في الجنة وجاوزت الصراط سالماً ، فلم يسمع كلامها من اضطرابه فلما سكن اضطرابه وجدوه قد مات ( موعظة ) قال عليه الصلاة والسلام « يقدر الشيطان على ناحية رأس أحدكم إذ هو نائم ثلاث عقد ، فإذا استيقظ قد ذكر اسم الله تعالى انحلت عقدة واحدة ثم إذا توضأ انحلت عقدة ثانية ، ثم إذا صلى انحلت عقدة ثالثة فأصبح لشيطناً وإلا بال الشيطانات في أذنيه » ( كذا في الشكاة ) قال الإمام الترمذى رحمه الله : إنا كان أول الليل نادى مناد من تحت العرش ألا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله ، ثم ينادى مناد في خطر الليل ألا ليقم الخائفون الذين يطيلون قيامهم في الصلاة إلى السحر ، ثم ينادى مناد ألا ليقم المستغفرون فيقومون فيستغفرون ، وإذا طلع الفجر ينادى مناد ألا ليقم النافلون فيقومون من فرائضهم كالنوى ينشرون من قبورهم ، ولما أوصى لقمان ابنه ، وقال يا بني لا تكن ثامناً والديك ينادى في الأسواق وأنت نائم ، وقال الشيخ عبي الدين بن العربي قدس سره : عليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم النعمة وأقل ذلك بشر آيات أى في الصلاة ، وكذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من قام بمشر آيات في الصلاة لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من السكثرين ثواباً وهو كمن تصدق بسبعين ألف دينار » ( كذا في زبدة الواعظين ) حكى أن موسى عليه السلام مر يوماً



رجل وهو يصل مع خضوع وخشوع فقال يا رب ما أحسن صلاته ؟ قال الله تعالى يا موسى لوصل لي كل يوم ولية الفدركة وأعتق ألف رقبة وصل على ألف جازة ورجع ألف حبة وغزا ألف غزوة لم ينقص حتى يؤدي زكاته ما له ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ومنع الزكاة بنشأ من حب الدنيا ( موعظة ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : لا من حافظ منكم على الصلاة حيثما كان وأبنا كان جز على الصراط كالبرق الخاطف مع أول زمرة من السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان له بكل يوم ولية كأجر ألف سيد . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » فان قلت لم هذا الأجر العظيم للفعل اليسير القليل ؟ قلت أما سمعت حكاية الشافعي رحمه الله حكى عنه أنه سقط سوطه من يده فأسرع إليه فخص فأخذه فأعطاه إياه ، فدفع إليه الإمام صرة فيها مبلغ عظيم قليل له لم هذا الأجر العظيم لهذا الفعل اليسير ؟ فقال الإمام : إنه استعمل قيا جميع وسه ونحن ما استعملنا إلا البعض من وسعنا ، هذه معاملة الشافعي ، فكيف معاملة رب العالمين ؟ فان الشافعي روى حديثاً في ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « يقبل ربى بذر واحد ألقى كيرة » لا سيما تكبيرة الافتتاح في الصلاة قال النبي عليه الصلاة والسلام « التكبيرة الأولى خير من الدنيا وما فيها » قيل المراد منه لو كانت لك الدنيا فأخفقتها في سبيل الله تعالى لم يحصل لك ما يحصل بالتكبيرة الأولى ( موعظة ) .

### المجلس الخامس والثلاثون : في بيان فضيلة الأصحاب

#### سورة الكهف — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( واسبر نفسك ) واجسها وثبتها ( مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ) في مجامع أوقاتهم أو في طرق التبار ( يريدون وجهه ) رضا الله وطاعته ( ولا تعد عيناك عنهم ) ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم ، وتمديته من لتضمنه معنى ثبات ( تريد ربة الحياة الدنيا ) حال من الكفاف في الشهوة ( ولا تطع من أعطنا قلبه ) من جعلنا قلبه لافلا ( عن ذكرنا ) كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لتناديد قريش ( واتبع هواه ) وجوابه ما مر غير مرة ( وكان أمره لرمط ) أي قدما على الحق وبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم الخيل ومنه الفرط ( قاضي يضاهي ) .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من صلى على صلاة » بأن قال اللهم صل على محمد ومناه يا رب أعط ما أعطيت من الشرف والكرامة « صلى الله عليه عشراً » الصلاة من الله على العبد رحمة له « وحطت عنه عشر خطيئات ورحمت له عشر درجات » . قيل هذه الآية نزلت حين طلب رؤساء الكفار

طرده فقراء المسلمين عن مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام كصهيب ومهار وحباب وسلمان وغيرهم ، قالوا اطردهم عن مجلسك يا محمد حتى نجلس معك لأنهم قوم أردلون كأن ربحهم ربح ضأن ونحن رؤساء القوم نستكشف الجالوس معهم ، فان طردتهم آمنا بك فهم عليه الصلاة والسلام أن يفعل ذلك لحرمه على إيمانهم قتل جبريل عليه السلام بقوله الله تعالى — ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه — فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهاني الله عن طرده هؤلاء ، فقالوا اجلس لنا يوماً ولهم يوماً فقال لا أفضل ، فقالوا فاجعل المجلس واحداً وأقبل علينا بوجهك وول ظهرك إليهم قتل قوله تعالى ( واصبر نفسك ) الآية . ( معلم ) وقال قتادة هذه الآية نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعاً في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا إلى ضرع يصاون صلاة وينظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام : « الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم » ( معلم التزييل ) عن أنس رضي الله عنه أنه قال : بعث الفقراء إلى رسول الله واحداً فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك قال عليه الصلاة والسلام مرحباً بك وبمن أقدمك جئت من قوم أحبهم الله ، فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحبون ولا تقدر عليه ويتصدقون ولا تقدر عليه ويستقون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بشوا بفصل أموالهم دخرأ فقال عليه الصلاة والسلام : سلم على الفقراء وبلغهم عني أن من صبر منك واحتسب لله ثلاث خصال ليست للأغنياء : الأولى أن في الجنة غرفة من يا قوته حمره ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ولا يصل إليها إلا نبي أو ولي أو شهيد أو مؤمن قدير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يستمعون فيها حيثما شاءوا ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب اللال واللك الذي أعطاه الله تعالى في الدنيا . وقال عليه الصلاة والسلام « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً » أي سنة . فان قلت ما التوفيق بين الحديثين ؟ قلنا يجوز أن يكون السابق بخمسمائة عام فقيراً صابراً ، والسابق بأربعين خريفاً غير صابر ، ويجوز أن يكون السابق بأربعين خريفاً فقراء المهاجرين على أغنيائهم لا مطلق الفقراء ولا الأغنياء .

( وحكي ) أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال ألك امرأة تأوى إليها ؟ فقال نعم . قال ألك مسكن تسكن فيه ؟ قال نعم ، قال أنت من الأغنياء قال طان لي خادماً فقال أنت من اللوك . والثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خلصاً وقال الفنى مثل ذلك خلصاً لم يبلغ ثواب الفنى مثل ثواب

الفقر وإن أتقى الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذا الحال في كل أعمال البر لرجح إليهم رسولهم فأجبرهم بذلك فاستبشروا وقالوا ربنا يارب بالفقر انتهى . ( من ابن ملك على للشارق ) وقال أبو الليث : الفقراء خمس كرامات : إحداها أن ثواب عملهم أكثر من ثواب عمل الأغنياء في الصلاة والصدقة وغيرهما . والثانية أن الفقير إذا انتهى عبثاً لا يجده يكتب له من الأجر . والثالثة أنهم صابغون إلى الجنة . والرابعة أن حسابهم في الآخرة أقل . والخامسة أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يجمعون في الآخرة أن لو كانوا فقراء . وروى عن حمير رضي الله تعالى عنه أنه قال : « دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير وإذا الحصير قد أثر في جنبه فظننت في خرونته فرأيت نحو صاح من حمير فبكيت ، فقال ما يبكيك قلت كسرى بوقصر ينامان على فراش حرير وأنت رسول الله أرى فيك من الفقر ما أرى . فقال عليه الصلاة والسلام يا عمر ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ وإنما قال لنا ولم يقل لي مع كون السؤال عن حله إشارة إلى أن الآخرة لنا فيه أيضاً ، وروى « يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » يعني أن حظ الكفار ما نالوه من نعيم الدنيا ولا حظ لهم في الآخرة انتهى ( من ابن ملك على للشارق ) وقال عليه الصلاة والسلام : « يقوم فقراء أمتي يوم القيامة وجوههم كالقمر وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبأيديهم أقلام من نور ويعلمون على منابر من نور والناس في الحساب ويظهر أهل الجنة إليهم فيقولون أهؤلاء من الثلاثكة فيقولون لا وتظهر إليهم الثلاثكة فيقولون أهؤلاء من الأنبياء ؟ فيقولون لا ، بل نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيقولون بأي الأعمال رزقكم الله تعالى هذه الدرجات ؟ فيقولون لم تكن أعمالنا كثيرة ولم نصم الدهر ولم تقم الليل بل كنا نحافظ على الصلوات الخمس بالجراحة وإذا سمعنا اسم محمد عليه الصلاة والسلام طاشت عيوننا بالسمع وكنا ندعوا من قلب خاشع ونشكر الله على الفقر الذي أصابنا » ( زبدة الواعظين ) وعن حمير بن عصب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصلتان من كاتنا في كتبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فلا تحدى به ، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه لم يجد الله تعالى على فضل الله عليه كما قال الله تعالى ( ولا تمننوا ما فضل الله به بضمكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ) وسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً » وعن شقيق الزاهد رحمه الله تعالى أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء نصب النفس وشغل القلب وشدة الحساب ( زبدة الواعظين ) وقال الجنيد البغدادي للفقير ثلاثة أحرف : الفاء هو الفناء والفاء هو الفاقة والقاعة والراء هو الرضاة وإن لم تكن هذه

الصفات موجودة في الفقير لا يكون فقيراً ، قيل للوالى أى الأغنياء يدخلون الجنة بعد محاليتهم بخمسائة سنة ، وقراء الكفار يدخلون النار بعد أعبالهم بخمسائة عام لكن ينبئ لك أن تعرف أن السبق لا يتأخر رفع الدرجات على من تأخر بل قد يكون بعض من تأخر كالذين أختفوا ما لهم في وجوه الخيرات أرفع درجة ممن سبقه في الدخول ( من ابن ملك ) ، حكى أن الجيد البغدادي لما مات أبداً مكانه رجل يقال له محمد الحريري وهو قد جاور مكة سنة ولم يقطر ولم يمت ولم يسند ظهره إلى جدار ولم يمد رجله ، فلما مضى من عمره ستون سنة جلس في مقام التطية قيل له أى شيء رأيت من السجائب ؟ قال بينا أنا جالس في زاوية إذ دخل على عاب حاسراً رأسه وحائياً رجله متفرقاً عنقه مصفراً وجهه جعل يتوسأ وصلى ركعتين ثم جعل رأسه في جيبه حتى حضر وقت المغرب فصلى معنا للمغرب ثم جعل رأسه في جيبه فاتفق في تلك الليلة أن دعا خليفة بشداد الصوفية للنصيحة فأردنا الخروج للإجابة فقلت له يا فقير أريد أن نخرج معنا للإجابة ودعوة الخليفة قال ليس لي حاجة عند الخليفة ولكن أريد أن تجلس لي صبيحة ثمينة فقلت في نفسي لا يوافق في الإجابة ويريد مني شيئاً تركته وأتيت مجلس الخليفة ثم أتيت زاويتي فرأيت الشاب كأنه نائم فحمت أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الشيخان الأنوران وخلفه جماعة عظيمة تتلأأ وجوههم نوراً قيل لي هذا رسول الله وعن يمينه إبراهيم خليل الله وعن يساره موسى كلم الله والذين خلفه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقبل يده فقول وجهه عنى ثم قلت كذا فقول وجهه ثانياً وثالثاً ، قلت يا رسول الله أى شيء صدر مني أعرضت عنى بوجهك الكريم فنظر إلى عمره وجهه كالياقوتة الحمراء لجلاله فقال إن فقيراً من قرائنا أراد منك عسيمة فبخلت بها وتركته جائعاً في هذه الليلة فانتبهت خائفاً تركت فرائضي ، وهي اللحوح التي تعلق بالعصب فغاب الشاب فلم أجده في مكانه فخرجت من الزاوية ورأيت يذهب قلت يا فتى بالله الذي خلقك أصبر ساعة حتى أجيء بصبيدة فنظر إلى منبسطاً وقال يا شيخ من أراد لقمة منك فأين يهدمها وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء يأتونك شفعاء للقمة من عسيمة قال هكذا لو غاب ( مشكلة الأنوار ) قال الله تعالى ( مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ) مثل نفقات النفقة في طاعته ( كمثل حبة ) لزراع زرعها في أرض خامسة ( أنبت سبع سنابل ) فرساً وتقديراً .

هو الله ولسكنها سبب الإنبات أى أخرج سبع شعب من أصلها لجودة الحبة وحذقة الله . وهمارة للوضع ، وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة وهو سنبلات ( في كل سبب حبة ) فيكون جعلها سبعائة حبة ؛ فكذلك للتصدق الصالح بالمال الصالح إذا أعطاه

من يستحقه بادن الشرع ، يعطيه الله بكل صدقة سعة حسنة أو أكثر ( والله يضاعف ) أى يزيد الثواب ( لمن يشاء ) من المؤمنين لا لكل منفق لتفاوت الأحوال بينهم ( والله واسع ) أى واسع الفضل لتلك الأضغاف ( عليم ) بإتقانهم ونياتهم ، ثم بين لهم طريق الإيقاق في سبيله لئلا ثوابهم يقال ( الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ) أى يصرفونها في مواضعها ( ثم لا يبعون ما أنفقوا ) منها ( منا ) أى لا يمتنون عليهم بما تصدقوا بأن يقولوا التصديق للأناس طاعتك كذا وأحسن إليك كذا ( ولا أذى ) أى ولا يؤذونهم بأن يقولوا التصديق المؤذي فى قد أعطيتك ، فما هكرت إلى أوكم تأييد وتؤذي أوكم تسأله ألا تستحي ( لهم أجرهم ) ثوابهم مهبطاً ( عند ربهم ولا خوف عليهم ) في الآخرة ( ولا هم يحزنون ) على ما خلقوا من أمر الدنيا ، قيل نزلت هذه الآية في شأن عثمان حين اشترى بئر رومة وجعلها سبيلاً على المسلمين ، ثم قال الله تعالى تأكيد النفي للذين والأذى ( قول معروف ) الآية ( تفسير حيون ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « الضيف بركة من الله ونعمة من الله ومن أكرم الضيف فهو معي في الجنة ومن لم يكرم الضيف فليس معي » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أراد أن يحبه الله ورسوله فلأ كل مع ضيفه » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حق الصدقة وضائلها : « الصدقة ستر من النار » فإذا كان يوم القيامة يستظل الناس بظل صدقاتهم » . ( زهرة الرياض )

### المجلس السادس والثلاثون : في بيان ذم الدنيا وزوالها

سورة الكهف — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ) إذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها القرية ( كآء ) هو كآء ، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لاضرب على أنه بمعنى صير ( أرلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ) فالتف بيبه ، وخالط بضمه بشا من كثرته ومكثته ، أو نجح في اثبات حق روى وورق ، وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للبائنة في كثرته ( فأصبح هشياً ) مهشوماً مكسوراً ( تذرؤه الرياح ) تفرقه وقرى تفرقه من أفردى والعبه به ليس الماء ولا حله ، بل الكيفية للترعة من الجنة وهي حلك النبات للثبث بالماء يكون أخضر وارفاً ، ثم هشياً تطيره الرياح فبصير كأن لم يكن . ( وكان الله على كل شيء ) من الإنشاء والإفناء ( مقتدراً ) قادراً ( المال والبنون زينة الحياة الدنيا ) يفرز بها الإنسان في دنياه وفتنى عنه عن الحرب ( والباقيات الصالحات ) وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرة أبداً والآباد ويندرج فيها ما فسرته به من الصلوات الخس وأعمال الحج وسيام رمضان وسبحة الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب ( خير عند ربك )

من المال والسبب (ثوباً) عائداً (وخير أملاً) لأن صاحبها يال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا (قاضى يضاًوى) .

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : إن الله تعالى خلق ملكاً وأعطاه سمع الخلائق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم الدين لما من أحد من أمي صلى على إلا سمع باسمه واسم أبيه ، وقال يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك ؟ (أبو السعد) قال عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام يوم أمس قد مضى ما يندك منه شيء ، ويوم غد لا تدري أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاقضه . والدنيا ثلاث ساعات : ساعة مضت ، وساعة لا تدري أتدركها أم لا ، وساعة أنت فيها فاقضها ، فليست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة ، إذ الموت من ساعة إلى ساعة . الدنيا ثلاثة أنفاس خمس : مضى عملت فيه ما عملت ، وتبقى لا تدري أتدركها أم لا ، وتبقى أنت فيه فليست تملك إلا نفساً واحداً لا يوماً ولا ساعة ، فبادر في هذا النفس الواحد إلى الطاعة قبل أن تموت وإلى التوبة قبل أن تموت ، فليست في النفس الثاني تموت وأصل الأعمال حفظ الأوقات عند الأخماس فإن من ضيع وقته ضيع عمره (تنبيه الناظرين) . وفي الخبر عن النبي عليه والسلام أنه قال لرجل وهو يسطر : اغتصم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل سقمك ، وحياتك قبل موتك . لأن الإنسان يقدر على الأعمال في حال شبابه مالا يقدر في حال هرمه ، فينبغي أن يجتهد في هذه الخمسة وينتظم أيام الصحة ووقت الفراغ مادام حياً فمن اشتاق إلى الله تعالى سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار هب عنه عن الشهوات (تنبيه الناظرين) .

روى أن ابن عمر رضي الله عنهما جاء من الكتاب وهو يكي فقال عمر رضي الله عنه ما يكيك يا ولدي ؟ فقال إن الصبيان في الكتاب عنوا رفاع ليحيى ، وقالوا انظروا إلى ابن أمير المؤمنين كم رقعة في لحيته وقد كان ثوب عمر مرقعاً في أربعة عشر موضعاً وبني الرقع كان من أديم ، فبعث عمر إلى الحازن وقال أترضني من بيت لئال أربعة دراهم إلى رأس الشهر ، فإذا كان رأس الشهر اجبه من مشاهرتي أي مما آخذ من وظيفتي شهراً شهراً من بيت لئال ، فكتب إليه الحازن يا عمر أأمن على حياتك شهراً حتى أقعدك لما تفعل بدرهم بيت لئال لومت وبقيت عليك ؟ فلما سمع عمر كلام الحازن بكى وقال : يا بني ارجع إلى الكتاب ، فإني لا آمن على روعي ساعة (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى إلى سيئه . وفي رواية : من خبز خمير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله تعالى مالا يظلم ياله . وفي رواية أخرى : ما سمع آل رسول الله من خبز بر حتى لقي الله تعالى . وقالت

عائشة رضي الله تعالى عنها « ماترك عليه الصلاة والسلام ديناراً ولا درهما ولا لغة ولا جيراً » وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه « ماترك عليه الصلاة والسلام إلا سلاحه وبخلته وأرضاً جعلها صدقة » قالت رضي الله عنها : ولقد مات عليه الصلاة والسلام وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في ردف لي وقال لي عليه الصلاة والسلام « إنه عرض علي أن أجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزعرك إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » ، وفي حديث آخر « أن جبرائيل عليه السلام نزل فقال له يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حينما كنت ، فأطرق ساعة ثم قال : يا جبرائيل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد جمعها من لا عقل له فقال له جبرائيل تمتك الله يا محمد بالقول التام » ، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت « إنا كنا آل محمد لنحكت شهرنا ما نستوقد ناراً ما هو إلا الخمر والنساء » ( شفاء شريف ) ( طب ) عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال « يا بلال ست فقيراً ولا تمت غنياً » قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لم تمتلي « جوف النبي شعباً قط ولم يبت شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من النبي وإنه كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا ينام عيام يومه ولو شاء سأله ربه جميع كنوز الأرض ومما هو ورعد عيشها ، ولقد كنت أبكي له راحة مما أدرى به وأمسح يدي على بطنه بما بمن الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبليت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا إخواني من أولى العزم من الرسل صرخوا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حلقهم قدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأحزل نواهم فأجدني أستحي إن توفرت في معيشتي أن يتصرفني عداء دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللعوق بإخواني وأخلائى قالت لما أقم بعد إلا شهراً حتى توفي صلى الله عليه وسلم ( شفاء شريف ) وعن جابر بن عبد الله قال « كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر أبيض الثياب فقال : السلام عليك يا رسول الله ما الدنيا ؟ قال حكم الناسم قال وما الآخرة ؟ قال فريق في الجنة وفريق في السعير ؟ قال فما الجنة ؟ قال بدل الدنيا لتاركها فإن من الجنة ترك الدنيا ، قال فما جهنم ؟ قال بدل الدنيا لبطالها ، قال فما خير هذه الأمة ؟ قال الذي يصل بطاعة الله تعالى ، قال فكيف يكون الرجل فيها ؟ قال مشحراً كطالب القافلة قال فكيف القرار فيها ؟ قال كقنبر للتخلف عن القافلة قال فكيف ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال فخصه عين قال جابر فذهب الرجل فلم نره فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا جبرائيل أتاكم ليزهدكم في الدنيا ويرغبكم في الآخرة » ( زبدة الواعظين ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض من الدنيا وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها » قال عليه الصلاة والسلام

« إذا طلبتم من الدنيا شيئاً فتصبر عليكم وإذا طلبتم من الآخرة شيئاً فتيسر لكم فاعلموا أن الله تعالى يحبكم ». قال النبي عليه الصلاة والسلام « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم قلبه أربع خصال : الأولى هم لا يتقطع عنه أبداً ، والثانية هغل لا يتفرغ منه أبداً ، والثالثة قمر لا يبلغ في أبداً ، والرابعة أمل لا يبلغ منتهى أبداً » ( زبدة الواعظين ) قال عليه الصلاة والسلام « حب الدنيا رأس كل خطيئة فليكن بالإعراض عنها » وقال ابن السكيت : من جرعت الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعت الآخرة مرارتها لتجافيه عنها ، قيل الدنيا مثالها مثال حبة فيها سم ونزاق أو الدهان راقها وفواكهها سمها ، لمن علمها ينتفع بتراقها ويحترز من سمها ( من اللوعة الحسنة ) روى أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنفق في سبيل الله أربعين ألف دينار في السراورسين ألتصدينار في العلانية حتى لم يبق له شيء وأمه لم تخرج من داره ثلاثة أيام فلم يجد ما يستر به عورته ولم يحضر إلى النبي عليه الصلاة والسلام فحصر عليه الصلاة والسلام إلى بيت نساءه ، وفنقش غم يحميها زائد على حوائجهم فجاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى بيت فاطمة فاعتم لأبي بكر وقال : ليس عندنا شيء فعطيه لأبي بكر وكذلك فاطمة افتتحت فخرج عليه الصلاة والسلام من عندها حزناً وبقيت فاطمة حزينة فلم تجد شيئاً تعطيه ، وحين زوجها النبي عليه الصلاة والسلام من علي دعا أبا بكر وعمر وعثمان وأسامة رضي الله عنهم ليحملوا جهاز فاطمة فحملوا طاحونة وجهداً مديوناً ووسادة حشوها ليف ومسبحة من النوى وكوراً وقصعة ، فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله هذا جهاز فاطمة فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر هذا كثير لمن كان في الدنيا ، فخرجت فاطمة عروساً عليها ثوب من صوف رقت في اثني عشر مكاناً وكانت تطحن الشعير باليد وتقرأ القرآن باللسان وتفسره بالقلب وتحرك للهد بالرجل وتبكي بالعين ، وامرأة زماناً تضرب الصف باليد وتفتاب باللسان وتحم الدنيا بالقلب وتمز بالعين ؛ فكيف تدخل الجنة ! ثم لما خرج النبي عليه الصلاة والسلام حزناً من بيت فاطمة قصدت إلى وسادة كانت من جهازها وعبادة كانت لمسجها بنفسها وبشت بجارية لها قالت : قولي لأبي بكر قد علمنا ما فعلت في حق أيتنا ، ولم يكن عندنا شيء سوى هذه الوسادة التي جهزني بها والدي والعبادة ، فلما وصلت الجارية إلى الباب غادت وقالت : السلام عليك يا صاحب الصدق إن سيدتي فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام تمزلك السلام وتقول لك كذا . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليها السلام وأخذ تلك العبادة لاشتعل بها من غير خياطة استسجالاً ليرى وجه النبي عليه الصلاة والسلام وخطها بخلال من شوك النخل لئلا ينكشف وقت الشيء فخرج إلى النبي عليه الصلاة والسلام ماشياً حافياً فجاء جبرائيل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فرآه قد اشتعل بعبادة وخطها بشوك النخل فقال عليه الصلاة



والسلام يا أخى يا جبرائيل إني قبل هذه الحالة ما رأيته قط بهذه الصورة قال جبرائيل : يا رسول الله أنت ترانى ولم يبق فى ملكوت السموات إلا من تزىا بهذه الصورة حبألى أبى بكر ومواقفة له وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك قل لأبى بكر هل هو راض عنى كما أنا راض عنه ، فأخبره النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ، فبكى أبوبكر وقال : يا محمد أنا عند راض وأنت راض منى ثلاث مرات ( تنبيه الغافلين ) وقال عليه الصلاة والسلام « أربع خصال من الشقاوة : جهود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، وحب الدنيا » وقال عليه الصلاة والسلام « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة أو جناح طير ماستى كافراً منها شربة ماء » ( زبدة الواعظين ) .

### المجلس السابع والثلاثون : فى بيان شدة الموت

سورة مريم — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( واذا ذكرنى الكتاب إندرس ) وهو بسيط حيث وجد أبى نوح واسمه أخنوخ ، واشتغافى إندرس من الدرس فلقب به لكثرة قدره إذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب ( إنه كان صديقاً نبياً ورفيقاً مكارماً علياً ) من شرف النبوة والرفقة عند الله ، وقيل الجنة ، وقيل السماء السادسة أو الرابعة ( قاضى يضاهى ) .

وقد روى عبد الرزاق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « صلوا على أنبياء الله تعالى ورسوله فإنه يشهم كما يشى » . وروى أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك ومن ممسك إلى أذنك ، فأكثر الصلاة على محمد . فالمسئلة الشريفة مختلفة بين العلماء . قال صاحب الشفاء : أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : لا تجوز الصلاة على غير النبي . وقال لا يبنى الصلاة على أحد إلا على النبي والاختلافات كثيرة ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم ، واحتج بحديث ابن عمر رضى الله عنهما وبما جاء فى حديث تعليم النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة عليه ، وفيه وعلى أزواجه وعلى آله ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم صل على آل أبى أوفى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أله قومه بصدقهم قال اللهم صل على آل فلان . وفى حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته ( من شفاء قاضى ) والراد بالآله قيل أتباعه ، وقيل أمته وقيل آل بيته ، وقيل آل الرجل ولده ، وقيل قومه ، وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة . وفى رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : من آل محمد أقال كل نقي وبه على مذهب الحسن أن المراد بآله محمد نفسه فإنه عليه الصلاة والسلام كان يقول

في صلته اللهم احمل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه الشريفة (شهداء شريف) وفي الخبر  
 « إذا أراد الله تعالى فسر روح المؤمن يحيى ملك الموت من قبل لم ليتقبض روحه فيخرج الله كره  
 فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة إنما أجرى فيه ذكر ربى فيرجع ملك الموت إلى ربه فيقول قال  
 كذا وكذا فيقول الله تعالى اقض من جهة أخرى فيحيى ملك الموت من قبل اليد فتخرج منها  
 الصدقة ومسح رأس اليتيم وكتب العلم وضرب السيف فتقول كالأول ، ثم يحيى إلى الرجل فتقول  
 كالأول فانه قد مضى إلى الجماعة والأعياد ومجالس العلم ، ثم يحيى إلى أديبه فتقول كالأول فانه مع  
 في القرآن والذكر ويحيى إلى العين فتقول كالأول فانه نظر في إلى المصاحف والكتب ثم ينصرف  
 ملك الموت إلى الله تعالى فيقول يا رب غلبتني أعضاء البدن بالجملة كيف أقبض روحه ؟ فيقول الله  
 تعالى اكتب اسمي على كعبك وأره روح للمؤمن قراء روح المؤمن فتجبه فتخرج من التم ، لمن بركة  
 اسمه تنصرف عنه مرارة النزع فكيف لا ينصرف عنه العذاب والقطيعة والفضيحة ، وكذلك  
 على صدوركم اسم الله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان — ألن شرح الله صدره للإسلام  
 فهو على نور من ربه ، أفلا ينصرف عكم المذاب وأهوال يوم القيامة (موعظة حسنة) .  
 روى أنه تخبر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يخفى قوله صلى الله عليه وسلم  
 « ويخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من الصمغ » ففهم القرآن بالتدبر لما وجدته  
 فرأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه فقال يا رسول الله قال الله تعالى ( ولا رطب ولا  
 يابس إلا في كتاب مبين ) فما وجدت معنى هذا الحديث فيه ؟ فقال اطلبه في سورة  
 يوسف فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى ( ولما أتته عذبتهم فلما رأته  
 أكبرته وقطعت أيديهم ) الآية لما رأى جمال يوسف اشتغل به وما وجد أن القطع ،  
 وكذلك المؤمن إذا رأى لللائكة ورأى مقامه في الجنة وما فيها من النعيم والصور  
 اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت إن شاء الله تعالى كما في قوله تعالى ( تنزل عليهم لللائكة  
 ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم موعدون ) ( سورة الإسلام ) وفي الخبر « إذا  
 وقع العبد في النزع ينادى الننادي دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الروح الركبتين  
 والسرّة وإذا بلغت الصدر قال دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الحلقوم يحيى النماء  
 دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة  
 وكذلك الأذن والأيدى والرجلان وتودع الروح النفس فتعوذ بالله من وداع الإيمان اللسان  
 ووداع القلب المعرفة فتبقى اليد بلا حركة والرجلان لا حركة لها والبيان لا نظر لها والأذن  
 لا سمع لها والبدن لا روح له ، ولو بقي اللسان بلا إقرار والقلب بلا معرفة وتمديق فكيف  
 حال البدن في الحدل لا يرى أحداً ولا أباً ولا أما ولا ولماً ولا إسواناً ولا أصحاباً ولا قرناً

ولا حجاباً ، فان لم ير رباً كريماً فقد خسر خسراناً عظيماً ( دقائق الأخبار ) قبل في سبب رفع إدريس عليه الصلاة والسلام إلى الجنة أنه كان يرفع له كل يوم وليقة من العمل مثل عمل أهل الأرض فاشتاق إليه ملك الموت وسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارته فأذن له فأتى إليه على صورة آدمي وسلم عليه وجلس عنده ، وكان إدريس عليه الصلاة والسلام صائم الدهر ، فاذا دنا وقت إفطاره أتاه ملك بطعام الجنة فأكل إدريس عليه الصلاة والسلام فقال ملك الموت كل أنت أيضاً غلباً كل ، فقام إدريس عليه الصلاة والسلام واشتغل بالمبادأة وهو جالس عنده حتى طلع الفجر وطلعت الشمس والرجل جالس عنده فتعجب إدريس عليه الصلاة والسلام فقال يا هذا أليس معي إذا سرت حتى تخرج فقال ملك الموت نعم فقاما وسارا حتى أتيا مزرعة ، فقال ملك الموت أتأذني أن آخذ من هذا الزرع سنابل لتأكل فقال إدريس سبحان الله لم تأكل الطعام الحلال أسى وتريد أن تأكل اليوم من الحرام فبعضاً حتى مضى عليهما أربعة أيام وكان إدريس عليه الصلاة والسلام يرى منه ما يخاف طبع آدميين فقال له من أنت ؟ قال أنا ملك الموت قال أنت الذي قبض الأرواح ؟ قال نعم قال أنت عندي منذ أربعة أيام فهل قبضت روح أحد ، قال نعم قبضت أرواحاً كثيرة وأرواح الخلق عندي كالسائمة أتناولها كما تتناول اللقمة قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت أجبني زائراً أم قاصداً ؟ قال جئت زائراً بأذن الله تعالى ، ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لي حاجة إليك فقال ما حاجتك ؟ قال حاجتي منك أن قبض روحي ثم يعيى الله تعالى حتى أعبد الله بعد ما ذقت مرارة الموت ، فقال إني لا أقبض روح أحد إلا أن يأذن الله تعالى به ، فأوحى الله إليه أن أقبض روح إدريس قبض من ساعته ففعلت إدريس عليه الصلاة والسلام ، فبكى ملك الموت وتضرع إلى الله تعالى وسأل منه أن يعي صاحبه إدريس فأجابه الله تعالى فأحياه فقال يا أخى كيف وجدت مرارة الموت ؟ فقال إن الحيوان إذا انسلخ جفاه حال حياته وهو حي فمرارته أشد منه ألق مرة فقال ملك الموت الرفيق الذي فصلت بك في قبض روحك ما فعلته بأحد قط ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لي إليك حاجة أخرى إني أريد أن أرى نار جهنم وأعبد الله بعد ما أبصرت الأنكال والأعلال وما فيها ، قال ملك الموت كيف أذهب بك إلى نار جهنم - فخير إذن ، فأوحى الله تعالى إليه أن اذهب بإدريس إليها ، فذهب به إليها فرأى فيها جميع ما خلق الله لأعدائه من السلاسل والأعلال والأنكال من الحيات والعقارب والبيران والقطران والزقوم والحميم ثم رجعا فقال إدريس عليه الصلاة والسلام لي حاجة أخرى أريد أن تذهب بي إلى الجنة حتى أرى ما فيها مما خلق الله تعالى للعباد وأريد في طاعتى ، فقال ملك الموت كيف تذهب بك إلى الجنة بعير إذن الله تعالى ، فأوحى الله إليه أن اذهب به إلى الجنة فذهبها ووثقا

على باب الجنة ، فرأى إدريس ما فيها من النعيم والملك العظيم والمطاء الجميم والأشجار والفواكه والأثمار ، فقال يا أخى ذقت مرارة الموت ورأيت أهوال الجحيم وأفراحها فهل لك أن تسأل الله أن يأذن لي في الدخول إلى الجنة وأشرب من مائها لتزول عني مرارة الموت وأفراح الجحيم ، فاستأذن ملك الموت من الله فأذن له على أن يدخل ثم يخرج فدخل الجنة ووضع عليه تحت شجرة من أشجارها فخرج منها ثم قال يا ملك الموت تركت نعل في الجنة فأرجعني فيها فرجع ودخل الجنة ولم يخرج منها ، فصار ملك الموت يا إدريس اخرج . فقال لا أخرج لأن الله تعالى قال : ( كل نفس ذائقة الموت ) وقد ذقته ، وقال الله تعالى : ( وإن منكم إلا واردها ) وقد وردت النار ، وقال : ( وما هم منها بمخرجين ) فمن يخرجني منها ، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت دعه فاني قضيت في الأزل أنه من أهل الجنة ، وأخبر رسوله عن قصته فقال : ( واذكر في الكتاب إدريس ) الآية . فأتته من نوم التفتة أيها الأخ وأخلص عملك لوجه الله لأن كل عمل لم يكن خالصاً لله فهو رياء والرياء شرك خفي ، فلهذا تعالى لا يقبل عمل للرائي . قال حنبل بن أوس : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام يكي قنطرا ما يكيك يا رسول الله ؟ فقال تخومت على أمي الشرك أما إنهم لا يبدون منها ولكنهم يراهم بأعمالهم ، قال عليه الصلاة والسلام : وتسعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة وقنعة وغير ذلك لها صوت كصوت النمل وضوء كضوء الشمس ومعها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به السماء السابعة ، فيقول الملك للوكل بالسماء للحفظة قوموا واضربوا بهذا القمل ذبه صاحبه وحوارجه واقفلوا على قلبه ، إنني أحجب أي أمنع عن ربي ارتفاع كل عمل لم يرد به ربي إنما أراد به غير الله لأنه أراد به رقة ورياء عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتا في اللدائن وفي الناس ، أمرني ربي أن لا أذع ولا أترك عمله يجاوزني إلى غيري . وتسعد بسمله الصالح وتشبه ملائكة السموات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص في فيقول الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فليعلم لعني ولعنة الملائكة عليه والسموات ومافين ، قال معاذ : قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال أنتد يا معاذ وإن كان لي عملك قص يا معاذ احفظ لسانك من الوقوع في القية في إخوانك المسلمين بتلاوة القرآن واحمل دنوبك عليك ولا تحملها عليهم ، ولا ترك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ، ولا تتكبر في مجلسك لكي يهتبر الناس من سوء حلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تعظم على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ، قال الله تعالى ( والذاتنطاط نعطط ) هل تدري ما هي يا معاذ ؟ قلت ما هي بآني أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال هي كلاب في النار تمزق لحومهم يمزق لحوم

الناس بلسانه وتنتشط اللحم والنظم وتلك بأبي وأمي أما يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن يتجوع منها ؟ قال يا معاذ إنه يسير على من يسره الله عليه . قال رجل اسمه خالد بن مقعد : لما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث ( بداية الهداية ) .

## الجلس الثامن والثلاثون : في بيان تارك الصلاة

سورة مريم - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( فختلف من يدم خلف ) لم يدم وجاء بدم عقب سوء ( أضاعوا الصلاة ) أي تركوها أو أخروها عن وقتها ( واتبعوا الشهوات ) كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والابن في الماضي . وعن علي : واتبعوا الشهوات من بناء للشيد وركوب للتطور ولبس المشهور ( فسوف يلقون غيا ) أي شراً أو جزاء غي كقوله ( يلق أثمها ) أو غيا عن طريق الجنة . وقبل هوواد في جهنم تستعيد منه أوديتها ( إلا ) استثناء ( من تابوا آمن وعمل صالحا ) يدل على أن الآية في الكفرة ( فأولئك يدخلون الجنة ولا يظنون غيباً ) ولا يتقصون من جزاء أعمالهم ، ويجوز أن ينتصب شيئاً على الصدر ، وفيه تنبيه على أن كرم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم ( قاضي يضاوي ) .

زلت هذه الآية في تارك الصلاة من هذه الأمة وتابع الأهواء ولهذا وصفهم بقوله عز وجل ( أضاعوا الصلاة ) عن الحسن بن علي أنه قال : إذا دخلت للسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تتخلوا بيني عبداً ولا تتخلوا بينكم فبورا ، وصلوا على حيث كنتم فإن صلاحكم بئسني » وفي حديث أوس رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاحكم معروضة علي » وعن سلمان بن سعيد رحمه الله قال : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام في النوم قلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأثونك فيسلون عليك أمثله سلامهم ؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم ( عفاء شريف ) قوله « أضاعوا الصلاة » أي لم يتقوا وجوبها ، وقيل تركوها ولم يحافظوا عليها ، وقيل خربوا معابدهم ومساجدهم بترك السعي إليها وعدم اعتبارهم ، وقيل ضيعوها بعد الأداء بالنية والرياء ، وقيل ضيعوها بترك شروطها وأركانها وقت الأداء ، وقيل تركوها بالنفلة ولم يحضوها بمسرها ( تفسير كبير ) واختلوا في معنى النبي . قال ذهب بن منبه : التمر نهر في جهنم يسد قعره شديد حره خبيث طعمه لو نظرت قطرة منه إلى الدنيا لمهلك أهل الدنيا كلهم . وقال ابن عباس : النبي واد في جهنم وأودية جهنم تستعيد منه كل يوم ألف مرة إلى الله تعالى من هذه حرارته ، أعد ذلك

الوادى تارك الصلاة والجماعة ، وقال عطاء : اتى وادى جهنم يسيل منه دم وقيح . وقال كعب : اتى وادى جهنم ما أبعد صرعه وأشد صرعه ، وبه يثرى لها المهب كلما سكنت جهنم فتح الله تلك البئر فتوقد وتنتهب . وقال الضحاك : هو خسران وهلاك ( كذا فى باب التفسير ) حكى أن رجلاً كان يمشى فى البادية فراققه الشيطان يوماً ولم يصل الرجل الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فلما صار وقت النام أراد الرجل أن ينام فهرب الشيطان منه ، فقال الرجل لم تهرب منى ؟ فقال الشيطان لى عصيت الله تعالى فى مدة عمرى مرة واحدة فكنت ملعوناً وأنت عصيت فى اليوم خمس مرات فأخاف من الله أن ينضب عليك ويقهرك ويقهرنى معك بسبب عصيانك ( تفسير القامحة ) وعن النبی علیه الصلاة والسلام « أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » ( من شرح الشیة الحلبي ) وروى عن النبی علیه الصلاة والسلام أنه قال : « من تهاون بالصلاة مع الجماعة طاعة الله تعالى باتلى عشرة بلية : ثلاث فى الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث فى القبر وثلاث يوم القيامة . أما الثلاث التى فى الدنيا : فالأولى يرفع الله البركة من كسبه ورزقه . والثانية ينزع منه نور الصالحين . والثالثة يكون مبعوضاً فى قلوب المؤمنين . وأما التى عند الموت : فالأولى يقبض روحه عطشان ولو شرب ماء الأنهار . والثانية يشتد عليه نزع روحه . والثالثة يخاف عليه من روائ الإيمان لعود بالله تعالى . وأما التى فى القبر : فالأولى يضيق عليه سؤال مسكرو نكبر . والثانية تشد عليه ظلمة القبر . والثالثة يضيق قبره حتى تنضم أضلعه . وأما التى فى يوم القيامة : فالأولى يشتد عليه حسابه والثانية ينضب عليه ربه . والثالثة ياقبه الله بالثقل لعود الله تعالى » ( كثر الأخبار ) ولما يقال ولا يرخس لمن مع الأدان فى أن يترك الجماعة فإنها سنة مؤكدة غاية التأکید بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح ، لأنها من شعائر الإسلام ، ولو تركها واحد منهم فغير عذر يجب التعزير ولا تقبل شهادته وبأثم الجبران والإمام والمؤذن بالسكوت عنه وأقل التعزير ثلاثة أسواط . وقال صاحب خلاصة الفتاوى : سمعت من ثقة التعزير بأحد المال إذا رآه القاصى أو الوالى جاز ومن جملة ذلك رجل لا يعصر الجماعة بحوزة عزيره بأخذ المال فإنه أكثر تأثيراً فيه من الضرب ( كذا فى الجواهر وشرعة الإسلام ) وقيل مطالعة كتب الله عزه إذا لم يكن عن تكاسل ولم يواظب على تركها بل يقع التردد أحياناً لا اشتغاله بالفتنة ، والمسلمين والمرض والطر والبرد والظلمة الشديدة والخوف والحسب ، كلها أعذار وأفسر ليس بعذر كما صرح به فى التبيين بأنه هو الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام « إن تارك الصلاة مع الجماعة ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، وتارك الجماعة يمشى على الأرض والأرض تلعه وتترك الجماعة يمسسه الله وتبخره للملائكة وكل شيء جعل الله

فيه الروح ويملك كل ملك بين السماء والأرض والحيتان في البحر ، وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من منع من نفسه خمسة مع الله منه خمسة : الأول من منع الدعاء منع منه الإجابة ، والثاني من منع الصدقة منع الله منه العافية ، والثالث من منع الزكاة منع منه حفظ المال ، والرابع من منع العشر منع الله البركة من كسبه ، والخامس من منع حضور الجماعة منع الله منه الشهادة وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله » قال عليه الصلاة والسلام : « أنا أنجي جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك تارك الجماعة من أمته لا يهد ربح الجنة وإن كان عمله أكثر من عمل أهل الأرض ، وتارك الجماعة ملعون في الدنيا والآخرة » فإذا كانت ههنا حال تارك الجماعة ، فما حال تارك الصلاة ؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فاشهدوا له بالإيمان » كما قال الله تعالى ( إنما يصبر معسجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ) وكما قال الله تعالى ( ومن أظلم ممن منع معسجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا حائنن ) كما روى عن مجاهد رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : ما تقول في رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة ولا يصلي بالجماعة طاعت على هذه الحال فلا شيء هو ؟ قال هو البار قال النبي صلى الله عليه وسلم « سلوا على اليهود والنصارى ولا تصلوا على يهودا أمي » قيل من هم يهودا أمي ؟ قال الذين يسمعون الأذان والاقامة ولا يحضرون الجماعة » قال أبو هريرة رضي الله عنه « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعشى قيل إنه عبد الله بن أم مكتوم فقال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد سأله أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له ، فلما رجع دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال نعم قال فأت الجماعة » كما قال عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بشر المشائين في ظلم الليالي إلى المسجد بالنور الثام يوم القيامة » ( كذا في زبدة الواعظين ) من النبي صلى الله عليه وسلم قال « الصلاة عماد الدين لمن أقامها فقد أدام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن شر تارك الصلاة يتمدى إلى سبعين رجلاً من أهله وجيرانه ، بل يصل من يومنا هذا إلى زمان آدم عليه الصلاة والسلام وذلك أن ناسي إذا نسي في انتشهد يقول السلام عليا وعلى عباد الله الصالحين فيصل ثوبها إلى أرواح المؤمنين من يومنا إلى عهد آدم عليه الصلاة والسلام . وتارك الصلاة يكون مائماً ذلك الخير فيكون كمن أصاب شره جميع المسلمين يكتولوه تعالى ( منع التغيير معتد أثيم ) » ( أنيس المحال ) روى عن عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال « سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت منه ثلاثة أشياء فاستقر الإسلام في قلبي ( ١٠ — حرة الناهيين )

بسيها : فأولها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يقضى حاجته وكان يحذله أشجار  
 فقال لي امض إليها وقل لها إن رسول الله يقول تعالى وكفى لي شراً فاني أريد أن أروى  
 طرقت ، لما استتممت الرسالة إلا والأشجار قد انقطعت من أصولها ونحوت حوله حتى فرغ  
 النبي عليه الصلاة والسلام فرجعت إلى مكانها ، والثاني غلب العطش فطلبت الماء فلم أجده  
 فقال عليه الصلاة والسلام اصعد إلى هذا الجبل وأقرقه مني السلام وقل له إن كان فيك ماء  
 فاسقي ، قال فصعدت الجبل وقلت له ما قال النبي عليه الصلاة والسلام لما استتممت الكلام  
 حتى قال الجبل بكلام فصيح قل لرسول الله أنا منذ يوم أزل الله هذه الآية ( وأبها الدين  
 آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ) أبكى من القزع أن أكون ذلك  
 الحجر فلم يبق لي ماء . والثالث كنا نحشى فإذا نحن بحمل يمدو حتى بلغ رسول الله فقال يا رسول  
 الله الأمان الأمان ، فلم يلبث حتى جاء خلقه أعرابي معه سيف مسلوق فقال النبي عليه الصلاة  
 والسلام ما تريد من هذا المسكين ؟ قال يا رسول الله انتقمته بشن كثير وليس هو يطيق فأريد  
 أن أذبحه فأنتفع بلحمه فقال النبي عليه الصلاة والسلام للحمل لم تعصيه ؟ قال يا رسول الله لست  
 أعصيه من العمل ولكني أعصيه من ذلك العمل القبيح عنه لأن القيلة التي هو فيها ينامون  
 عن صلاة المشاء الأخيرة فلو هاهنا أن يسليها هاهنا أن لا أعصيه فاني أخاف أن ينزل عليهم  
 عذاب من الله فأكون قبيح فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام العهد على الأعرابي أن لا يترك  
 الصلاة ، وسلم الجبل إليه ورجع إلى أهله » ( روتق المجالس ) حكى أن عيسى عليه الصلاة  
 والسلام سافر يوماً فرأى قوماً يجمعون الله تعالى بالجهد والسعي وهم يجتمعون في مكان عال  
 فسلم عليهم وجلس فيما بينهم فرأى عندهم كثيراً من الطعام والشراب الخالص والقواكه المتنوعة  
 والأولاد والزوجات الحسان فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام فرأى قريتهم مزينة بتمام الزينة  
 التي لا تحبل الوصف ثم ذهب عيسى عليه الصلاة والسلام عنهم ثم رجع بعد زمان إلى ذلك  
 المكان فرآهم كلهم قد هلكوا مع أولادهم وزوجاتهم وقريتهم قد انهدمت فحسب عيسى عليه  
 الصلاة والسلام من حالهم فنادى وقال يا رب بأي شيء هلكوا تركوا الصلاة والطاعة ؟ فقال  
 الله تعالى لا ولكن قد مر هاهنا تركوا الصلاة وغسل بئس وجهه فوفقت غصائنه على أراضهم  
 وديارهم ، فلهذا هلكوا ( أنيس المجالس ) روى « أن النبي عليه الصلاة والسلام جلس يوماً  
 مع أصحابه فجاء شاب من العرب إلى باب المسجد وهو يبكي ، فقال عليه الصلاة والسلام  
 ما يبكيك يا شاب ؟ فقال يا رسول الله مات أبي وليس له كفن ولا غسل ، فأمر النبي عليه الصلاة  
 والسلام أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فذهبا إلى أبي لثيت فرأياه مثل الخنزير الأسود فرجعا إلى  
 النبي عليه الصلاة والسلام فقالا ما رأينا إلا مثل الخنزير الأسود يا رسول الله ، فقام عليه الصلاة والسلام



إلى الجنة فمما نصارت على صورته الأولى ، وصلى عليه عليه الصلاة والسلام وأرادوا الدفن  
فأروه كالحزير الأسود ، فقال عليه الصلاة والسلام يا شباب أى عمل كان يعمل أبوئني في الدنيا ؟ فقال  
كان تارك الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام يا أصحابي انظروا حال من ترك الصلاة يبعث الله يوم  
القيامة مثل الحزير الأسود فسود بالله تعالى « ( بهجة الأنوار ) مات في زمن أبي بكر الصديق ورجله  
قاموا إلى الصلاة عليه فاذ الكفن يتحرك فنظروا فوجدوا حية مطروقة في عنقه تأكل لحمه ونفس دمه  
فأرادوا قتلها ، فقالت الحية لا إله إلا الله محمد رسول الله لم تقتلوني وليس لي ذنب ولا خطأ ؟ قال الله  
تعالى أمرني أن أعذبه إلى يوم القيامة ، فقالوا ما خطيابه ؟ قالت ثلاث خطايا : الأولى كان إذا سمع  
الأذان لا يهيم الجماعة ، والثانية لا يخرج الزكاة من ماله ، والثالثة لا يسمع قول العلماء وهذا  
جزاؤه ( من الرسوم ) .

### المجلس التاسع والثلاثون : في بيان ذم المعرض عن القرآن

سورة طه — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ومن أعرض عن ذكرى ) عن الهدى الماكر والهادي إلى عبادتي ( فإنه معيشة متكا )  
ضيقاً مصدراً وصفه وقيل يستوي فيه الذكر والمؤث ، وغريء ضكي كسكرى وذلك لأن مجامع  
همه ومطلوع نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهاككاً على إربادها خائفاً على انتقاصها بحلاف لاؤ من  
الطالب للآخر متعاً أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع بركة الإيمان كما قال الله تعالى ( وضربت  
عليهم الذلة والسكرة - ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل - ولو أن أهل القرى آمنوا ) الآيات ( ونحصره  
يوم القيامة أعمى ) أعمى البصر أو القلب ، ويؤيد الأول ( فالرب لم يحشرني أعمى وقد كنت  
بصيراً قال كذلك ) أى مثل ذلك فعلت ، ثم فسره فقال ( أتلك آياتنا ) واضحة بيرة ( فحسبنا )  
بالإهمالك فحسبت عنها وتركها غير منظور إليها ( وكذلك ) ومثل تركك إياها في الدنيا ( اليوم تنسى )  
تترك في العمى والعذاب ( وكذلك نحزى من أسرف ) بالإهمالك في السموات والأعراض عن الآيات  
( ولم يؤمن بآيات ربه ) بل كذبها وخالفها ( وللعذاب الآخرة ) وهو الحشر على العمى وقبل عذاب  
النار أى والنار بعد ذلك ( أشد وأبقى ) من ضحك البعش أو منعم من الحشر على العمى ، ولله إذا  
دخل النار زال عماه ليرى له حاله وحاله أو بمخاضه من ترك الآيات والكفر بها ( فاضى يضارى ) .

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا  
الصلاة على نبيكم كل يوم جمعة فإن أشهدكم منكم في كل جمعة » وفي رواية « فإن أحسن  
لا يصل على إلا عرضت على صلواته حين يفرغ منها » ( شفاه شريف ) عث على بن أبي  
طالب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ القرآن فليستظهره فأحل حلاله وحرم

حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ القرآن وهو في الصلاة كان له بكل حرف صلاة حسنة ، ومن قرأ القرآن في غير الصلاة على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأ القرآن على غير وضوء فله عشر حسنات » ( مجالس الأنوار ) قيل المرامن المذكور القرآن كقوله تعالى ( وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا وتقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ) وقيل عن قراءته حتى نسيه ، وقيل عن توحيدى كقوله تعالى ( حق لسوا الذ كر ) وقيل عن طاعتى وتوحيدى كما قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) وقيل عن العلم كما قال الله تعالى ( فاسألوا أهل الذ كر إن كنتم لاتعلمون ) وقيل عن الذ كر باللسان كما قال الله تعالى ( اذكروا الله فى كرا كثيرا ) وقيل عن الصلاة كما قال الله تعالى ( فاسموا إلى ذك ر الله ) وقوله تعالى ( ربك لا للهيم تجارة ولا بيع عن ذك ر الله ) ( تفسير حنفى ) - عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الضنك هو الشقاء ، وعنه أنه قال : إذا أعطى العبد قليلا أو كثيرا ولم يفتح فلا خير فيه فهو الضنك فى العيشة وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكاثروا فى سعة الدنيا فكانت حالهم ضنكا ، ولذلك أنهم يرون أن الله تعالى ليس بخالق لهم فاشتد عليهم مقامهم مع سقمهم من سوء ظنهم بالله ( بحر العلوم ) . قيل العرض من ذك ر الله تعالى من سلب عليه الشيطان الذى هو عدوه للرب بيه كل هلاك وضلال فلا يكون أحد أشد عيشا وأعظم سلا لا منه وأشق ( بحر العلوم ) قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذك ر الله ) أى لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذك ر الله كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبودية ، وللراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى إليها للمبالغة ، ولما قال الله تعالى ( ومن يفعل ذلك ) أى اللهو والتشغل ( فأولئك هم الخاسرون ) لأنهم باعوا العظيم الباقى بالمقيم الفانى ( قاضى يضاوى ) عن معاذ بن جبل أنه قال « كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام فى سفر فقلت يا رسول الله حدثنا بحديث ننفع به ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحر والهدى من الضلالة فأدبوا لقراءة القرآن فإنه كلام الرحمن وحسن من الشيطان ورجعان فى الثبزان » وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « أفضل عبادات أسمى قراءة القرآن » ففى المكلف أن يشتغل بصلته وقراءته ( بدر الرشيد ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « مات رجل فى زمن النبي عليه الصلاة والسلام فقام عليه الصلاة والسلام على جنازته ليمس على خصره الكعبين ونظره النبي عليه الصلاة والسلام فوجد فيه حية تمس دمه وتأكل لحمه فقص أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يضر بها فطلعت الحية بادن الله تعالى فقالت بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وقالت

يا أبا بكر لم تضربني وليس لي ذنبوا أنا مأمورة بذلك ! أمرني الله أن أعذبه إلى يوم القيامة فقال أبو بكر ما خطايا ؟ قالت الحية ثلاث خطيئات الأولى تارك الصلاة والثانية مانع الركعتين والثالثة لا يسمع قول العلماء » ( حياة القلوب ) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمين إذا أخفتني الدنيا آتته يوم القيامة وإذا آتته الدنيا أحضته يوم القيامة » ( حكي ) عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن دحية الكلبي كان ملكاً كافراً من العرب ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب إسلامه لأنه كان تحت يده سبعائة من أهل بيته ، وكان عليه الصلاة والسلام يدهوله ويقول اللهم ارزق الإسلام دحية الكلبي ، فلما أراد الإسلام أوحى الله تعالى إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة العصر : يا محمد قنفت نور الإيمان في قلب دحية الكلبي فهو يدخل عليك الآن ، فلما دخل دحية الكلبي للسجدة رفع النبي عليه الصلاة والسلام رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض وأغار إلى رداءه ، فلما رأى دحية إكرام النبي عليه الصلاة والسلام بكى ورفض رداءه وقبله ووضعته على رأسه وعينه وقال يا نبي الله ما شرائط الإسلام اعرضها علي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بكى فقال له عليه الصلاة والسلام ما هذا البكاء يا دحية أجهنك إلى الإسلام أم لأمر آخر ؟ قال : يا رسول الله إني أركبت ذنوباً كبيراً ، قل لربك ما كفاراتها ، إن أمرني أن أقتل نفسي أقتلها وإن أمرني أن أخرج عن مالي صدقة أخرج عنه ، قال عليه الصلاة والسلام وما تلك الذنوب يا دحية ؟ قال كنت رجلاً من ملوك العرب استكفنت أن تكون لي بنات لمن أزواج ثلاثاً يقال فلان بن فلان صهر دحية الكلبي ، قتلته سبعين من ماني يدي فخير النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك ، قتل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله قل لدحية الكلبي وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله صرت لك كفرك ستين سنة وسبك إرأى ستين سنة ، فكيف لا أخفر قتل بناتك وهن لك ؟ قال فبكي النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فقال النبي عليه الصلاة والسلام إلهي قد غفرت لدحية قتل بناته بشهادة مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين صفارهم بشهادات كثيرة ؟ دحية بفتح الدال وكسرهما لثتان . واحتلف في الراجحة منهما . وهو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي وكان من أجمل الناس وحياً ، كان إذا قدم المدينة لم يبق محذرة إلا خرجت تنظر إليه ، وكان جبرائيل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام على سورة دحية بلحاله . أسلم قديماً وشهد للشاهد التي بعد بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى إلى خلافة معاوية وشهد للعركة وسكن للرة تكسر اليم والراي قرية بحرب دمشق . وكان مرسلًا بكتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى عظيم بصرى ليدمه إلى هرقل وذلك في آخر سنة ست من الهجرة ( كرماني ) روى عن

ألى المرحاء رضى الله عنه أنه قال قال النبي عليه الصلاة والسلام « من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله خرج من فيه مثل الطير الأخضر له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب يضآن مكلان بالدر والياقوت فيرفع حتى إذا انتهى إلى العرش وله دوى كدوى النحل تحول له حمة العرش أسكن بكرة الله تعالى فيقول لا أسكن حتى ينظر الله لقائلها فيقول الله تعالى قد غمرت لقائلها ثم يجعل الله تعالى لذلك الطائر سبعين لساناً كل لسان يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة ويومئذ ذلك الطائر يوم القيامة يأخذ بيد صاحبها ويكون له قائد أو دليل إلى الجنة » ( روى المجلد ) عن علي كرم الله وجهه أنه قال : مستفيد الخلائق محمداً عليه الصلاة والسلام يقول « مستفيد الملائكة جبرائيل عليه الصلاة والسلام يقول ما نزلت بكلمة أجل من كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله على الأرض وبها قامت السموات والأرض والجبال والشجر والبر والبحر ألا وهي كلمة الإخلاص ألا وهي كلمة الإسلام ألا وهي كلمة التقرب ألا وهي كلمة التقوى ألا وهي كلمة النجاة ألا وهي الكلمة العليا ولو وضعت في كفة الميزان ووضع السبع سموات والسبع أرضين في كفة أخرى لرجحت عليهن » ( زبدة الواعظين ) .

( حكى ) أن رجلاً كان واقعاً بمرفات وفي يده سبعة أحجار فقال أيتها الأحجار أشهدوا أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فوضع الأحجار تحت رأسه فلم يراها في منامه كأن القيامة قد قامت وأنه حوسب فوجبت له النار فذهبوا به إلى باب النار فلما حصر من تلك الأحجار ألقى نفسه على باب النار فاجتمعت ملائكة الطلاب على رقبته فلم يطقوه ثم ذهبوا به إلى باب آخر فلما عليه حجر من الأحجار السبعة فاجتمعت للملائكة فلم يقدروا على رفعه حتى ذهبوا به إلى سبعة أبواب النار ، وكان على كل باب حجر من تلك الأحجار ثم ذهبوا به إلى العرش ، فقال الله تعالى يا عبيدي أشهدت الأحجار فلم تضعي حثك فكيف أضيق حثك وأنا شاهد على شهادتك ؟ أدخلوه الجنة فلما قرب إلى الجنان إذا أبوابها مفتوحة بالفتح الذي هو لا إله إلا الله محمد رسول الله ( كذا في زبدة الواعظين ) . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « دخلت الجنة فرأيت مكتوباً على باب الجنة ثلاثة أسطر : الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ والثاني وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أكلنا وخسرنا ما خلفنا كما قال الله تعالى ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ) والثالث أمة مدنية ورب عفور » ( زبدة الواعظين ) .

### المجلس الأربعون : في بيان ألم الموت

سورة الأنبياء — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأنت من فهم الخالدون ) نزلت حين قالوا ( تربيص )

به ريب النون ) وإلقاء تعليق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ماقرر ذلك ( كل نفس ذائقة الموت ) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها ، وهو رهان على ما أنكروه ( وبلوكم ) ونعاسكم معاملة المختبر ( بالشر والخير ) بالبلاء والنعم ( فتنة ) ابتلاء ، مصدر من غير تحقير ( وإلينا ترجعون ) فتجازيكم حسب ما يوجد منكم من السبر والشكر ، وفيه إيحاء بأن التصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للتواب والعقاب تقريراً لما سبق ( فاضى يضاًوى ) .

عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال : الصلاة على النبي أهق الذنوب من الماء البارد النار ، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب ( غناء شريف ) يقال مع ملك الموت سبعون ملكاً من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب ، فإذا قبض روح المؤمن ذهبها إلى ملائكة الرحمة فيشرونه بالجنة والتواب ويصعدون إلى السماء إلى أعلى عليين ، وإذا قبض روح الكافر ذهبها إلى ملائكة العذاب ثم يردون إلى سجين إلى أسفل سافلين ( مطالع الأنوار ) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو أن ألم شجرة من ألم ليت وضع على السموات والأرض لمات أهلها باذن الله تعالى ، لأن في كل شجرة موتاً ولا يقع الموت في شيء إلا مات مع كل أعضائه . يقال إن لملك الموت أربعة أوجه : أولها على رأسه والثاني قدميه والثالث خلف ظهره والرابع تحت رجله ، فيأخذ أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة من وجهه رأسه ، وأرواح المؤمنين من وجه قدميه ، وأرواح الكافرين من وجه ظهره ، وأرواح الجن من وجه قنبيه ، وإحدى رجله على جسر جهنم والأخرى على سرير الجنة ، ومن عطفته أنه لو صب جميع ماء البحار والأنهار على رأسه ما وقعت قطرة على الأرض ( مطالع الأنوار ) روى أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله ، فقال بعض الكفرة إنك يحيى الموتى إذا كان حديثاً ولله لم يكن ميتاً فأسي لنا من مات في الزمن الأول فقال عيسى عليه السلام اختاروا ما شئتم ، فقالوا أحى لنا سام بن نوح ، فجاء إلى قبره فحلى ركبتين ودعا الله فحى سام فإذا رأسه ولحيته قد أبيضاً ، فقال سام ما هذا الشيب ولم يكن في زمانك ؟ فقال سمعت نداك فظننت أن القيامة قد قامت فشباب رأسى ولحيتى من المول فقال منذ كم سنة أنت ميت ؟ فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهب عني ألم سكرات الموت ومرارته ( حدة الواعظين ) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة ، ولا يخرج روح الكافر حتى يرى مكانه في النار ؟ فقالوا يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والكافر مكانه في النار ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى خلق جبرائيل على أحسن صورة وله ستانة جناح وبسبب تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاووس إذا نشر الجناح علاً ما بين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور العين والتصور والدرجات والخدام والغلمان والولدان

وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والبركات والزبانية .  
 فإذا جاء أجل عد يدخل فوج من الملائكة عروقه ويصرون روحه من قسميه إلى ركبتيه  
 ويخرج ذلك الفوج الأول ويدخل الفوج الثانى ويصرون روحه من ركبتيه إلى سترته ويخرج  
 ذلك الفوج الثانى ويدخل الفوج الثالث ويصرون روحه من البطن إلى الصدر ويخرج ذلك  
 الفوج الثالث ويدخل الفوج الرابع فيصرون روحه من الصدر إلى الحلقوم كما قال الله تعالى  
 ( علولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ) وعند ذلك الوقت إذا كان مؤمناً ينشر  
 جبرائيل عليه السلام جناحه الأيمن فيرى مكانه فيها ويشقه وينظره ولم ينظر إلى غيره من آية  
 وأمه وأولاده من عشق ذلك المكان ، وإذا كان منافقاً ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه فيها  
 وينظره ولم ينظر إلى غيره من آية وأمه وأولاده من فزع ذلك المكان ، طوبى لمن كان قبره  
 روحه من رياض الجنان وويل لمن كان قبره خفرة من خفر النيران ، ( كنز الأخبار ) والروح  
 ثلاثة أضرب : أولها سلطانية ، والثانى روحانية ، والثالث جسمانية فوضع السلطانية الفؤاد ؛  
 يعنى القلب ، وموضع الروحانية الكبد ؛ يعنى الصدر . وموضع الجسمانية بين اللحم والنم وبين  
 العظم والعروق ؛ فان قيل إذا نام البدن خرج روحه أم لا ؟ فان قال قائل خرج فقد أخطأ وإن  
 قال لم يخرج فقد أخطأ . والجواب إذا نام البدن خرج روحه الجسماني مع العقل ومشى بين السماء  
 والأرض فان كان العقل معه رأى ما رأى فى المنام وإن لم يكن العقل معه رأى ما رأى ولكن  
 لا يفهم ( تفسير ) فان قيل ما الفرق بين الروح والروان ؟ قلنا الروح لا يذهب ولا يعيى  
 والروان يذهب ويعيى وإذا زال الروان نام البدن وإذا زال الروح مات البدن ومثل الإيمان  
 بين الروح والحسد كمثل الشمس بين السماء والأرض إذا مات البدن ذهب لا إله إلا الله مع  
 روحه ويبقى محمد رسول الله مع جسده وإذا اجتمعا صار إيماناً ( حكي ) أن إلياس عليه  
 السلام كان يوماً من الأيام جالاً خلف ملك للوث ليقبض روحه فجزع وبكى بكاء شديداً  
 فقال له ملك اللوث ما هذا الجزع والبكاء يا بني الله ؟ أجزعت على الدنيا أم على اللوث ؟ فقال لا ،  
 بل إنما أحزن على فوت ذكر الله حيث يجمع قوم يهدى يذكرون الله تعالى ولا أذكروه ،  
 فأوحى الله تعالى إلى ملك اللوث أن لا يقبض روحه فانه يسأل الحياة فلا كرى لا نفسه ، معه  
 يملك اللوث حتى يعيش فى ذكركى ويرتفع فى رياض مناجاتى إلى آخر الدنيا . عن عثمان  
 رضى الله تعالى عنه أنه كلف إذا مر على قبر وقف يسبح حتى تبطل لحيته ، قيل له يا أمير  
 المؤمنين تذكر الجنة والنار وأهوال القيامة فلا يسبح وتذكر القبر فبكي ، فقال : قال النبي  
 عليه الصلاة والسلام « القبر أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا  
 لمن نجا منه لما بعده أيسر وإن لم يسبح منه لما بعده أهدى » وقال إن كنت فى النار كنت مع  
 الناس وإن كنت فى القيامة كنت مع الناس وإن كنت فى القبر لم يصحكن معي أحد ولذلك

أبكي (مشكاة الأنوار) روى عن وهب بن سبه عن جده إدريس قال : وجدت في بعض الكتب أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لأمه إن هذه الدار دار فناء ودار زوال والآخرة دار بقاء فتمالي يا أماء فاطمنا إلى جبل لبنان فسكانا فيه يسومان النهار ويقومان الليل يا كلان من ورق الأعجار ويضربان من ماء الأمطار السكا على ذلك زمانا طويلا ثم إن عيسى عليه السلام هبط ذات يوم من الجبل إلى بطن الوادي ليلقط الحشيش لإفطارها فلما هبط جاء ملك للوت فقال : السلام عليك يا مريم الصائمة القائمة قالت من أنت فلان جلدى قد اقشع من صوتك وطار عقل من هيتك ؟ قال : أنا الذي لأرحم الصغير لصغره ولأكرم الكبير لكبره وأنا لأبش الأرواح ، قالت يا ملك للوت أرائنا جئت أم قابضا قال استعدي للموت قالت أفلا تأذن لي حتى يرشح جببي وقرعة عيني ونمرة فؤادي وريحانة قلبي قال لها لم أومر بذلك وإنما أنا عبد مأمور والله لا أستطيع أن أقبض روح بموضة قد أمرني ربي أن لا أزيل قسما عن قدم حتى أقبض روحك في موضعك هذا قالت له يا ملك للوت استسلطت لأمر الله تعالى فأقبض أمر الله فدنا منها وقبض روحها وأبطأ عيسى عليه السلام في ذلك الوقت حتى دخل وقت العشاء الأخيرة ، فلما سعد الجبل ومعه الحشيش والبقل نظر إليها وهي نائمة في محرابها فظن أنها أدت القراض ، فوضع الحشيش واستقبل المهراب ولم يزل قائما إلى الليل ، ثم نظر إلى أمه فتأذى بصوت حزين من قلب خاشع : السلام عليك يا أماء قد همم الليل وأظطر الصائمون ووقف العابدون وما بالك لا تهومين إلى عبادة الرحمن ؟ فرجع فقال إن لبعض النوم حلاوة ، ثم استقبل المهراب ولم يأكل شيئا حتى مضى الثلث الثاني يريد بذلك برأيه بالإفطار معها ، فلم يزل قائما فتأذى بصوت حزين وقلب مغموم السلام عليك يا أماء ، فرجع واستقبل المهراب حتى طلع الفجر ثم وضع خده على خدها وله على ثها وهو يناديها يا كيأ بكاء شديدا : السلام عليك يا أماء قد مضى الليل وأقبل النهار هذا وقت غريضة الرحمن فبكت ملائكة السموات وبكت الحن من حوله وارتعد الجبل من تحته فأوحى الله تعالى إلى الملائكة ما يكيكم ؟ قالوا إلهنا أنت أعلم فأوحى الله تعالى إلى أعلم وأنا أرحم الراحمين فاذا مناد ينادي يا عيسى ارفع رأسك فقد ماتت أمك فأعظم الله أجرك ورفع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه يا كيأ يقول : من لوحشني ومن لوحدتني ومن آنس به في غريقتي ومن يميني في عبادتي ؟ فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن كلم روحى بالموعظة فقال الجبل يا روح الله ما هذا الجرع أو تريد مع الله أنيسا ؟ ثم هبط من ذلك الجبل إلى قرية من قرى بني إسرائيل فتأذى السلام عليكم يا بني إسرائيل ، فقالوا من أنت يا عبد الله قد أنشأنا حسن وجهك دورنا ؟ فقال أنا روح الله إن أمي قد ماتت غريفة فأعينوني على غسلها وكفنها ودقها قالوا يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعى والحيات لم يسلكه آباؤنا وأجدادنا منذ

لثلاثمائة عام فرجع عيسى عليه السلام إلى الجبل فإذا هو قد وجد شابين جيلين فلم عليهما فردا عليه ثم قال لهما إن أمي قد ماتت غريبة في هذا الجبل فأعيناى على تجهيزها فقال أحدهما: هذا ميكائيل وأنا جبرائيل وهذا الحسوط والأ كفان من عند ربك فان الحور العين قد هبطن الآن من الجنة فسلها وتكفيها وهي جبريل عليه السلام قبرها من رأس الجبل ودقنوها فيه بعد أن صلوا عليها وشيعوا جنازتها ثم قال عيسى عليه السلام اللهم إنك ترى مكاني وتسبح كلامي ولا يخفى عليك شيء من أمري فان أمي ماتت ولم أعهد لها عد وقاتها فأذن لها تكلمني فأوحى الله تعالى إليّ أن قد أدنت لها فجاء عيسى عليه السلام ووقف على قبرها فإذاها بصوت حزين السلام عليك يا أماء فأجابته من القبر يا حبيبي يا مرة عيني قال لها يا أماء كيف وجدت قبلي ومصيرك وكيف رأيت القوم على ربك ؟ قالت قبلي خير مقبل ومصري خير مصير قدمت على ربي فوجدت مرضيا غير غضبان قال يا أماء كيف وجدت ألم اللوت ؟ قالت واللّٰه بشك بالحق نيا ما ذهبت مرارة اللوت من حلقى وهية ملك اللوت بين عيسى فليكن السلام يا حبيبي إلى يوم القيامة . ( وحكي ) أن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ماتت حمل جازتها أربعة قر : زوجها على وابناها الحسن والحسين وأبوذر النضارى رضى الله تعالى عنهم أجمعين فلما وضعوها على شفير القبر قام أبوذر فقال يا قبر أتعلمى من الذى حننا بها إليك ا هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجة على المرتضى وأم الحسن والحسين فسموا بداء من القبر يقول : ما أنا موضع حسب و نسب ، وإنما أنا موضع العمل الصالح ، فلا ينجو مني إلا من كثر خيره وسلم قلبه وخلص عمله ( كذا في مشكاة الأنوار ) قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : من أراد أن ينجو من عذاب القبر فليعلم أن يلزم أربعة أشياء ويحجب أربعة أشياء . فأما التى يلزم أن يلزمها فالحافظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح قاتها نضى القبر ونوسه . وأما التى يلزم الاجتناب عنها فالكذب والخيانة والنميمة والبول قاتما . قال عليه الصلاة والسلام « استترهوا عن البول فان طمة عذاب القبر منه » ( مشكاة الأنوار ) قال بعض العلماء : إن العذاب على الروح دون البدن . وقال بعض آخر إنه على البدن دون الروح . وقال بعض آخر إنه على الروح والبدن إلى غير ذلك من الأقوال . فان قيل لا يجوز أن يجذب البدن إلى خال عن الروح فيمتنع عنه . قلنا إن الله قادر على أن يخلق فيه نوع حياة قدوما يمكن الألم والتم من غير إعادة الروح إليه فلا يحتاج إلى نزع جديد . وقال بعض العلماء : يصل الروح إلى جسده كما كان في الدنيا ويجلس ويسأل . وقال بعضهم : يكون السؤال الروح دون الجسد . وقال بعضهم يدخل الروح في جسده إلى صدره . وقال الآخرون يكون بين جسده وكفه ، وفي كل ذلك قد بدأت الآثار ، والصحيح عند أهل العلم أن يضر المبد بعذاب القبر ونعيمه ولا يشغل



بكيفيته ( من شرح العقائد ملخصاً ) سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الأرواح حين تخرج من الأجساد أين تذهب ؟ قال في سبعة مواضع : أما أرواح الأنبياء والمرسلين فقرها جنات عدن ، وأما أرواح العلماء فقرها جنات الفردوس ، وأما أرواح السعداء فقرها جنات عليين ، وأما أرواح الشهداء فتطير مثل الطيور في الجنة حيث شاءت ، وأما أرواح المؤمنين للذين هم فيكون معلقة في الهواء لا في الأرض ولا في السماء إلى يوم القيامة ، وأما أرواح أولاد المؤمنين فتكون في جبل من اللسك ، وأما أرواح الكافرين فتكون في سجين يذبون مع أجسادهم إلى يوم القيامة قال الله تعالى في كتابه الكريم ( كلا إن كتب التجار لي سجين ) والله أعلم بحقيقة الحال وله الحمد في كل مقال سوى الكفر والضلال ، فليكن بامثال الأولم وهو منزله من الكفء والمثال لا تؤاخذنا بمرئنا إذا الاكرام والخلال ، وقد قيل : الخلائق إذا نثروا من القبور ينفون وقواً على الواضع التي نثروا منها يوم القيامة أربعين سنة لا ياكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بهم تعرف أمك يوم الدين ؟ قال وإن أمي يوم القيامة غر محبون من آثار الوضوء ، وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة بث الله الخلائق من قبورهم فأتى ملائكة إلى رأس قبور المؤمنين فيمسحون رؤوسهم من التراب وينثرون التراب عنهم إلى موضع سجودهم فتحسح للملائكة تلك المواضع فلا يذهب منها ، فينادي للنادي ياملائكتي ليس ذلك تراب قبورهم إنما هو تراب محاريهم ، دعوا ما عليهم حتى يبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى إن كل من ينظر إليهم يعلم أنهم خدامي وعبادي » وروى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة وست من في القبور أوحى الله إلى رضوان : إن قد أخرجت الصائمين من قبورهم جايعين عطشى ، فاستقبلهم بشهواتهم في الجنان ، فيصبح رضوان أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يلفوا الحلم تناولوا فيأتون بطباق من نور ويجتمعون عند رضوان أكثر من عدد التراب وأقطار الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالقائمة الكبيرة والأطعمة النفيسة والأشربة اللذيذة ، فيتلقونهم ويضمونهم من ذلك ، ويخاطبهم ( كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ) الآية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة هم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم : الشهداء ، والقائمون شهر رمضان والصائمون يوم عرفة » عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن في الجنة قصوراً من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة ، قلت يا رسول الله لمن هـلها ؟ قال لمن شاء » . عرفة ، يا عائشة إن أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيها من الرحمة ، وإن أغض الأيام إلى إبليس يوم الجمعة ويوم عرفة ، يا عائشة من أصبح صائماً يوم عرفة فتح الله له

ثلاثين باباً من الخير ، وأخلق عنه ثلاثين باباً من الشر ، فإذا أفطر وشرب الماء يستغفر له كل عرق في جسده ، ويقول اللهم ارحمه إلى طلوع الفجر ، وفي خبر آخر « يخرج الساعون من قبورهم ، ويسرفون بريح صياهم ، ويلقون بالموائد والأباريق ، يقال لهم كلوا قد جئتم حين شبع الناس ، واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس ، واستريحوا ، فياً كلون ويشربون ويستريحون والناس في الحساب » وقد جاء في الخبر « لا يلى عشرة نفر : النبي والمغازي والعالم والشهيد وحافظ القرآن وللؤذن وللرأة إذا ماتت في نفاستها ومن قتل مظلوماً ومن مات يوم الجمعة وليتها » وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام « يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم ، حفاة عراة ، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : الرجال والنساء ؟ قال نعم ، قالت واسوأنا ، ينظر بعضهم بعضاً : ضرب النبي عليه الصلاة والسلام يده على منكبيه وقال : يا ابن أبي قحافة اشتغل الناس يومئذ عن النظر ، وشغصت أبصارهم إلى السماء ، يقفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ، فمنهم من يبلغ العرق إلى قدميه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى بطنه ، ومنهم من يبلغ إلى صدره ، والعرق يكون من طول الوقوف ، قالت قلت : يا رسول الله هل يحشر أحد كاليا يوم القيامة ؟ قال الأنبياء وأهلهم ، وصائمورحب وشعبان ورمضان على الولاء ، وكل الناس جياع يومئذ إلا الأنبياء وأهل بيته ، وصائمورحب وشعبان فاتهم شباع الناس لاجوع لهم ولاعطش ، يساقون بأجمعهم إلى المحشر عند بيت المقدس بأرض يقال لها الساهرة ، قال الله تعالى ( فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ) الآية . ويقال إن الخلائق في عرصات القيامة ، يكونون مائة وعشرين صفاً ، طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة ، وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة ، ويقال إن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة ، وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن أمي مائة وعشرون صفاً وهذا هو الأصح . وصفة المؤمنين أنهم بيض الوجوه فرحجلون ، وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرنون مع الشياطين ( دقائق الأخبار ) .

### المجلس الحادي والأربعون : في بيان الساعة

سورة الحج — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

١١١ أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة ) تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي ، وإن هي زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، وإساقها إلى الساعة لأنها من أعلامها ( أيوم عظيم ) هائل ، ملأ أمرهم بالتموي غفاعة الساعة ليتصوروها بمنولهم ، ويخلصوا أنفسهم لا يؤمنهم منها سوء التدريج بلحاس التتوي ، فيقوا إلى أنفسهم ، ورة ريدها ، بامرة التفرق ( يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) تصور طولها ، والتخبر

للزئجة ، وبوم منصوب بتدخل ( وتضع كل ذات حمل حملها ) جنبها ( وترى الناس سكارى )  
كأنهم سكارى ( وماتم يسكارى ) على الحقيقة ( ولكن عذاب الله شديد ) فأرهنهم هو ، بحيث  
طير عقوقهم ، وأذهب تميزهم ( فاصي يضاهي ) .

عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ما جلس قوم مجلساً لم يفرقوا على غير صلاة  
على إلا تفرقوا على أن تن من ربيع الخيفة » وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى  
الله تعالى عليه وسلم « من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة » ( غناء شريف ) عن علي بن أبي طالب  
عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « يأتي على الناس زمان لا يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من  
الدين إلا رسمه ، ولا من القرآن إلا حرفه ، يسرون مساجدكم وهم حراب عن ذكر الله ، أشمر  
أهل ذلك الزمان عماؤم ، منهم تخرج الفتنة وإلهم تعود ، وهؤلاء علامات القيامة » ( رتبة  
الواعظين ) عن حذيفة بن أسيد الغضائرى قال « اطلع علينا النبي عليه الصلاة والسلام ونحن نذاكر  
فقال عليه الصلاة والسلام ما نذاكروا ؟ قلنا نذكر الساعة قل إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر  
آيات ، فذكر عليه الصلاة والسلام : الدخان والجهل ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها  
ونزول عيسى عليه السلام وبأجوج ومأجوج وثلثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب  
وخسف بحريرة العرب وآخر تلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » ( رتبة )  
الرجال هو بلاء عظيم لا بلاء مثله من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، ويحل بالاعتدال  
من خوارق العادة ما لا يحصى عدده ، ويدعى الألوهية ، وإحدى عينيه عياه ، وبين  
عينيه مكتوب هذا كافر ( شرح بر كوى للفتوى ) بلاء السان بين الشرق والغرب  
ويبقى مقدار أربعين يوماً يكون المؤمن مثل موسى الزكام ، والكافر كالسكران ، يخرج  
من أنوفهم وأذانهم وأدهانهم . ( شرح بر كوى للفتوى ) يخرج دابة الأرض في مكة عند  
الصفاء تكلم بلسان فصيح ، وتعالى وجه الأرض والعدل ، ومعها عصا موسى عليه السلام  
وخاتم سليمان عليه السلام ، إذا صرمت بالصا على جبهة المؤمن يكتب هذا مؤمن ، وإذا  
صرمت بالخاتم على جبهة الكافر يكتب هذا كافر . ( شرح بر كوى للفتوى ) نزول عيسى  
عليه السلام في الشام في النار البيضاء ، وقتل المجرم ، بحيث لو لم يخته لاداب كالملاح  
في الماء ، ثم يصل بحربة عهد عليه الصلاة والسلام ( شرح بر كوى ) خروج مأجوج  
ومأجوج بها صفان ، صف صغير جدا وصف كبير جدا ، الآن موجودان وراء السد  
الذى بناء إسكندر ذو القرنين ، إذا جاء الوقت يخرجان ، عندهما لابس ولا يحصى بحيث  
لا يبقى قطرة في بحيرة طبرية من شربهما . ( شرح بر كوى ) وقال عليه الصلاة والسلام  
« الساعة أشراط : يظهر عدم اتفاق الأسواق : بني الكساد ، ويقل للطر والنبات ، وتخشو

التيه ، ويؤكل الربا ، وتظهر أولاد الزنا ، ويضطرب المال ، وتعلو أصوات النسقة في المساجد ، ويظهر أهل النكر على أهل الحق » ( تنبيه السافلين ) من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا أخذ النبيء دولا والأمانة مغنا والزكاة مفرما والتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته حتى أمه وقرب صديقه وبعد أباه وظهرت الأصوات في المساجد وكان رئيس القبيلة فاسقهم وأكرم الرجل عفافه شره ولا يكرم بما عند الله أي عفافه عذاب الله ، فذلك علامات القيامة » ( موعظة ) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله السموات والأرض خلق الصور ، والصور إحدى عشرة مائة ، وأعطاه الله تعالى إسرائيل عليه السلام ، وهو واضع على فيه ناظر يصوره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » وقال أبو هريرة « ما للصور بأمر رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هو قرن عظيم من الثور ، والذي يثنى بالحق نبيا ، عظم كل مائة فيه كمرض السموات والأرض ، وينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة للفزع ونفخة للمعق ونفخة لمبعث يأمر الله تعالى إسرائيل عليه السلام بالنفخة الأولى فينفخ فيه ، فيفزع من في السموات ومن في الأرض ، وهو قوله تعالى ( ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ) أي يستثيث كل من فيها خوفا حتى ( تتهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ) الآية . وتصير الولدان شيئا ، فيحكشون ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى إسرائيل عليه السلام أن ينفخ نفخة المعق ، فينفخ فيموت من فيها كما قال الله تعالى ( وتنفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) يعني جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك للوت وحملة العرش ، فيأمر الله تعالى ملك اللوت أن يقبض أرواحهم ، فيقبض أرواحهم ثم يقول الله تعالى : يا ملك اللوت من بقي من خلقي ؟ فيقول يا رب بقي العبد الضعيف ملك اللوت ، فيقول الله تعالى : يا ملك اللوت ألم تسمع قولي ( كل نفس ذائقة الموت ) أقبض روح نفسك . فيجبره ملك اللوت إلى موضع بين الجنة والنار ، وينزع روحه ، فيصير صبيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماثوا من صبحته ، فيقول : لو علمت بالموت من السعة والألم ما قبضت أرواح المؤمنين إلا بالرفق ، ثم يموت ، فلا يبقى أحد من الخلق ، فتنفي الأرض خرابا أربعين سنة ، فيقول الله تعالى : آيتها الدنيا المحزنة ، أين الملوك ، وأين أبناء الملوك ، وأين الجبابرة ، وأين الذين كانوا يأكلون رزقي ويمبدون خبري ( لمن الملك اليوم ) ؟ فلم يوجد أحد يجيبه فيجيب نفسه بنفسه ويقول ( لله الواحد القهار ) ثم يرسل الله تعالى الريح العقيم التي أرسلها على قوم عاد مقدار ما يخرج من ثقب الإبرة ، فلا تترك على وجه الأرض جيلا ولا نالا إلا هدمته وجعلته مثل الأديم ، كما قال الله تعالى ( لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ) ثم يأمر

الله تعالى السماء أن تمطر ، فخطرت السماء كمن الرجل أربعين يوماً حتى يكون السماء فوق كل شيء .  
 اثني عشر ذراعاً ، فثبت الخلق بذلك كسيات البقل حتى تكامل أجسادهم وتكون كما كانت ، ثم يحيى  
 الله تعالى حملة العرش ، ثم يحيى الله إسرائيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل فيحيون بلان الله ،  
 ثم يأمر الله رضوان أن يدفع إليهم البراق والتاج وحلة السكينة ورداء الكبرياء وإزار العزة  
 والقواء ، فيقفون بين السماء والأرض فيقول جبرائيل عليه السلام : أيتها الأرض أين قبر محمد ؟  
 فتقول الأرض : والذي بشك بالخلق أرسل الله على الریح النقيم فجعلني دكا دكالا أدرى قبره ، ثم  
 يرفع من قبر النبي عليه الصلاة والسلام محمد من النور إلى عنان السماء فيعلم جبرائيل أنه قبر محمد ،  
 فيطلقون إليه فيقفون ، فيبكي جبرائيل عليه السلام ويقولون ما بك ؟ فيقول لم لا أبكي ، يخوم  
 محمد ويسألني عن أمته ولا أدرى أين أمته ؟ فيترقب قبره وتنفق الأرض ، ويخوم محمد عليه  
 الصلاة والسلام ، فينفق القراب عن رأسه ، وينظر عن يمينه وعن شماله ، فلا يرى من  
 العارات شيئاً ، ويرى جبرائيل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل ، فيقول يا جبرائيل : أي  
 يوم هذا ؟ فيقول : هذا يوم الحسرة ويوم الندامة ، وهذا يوم القيامة ويوم شعاعتك ،  
 ويقول يا جبرائيل : أين أمي لعلك تركتهم على شفير جهنم وجئت لأنت تخبرني بهم ،  
 فيقول جبرائيل : معاذ الله ، والذي بشك بالخلق نبيا ما انشقت الأرض عن أحد قبلك ،  
 ووضعت التاج على رأسه ويلبس الحلل ويركب البراق ويقول : يا أخى يا جبرائيل . أين  
 أصحابي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؟ فإذا هم يقومون بلذن الله تعالى ، ويأتي ملك ومعه حلل  
 وبراقات يلبسون ويركبون ويقومون عند النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يخرج النبي عليه  
 الصلاة والسلام ساجداً باكياً يقول : أمي أمي ، ثم يأتي من قبل الله صوت إلى  
 إسرائيل : أن اضع في الصور ، فينفع فتخرج الأرواح كأنها النحل ، قد ملأت ما بين السماء  
 والأرض ، فتدخل إلى الأجساد كما قال الله تعالى ( ثم قطع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون )  
 الآية ، فتبث الخلائق إلى المحشر من الجن والإنس غير الثلاث ( زبدة الواعظين )  
 من معاذ بن جبل قال « قلت للنبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله أخبرني عن قوله  
 تعالى ( يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ) نبكي عليه الصلاة والسلام حتى ابتلت لباسه  
 من دموع عينيه ، فقال : يا معاذ سألتني عن أمر عظيم تحشر أمي على اثني عشر صفاء .  
 الأول يحشرون من قبورهم ليس لهم يدان ولا رجلان ، فيأدى للنادي من قبل الرحمن :  
 هؤلاء الذين يؤذون الجيران ، فهنا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( والجار  
 ذي القرى والجار الجنب ) الآية . والثاني يحشرون من قبورهم على صورة الخنازير ،  
 فينادى للنادي من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يتهاونون بالصلوات ، فهنا جزاؤهم ومصيرهم

إلى النار لقوله تعالى ( قول للمسلمين الذين هم عن صلاحهم ساهون ) الثالث يحشرون من قبورهم ويطونهم مثل الجبال ، مخلوعة من الحيات والمقارب كمثل البغال ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمتعون الزكاة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ( والذين يكنزون الذهب والفضة الآية ) والرابع يحشرون من قبورهم بجرى من أفواههم الدم ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ) والخامس يحشرون من قبورهم قد انتفخوا ، وهم آتني رائحة من الجحفة بين الناس ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يكتُمون العاصي خوفا من الناس ولا يخافون من الله ، ثم ماتوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ) والسادس يحشرون من قبورهم مقطوعى الخلائق والأقربة ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين شهدون الزور ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( والذين لا شهدون الزور ) الآية - والسابع يحشرون من قبورهم ليس لهم السنة ، بجرى من أفواههم القيح والدم ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمتعون الشهادة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ) . والثامن يحشرون من قبورهم ناكسى رؤوسهم وأرجلهم فوق رؤوسهم ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يزنون ثم ماتوا ولم يتوبوا ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى ( ولا تهربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ) والتاسع يحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العيون ويطونهم مخلوعة من النار ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما لقوله تعالى ( إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ) والعاشر يحشرون من قبورهم وقد ملثوا جذاما وبرصا ، فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين حقوا الواكدين ، لقوله تعالى ( وبالوالدين إحسانا ) والحادى عشر يحشرون من قبورهم حيلان القلب والعين ، وأسنانهم كقرون الثور ، وغفاهم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وعلى خلفهم يخرج من بطونهم القدر ، فينادى للنادى : هؤلاء الذين كانوا يشربون الخمر لقوله تعالى ( إنما الخمر والبسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ) والثاني عشر يحشرون من قبورهم ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، فيسرون على الصراط كالبرق الخاطف ، فينادى للنادى : هؤلاء الذين يعملون الصالحات والحسبات ، ويجتنبون للعاصي ، ويحافظون على الصلوات الخمس ، وماتوا على التوبة ، فجزاؤهم الجنة والنفرة والرحمة والرضوان ، لقوله تعالى ( ألا تخافوا ولا تحزنوا ) الآية ( تنبيه لعافدين ) .

## المجلس الثاني والأربعون : في بيان التواضع

سورة الفرقان — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وعباد الرحمن ) مبتدأ خبره — أولئك يحزبون الفرقة — ( الذين يحشون على الأرض ) وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل ولأنهم الراسخون في عبادته ، على أن عباد جمع طائفة كتابية وتجار ( هوناً ) هينين أو مشياً هيناً مصدر وصف به ، ولأنهم يحشون بسكينة وتواضع ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) تسلماسكم ومشاركة لكم ، لا خير بيننا ولا بينكم ولا شر ، أوسداداً من القول يسفون فيه من الإيذاء والإثم ، ولا تنافيه آية القتال لنفسه ، فإن المراد هو الإعراض عن السفهاء ، وتركه مقابلتهم في الكلام ( قاضى يضاهى ) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من ذكرت بين يديه فلم يصل على دخل النار » لأن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكره واجبة عند الإمام الطحاوى في كل مرة . وقال بعض العلماء : يكفي في المجلس مرة واحدة وإن كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت الساطى ، وبه يغنى ؛ والأفضل أن يصل على كل ما ذكر انتهى . وروى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد إلا وفى رأسه سلسلتان : إحداهما إلى السماء السابعة ، والأخرى إلى الأرض السابعة ، فإذا تواضع يرفعه الله تعالى بالسلسلة التي في السماء السابعة ، وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة » وأما ذم الكبر ، فروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فيها ألقته في النار ولا أبالي » روله ابن ماجه . قوله الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى : معنى أنهما صفتان من صفات الله تعالى ، فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر . وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يحسب المتكبرون يوم القيامة أمثال الدر في صورة الرجال ، يشامم الدل من كل مكان » يساقون إلى سبعين في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، ويستقون من طينة الحبال ، وهي عصارة أهل النار ، رواه القضاعى . قوله الدر : الدر : النخلة الصغيرة : أى يكون للمتكبرون يوم القيامة على غاية الدل والمقارة ، فيطؤم أهل الحشر بأرجلهم . قوله : يشامم الدل : أى يأثمهم الدل من كل مكان . قوله نار الأنيار : أى أشد حرارة من جميع أنواع النار . قوله بولس : بسم الماء اللوحدة وسكون الواو وقع اللام بعدها سين مهمة ، والحبال : ففتح الحاء للمجعة والياء للوحدة موضع في جهنم يمنع فيه صديد أهل النار . وروى عن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

القيامة ولا يركبهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب عظيم : شيخ ران ، وملك كذاب ، وعائل متكبر ،  
رواه مسلم . قوله عائل : أى فقير ، وقيل ذو العيال الذى لا يقدر على تحصيل حوائجهم ويستكبر  
أن يسأل : يعنى لا يطلب الزكاة والصدقة ، ولا يسأل من بيت المال من التكبر ، وهذا آثم لا يصل  
الممر إلى عياله ، انتهى كلامه . روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من تواضع رضى  
الله ، ومن تكبر وضعه الله » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة  
من كبر » وإنما صار حجابا عن الجنة لأنه يحول بين السبوا أخلاق المؤمنين كلها ، وتلك الأخلاق هي  
أبواب الجنة . الحديث ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ، وما شرب رجل من سؤر أخيه إلا كتب  
له سبعون حسنة ، وميت عنه سبعون سيئة ، ورضت زوجته في أعلى عليين » الحديث رواه  
صاحب القردوس . وروى عن جابر رضى الله عنه أنه قال : قال نوح عليه السلام لابنه  
سأيتك بحال من كن فيه ليس بتكبر : اعتقال الشاة وركوب الخمار ولبس الصوف والمبالاة  
مع قهراء المؤمنين وأكل أحدكم مع عياله . رواه صاحب القردوس . وروى عن عمر أنه قال :  
رأس التواضع أن تبتدىء بالسلام على من لقيته من المسلمين ، وأن ترضى بالهدون من المخلص  
وأن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى . وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من  
خصف نعله ورفق ثوبه وغبر وجهه لله في السجود قد برئ من الكبر » وروى عن نيسابن حارم  
أنه قال : لما توجه عمر بن الخطاب إلى الشام ، جعل بينه وبين غلامه تائوبا في الركوب  
فكان عمر يركب الناقة ويأخذ القلام بزمام الناقة ويسير فرسخا ، ثم ينزل ويركب  
القلام ويأخذ عمر رضى الله عنه بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ؛ فلما قرب  
إلى الشام كانت نوبة الركوب للقلام فركب القلام وأخذ عمر بزمام الناقة ، فاستقله اللاء  
في الطريق ، فجعل عمر يخوض في اللاء وهو أخذ بزمام الناقة وسلاه تحت إبطه اليسرى ،  
فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان أميرا على الشام ، وكان من الحضرة البشارة بالجنة  
قال : يا أمير المؤمنين إن عظام الشام يخرجون إليك ، فلا يحسن أن يروك على هذه  
الحالة ، فقال عمر إنما أمرنا الله بالإسلام ، فلا أبالي من مفاة الناس انتهى . روى أن  
مطرف بن عبد الله رأى للهب يتبختر في جبهته ، فقال : يا عبد الله هل هذه شية ينفضها  
الله ورسوله ، فقال للهب : أما تعرفين ؟ قال بلى أعرفك ، أولك نقطة مدرة ، وآخرك  
جيفة قلدة ، وأنت بينهما حامل المدرة ، ففضى للهب وترك الشية وتاب . وروى عن  
أبي هريرة أنه قال : بعث عمر بن الخطاب أميرا على البحرين وهو راكب على حمار ،  
فجعل يقول طرقتوا ؟ فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان خلقهم



التواضع ، وكانوا أمر الناس عند الخلق - وعد اللاسكة وعد الله تعالى . وفي الخبر : لا يخرج رسول الله من مكة مهاجرا إلى المدينة ، ودخل باب المدينة ، كان الأغنياء يتعلقون بزمام الناقة ، فقال عليه الصلاة والسلام : أركوها فانها مأمورة ، فتركوا زمامها عليها ، وكانت الناقة تنضم أمام العسكر ، فكلما جاوزت دار رجل حزن صاحبها ويقول : لو كان لي دولة لكان محمد عليه الصلاة والسلام ضيفي ، فلما انتهى إلى باب دار أبي أيوب الأنصاري ركت الناقة ، ففعلوا بنحسونها فلم يتم ، فقول جبرائيل عليه السلام فقال : أنزل هنا فانه تواضع له حين نزلت على باب المدينة ، واعتنى الناس وزيروا ديارهم ، وقالوا ينزل رسول الله في دارنا ، وإن أبا أيوب الأنصاري قال في نفسه إنى رجل قهر من أين يكون لي قدر عند الله حتى ينزل محمد في دارى ، فأمر الله نبيه في داره لتواضعه ، روى عن وهب بن منبه أنه قال : كان رجل في بني إسرائيل عند الله تعالى سبعين سنة ، لا يخطر إلا من السنة إلى السنة ، ثم سأل الله تعالى حاجة ، فلم يقص حاجته ، فقال : لو كانت لك منزلة عند الله تعالى لقضى الله حاجتك ، فأمر الله تعالى ملكا قال له : يا ابن آدم تواضعك الآن أفضل عند الله تعالى من عبادتك سبعين سنة ، فقضى الله حاجتك لتواضعك إليه . فاعتبروا يا أولى الألباب ، وكونوا من التواضعين . وروى عن كعب الأحرار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام فقال : يا موسى أتدري لما اتخذتك كلها بلا واسطة ؟ قال أنت أعلم بذلك يارب ، قال الله تعالى إنى نظرت في قلوب عبادى ، فلم أر قلنا أعهد تواضعا من قلبك ، فلهذا اتخذتك ، وقيل إن ستة أعياء تواضعت لله تعالى فرفضها بين أمثالها : أولها أن الله أوحى إلى الجبال كلها ، فقال : إنى أجلس سفينة نوح ومن معي من المؤمنين على جبل مسكن ، فقصفت : أى تكبرت الجبال كلها وتطاوت ، وتواضع الجودى وقال : من أين يكون لي قدر حتى يجلس الله تعالى سفينة نوح عليه السلام على ، فرمى الله فوق الجبال كلها ، وقرر السفينة عليه بتواضعه ، كما قال الله تعالى في سورة هود ( واستوت ) أى استقرت ( على الجودى ) وهو جبل بأرض الجزيرة بقرب للوصل ، وقالت الجبال : إربنا لم فضلت الجودى علينا وهو أصغرنا ؟ فقال الله إنه تواضع لى وأتم تكبرتم ، وحق على أن من تواضع لى رفضته ، ومن تكبر على وخذته . والثاني أوحى الله تعالى إلى الجبال كلها فقال : إنى مكلم عليكم عبدا من عبيدى ، فقصفت : أى تكبرت الجبال كلها إلا طور سيناء : فانه تواضع لله تعالى فقال : من أنا حتى يكلم الله على عبدا من عباده ، فذلك كان الكلام بينه وبين موسى عليه السلام على الطور . والثالث أوحى الله إلى السمك كله فقال إنى مدخل يونس في بطون واحد ممكن ، فتكبرت كلها إلا سمكة واحدة ، وقالت : من أنا حتى يحمل الله

تمالى بطى وطاه نبيه ، فرفعها الله وأكرمها بتواضعها . والرابع أوحى الله تعالى إلى الطيور كلها فقال : إني واضح شرايا في إحداكن فيه شفاء للناس ، فتكبرت الطيور كلها إلا النحل ، قالت : من أنا حتى يضعه في ، فرفعها الله ووضعها فيها بتواضعها . والخامس أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال من أنت ؟ قال أنا الخليل ، وقال لموسى عليه السلام : من أنت قال أنا الكليم ، وقال لعيسى عليه السلام : من أنت قال أنا الروح ، وقال لحمد عليه الصلاة والسلام من أنت ؟ قال أنا اليتيم ، فرفع الله درجته على سائر الأنبياء ، كما قال الله تعالى ( ولسوف يحيطيك ربك فترضى ) والسادس للؤمن الذى تواضع لله بالسجود والتوحيد فأكرمه الله بأنت شرح صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه انتهى ( من اللوعة الحسنة للرفوعة ) .

( دخول إبراهيم عليه السلام على ملك مصر ) ونصته أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله له النار بردا وسلاما ، قصد نحو مصر ( فقال إني ذاهب إلى ربى سيدين ) وذهب مع زوجته سارة عليها السلام ، فبيل له : إن في مصر ملكا ظالما يأخذ أرواح الناس ظلما ، وله في كل طريق عتار ، وكان إبراهيم عليه السلام غيورا وكانت سارة من أهل النساء حتى لم يكن لها في زمانها نظير فأخذ إبراهيم عليه السلام صندوقا أدخل فيه سارة عليها السلام ووضع إبراهيم عليه السلام القفل على الصندوق وحملها على البعير وقصد نحو مصر ، فلما وصل إلى الشار سأل منه الملك وأراد فتح الصندوق فأبى ، فلم يتركه حتى جاء مع أهوانه ، وفتح الصندوق فرأى سارة ذات جمال وكال ، فقال لإبراهيم عليه السلام : هذه زوجتك قال هي أختي ، قال أظنها تصلح للملك ، فذهبوا بسارة رضى الله عنها إلى الملك ، ورفع الله عن إبراهيم عليه السلام الحجاب حتى رأى سارة من خارج البيت ، فقصد الملك نحو سارة ، ومد يده إليها فيست يده ورجله ، فقال الملك إنك امرأة ساحرة أبيضت يدي ورجلي ، قالت ما أنا بساحرة ولكن زوج خليل الله ، فدعا عليك ، فأبى الله يده ورجلك ، فقب إلى الله حتى يصحح الله يده ورجلك ، فتاب الملك فصحح الله يده ورجله من ساعته ، ثم نظر إلى سارة فلم يجبر عنها فحمد إليها ثانيا فأعجى الله عينيه ثم تاب فرد الله تعالى له بصره ، ثم حمد إليها ثالثا فأبى الله جميع أعضائه ثم تاب ثوبة حقيقية ، وأعادها إلى إبراهيم عليه السلام واعتذر له كثيرا وقال له اسكن على بما شئت ، فقال إبراهيم عليه السلام : هذا من أمر ربى ، فلا أحكم إلا بما يأمرنى ربى فنزل عليه جبرائيل عليه السلام ، وقال يا إبراهيم : يقول لك الله قل فاصك بخرج من جميع ملكه وخزائنه ، ورسلمها إليك ، ثم ادع له ، فأخبره إبراهيم عليه السلام بحكم الله ، فرضى الملك بحكم الرب ، فدعا له إبراهيم عليه السلام ، فصحح الله تعالى جميع أعضائه . ( نكتة ) إن سارة كانت امرأة جميلة وكان يحبها الخليل عليه السلام ، فحفظها الله

تعالى من غيره حتى لم يجد أحد إليها سبيلا ، وكلمة التوحيد التي في قلب المؤمن يهبها الجليل ،  
 فلما لم يكن للعدو سبيل إلى من أحبه الخليل فكيف يكون للشيطان سبيل إلى من يهبه الجليل .  
 رجينا إلى القصة ، فلما صح لك أن يهاجروها لسارة رضى الله عنها قالت سارة : إن أحبها  
 لإبراهيم عليه السلام ، لأنه اغتم لأجلي ، فوهبها له ، واعتذرت سارة لإبراهيم عليه السلام ،  
 وقالت لا تتم فإن الله تعالى رغب الحجاب بيني وبينك ( قل من السبعيات ) وعن أبي هريرة  
 رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من أكرم طالبا فقد أكرم  
 سبعين نبيا ، ومن أكرم منتظبا فقد أكرم سبعين شيدا ، ومن أحب العالم لا تكسبه عليه خطيئته  
 أيام حياته » وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه  
 وسلم : « يث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء ، فيقول يا مخر العلماء : إنى لم أضع فيكم علمي  
 إلا لعلمي بكم ، فلم أضع علمي فيكم لأعدكم ، اطلقوا قد غفرت لكم » ( تاتلخانية ) .

### المجلس الثالث والأربعون : في ذم المعصية والظلم

سورة الروم — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ظهر الفساد في البر والبحر ) كالجذب والموتان ، وكثرة الخرق والفرق ، وإسحاق القاصه ،  
 وعرق البركات ، وكثرة النصار ، والضلالة ، والظلم ( بما كسبت أيدي الناس ) بشؤم معاصيهم ،  
 أو بكسبهم إيها ( ليزيقهم بض الذي عملوا ) بض جرائه ، فإن تمامه في الآخرة والندم للعاقبة  
 والعاقبة ( قاضي يضاوى ) .

قال فضالة بن عبيد : سمع النبي عليه الصلاة والسلام رجلا يدعو في صلاته ، فلهصل عليه ، عليه  
 الصلاة والسلام ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : هبل هذا ، ثم دعاه ، فقال له وتغيره : إذا صلي  
 أحدكم فليبدأ بتحميد الله ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم ليضع يده  
 ماشاء ، وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : « الدعاء والصلاة مطلقان بين السماء  
 والأرض ، لا يحمدا إلى الله تعالى منها شيء ، حتى يصل على النبي عليه الصلاة والسلام » ( شفاه شريف )  
 وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام في زمرة من الصحابة  
 : « إن من أمتي أقواما يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : يا عبادي ادخلوا الجنة ، فيتحدرون في عرصات  
 القيامة إلى أن يهديهم الله إلى الجنة ، فيقول : من هم يا رسول الله ؟ قال الذين ذهبت يدي  
 أبديهم ولم يصلوا على من السهو والنفلة » ( رونق المجالس ) وفي الأصل كانت الأرض  
 خصرة موقفة ، لا يأتي ابن آدم إلى شجرة إلا وجد عليها ثمرة ، وكان ماء البحر حليما ،

وكان الأسد لا يقصد البقر ولا الذئب الغنم ، فلما قتل قاييل هايل انقضت الأرض ، وشاكت الأشجار ، وصارت الأرض سوداء ، والبحار ملحة زحافة ، حتى قيل : ظهر الفساد في البر يقتل قاييل أخاه هايل ، وفي البحر يجلدى ، وهو ملك كافر كان يأخذ كل سفينة غصبا . قوله بشؤم معاصيهم : أى بشؤم معاصي تارك الصلاة ظهر الفساد فيها ؛ ورد في السنة أن كل حيلة يكون فيها تارك الصلاة ينزل عليها كل يوم سبعون لعة فإن قلت ما الحكمة في نزول اللعة على أهل الحيلة عامة ، ولم تنزل خاصة ؟ قلت : إنهم يرون تاركها ولم ينهوا عنها ، فذلك يصيبهم الله تعالى بحداب من عنده ، كما وقع في الحديث « الساكن عن الحق شيطان أخرس » (موعظة) قوله ليدققهم الخ اللام للتجليل إن كان اللعين أفسد الله أسباب معاصي الناس ، أو لعاقبة إن كان اللعين أفسد الناس أفعالهم وأحلافهم ، إذ ليس غرضهم من إفسادها أن يدققهم الله تعالى عقوبة ما كسبوه لكن لما ترعب الترض من الفعل عليه هبت العاقبة للرتبة عليه باللعنة النابية ، فدخلت عليها لام العاقبة كما في قوله تعالى ( فانتفضه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ) ( شيخ زاده ) قال عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمنا ، وما ظلم أحد مؤمنا إلا أنتم الله منه يوم القيامة » ( حياة القلوب ) قيل أى ذب أخوف ليل الإيمان ؟ قال ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الجماعة والظلم على العباد . وقال رحمه الله تعالى عليه : من كان على هذه الحصال الثلاث ، فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا ، نعوذ بالله إلا من أدركته السعادة ( دقائق الأخبار وللوعظة الحسنة ) ورد في الحديث القمى « يا ابن آدم لئلا تكشف أسراركم ، والقيامة تكلو أخباركم ، والكتاب يهتك أسراركم فإذا أذبت دنبا فلا تنظر إلى صغره ، ولكن انظر إلى من عصيته ، وإذا رزقت رزقا قليلا فلا تنظر إلى قلته ولكن انظر إلى من رزقك ، ولا تحقر الذئب الصغير ، فإنه لا تدري بأى ذنب أعضب عليك ، ولا تأمن مكربى : فهو أخفى من ديب الفل على الصفا في الليلة الظلماء ، يا ابن آدم هل عصيتي فذكرت غضبي فأنشيت عنه ، وهل أديت الأمانة لمن اتعتك ، وهل أحصلت لمن أساء إليك ، وهل عضوت ممن ظلمك ، وهل كلمت من هجرتك ، وهل وصلت من قطعك ، وهل أنصفت من خانك ، وهل سألت الصفاء عن أمر ديبك ودباك ؟ وإنى لا أنظر إلى صوركم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم وبياتكم وأرضى بهذه الحصال حكم » ( موعظة حسنة ) هذه حال الظالم . ثم اعلم حال العادل وفقه الله وإياكم . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يسرى بالليل فحبر على باب دار ، فسمع بكاء فوقف ، فسمع امرأة تقول لأولادها : الله يبنى ويرى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فأراد عمر أن يطيب قلبها من الحزن فدفق

الباب ، فقال : ما فعل بك عمر ؟ ولم يسطروا أنه عمر ، فقالت للراة : قد بعث زوجي إلى غزوة كذا وقد ترك لي أولادا صغارا ، وليس معي شيء أتقنه عليهم ، فيكون ، ويقولون : قد فعل أمير المؤمنين عنا ، فخرج عمر وأخذ عدلا من الدقيق ولحما كثيرا وحمله على ظهره ، فقال له من كان معه : ضعه حتى أحمله ، فقال : هب أنك تحملني إلى الدنيا هذا ، فمن يحمل أوزاري يوم القيامة ؟ وكان يكي حتى دخل الدار ، فصبغ في الساعة من الدقيق بيده ، وأوقد الثور ، وطمع الحزن والهم ، ونبه الصبيان فكان يقيمهم بيده حتى شبعوا ، فقال لهم : اجعلوني في حل على أن لا تخاصموني يوم القيامة ، فقالوا نعم ، فخرج هو ومعه عدله ، ورؤى في المنام بعد موته بخمسة عشرة سنة قيل له ما فعل الله بك يا عمر ؟ قال الآن فرغت من حساب قوله تعالى ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) الآية ( من روثي المجالس ) . حكاية : مكتوب على حياح الجراد : نحن جند من الأجناد سلط الله على البلاد تحريب النواحي والبلاد عند ظهور الجور والفساد ( نقل من الشكاة ) ورد عن السلف : الجور والعلم في المدينة ، والجهل والبركات في القرى ، فيجذب العلم للبركات إلى المدينة بسبب للناس بينهما ، ويجذب الجهل القلم إلى القرى لمناسبتها . والآن هكذا أهل المدينة يشكون من أهل المدينة ولا يشكون من أهل القرى ، وأهل القرى يشكون من أهل القرى ولا يشكون من أهل السفر ، وأهل السفر يشكون من دين الإسلام ولا يشكون من سائر الملل . قيل كانت سنة من السنين ، فقصط الناس بركة ، فخرج الناس يستسقون ثلاثة أيام فلم يعطروا . فقلع عبد الله بن المبارك قلعت لنفسه أخرج من بين هؤلاء القوم ، وأدعوا الله تعالى فحس أن يرحمهم ويستجيب دعائهم ، فاعتزلت عنهم ، ودخلت بين الكهوف ، فلم ألبث حتى دخل غلام أسود ، وحمل ركتين ، ووضع رأسه على الأرض ودعا الله ، وكنت أسمعه يقول : إلهي إن هؤلاء عبادك قد استسقوا ثلاثة أيام فلم تستجب لهم ، فبعتك لأرفع رأسي حتى تسقينا قال فلم يرفع رأسه حتى أمطرت السماء وقام ومضى ، فابته حتى دخل في البلد فدخل دارا ، فوقفت على الباب ، فقصدت هناك حتى خرج واحد ، فقلت لمن هذه الدار ؟ فقال فلان ، فدخلت ، فقلت أريد أن أشتري عملا ، ففرض على المالك غلاما ، فقلت أريد غيره ، فقلت عندك غيره ؟ فقال : إن معي غلاما لكنه لا يصلح لك ، فقلت لم ؟ قال لأنه كنان ، فقلت اعرضه علي ، فدعاه فأبصرته ، فقلت قد رضيت ، فكم تبيعه ؟ قال أنا اشتريته بششرين دينارا لكنه لا يساوي عشرة دنانير وقد بته منك بشرة دنانير ، فقلت اشتريته منك بششرين دينارا ، ودفعت الثمن إليه وتسلمت منه المملوك ، فقال لي السلام فإن المبارك لم اشتريته فاني لأخذك منك ؟ فقلت : ما اسمك ؟ قال الأجيبة تعرف

الأحبة ، قال فحث به إلى يتيق فأراد التوضأ ، فقامت قدسيت الإتياء إليه ووضعت النعل بين يديه ، فقام وتوضأ وصلى وسجد قال : قد نوت لأن أجمع ما يقول ، فإذا سمعته يقول :

يا صاحب السر إن السر قد ظهر لا ولا أريد حياتي بعد ما أشتري

ثم سكنت ساعة ، فحركته فإذا هو ميت ، فأخذت في تجهيزه ، فدفنته ، فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام من ليلتي في المنام وعيخ نوراني محبوب عن يمينه والقلام الأسود عن يساره ، فقال لي : جزاك الله عنا خيرا ولا أراك شيئا لما أحسنت إلى حبيبتنا ، فقلت هل هو حبيبك يا رسول الله ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : نعم هو حبيبي وحبيب خليل الرحمن ( رونق المجالس ) وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » ( مصابيح ) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال : سنة يدخلون النار ستة : الأمراء بالجور ، والأعراب بالنصب . وأهل الرستاق بالجهل ، والدعايق بالكبر ، والتجار بالخيانة ، والعلماء بالحد ، وذكر أن آدم عليه السلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كرامات ما أعطانيها : إحداهما أن قبوله توبتي كان بمكة ، وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون في كل مكان فيقبل الله توبتهم . والثانية آتي كنت لا يسأ قضا عصيت جلتي عريانا وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون عرايا فيلبسهم . والثالثة لما عصيت فرقي بيني وبين امرأتي وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة آتي عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله تعالى خارج الجنة فيدخلهم فيها إذا تابوا ( تنبيه الخافلين ) .

## المجلس الرابع والأربعون : في الذكر والتوحيد

سورة الأحزاب - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ) يثلب الأوقات وبم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد ( وسبحوه بكرة وأصيلا ) أول النهار وآخره خصوصا ونحسبهما بالذكر لدلالة على فضلها على سائر الأوقات لكونهما مشهورين كإفراد التسيح من جملة الأذكار ، لأنه المدة فيها ، وقيل العملان متوجهان إليهما ، وقيل للترادف بالتسيح الصلاة ( هو الذي يصل عليكم ) بالرحمة ( وملائكته ) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والراد القدر المشترك ، وهو العناية بصلاح أمركم وظهر شرفكم مستعار من الصلاة ( ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) من ظلمات الكفر والعصية إلى نور الإيمان والطاعة ( وكان بالمؤمنين رحيما ) حق اعنى بصلاح أمرهم وإغاثة قدرهم ، واستعمل في ذلك الملائكة للتقريب ( قاضي يضاوي ) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا » أي لم يحتاج إلى أحد أبدا قال الله تعالى ( فاذا كروني ) أي بالطاعة ( أذ كركم ) أي بالخبرة والثواب ، أوفاد كروني بالتوبة أذ كركم بقبولي ومغفرتي ، أوفاد كروني بالنداء أذ كركم بالإجابة كما قال الله تعالى ( ادعوني استجب لكم ) أوفاد كروني في مهديكم أذ كركم في لحديكم ، وهو التثبيت بالقول حين يأله الملك في نبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه ، أوفاد كروني بالتوكل أذ كركم بالكفاية بدليل قوله تعالى ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) أوفاد كروني بالإحسان أذ كركم بالرحمة لقوله تعالى ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) ( بهر الحقائق ) قوله : هو الذي يصل إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين ، فإن صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها ، وعناؤه عن العالمين مما يوجب عليهم للدائمة على ما يستوجبها تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسييحه . وقوله تعالى : وملائكته عطف على المستكن في يصل لكان الفصل للثني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا ، فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متباينين مما لا مبالغ له بل على أن يراد بها معنى مجازي علم يكون كلا للعين ودرا حقيقيا له ، وهو الاختاء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم ، فإن كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيق له ( أبو السعود ) قوله هو الذي يصل عليكم وملائكته إلى آخره : صلاته محبرة ورحمة لحلقه ، وصلاة الملائكة الهدى ، والاستغفار للمؤمنين ، يسألوا لكونهم مستجابي الدعوات كأنهم طاعوا الرحمة ، ولذا جار عطف الملائكة عليه ، وإلا لا عموم للمشارك في مفهوميه الحقيقة والمجاز ( شيخ زاده ) قال عليه الصلاة والسلام « لا تسكروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تورث قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاس » ( مصابيح شريفة ) حكى أنه مات رجل من أهل الله تعالى ، فرآه البعض في النوم ، فسأله عن حاله فقال : جاءني ملكان وجههما أحسن شيء ورعتهما أطيب شيء ، فقالا من ربك ؟ قلت إن سألتها امتحانا فحرام وإن سألتها استفهاما فربي الله تعالى ، فلتبها ، قلت لا تلتبها ما لم تأتيا بالخبر عن سيدي فبهاء النداء في الحال : هو عبيدي ، فلتبها انتهى . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ليلة العراج بهرا لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ، وعلى يدايته ملك على صورة الطير ، وله سبعون ألف جناح ، وإذا قال البعد سبعان الله تحرك من مكانه ، وإذا قال والحمد لله بسط أجنحته ، وإذا قال ولا إله إلا الله طار ، وإذا قال والله أكبر أوقع نفسه في البحر ، وإذا قال ولا حول ولا قوة إلا بالله التلى العظيم يخرج فينفذ أجنحته ، فيقطر من كل جناح سبعون ألف قطرة ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيبحوث ويهللون ويستغفرون قائلها إلى يوم القيامة » ( روضة الواعظين )

من النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق همودا بين يدي المرشى ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله اعتز العمود ، فيقول الله تعالى : أسكن يا عمود ، فيقول العمود : كيف أسكن ولم تنفر لقالها ؟ فيقول الله تعالى قد صمرت له فيسكن عند ذلك » ( زبدة الواعظين ) حتى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان مارا في بعض الطرق ، فرأى شيخا قد انحنى ظهره من الكبر ، وقد شد زنارا على وسطه ، وبين يديه نار يبيدها ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : يا شيخ منذ كم سنة تعبد هذه النار ؟ فقال منذ أربعين سنة ، فقال ألم بأن لك أن تتوب من عبادة النار ، وتعود إلى الملك الجبار ؟ فقال يا موسى : أترى أن الله تعالى لو رجعت إليه يقبلني ؟ قال موسى عليه الصلاة والسلام : فكيف لا يقبلك وهو أرحم الراحمين ؟ فقال يا موسى : إن علمت أن الله تعالى يقبل الممارين مكرمه ولطفه اعرض على الإسلام ، فعرض عليه موسى عليه الصلاة والسلام الإسلام فأسلم ، فقال لا إله إلا الله موسى رسول الله ، فأخذته الصبغة والصراخ حتى خشي عليه الموت فخرج الإسلام ، فحركه موسى عليه الصلاة والسلام برجله فلما هو فارق الدنيا ، فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام في تجهيزه ودفنه ، ثم وقف على قبره فقال إلهي أريد أن تتعلمني بماذا علمت هذا المبدأ بتوحيد واحد ، فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، وقال يا موسى إن ربك يقرئك السلام ويقول : أما علمت أن من صالحنا بكلمة لا إله إلا الله موسى رسول الله تقربه إلى جناتنا وتلبسه من حلل الجنة ، فرجع موسى عليه الصلاة والسلام إلى قومه ، فأخبرهم القصة ، فدوا حروف لا إله إلا الله موسى رسول الله أربعة وعشرين حرفا ، فقد ضم الله بكل حرف ذنوب سبع وعشرين سنة ( رونق المجالس ) . وفي الخبر « يؤتى بالبدي يوم القيامة ، ويوقف بين يدي الله تعالى ويحاسبه ، فيستحق النار بكثرة ذنوبه وفلة حسنته ، فيقرب إلى الملاك وهو برعمد ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي انظروا دقته ، هل تجدون في دوائه حنة ؟ فينظرون فيقولون : يا ربنا لم نجد شيئا ، فيقول الله تعالى : عندي له شيء ، إنه كان نائما في الليل فاستيقظ من منامه وأرسل أن يدعصرتني ، فقلب عليه النوم فلم يقدر أن يذكرني إني قد غفرت له بذلك » ( تنبيه الناقلين ) عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الشيطان عليه لعنة ، قال لربه عزتك وجلالك يا رب لا أزال أهدأ أصوي عاتك وأمرهم بالكفر والنسبة مادامت أرواحهم في أجسادهم ، قال الله تعالى يا ملعون : وعزني وجلالي لا أزال أعفر لهم ماداموا ذاكرين لي ومستغفرين مني » ( مجالس الأيوام ) من النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « يؤتى برجل يوم القيامة إلى الليزان ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا ، وكل سجل منها مائة ألف خطيئة ، وفيها خطايا وذنوبه ، فتوضع في كفة الليزان ،



ثم يخرج قرطاس مثل النحلة ، فيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيوضع في الكفة الأخرى ، فيرجح على خطاياهم ، فينجيه الله تعالى بتوحيده من النار ويدخله الجنة ، ( تنبيه السائلين ) . قال النقيب أبو البيث : من حفظ سبع كلمات ، فهو شريف عند الله تعالى والملائكة ، ويسفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، ويجد حلوة الطاعة ، وتكون حياته ومماته حيرا . الأولى : أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله . والثانية : أن يقول بعد فراغ كل شيء الحمد لله . والثالثة إذا جرى على لسانه حالا يصيبه أن يقول أستغفر الله . والرابعة إذا أراد غدا غدا أن يقول إن شاء الله . والخامسة إذا استقبل إليه فعل مكروه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسادسة : إذا أصابته مصيبة أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . والسابعة : لا يزال يجري على لسانه في الليل والنهار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ( من غير حنى ) . فاعمل بما قررنا لك يا صوفي . قيل سبعة أشياء تنور القبر ، وكل واحد ثابت بكتاب الله تعالى : أولها الإخلاص في العبادة لقوله تعالى ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ) والثاني : بر الوالدين لقوله تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والوالدين إحساناً ) والثالث : صلة الرحم لقوله تعالى ( وآت ذا القربى حقه ) والرابع : أن لا يضيع عمره في اللصية : لقوله تعالى ( واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ) والخامس : أن لا يتبع هوله ، لقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا أنفسكم وأهلكم نارا ) وقوله تعالى ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي الأولى ) والسادس : أن يحث في الطاعة لقوله تعالى ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ) والسابع أن يذكر الله تعالى لقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وصبروه بكرة وأصيلا ) ( تنبيه السائلين ) . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » وهذا الحديث من حسان الصايح ، ورواه جابر رضي الله تعالى عنه ، وإنما جعل فيه الحمد لله تعالى أفضل الدعاء ، لأن الدعاء عبارة عن ذكر العبد ربه وسؤاله منه فضله ، ففي الحمد لله هذا المعنى موحود ، إلا فيه ذكر الرب وطلب المزيد لأنه رأس الشكر ، والمعدة فيه قوله عليه الصلاة والسلام « الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده » والشكر يستلزم المزيد لقوله تعالى ( لأن مكركم لأزيدنكم ) فمن قال الحمد لله يصير كأنه سأل منه زيادة فضله بعد انتاء عليه ، وأما كون لا إله إلا الله من أفضل الأذكار ، فلأن فيه معنى لا يوجد في ذكر غيره ، وبمعرفة ذلك للمعنى يحصل للمكلف جميع ما يجب عليه معرفته في حقه تعالى ، وذلك معنى إثبات الألوهية له تعالى ونفيها عما سواه ، ويدرج في معنى الألوهية جميع ما يجب على المكلف معرفته ، مما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له ، لأن الألوهية

لشتمل على معنيين : أحدهما استثناءه تعالى عن جميع ماسواه . والثاني اختصار جميع ماعنده إليه تعالى ، فلي هذا يكون معنى كلمة التوحيد ، لاستغنى عن جميع ماسواه إلا الله ، فيجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ، إذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا إلى محدث ، لأن انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث ، وكل حادث مفتقر إلى محدث . وكذا يجب له تعالى التزه عن النقائص ، ويدخل في التزه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام ( مجالس الروى ملخصا ) .

## المجلس الخامس والأربعون : في فضيلة الذكر

سورة الأحزاب — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) يتنون بأظهار شرفه وتعظيم شأنه ( يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ) اعتنوا أتم أيضا ، فإنكم أولى بذلك ، وقولوا : اللهم صل على محمد ( وسلموا تسليما ) وقولوا السلام عليكم أيها النبي ، وقيل : واتقوا لأوامره ، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة . وقيل يجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل على ، فدخل النار ، فأبده الله » ويجوز على غيره تبعاً له ، ونكره استغلا ، لأنه في العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذا يكره أن يقال محمد عز وجل ، وإن كان عرباً جليلاً ( قاضى يضاوى ) .

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكا أعطاه مع الخلاق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم القيامة فامن أحد من أمي يصل على صلاة إلا سمع باسمه واسم أبيه ، وقال : يا محمد إن فلان بن فلان صل عليك ، فقالوا يا رسول الله أرايت قول الله تعالى ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) فقال عليه الصلاة والسلام : هذا من الله للكتون ، ولولا أنكم سألتهموني ما أخبركم به ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى وكل لي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على ، إلا قال فأنك لللكان خسر الله لك ، وتقول لللائكة جوابا لهما آمين ، ولا أذكر عند مسلم فلم يصل على ، إلا قال فأنك لللكان لا يضر الله لك ، وتقول لللائكة جوابا لهما آمين » ( أبو السعود رحمه الله تعالى ) عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « فامن دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب ، حتى يصل على النبي عليه الصلاة والسلام ، فإذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ، ويدخل الدعاء ، وإن لم يصل رجع دعاءه » ( حكي ) أن واحدا من الصالحاء جلس للشهد ، ونسى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فرأى رسول الله في نومه ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام لم نسيت الصلاة على ؟ فقال يا رسول الله : اشتغلت ببناء الله تعالى وعبادته فنسيت ، فقال

عليه الصلاة والسلام : أما سمعت قولي : الأعمال موقوفة والدعوات مجبوبة حتى يصل على رسول الله  
لو جاء عبد يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ، ولم تكن فيها صلاة على ردت ولم تجب له ( زينة  
الواعظين ) ( ت ) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم  
على صلاة » ( حكي ) أن زاهدا رأى النبي عليه الصلاة والسلام في نومه ، فاستقبل الزاهد إليه ، فلم  
يظهر إليه ، قال الزاهد يا رسول الله : أأنت على غضبان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا ، فقال أما  
تعرفني وأنا فلان الزاهد ؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام : لم أعرفك ، فقال يا رسول الله أنا سمعت  
الطعام يقولون : إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف أمته كما يعرف الأبوان ولدهما ، فقال النبي  
صلى الله تعالى عليه وسلم : صدق الطعام ، إن النبي أعرف منهما بأمته ، أي بالذي يصل على  
نبيه بقدر صلاته ( زهرة الرياض ) حكي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري ، فقالت  
يا أستاذ إن لي بنتا ماتت أريد أن أراها في المنام ، فخطبني شيئا من الخواص حتى أراها  
فصلتها الصلاة ، فرأت بنتها في المنام وعليها لباس من قطران ، وفي عنقها غل ، وفي  
رجليها قيد من نار ، فاستيقظت وجاءت إلى الحسن البصري باكية ، ووصفت ما رآته  
فبكى الحسن وأصحابه ، ثم مضى مدة ، فرأى الحسن البصري في المنام أنها في الجنة على  
سرير وعلى رأسها تاج يضيء ما بين الشرق والغرب ، فقالت يا أستاذ أعرفني ؟ فقال  
الحسن رحمه الله تعالى لا ، فقالت أنا بنت تلك المرأة التي علمتها الصلاة ، فقال الحسن  
رحمه الله تعالى : بأي سبب نلت هذا التلذذ ؟ فقالت يا شيخ مر بمقبرتنا رجل ، فصل  
على النبي عليه الصلاة والسلام مرة ، وجعل ثوابها لنا ، وكان في مقبرتنا خمسة وخمسون  
إنسانا معذيين ، فتودى أرفقوا عنهم العذاب ببركة صلاة هذا الرجل على النبي عليه الصلاة  
والسلام ( زينة الواعظين ) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال  
« جادني جبرائيل عليه السلام وقال : يا محمد لا يصل عليك أحد إلا صلى عليه سبعون  
ألف ملك ، ومن صلت عليه ثلاثمائة كان من أهل الجنة » وروى عن الحسن البصري  
أنه قال : رأيت أبا عصمة في المنام ، فقلت له يا أبا عصمة : ما فعل الله بك ، فقال  
خضر لي ، فقلت بأي سبب ؟ قال ما ذكرت حديثا إلا صليت على النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم ( زينة الواعظين ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أنا في جبرائيل  
وميكايل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام فقال جبرائيل يا رسول الله من صلى عليك  
في كل يوم عشر مرات أنا آخذ بيده وأمره على الصراط كالبرق الخاطف ، وقال  
ميكايل عليه السلام : أنا أسقيه من حوضك ، وقال إسرافيل عليه السلام : أنا أسجد لله  
على ما أرفع رأسي حتى ينفر الله تعالى له ، وقال عزرائيل أنا أقبض روحه كما أقبض

أرواح الأنبياء عليهم السلام (حكي) عن عبدالله أنه قال : كان لنا خادم يخدم السلطان ، وهو موصوف بالفسق ، فرأته ليلة في منامي ويدعني يد النبي عليه الصلاة والسلام قلت له يا بني الله هذا المد من الفاسقين ، فكيف وضع يده في يدي ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : قد عفر له وأنا أشفع له إلى الله تعالى ، قلت يا بني الله بأي سبب نال تلك التزلة ؟ قال بكثرة الصلاة على ، إنه كان في كل ليلة حين يهيئ إلى فراشه يصل على أئمة مرة ( تحفة الملوك ) وعن كعب بن جراح رضي الله تعالى عنه أنه قال : إذا كان يوم القيامة يرى آدم عليه السلام واحدا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يساق إلى النار ، ليأدى يا محمد ، فيقول ليك يا أبا البشر ، فيقول إن واحدا من أمتك يساق إلى النار ، فيعدو خلفه النبي عليه الصلاة والسلام حتى يدركه ، ويقول يا ملائكة ربي قفوا فيقولون يا محمد ألم تقرأ قوله تعالى في حقنا ( لا يصون الله ما أمرهم ويضلون ما يؤمرون ) فيسمعون نداء أطيعوا محمدا ، فيقول ردوه إلى الميزان ، فيوزن محمد ، فترجح سيئاته على حسناته فيخرج النبي عليه الصلاة والسلام رقعة من كفه فيها الصلاة التي صلاحها عليه في الدنيا ، فيصمها النبي على حسناته فتقبل ، فيفرج الرجل ويقول : يا بني وأمي من أنت ؟ فيقول أنا محمد ، فيقبل ذلك الرجل قدم النبي عليه الصلاة والسلام ويقول يا رسول الله ما تلك الرقعة ؟ فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : هي صلاتك التي صليت على في الدنيا وأنا حفظها لك . يقول العبد يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ( كنز الأخبار ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : إن الله تعالى خلق ملائكة بأيديهم أقلام من ذهب وقرطيس من فضة لا يكتبون شيئا إلا الصلاة على وعلى أهل بيتي (حكي) « أن يهوديا كان يدعى بسرقة جمل على رجل مسلم ، فشهد عليه أربعة يهود من النفاقين زورا ، فحكم النبي عليه الصلاة والسلام بالجلل لليهودي ويقطع يده للسلم ، فتعجب المسلم ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : إلهي ومولاي أنت تعلم بأن لم أسرق هذا الجمل ثم قال يا رسول الله إن حكمتك حق ، ولكن استنبر عني هذا الجمل ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جمل لمن أنت ؟ فقال الجمل بلسان فصيح : يا رسول الله أنا لهذا السلم ، وإن هؤلاء اليهود يكادبون . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : يا مسلم أخبرني ماذا تعمل حتى أنطق الله تعالى الجمل في حقك ؟ فقال المسلم يا رسول الله أنا لا أنام الليل حتى أصلي عليك عشر صلوات ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام نموت من القطع في الدنيا ، وتنحو من عذاب الآخرة في النقي ببركة صلاتك على ( درة الواعظين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على عشرا إذا أصبح وعشرا إذا أمسى آمنه الله تعالى من النزع الأكبر يوم القيامة ، وكان مع الذين آمنه الله عليهم من النبيين والصديقين (حكي) عن فضيل بن عياض

عن مكيان الثوري أنه قال : خرجت حاجا ، فرأيت رجلا في الحرم يصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان في الحرم ، وعند طواف البيت وعرفات ومعى ، قلت أيها الرجل لعل مقام مقال ، فلما بذلك لا تشغل بالهواء ولا بالصلاة سوى أنك تصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن لي فيه قصة ، قلت أخبرني بها ، فقال : خرجت من خراسان حاجا إلى هذه البيت ، ومعى والدي فلبست الكوفة ، فرض والدي حولى ، قطعت وجهه بإزار ، فلما كشفت عن وجهه رأيت صورته كصورة الحمار ، ففرت حزنا شديدا ، وقلت كيف أظهر للناس هذه الحالة ، وأن والدي قد صار بهذه الصورة ، ثم لمست ساعة ، فرأيت في المنام كأنهم دخل علينا رجل صبيح وعليه ثياب وكشف عن وجهه وقال لي ما هذا ألم العظيم ؟ قلت وكيف لا أؤلم مع هذه الحنة ؟ فانطلق إلى أبي لمسح وجهه فبرئ مما ابتلى به ، ففرت منه وكشفت عن وجهه فظننت إليه ظانا وجهه كالقمر الطالع بلوح ليلة البدر ، قلت له من أنت ؟ فقال أنا المسطى فأمسكت طرف رداة قلت بحق الله تعالى أخبرني بالقصة . فقال كانت والدك آكل الربا ، وأن من حكم الله تعالى أن من أكل الربا يحول صورته كصورة الحمار ، إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد جعلها الله تعالى لوالدك في الدنيا ، وكان والدك في الدنيا يصل على كل ليلة قبل أن يصطحب مائة مرة ، فلما عرضت له هذه الحالة ، جاء الملك الذى يعرض على أعمال أمتي فأخبرني بحاله ، فسألت الله تعالى فسمى فيه ( تحت القصة ) . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصل على » ( مشارق ) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على مرة لم يبق من ذنوبه ذرة » والتقصير والأحاديث فيه كثيرة ، وقد اختصرناها كيلا تؤدي إلى أقوال طويلة . روى أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن حبان في صحيحه على ما نقله مجد القنوي عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على صلاة صلى الله تعالى عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » ( كذا فى الصايح ) قال الشيخ للظهر : وإن عادة الملوك والكرماء إعزاز من يميز أحبابهم ، وتشريف من يشرف أحلامهم ، فانه تعالى ملك الملوك وأكرم الكرماء ، فهو أحق بهذا الكرم ، فإن من يشرف حبيه وتبته صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يصل عليه ، يحد من الله الكرم الرحمة وحط الذنوب ورفع الدرجات انتهى كلامه . قال بعض الكبار : فى هذا الحديث إيماء إلى أن القيس من الحضرة الأحمدية إنما يحصل بواسطة الروح الحمدي ، لأنه قطب الأنطاط أولا وأبدا ، فالواجب على الطالب تحصيل النجابة إلى جابه الأعز ، بدوام الصلاة عليه والتزام سنته ، فمن تقرب إليه بصلاة وصل إليه من الحضرة بواسطة متابعتة عشر صلوات

ورفع يمينه عشرين الملق عشرة من الحب ، ورفسته عشر درجات من درجات القرب قال الله تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) انتهى . ثم معنى قولنا صلى الله على محمد : أى عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار شريته ، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته . وقال الحليسى : لتصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره ، وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا ، وقال عبد السلام : ليست صلاتنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شناعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لئله ، وليسكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا ، وأنتم علينا ، لأن همزنا عنها كافأناه بالهداء ، فأرشدنا الله سبحانه لما علم همزنا من مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا ، وإفضاله علينا انتهى . قال ابن الشيع رحمه الله تعالى : والأصول فى الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن نصل بما اختاره الجمهور ، وهو وجوبها كما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإن ذكر فى مجلس واحد ألف مرة انتهى لما ورد من الأحاديث ، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبده الله فلا يلوم من إلا نفسه » رواه ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه كذا فى الترغيب ، وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، فمن كان ذا عقل سليم يكفيه ما ذكره ، صلى العاقل أن يكثر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الليل والنهار ، سباً فى يوم الجمعة وليتها انتهى .

### المجلس السادس والأربعون : فى بيان خيانة أمانة الله

سورة الأحزاب — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها (محملها الإنسان) ) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة ، وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الاداء . ولقى أنها لعظم شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام ، وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، ومحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته ، لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها خير الدارين ( إنه كان ظلوماً ) حيث لم يصف بها ولم يراع حقها ( جهولاً ) بكنته طاعتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب ، وقيل للراد بالأمانة : الطاعة التى تم الطبيعية والاختيارية ، وبعرضها استدلالها الذى يرم طلب الفعل من المختار ، وإرادة صدور من غيره ، وبمحملها الحيانة فيها ، والامتناع عن أدائها ؛ وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها قهراً وقال لها : إني فرضت عريضة وحلفت جنة لمن أطاعنى ونارا لمن عصانى ، فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا ، لا نحمل فرضة ولا نبتلى ثواباً ولا عقاباً ؛ ولما خلق آدم عليه السلام عرض

عليه مثل ذلك حملها ، وكان ظلوما لنفسه بتحمده ما يشق عليها جهولا بوحاشة قاعته ، ولعل للتراد بالأمانة العقل أو التكليف ، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وإيمانهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اليقظة والاستعداد ، وبحمل الإنسان قابليته ، واستعداده لها ، وكومه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة التضيية والشهوية ، ( فاضى يضاوى ) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يلقون عن أمم السلام ، فإذا صلى أحد على من أمم في اليوم مائة مرة ، قضى الله تعالى له مائة حجة ، سجين منها في الآخرة ، وثلاثين في الدنيا » قال بعضهم للتراد من الأمانة التوحيد ، وهي كلمة الشهادة وكلمة الإيمان وكلمة النور وكلمة القوى ، وعبر عنها بالأمانة عليها على أنها حقوق مرعية أودعها الله في التكليفين ، واتضمن عليها ، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والاعتقاد ، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها ، وأدائها من غير إحلال شيء من حقوقها ( أبو السعود ) وعن عبد الله بن عمر أنه قال : كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا ، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فإذا قل العبد هذه الكلمات بالإخلاص في ساعة خفيفة يقول الله تعالى : قد غفرت ذنوبك صغيرها وكبيرها خفيها وجليها وصغرها وسموها بحمرة هذه الكلمات ( حياة القلوب ) . قيل لما عرضت الأمانة على آدم عليه السلام قال يلرب : إن السموات والأرض والجبال مع عظمتها وسعتها لم يطقن حملها وأبسى ، فكيف أحمل مع ضئي ؟ فقال الله تعالى : الحمل منك والقعدة مني ، حملها ( تفسير حنفي ) . قال الله تعالى لموسى عليه السلام ( خذها ولا تخف ) الآية ، أرى عصاه في عين فرعون ثعبانا عظيما حتى خافوا ، وأراها في عين موسى عليه السلام خشبا ظم يحف ، وكذا الأمانة أراها للسموات والأرض ثقيلة ، فأبين أن يحملها وأشفقن منها ، وأراها في عين الإنسان خفيفة لحملها ( زهرة الرياض ) . فإن قيل : ما الحكمة في أنها لم تقبل الأمانة مع عظم شأنها وجرمها ، وحملها الإنسان مع ضعفه ؟ قلنا لأنها لم تكن ذات قوة الجنة ، والإنسان كان قد ذاق لذتها ، لحملها لينتفع إليها ( تفسير حنفي ) . قال بعضهم للتراد من الأمانة الصلوات الخمس ، قال الله تعالى ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولحوموا لله قانتين ) قال عليه الصلاة والسلام « الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها قد أقام الدين ، ومن تركها قد هدم الدين » روى أن عليا كرم الله وجهه كان كلما دخل وقت الصلاة تغير لونه ، فقيل له في ذلك فقال قد جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، لحملتها مع ضئي ، فلا أدرى أؤديها أم لا ؟ ( بهجة الأنوار ) وقال بعضهم للتراد من الأمانة

الأعضاء ؟ فالأمين أمانة يلزم كفها عن الحرام ، كما قال الله تعالى ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) والبطن أمانة يلزم كفها عن إدخال الحرام كما قال الله تعالى ( ولا تأكلوا الربا ) وقال ( إن الذين يأكلون أموال البتاني ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ) واللسان أمانة يلزم كفها عن النية والتعشي ، كما قال الله تعالى ( ولا يفتب بضمك بضاً ) والأذن أمانة يلزم كفها عن استماع المنكرات وللنهي ، كقوله تعالى ( ولا تفت ما ليس لك به علم ) وكذا اليد والرجل والفرج أمانات يلزم كفها عن الحرام ( بهجة الأنوار ) . وقال بعضهم : المراد من الأمانة القرآن ، يلزم عليك أن تلازم القراءة وتعلمه وتعليقه ، وفي الخبر « إن الله تعالى يقول يوم القيامة للوح المحفوظ يا لوح أين الأمانة التي أودمت عندك : يعني القرآن ما صنعت بها ؟ فيقول اللوح يارب وكلت بها إسرائيل وسلفتها إليه ، فيقول الله تعالى : يا إسرائيل ما صنعت بأمانتي ؟ فيقول يارب سلفتها إلى ميكائيل وميكائيل إلى جبرائيل ، ثم يسأل جبرائيل فيقول : ما صنعت بأمانتي ؟ فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام : يارب سلفتها إلى حبيبي محمد ، يقول الله تعالى هاتوا حبيبي محمدا جبرائيل ، جلاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد تدارك ، فيقول الله تعالى : يا حبيبي هل بلغت جبرائيل أمانتي ؟ فيقول نعم ، فيقول الله تعالى ما صنعت بها ؟ فيقول رب بلغت أمتي ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي هاتوا أمة حبيبي محمد حتى أسألكم عن أمانتي ، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : يارب أمتي ضغفاء لا يقدر أن يجيئوا حصرتك ، ثم يقول : يارب ائذن لي حتى أذهب إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، فيأذن الله تعالى ، فيذهب ويقول عليه الصلاة والسلام : يا آدم أنت أبو البشر وأنا حبيبهم ، إن أصابهم الملة يكون الحزن عليا ، فخذ صف ذنوب أمتي وأنا لنفسها حتى يشعروا من السؤال والحساب ، فيقول آدم عليه الصلاة والسلام : يا محمد أنا مشغول بنفسي فلا أقدر ، ثم يرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحيى تحت العرش ، ويضع رأسه ساجدا ، ويسكن بكاء شديدا ، ويتضرع إلى الله تعالى ويقول : يارب لا أسألك نفسي ولا فاطمة بنتي ولا الحسن والحسين بل أريد أمتي فيقول الله تعالى بلطفه وحكمه : يا محمد ارفع رأسك وسل تعط ، واشفع لنفسك ، أعطيت أمتك ما ترضى وفوق ما ترضى قال تعالى ( ولستوف بطيك ربك قرضي ) ( تفسير حنفي ) .

أنا المطلوب فاطمى نجدنى وإن تطلب سواى فم تجدنى

قال بعضهم المراد من الأمانة الصوم فهو ركن الإسلام فمن أقامه فقد أقام الدين ، ومن تركه فقد هلك الدين ، وقال الله تعالى ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) وقال عليه الصلاة والسلام « فرض عليكم صوم



رمضان » عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان إعتاقا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (مطالع الأنوار) وقال بعضهم للراد من الأمانة الزكاة ، وهي تطهير البدن والمال قال الله تعالى ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ) الآية ، وقال الله تعالى ( أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام مر يوما على رجل يصلي مع خشوع وخضوع ، فقال يارب ما أحسن صلاة هذا ! قال الله تعالى : يا موسى لو صلى كل يوم ليلة ألف ركعة ، وأعتق ألف رقبة ، وحج ألف حجة ، وشيع ألف جازة ، لابعثه حتى يؤدي ركعة ماله » (تفسير قرطبي) . وقال بعضهم للراد من الأمانة الحج ، وهو من أركان الإسلام ، قال الله تعالى ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج ، فليمت على أي حال شاء يهوديا أو نصرانيا » (جمع المطائيف) . وقال بعضهم : للراد من الأمانة سائر الأمانات ، قال الله تعالى ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ) وقال عليه الصلاة والسلام « لا إيمان لمن لا أمانة له » وروى عن مالك بن صفوان أنه قال : مات أخي قرأته في المنام ، فقلت يا أخي ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي ، فرأيت به نقطة سوداء في وجهه ، فسألت عنها فقال : عدى يهودى كذا وكذا حرام بالأمانة ولم أؤدها إليه ، فهذه النقطة لأجلها ، فسألت يا أخي أن تأخذ الأمانة من الموضع الفلاني وتردها إلى اليهودى ، فلما أصبحت فطمت ما قاله ، فرأيت ثانيا قد زالت عنه تلك النقطة ، فقال رحمتك الله يا أخي كما خلصتني من العذاب (تفسير هيون) وقال بعضهم للراد من الأمانة الأهل والأولاد ، فيأمر عليك أن تأمرهم بالصلاة كما قال الله تعالى ( وأمر أهلك بالصلاة ) وقال عليه الصلاة والسلام « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة » فيأمر عليك أن تحمّلهم من المحارم والنسب لأنك مسئول عنهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « كلّم راع وكلّم مسئول عن رعيته » (تفسير هيون) . حكى أن عبدا عبد الله تعالى مدة ، فيوما من الأيام توسّأ وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده نحو السماء فقال : إلهي قبل منى ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لا تطيق يا ملعون فانت طاعتك مرفوعة ، فقال العابد : لم ذلك يا رب ؟ قال للنادى : إن امرأتك فعلت فعلا مخالفا لأمرى وأنت راض عنها ، فجاء العابد وسألها عن حلفت قالت : ذهبت إلى مجلس افساد وصحبت اللعب وتركيت الصلاة ، فقال الزاهد أنت طالق منى ، فإني لا أقبلك أبدا فطبق امرأتك وتوسّأ وصلى ركعتين ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال اللهم قبل منى ، فنادى الآت : قد قبلت طاعتك (هيون) . روى البخارى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « آية للناس » أى علامته

« ثلاث » أى ثلاث خصال « إذا حدث كذب » فعلى المؤمن الصادق فى إيمانه أن يحترز عن الكذب ، لأنه سبب لسواد الوجه يوم القيامة ، كما ورد فى حديث رواه البيهقى عن أبى بردة رضى الله تعالى عنه أنه كما فى الجامع الصغير قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الكذب يسود الوجه » الحديث : أى يوم القيامة ، لأن الإنسان إذا قال شيئا لم يكن كذبه الله تعالى ، وكذبه إيمانه من قلبه ، فيظهر أثره على وجهه ( يوم يبيض وجوه وتسود وجوه ) روى الترمذى وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا كذب العبد كذبة تباعد الله عنه ميلا من ثلثين مجاه به » كذا فى الجامع الصغير « وإذا وعد أخلف » أى لم يوف بوعده « وإذا ألغى » أى إذا جمل أمينا ووضع عنده أمانة « خان » قيل هذا على سبيل إنذار للسلم وتحذيره أن يتاد هذا الخصال النسيمة ، كفضى به إلى النفاق ، وهذه الخصال كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى لما خاطب الأرواح فى عالم الأرواح بقوله ( ألسن يربكم فلتوا بى ) أمروا بربوبيته ، فأخذ الله سبحانه عليهم العهد واليثاق ووعدهوا الاستقامة على العهد ، فإذا أخلف الصد بالإقرار فى هذا العالم يكون كاذبا وعظما لوعده ، وكذا الأمانة كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى أعطى الإنسان أمانة ، وهى الأمر بالطاعات والعبادات ، فمن أداها ، فقد أدى الأمانة ، ومن تركها ، فقد خان الأمانة انتهى .

### المجلس السابع والأربعون : فى فضيلة قراءة القرآن

سورة طه — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن الذين يتلون كتاب الله ) يداومون قراءته أو متابعة ما يلى حتى صارت حمة لهم وعنوانا ، وللراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله ، فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اختصاص حال للكافرين ( وأقاموا الصلاة ) وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ) كيف أنفق من خير قصد إليهما ( يرجون تجارة ) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خير إن ( لن تجزون ) لن تكسب ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة ، وقوله ( ليوفيم أجورهم ) علة لمطلوه أى ينتفى عنها الكساد ، وتنفى عنه دافه ليوفيم بنفاقها أجور أعمالهم ، أو لمطلو لماعده من أعمالهم ، فهو لمطلو ذلك ليوفيم أو عاقبة ليرجون ( ويزيدهم من فضله ) على ما يقابل أعمالهم ( إنه غفور ) لخطاياهم ( شكور ) لطاعتهم أى يجاريهم عليها وهو علة لتوفية والزادة أو هو خير إن ويرجون حال من واو وأنفقوا ( فاضى يضاوى ) .

« جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله إنى أحسرت الصلاة عليك ، فكيف أجعل لك من صلاتى ؟ قال ما شئت ، قال الربع ؟ قال ما شئت ، وإن ردت فهو

خير لك ، قال النصف ؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، قال إني أذن تكفي همك ونفرك ذنبك » (شفاء شريف) كان في زمن خلافة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه رجل مؤمن من حيث الدنيا ، وكان له سيرة حسنة ، وكان له شوق في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، لا يفصل عنها ولا يفتر ساعة واحدة ، فلما حضرته الوفاة تضايق واسود وجهه ، وصار من يراه يحصل له الرعب ، فلما دخل في غمرات الموت نادى : يا أبا القاسم إني أحبك ومكثر من الصلاة عليك ، فإني كلامهم في ذلك طائر من الهاء فشح بمناسجه ذلك الرجل ، فايش وجهه وفتح له ربح كريح المسك الأذفره ومات على الشهادة ، فلما قدموه إلى القبر ووضعوه في اللحد سمعوا صوتا من جو الهاء ، إن هذا العبد لم يوضع في قبره إلا أكفاه ، وإن الصلاة التي كان يصلها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذته من قبره ووضعت في الجنة ، فتعجب الحاضرون من ذلك وانصرفوا ، فلما كان الليل رأى الرجل في المنام وهو يتنق بين السماء والأرض يقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (موقعة) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من كان يرجو لقاء الله فيكرم أهل الله ، قيل يا رسول الله هل لله عز وجل أهل ؟ قال نعم ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال أهل الله في الدنيا الذين يقرءون القرآن ، إلا من أكرمهم فقد أكرمه الله وأعطاه الجنة ، ومن أهانهم فقد أهانه الله وأدخله النار ، يا أبا هريرة ما عند الله أحد أكرم من حامل القرآن ، إلا وإن حامل القرآن عند الله أكرم من كل أحد إلا الأنبياء » وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ذات يوم « ألا أعلمكم بأفضل أمي يوم القيامة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الذين يقرءون القرآن إذا كان يوم القيامة يقول لله عز وجل : يا جبرائيل ناد في المنبر ألا من كان يقرأ القرآن فليقم فيأدى ثانيا وثالثا فيقفون صفوا بين يدي الرحمن لا يتكلم أحد منهم حتى يقوم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام فيقول الله افردوا وارفعوا أصواتكم فيقرأ كل واحد منهم ما ألهمه الله تعالى من كلامه فكل من قرأ رفعت له الدرجات كل واحد على حسن صوته ونعمته وخشوعه وتدبره وتأمله ، ثم يقول الله تعالى : يا أهل أتعرفون من أحسن إليكم في دار الدنيا ؟ فيقولون نعم يا ربنا فيقول الله تعالى اذهبوا إلى المنبر فكل من عرفتموه يدخل معكم الجنة » وعن علي كرم الله وجهه أنه قال « كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام في جماعة من الصحابة رضي الله عنهم إذ أتى رجل من البادية فقال عليك السلام يا رسول الله وعليكم يا جميع الجالوس ثم قال اطلوا أن الله تعالى قد فرض علينا خمس حلوات وقد ابتلينا بالدنيا ،

وأمرها فوحيك يا رسول الله ما نصل ركعة واحدة إلا وأهناها داخلة فيها فكيف يتقبلها الله وهي مختلطة بأعمال الدنيا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا يقبلها الله تعالى ولا ينظر إليها فقال عليه الصلاة والسلام وهل تقدر يا علي أن تصل ركعتين خالصا لله تعالى من كل هم وغفل ووسوسة وأنا أعطيك بردي الثانية فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أقدر على ذلك فقام صلى الله عليه وسلم بين الصلابة والوسوسة وقام للصلاة ونوى لله تعالى خالصا بقلبه وركع الركعة الأولى ثم دخل في الثانية ، فلما ركع قام متمسكا على قدميه وقال مع الله لمن حمده وذكر في قلبه لو كان انتهى صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بمطيق البردة القلطونية لكانت خيرا لي من تلك الثانية ثم سجد وتشهد وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال وحيك يا رسول الله إني صليت الركعة الأولى خاليا من كل هم ووسوسة ، ثم صليت الركعة الثانية ، لقد كثرت في نفسي ، قلت : لو كنت تعطيني بردي تلك القلطونية لكانت خيرا لي من تلك الثانية ، وحيك يا رسول الله لا يقدر أحد أن يصل ركعتين خالصا لله تعالى ، قال عليه الصلاة والسلام : صلوا فرضكم ولا تتكلموا في صلاتكم ، فإن الله تعالى لا يقبل صلاة مشوبة بأعمال الدنيا ، ولكي صلوا واستنصروا ربكم بعد صلاتكم ، وأبشركم بأن الله تعالى خلق مائة رحمة يتنصرها على أمتي يوم القيامة ، مائة من عباده ولا أمة صلى الصلاة للفروضة إلا كان تحت ظل تلك الصلاة يوم القيامة ( موعظة ) وقال عليه الصلاة والسلام « سمعت ليلة أسرى بي الحق يقول : يا محمد مر أمتك أن يكرموا ثلاثة : الوالد والعالم وحامل القرآن ، يا محمد حللهم من أن يضربهم أو يسبونهم ، فإن غضبي يشتد على من يضربهم ، يا محمد أهل القرآن هم أهل جنتهم عندكم في الدنيا إكراما لأهلها ، ولولا كون القرآن محفوظا في صدورهم لمسكت الدنيا ومن عليها ، يا محمد حملة القرآن لا يمدحون ولا يحاسنون يوم القيامة ، يا محمد حامل القرآن إذا مات تبكى عليه سماواتي وأرضي وملكتي ، يا محمد إن الجنة تشاق إلى ثلاثة : أمت وصاحبك : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحامل القرآن ( من الموعظة الحسنة ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن وعلمه « صدق من نطق رواده عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بغير أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولا م حرف وميم حرف » رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح . وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال « إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين » رواه مسلم وابن ماجه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يقول الله تبارك وتعالى : من شغل القرآن عن ذكرى ومثلني أعطيت أفضل ما أعطى السائلين ، وفصل كلام الله على

سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى . وقال حديث حسن صحيح . وعن أنس بن موسى الأشعري رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب » ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل النخلة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة ليس لها ريح وطعمها مر » وفي رواية « مثل الفاجر » بدل المنافق رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل النخلة لا ريح لها وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة ليس لها ريح وطعمها مر » ومثل الخنزيرة ليس لها ريح وطعمها مر » ومثل الخنزيرة ليس لها ريح وطعمها مر » وعن أبي أمامة رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيهاً لأصحابه » الحديث رواه مسلم . وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه كفى مشكاة المصابيح أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خسر عن مؤمن كربة » أى أذهب عنه الحزن ، إذا الكربة بالضم الحزن وتوابعها التحقير « من كرب الدنيا » بماله أو بمساعدته أو رأيه أو إشارته ، قيد بالمؤمن لأنه مظنة الكرب فى الدنيا « نفس الله عنه كربة » توابعها التنظيم « من كرب الآخرة » ومن يسر « أى سهل » على محسر « أى قهر » وهو يشمل المؤمن والكافر أى من كان له على قهر دين سهل عليه بأمهاله أو ترك صفته « يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة » ومن ستر مسلماً « مثلاً بفعل قبيح بأن لا يفضحه أو ستره ما بأن ألبسه ثوباً » ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد « أى نصرته » ما كان « أى مادام » العبد « مشغولاً » فى عون أخيه المسلم « قضاء حاجته » ومن سلك « أى ذهب » طريقاً يتسنى « أى يطلب حال أو صفة » فيه علماً « نكره ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة وكثيرة » وفيه استحباب الرحلة فى طلب العلم ، وقد ذهب موسى الكليم إلى الحضرة عليهما السلام وقال ( هل أتيتك على أن تعلم مما علمت رهداً ) ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنهما فى حديث واحد « سهل الله به » أى بسبب ذلك « طريقاً إلى الجنة » بمعنى جعل الله ذهابه فى طلب العلم سبيلاً لوصوله إلى الجنة من غير تعب ، ويجازى عليه بتسهيل قطع العقبات الشاقة كالوقوف والجواز على الصراط وغير ذلك « وما اجتمع جماعة فى مسجد من مساجد الله »

احترز به عن مساحد اليهود والنصارى ، فانه يكره الدخول فيها « يتلون كتاب الله » أى يقرءون القرآن « ويتدارسونه بينهم » وهو قراءة بعض مع بعض تصحيحا لألفاظه أو كشفا لمعانيه « إلا نزلت عليهم السكينة » وفى مظهر الصايح : السكينة التى ، التى يحصل سكون الرجل إليه وللراد ههنا بها حصول الدوق والشوق للرجل من قراءة القرآن وصفاء قلبه بنوره ، وذهاب الغلظة النفسانية من القلب ، وزوال الضياء الرحمانى فيه ، وقبل اسم ملك ينزل قلب المؤمن ويأمره بالخير ، ويحرضه على الطاعة ويوقع فى قلبه الطمأنينة والسكون على الطاعات . « وفشتيم الرحمة » أى أحاطت بهم : يعنى تنزل عليهم الرحمة والبركة من الله تعالى « وحفت بهم للأنكة » أى طافوا بهم وداروا حولهم يستمعون القرآن ودراسته ، ويحفظونها من الآفات ، ويصافحونهم ويذكرونهم « وذكرهم الله فيمن عنده » الراد من الضدية الربية يعنى فى الثلاثكة للقرئين ، ويقول انظروا إلى عبادى يذكروننى ويقرءون كتابى ، وأى شرف أعظم من ذكر الله تعالى عباده بين ملائكته « ومن بطأ به » بتشديد الطاء من التبطة ضد التجميل ، والباء للتمدية : أى أخره فى الآخرة « عمله » السوء أو محرمه فى العمل الصالح « لم يسرع به نسب » أى لم ينمه شرف نسبته ولم تجبر قيمته به ، فان التريب إلى الله تعالى لا يحصل بالنسب وكثرة العثار والأقرب ، بل بالعمل الصالح (كذا فى شرح الصايح) .

### المجلس الثامن والأربعون : فى بيان عذاب الكفار فى الجحيم

سورة يس - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) وانفردوا عن المؤمنين ، وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله تعالى ( ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون - ألم أعهد إليكم بأن لا تعبثوا بالشيطان ) من جهة ما قال لهم تقرعوا وأزما للعبة ، وعهد إليهم بالنسب من الحجج القليلة والسمة الأمرة بمبادئة الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان ، لأنه الأمر بها وللزجر لها ( إنه لكم عدو مبين ) تحليل للمنع عن عبادته بالطاعة لما يعملهم عليه ( وأن اعبدوني ) عطف على أن لا تعبثوا ( هذا صراط مستقيم ) إغارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته ، والجهة استئناف لبيان مقتضى العهد بشقيه أو بشق الآخر ، والتذكير للمبالغة أو التعظيم أو للتبخيص فان التوحيد سلوك بعض الطريق السقيم ( ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أظن تكتولون مغفون ) رجوع إلى بيان معادلة الشيطان مع ظهور عنادته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأى . والجبل : الخلق ( هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ) فوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا ( فاقصصنا على )

ومن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تتخلوا يومكم قبورا وصلوا على  
حيث كنتم ، فان صلاتكم ببلقي حيث كنتم » وفي حديث أوس رضى الله تعالى عنه « أكثروا  
من الصلاة على يوم الجمعة ، فان صلاتكم معروضة على » (عفاء شريف) . قوله (وامتازوا)  
يعني اعتزلوا أيها الكفار عن المؤمنين ، فانه قد تأذوا منكم في الدنيا فاعتزلوهم حتى ينجوا  
منكم ، ويقال إن للنادي نادى : أيها المجرمون امتازوا فان المؤمنين قد فازوا ، أيها الناقون  
امتازوا فان المؤمنين قد فازوا ، أيها الناقون امتازوا فان الصادقين قد فازوا ، أيها  
الماضون امتازوا فان للطيحين قد فازوا ، كما قال الله تعالى ( ومن يطع الله ورسوله فقد فاز  
فوزا عظيما ) يجب في الدنيا جيذا وفي الآخرة سجيذا ( قاضي يضاوي ) كما قال الله تعالى  
في آية أخرى ( إن الشيطان لكم عدو ) عدوة عامة قديمة ( فاعتزلوه عدوا ) في مخالفتكم  
وأفعالكم ، وكبروا على حذر منه في جماع أحوالكم ( إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب  
السعر ) ( قاضي يضاوي ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « خرج النبي عليه الصلاة  
والسلام ذات يوم من المسجد فإذا هو بإبليس ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما الذي جاء بك  
إلى باب مسجدى ؟ فقال يا محمد جاءني الله ، قال فلم ذا ؟ قال تسألني عما شئت ، فقال ابن  
عباس أول شيء سأله عنه الصلاة قال له يا إبليس : لم تمنع أمي عن الصلاة بالجماعة ؟ قال  
يا محمد : إذا خرجت أمتك إلى الصلاة تأخذني الحلى الحارة ، فلا يرتفع ذلك حتى يصرقوا ،  
وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمي عن قراءة القرآن ؟ قال عند قراءتهم  
أذوب كالرصاص ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمي عن الجهاد ؟ قال إذا  
خرجوا إلى الجهاد قيدت بقيد على قلبي حتى يرجوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : لم تمنع  
أمي عن الحج ؟ قال إذا خرجوا إلى الحج أسسل وأغل ، وإذا هموا بالصدقة وضع على رأسي  
للنثار ، فينشرني كما ينثر الخشب » (زهرة الرياض) وفي الخبر « لما وقع أهل النار في النار  
وضع لإبليس منبر من النار وألبس لباسا من النار وتوج بتاج من النار ولقد بقي من النار ثم  
يقال لإبليس : يا إبليس اصعد المنبر اخطب لأهل النار ، فيصعد ويقول لأهل النار  
يا أهل النار ، فيسمع صوته جميع من في النار ، فيتوجهون جميعا إليه ، فينظرون فيقول :  
يا معشر الكفار والناقين ( إن الله وعدكم وعد الحق ) بأنكم تموتون ثم تحشرون ثم  
تحاسبون ثم تفرقون فرقتين ( فريق في الجنة وفريق في السعير ) إنكم ظنتم أن لا تزولوا  
من الدنيا وتبقوا فيها ( وما كان لي عليكم من سلطان ) إلا أني أؤسوس لكم ، فاستجبت لي  
وابتسمون فالجرم عليكم ( فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ) فاسمكم أمي بالملامة مني ، كيف  
لا تعبدون الله تعالى وهو خالق كل شيء ؟ يقول ما أقدر على أن أعجبكم من عذاب الله

ولا أنتم تهدرون على أن تنجوني ، إني برأت اليوم عما قُلت لكم ، فإني مطرود وسردود من حضور رب العالمين ، فإذا سمع أهل النار هذا القول من إبليس لحزنه جميعا ثم تضر به الزبانية برمع من النار فخلق من فوق منبره في النار إلى أسفل سافلين مؤبدا فيها مع من معه من أهل النار ، ويقول لهم الزبانية : لا موت لكم ولا راحة لكم خالدين فيها . ( زهرة الرياض ) وحكى أن أبا زكريا الزاهد لما حضره الوفاة أتاه صديق له في سكرات الموت وقلعه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقلها ، فقال له ثانيا فأعرض عنه ، فقال له ثالثا فقال لا أقول ، غشي عليه صديقه ، فلما كان بعد ساعة وجد أبو زكريا خنقا ففتح عينيه فقال هل قُلت لي شيئا ؟ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا أقول ، قال أثنى إبليس ومعه قبح من ماء ، فوقف عن يمين وحركه القبح وقال أحتاج إلى الماء ؟ قلت لا ، قال قل عيسى ابن الله ، فأعرضت عنه ، وأثنى من قبل رجلا ، وقال لي كذلك ، وفي الثالثة قال قل لا إله ، قلت لا أقول ، فألقى القبح إلى الأرض وولى هاربا وأنا أرد على إبليس لا عليكم فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ( زهرة الرياض ) حكى أن إبليس عليه اللعنة : كان يرى في الزمن الأول ، فقال له رجل يا أبا مرة : كيف أصنع حتى أكون مثلك ، قال ويحك لم يطلب أحد مني هذا ، فكيف تطلبه أنت ؟ فقال الرجل إني أحب ذلك ، فقال إبليس إن أردت أن تكون مثلي ، فتهاون بالصلاة ، ولاتبال من الحلف صادقا أو كاذبا ، قال الرجل : لقد طاعت الله أن لا أجمع الصلاة ولا أحلف عينا قط ، فقال إبليس : ما تعلم أحد نصحا مني بالاحتياط عسيرك ، وقد طاعت أن لا أنصح لأحد ( كنز الأخبار ) قال الحكماء : من أراد أن يكون من العارفين وينجو من الشيطان ، فليرفع بينه وبين المعرفة أربعة أشياء : إبليس وما شابه إبليس ، والنفس وما شابت النفس ، والهوى وما شاء الهوى ، والدنيا وما شاءت الدنيا . هاء إبليس زوال ديك لشكوت معه في النار هنذا ، كما قال الله تعالى ( يكفل الشيطان إذا قال للإنسان اكفر ) الآية ، وقال تعالى ( الشيطان يصدكم الفقر ) الآية ، والنفس شامت للنسية وترك الطاعة وهي مميوبة ، وقد بين الله تعالى عيها على لسان يوسف عليه السلام بقوله ( إن النفس لأمارة بالسوء ) وأما الهوى فإنه شاء الشهوات وترك الجسد بالحكمة ، قال الله تعالى ( وأما من حاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ) الآية ، والدنيا شامت أن تختار عما على عمل الآخرة ، وقد قال الله تعالى ( فأما من عصى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي الأولى ) فإذا رقت هذه الأشياء الأربعة فقد وصل العارف إلى المعروف وهو الله تعالى ، ومن أطاع إبليس بما شاء فهو ساجد في زوال دينه ، فيكون عذابه بالتأيد



كذاب إبليس ؟ ومن أطاع النفس فيما شاءت وهي للعصية يكون عذابه على الاقطاع ؟ ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون عليه أمد الحساب ؟ ومن أطاع الدنيا فبإشادات وهو اختيارها على الآخرة تذهب عنه الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى ( خسر الدنيا والآخرة ) ومن أجاب إبليس ذهب عنه الملوك لقوله تعالى ( ومن يسعى عن ذكر الرحمن فيقبض له شيطاناً فهو له قرين ) ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ، ومن أجاب الهوى ذهب عنه السقل ، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة ، لقوله تعالى ( بئس لظالمين بدلا ) ( زهرة الرياض ) روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام و إذا جلس المؤمنون من النار وأسوا منها ، لما مجادة أحدكم لصاحبه في حق يكون له في الدنيا بأشد مجادة من المؤمنين لهم في إخوانهم الذين دخلوا النار ، يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويسومون معنا فأدخلتهم النار ، قال فيقول الله تعالى اذهبوا وأخرجوا من عرقم منهم ، قال فيأبون ، فيخرجونهم بصورتهم ولا تأكل النار صورتهم ، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف سابقه ، ومنهم من أخذته النار إلى كتفيه فيخرجونهم ، فيقولون ربنا أمرتنا أن نخرج من عرفاء ، فيقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، يريد به الإيمان كله ، لأن الشيء قد يسمى باسم بعضه ، والدليل على ذلك قوله تعالى ( ولحم الخنزير ) وإنما أراد به الخنزير كله ، وقوله تعالى ( فحزبر رقبة مؤمنة ) أراد به الكل . قال أبو سعيد : فمن لم يصدق به فليقرأ هذه الآية ( إن الله لا يظلم مثقال ذرة ) قال ويقولون ربنا أخرجنا من النار ، فلم يبق في النار أحد فيه خير ، ثم يقول الله تعالى سمعت للأنبياء والأبياء وللمؤمنين وبقى أرحم الراحمين ، قال فيقبض قبضة من النار أو قبضتين فسلم يعلم الله فيهم حيرا قد احترقوا ، فيؤتى بهم إلى عين يقال لها عين الحياة فيحتلون فيها ، قال فيخرجون منها أجسادهم مثل اللؤلؤ ، وفي أعماقهم خاتم مكتوب فيه : هؤلاء عتقاء الرحمن ، فيقال لهم ادخلوا الجنة لما تميتم فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحدا من العالمين ، قال فيقول الله تعالى : إن لكم عندي أفضل منه ، قال فيقولون ربنا ما أفضل من ذلك ؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم أبدا ( زهرة الرياض ) قال تعالى في إهانة الجبريين جزاء جرمهم وعظم قبائحهم ( ونسوق الجبريين ) كما نساق البهائم ( إلى جهنم وردا ) جمع وارد ، ليساقون إليها رجالة عطشا قد قطعت أكبادهم من العطش ، وأسفل الورد من الورد إلى الماء والوارد على الماء يكون عطشا كدفي الميون ( لا يملكون الشفاعة ) أي المؤمنون والمجرمون كلهم ، نصب على الحال ( إلا من أخذ ) في الدنيا ، وله رفع يده من وأو يملكون ، كذا في العيون ( عند الرحمن عهدا ) يسى قال لا إله إلا الله : أي لا يشفع إلا مؤمن .

وقيل معناه لا يشفع الشافعون ( إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا ) يعني إلا المؤمن كذا في العالم ، أو إلا من اتخذ إذنا فيها ، لقوله تعالى ( لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ) من قولهم عهد الأمر إلى فلان بكذا : أي أمره به ( قاضي يضاوي ) أي لا يشفع إلا للأمور بالشفاعة من أهل الإيمان ( كذا في الميوند ) أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من جاء بالصلاة الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواظبها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئا ، لله عند الله تعالى عهد أن لا يذهب ، ومن جاء وقد انتقص منها شيئا ظنيس له عهد ، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه » ( كذا في الدرر من التفاسير ) .

### المجلس التاسع والأربعون : في بيان ذبح إبراهيم ابنه عليهما السلام

سورة الصافات — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وقال إني ذاهب إلى ربي ) إلى حيث أمرني ربي وهو الشام ( سيدين ) إلى ما فيه صلاح ديني ( رب هب لي من الصالحين ) بعض الصالحين يعني على الدعوة والطاعة ويؤنس في القرية : يعني الولد ( ففترناه بسلام حلیم ) جسرناه بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم ( فلما بلغ معه السعي ) أي فلما وجد وبلغ أن يسمى معه في أعماله ، ومعها متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به ، لأن صلة المصدر لا تنضمه ، ولا يبلغ ، فان بلوجه لم يكن معه كانه قال : فلما بلغ السعي ، قيل مع من ؟ قيل معه ( قال يا بني إني أرى في المنام آتى أذبحك ) يحتمل أنه رأى ذلك ، وأنه رأى ما هو تعبده ( فانظر ما لنا ترى ) من الرأي ، وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاد الله ، فيثبت قدمه إن جرم ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيكون ، ويكتب له الثوبة بالاحتياط له ببل نزوله ( قال يا أبت أفصل ما تؤمر ) أي تؤمر به ( ستجدني إن شاء الله من الصابرين ) على الذبح أو على قضاء الله ( فلما أسلما ) استسلما لأمر الله ، أو سلم الذبيح نفسه ، وإبراهيم عليه السلام ابنه ( ولله الجبين ) صرعه على شقته ، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة ( وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ) بالعزم وإيمان للخدمات ( إنا كنا نكذلك نجزي المحسنين ) تمثيل لإفراج تلك الشدة عنهما باحسانهما ( قاضي يضاوي ) .

يُقال سبب ذبح إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاة وثلاثمائة بقرة وساة بدنة في سبيل الله ، فتعجب الناس ولللائكة من ذلك ، فقال إبراهيم عليه السلام : كل ما خرب به ليس بشيء عندي ، والله لو كان لي ابن لأذبحه في سبيل الله ، وأخرب به إلى الله تعالى ، فلب قال إبراهيم عليه السلام هذا القول ، مضى عليه زمان ففسى هذا القول ، فلما جاء إلى الأرض المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله خطاه وبصره

بالولاد وولدت له أمه ( فلما بلغ معه السعي ) أى لما صلح أن يعيش معه وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثلاث عشرة سنة ، ولقطه معاليان : يعنى لما بلغ الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل له فى قوله : أول ولدك ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لما كانت ليلة التزوية ونام ، رأى فى المنام من يقول : يا إبراهيم أول ولدك ، فلما أصبح أخذ يتروى : أى يتفكر أهو من الله أم من الشيطان ؟ فلما سمى يوم التزوية ، فلما أسمر رأى ثانياً فى المنام ، فلما أصبح عرف أنه من الله ، ولما سمى ذلك اليوم يوم حرقة ، واسم ذلك المكان حرقات ، ثم رأى فى الليلة الثالثة مثله ، فسمى بنحره ، ولما سمى يوم النحر ، فلما أراحان يذهب بإسماعيل عليه السلام إلى النحر ، قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهى أم إسماعيل عليه السلام : أليس ولفك إسماعيل أحسن ليا به ، فإني ذاهب به إلى ضيافة فأبنت أمه ودهنته ورجلت حمر رأسه ، فحمل إبراهيم عليه السلام سبلاً وسكبنا وذهب معه إلى جانب منى ، ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر تردداً منه فى ذلك اليوم ، فكان إسماعيل عليه السلام يمدو أمام أبيه ، فجاء إبليس يقول لأبيه ألا ترى اعتدال قامته وحسن صورته ولطافة سيرته ؟ قال إبراهيم سم ولكن أمرت بذلك ، فلما أيس منه جاء إلى هاجر وقال : كيف تجددين ذهاب إبراهيم بابنك ليذبحه ، قالت لا تكذب على هل رأيت أنا يذبح ابنه ؟ قال : لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين ، قالت لأى شئ يذبحه ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، قالت انى لا يؤمر بالباطل وأنا أفتى لأمره روى ، فكيف يؤذى ، فلما أيس من جانبها جاء إلى إسماعيل عليه السلام فقال : إنك تفرح وتلعب ومع آيةك جبل وسكين يريد ذبحك ، فقال لا تكذب على لم يذبحنى أبى ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، قال سمعنا وأطعنا لأمر ربى ، فلما أراد إبليس أن يلقى كلاماً آخر أخذ إسماعيل عليه السلام حجراً من الأرض فرماه به حقاً عينه اليسرى ، فذهب إبليس خائباً وخاسراً ، فأوجب الله علينا رضى الحجارة فى ذلك للوضع طرداً للشيطان واقتداءً بإسماعيل بن خليل الرحمن ، فلما بلغ منى قال إبراهيم عليه السلام لولده ( يا بنى إني أرى فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ) أى بين لى ما الذى ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل انخوف قبل الفعل ، وهذا امتحان من إبراهيم لولده هل يحبه بالسمع والطاعة أم لا ( قال يا أبت أقتل ما تؤمر مستجدي إن شاء الله من الصابرين ) على ما أمرت به من الذبح ، فلما سمع إبراهيم كلام ولده عرف أنه استجاب لله دعاءه حين دعا الله بقوله ( رب هب لى من الصالحين ) فحمد الله كثيراً ، ثم قال إسماعيل عليه السلام لأبيه يا أبت أوصيك بأشياء أن تربط يدي كيلاً أضطرب فأوديك ، وأل تجعل وجهى على الأرض كيلاً تنظر إلى وجهى فترحمنى ، وأكفف عني ثيابك كيلاً يتلطع عليها شئ من دمى فينفس أجرى

وزاء أي فحزن ، وأشعل شغرك وأسرع إمرارها على خلق ليكون أهون فان للوت عديد ،  
 وأن تذهب بقميصي إلى أي تذكر لها مني ، وسلم عليها وقل لها أصبري على أمر الله ، ولا تخبرها  
 كيف ذبحتي وكيف ربطت يدي ، ولا تدخل الصبيان على أي كيلا يتجدد حزنها على ، وإذا رأيت  
 خلايا مثل فلا تنظر إليهم حتى لا تجزع ولا تحزن ، فقال إبراهيم عليه السلام : ثم العيون أنت يا وادي  
 على أمر الله تعالى ( فلما أسلمنا ) أي استسلمنا وانقادا لأمر الله تعالى ( وتله للجبين ) أي صرعه على  
 شقه كالشاة للذبح ، وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منهما يورث رقعة تحول بينه وبين أمر الله ،  
 وكان ذلك عند الصخرة من منى ، وقيل في الوضغ للشرف عليه ، ووضع السكين على خلق ولله ،  
 فعالجه بشدة وقوة فلم يقدر على قطعه ، وقد كشف الله النطاء عن أعين ملائكة السماوات والأرض ،  
 فلما رأوا أن إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل خروا له سجدا ، فقال الله تعالى : انظروا إلى عبدي  
 كيف يمر السكين على خلق ولله لأجل رضائي وأتم قتلهم حين قلت ( إني جاعل في الأرض  
 خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ) ثم قال  
 إسماعيل عليه السلام : يا أبت حل يدي ورجلي حتى لا يراني الله مكرها : أي في طاعة  
 أمره مكرها بل ضح السكين على عنقي ليعلم الملائكة أن ابن الخليل مطيع لله ولأمره بالاختيار  
 ثم يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض ، فأمر السكين بجميع قوته فأقلب السكين  
 ولم يقطع باذن الله تعالى ، فقال إسماعيل عليه السلام : يا أبت ضعفت قوتك بسبب عنتك  
 لي فلا تقدر على ذبحي ، ف ضرب بالسكين الحجر فصار الحجر نصفين ، فقال إبراهيم عليه  
 السلام ت قطع الحجر ولم ت قطع اللحم ، فتكلم السكين بقدره الله تعالى فقال يا إبراهيم : أنت تحول  
 أقطع ، وإله العالمين يقول لا ت قطع ، فكيف أمثل أمرك حاصيا لربك ، ثم قال الله تعالى  
 ( وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ) لها رأيت من الرؤيا ، فظهر لعبادي أنك اخترت  
 رضائي على حب ولدي ، وكنت في ذلك من الحسين ( إنا كذلك نجزي المحسنين ) أي  
 للطيبين لأمرى ( إن هذا هو البلاء المبين ) أي الدبح هو الاختبار الظاهر أو الابتلاء البين  
 الذي يتميز فيه المخلص من غيره أو الهنة البينة الصعوبة إلا لا شيء أصعب منها ( وفديناه )  
 أي خلصنا للأمور بذبحه ( بذبح عظيم ) من الجنة وهو الكبش الذي قرب هاريل وقبل منه  
 وكان في الجنة جبا حتى فدى به إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وكان عظيم الجسم ،  
 وقد أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الكبش حتى رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام  
 يسأل بالسكين خلق إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فقال جبرائيل تمظيا لله تعالى وتمجبا  
 لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : الله أكبر الله أكبر ، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام :  
 لا إله إلا الله والله أكبر ، فقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام : الله أكبر والله الحمد ،

لحسن الله هذه الكلمات فأوحى علينا في أيام النحر اقتداء إبراهيم عليه الصلاة والسلام . عن ابن عباس رضي الله عنهما لو تمت تلك الذبيحة لصار ذبح الناس أبناءهم سنة ، وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية ، فيمن يذبح ذبح ولده أنه يلزمه ذبح عشة . روى أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال لأبيه أنت سخي أم أنا ؟ فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنا ، وقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام بل أنا لأنك ابن آخر وليس لي إلا روح واحدة ، قال الله أنا أسخي منك بحيث أهطيت الفداء لكما وأنجيتكما من عذاب الذبح ( مشكاة الأنوار ) . روى أن الملائكة لمعبرامن كرامة إسماعيل عليه الصلاة والسلام عند رب العالمين ، حيث بحث كبشاً من الجنة على عنق جبرائيل عليه الصلاة والسلام فداء له ، قال الله تعالى : فوعدني وجلا لي لو أن جميع الملائكة حملوا على أضنانهم فداء له لما كان مكافئاً لقوله ( يا أمته افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ) قيل لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرؤيا أولاً اختار مائة من النعم من أضنانها فذبحها ، فجاءت النار فأكلتها ، فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثانياً عرف أنه من الله واختار مائة من الإبل من أضنانها فذبحها فجاءت النار فأكلتها فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثالثاً كان ثالثاً يقول : إن الله تعالى يأمرك أن تذبح ولداً إسماعيل ، فالتبى وضم ابنه إلى نفسه وبكى حتى أصبح ( مجالس الأبرار ) قيل لما اتخذ الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلاً ، قالت الملائكة يا رب إن له مالا وولداً وامرأة ، فكيف يكون خليلاً لك مع هذه الشواغل ؟ فقال الله تعالى لا تنظروا إلى صورة عبدي ولا إلى ماله بل إلى قلبي وأعماله ، وليس في قلب خليلى حبة إلى مبرئ ولو علمتم اذهبوا إليه وجربوه ، جاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام في صورة بنى آدم وكان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام اثنا عشر ألف كلب للصيد وحفظ النعم ، وقس عليها عدد أعضائه ، ولكل كلب طوق من ذهب ولعلم أن الدنيا نجسة والنجس لا يصلح إلا للنجس ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على تل مرتفع ينظر إلى الأغنام ، فلم عليه جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، فقال له : لمن هذا ؟ قال إبراهيم له ولكن الآن في يدي ثم قال تبرع بواحد منها ، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام اذكر الله وخذ ثلثها ، فقال جبرائيل : سبح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ثم قال : اذكر ثاباً وخذ نصفها فقال : سبح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ثم قال اذكر ثالثاً وخذها كلها برعاتها وكلابها فذكر ، ثم قال اذكر مراهبا ، وأمر لك بالرق فذكره فقال الله تعالى يا جبرائيل كيف وجدت خليلى ؟ فقال نعم الخليل يا رب ، لتأدى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يا رعاة النعم سوقوا النعم خلف صاحبها هذا إلى أين تريد ، فانكم صرتم له فأظهر نفسه جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا إبراهيم لا حاجة لي في ذلك وأنا حث لأجربك ، فقال أنا

خليل الله لا أسترد هبتي منك ، فأوحى الله تعالى إليه أن يبيعها ويشتري بها الضياع والعقار ويصلها وقصاً يأكل منه الفقير والتي إلى يوم القيامة (مشكاة الأنوار) قيل من ملك عشرين مثقالاً من الذهب أو مائتي درهم من النقصة بعد الخواصج الأصلية فهو غني ، فان ملك غير الدرهم والله نانيه ، فإنه يظن إن ساوي مائتي درهم فهو غني ، فله الأضحية والإفلا . وقيل صاحب الضياع جمع ضيعة وهي الأرض غني لو ساوت مائتي درهم وصاحب الكرم إذا ساوي مائتي درهم فهو غني بالاتفاق ، لأن الكرم للزهره لا للحاجة ، لأن الإنسان قد يعيش بغيرها كية (كلنا في زبدة الواعظين) .

### المجلس الخمسون : في بيان صبر أيوب عليه السلام

سورة ص - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وادكر عبدنا أيوب) هو ابن عيسى بن إسحق عليه الصلاة والسلام (إذ نادى ربه) بئس من عبدنا ، وأيوب عطف بيان له (آي منى) وقرأ حمزة بإسكان الياء وإسقاطها في الوصل (الشيطان ينصب) ينصب (وعذاب) ألم ، وهو حكاية لكلامه الذي ناداه له ، ولولا هي قال إنه مسه ، والإستناد إلى الشيطان ، إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل يوسوسه ، كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله ، أو استعانة مظلوم فلم ينشده ، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فدفعه ولم يضره ، أو لسؤاله امتحاناً لصبره ، فيكون اعتراظاً بالذنب أو مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس به إليه في مرضه من عظم البلاء والقسوة من الرحمة وضرره على الجزع (قامي يماوي) .

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على مرة صار لأذنب له ذرة وجبة » وفي الخبر « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للعلائكة : أتبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون نعم ، فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك وشكرك واسترجعك ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيقول الله تعالى : ابنوا لبعدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » (زبدة الواعظين) ومن وهب بن منبه قال : وجدت في التوراة أربعة أسطر متواليات : أحدها : من قرأ كتاب الله تعالى فظن أن لن ينفعه فهو من المستهزئين بآيات الله . والثاني : من تواضع لثني لسانه ، فقد ذهب ثلثا دينه . والثالث : من حزن على مآلاته سقط قضاء ربه . والرابع : من شكك مصيته إنما يشكوره . قال عليه الصلاة والسلام « إن أعظم الجراء مع أعظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه ، وإذا صبر اجتباه ، وإذا رضى اصطفا » كما حكى أن موسى

عليه الصلاة والسلام خرج معه يوشع بن نون ، فاذا بطير أبيض قد وقع على منكب موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا بني الله احفظني اليوم من القتل ، قال ممن ؟ قال من الصقر يريد أن يأكلني ، ودخل في كهف فاذا الصقر قد أقبل ، فقال يا بني الله لا تمنع صيدى عنى ، فقال أذبح لك هاة من غنمى قال لهم انتم لا يسلح لى ، قال فكل من لم فخذى ، قال لا آكل إلا من حد قبلك ، فاستلقى موسى عليه الصلاة والسلام على ظهره ، فجاء الصقر ووقع على صدره وأراد أن يضرب بمنقاره عينيه ، فقال يوشع يا بني الله أنت خف بينيك فى شأن هذا الطير ، فطار الطير من كهف ، فطار الصقر فى الحرم ، ثم أقبل ، فقال أحدهما أنا جبرائيل والآخر أميكايل ، أمرنا ربنا بالجربك فى قضاء ربك هل نصبر أولا ( زينة الواعظين ) قال ابن البارك : للصية واحدة ، فاذا جزع صاحبها تكون ثنتين : إحداهما الصية والثانية دهاب أجر للصية ، وهى أعظم من للصية . وكذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصبر ثلاثة : صبر على الصية ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن الصية ، فمن صبر على الصية كتب له ثلثائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب له ثلثائة درجة ما بين المرجتين كما بين نخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع ، ومن صبر عن الصية كتب له ثلثائة درجة ما بين كل درجتين كما بين العرش إلى الثرى » ( زينة الواعظين ) حكى أن أيوب بن عيسى بن إسحق عليه الصلاة والسلام كان روميا ، وأمه بنت لوط عليه الصلاة والسلام ، وكان رجلا باطلا نظيفا حلما حكيما ، وكان أبوه رجلا كثير المال ، يملك للأشياء من الإبل والبقر والغنم والحيل والبغال والحمير ، ولم يكن فى أرض الشام أحد مثله فى الثنى ، فلما مات انتقل جميع ذلك إلى أيوب عليه الصلاة والسلام ، فتزوج برحمة بنت أفرام بن يوسف عليه الصلاة والسلام وورثه الله منها اثني عشر بطلا ، فى كل بطن ذكر وأنثى ، ثم مات الله تعالى إلى قومه ، وم أهل حوران واثني ، وأعطاه الله تعالى من حسن الخلق والرفق ما لم يخالفه أحد بالتكذيب والإنكار لشرفه وشرفه آبائه وأمهاته ، فصرع لهم الفرائع وبني لهم الساجد ، وكانت له موائد يضعها للفقراء والمساكين والأضياف ، وكان يلبيح كالأب الرحيم ، ولأولادهم كالزوج الشفيق ، وللضعفاء كالأمح الودود ، وكان يأمر وكلاءه وأمنائه أن لا ينعموا من زرعهم ونعماءه ، وكانت موائمه فى كل سنة تسلم ، ولم يكن يخرج بشئ من ذلك ، ويقول : إلهى هلم عطايك لهادك فى سجن الدنيا ، فكيف عطايك فى الجنة لأهل كرامتك فى دار ضيافتك ؟ ومع هذا كله لا يغفل قلبه عن شكر نعمائه ولا لسانه عن ذكر مولاه ، فقصده إبليس وقال : إن أيوب قد ذهب بالدنيا والآخرة ، وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كلتيهما ، وكان إبليس عليه اللعنة فى ذلك الزمان يسجد إلى السماء السابعة ،

( ١٣ - درة الناصحين ) .

ورقن في أي مكان شاء ، فبعد يوما كما كان يصعد ، فقال له رب العزة : يا عين كيف رأيت  
عبدى أيوب ، وهل نلت منه شيئا ؟ فقال : إلهي إن أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة في الدنيا  
والعاقبة ، ولولا ذلك لمسبك ، فهو عبد العاقبة ، فقال له الله تعالى : كذبت فاني أعلم أنه يعبدني  
ويتكبرني ، وإن لم يكن له سعة في الدنيا ، قال يارب سلطن عليه ، فأنظر كيف أتبه ذكرك  
وأخذه من عبادتك فسلطه على كل شيء منه إلا روحه ولسانه فرجع إبليس فأنطلق إلى شط البحر ،  
فصرخ صرخة حتى لم يبق جن ولا جنية إلا اجتمعوا عنده ، وقالوا ما أصابك يا سيدنا فقال فاني قد وجدت  
فرصة ما وجدت مثلاً منذ أخرجت آدم من الجنة فأعينوني على أيوب ، فانتصروا سرعين ،  
وأحرقوا وأهلكوا كل مال لأيوب عليه الصلاة والسلام ، فأنصرف إبليس إلى أيوب عليه  
الصلاة والسلام وهو قائم يصلي في التسجد ، فقال أتعبد ربك في طردك ، وقد أرسل ناراً من  
السما على جميع أموالك حتى صارت رمداً ، فلم يكلمه حتى فرغ من الصلاة ، ثم قال : الحمد لله  
الذي أعطاني ثم أخذ مني ، ثم قام وشرع في صلاته ، فأنصرف إبليس خائباً ذليلاً نادماً لصله ،  
وكان لأيوب عليه الصلاة والسلام أربعة عشر ولداً : ثمانية بنين وست بنات ، وكانوا يتصدون  
كل يوم في منزل أبيهم ، وكانوا يومئذ في منزل أخيهما الأكبر واسمه هرم ، فاجتمعت الشياطين  
وأحاطوا بالبيت وطرحوه على أولاد أيوب عليه الصلاة والسلام ، فأتوا كلهم على خوان واحد ،  
منهم من التمس في فيه ، ومنهم من الكأس في يده ، ثم انطلق إلى أيوب وهو قائم يصلي ،  
فقال أتعبد ربك وتطرح على أولادك البيت ، فأتوا جميعاً فلم يكلمه بشيء حتى فرغ من صلاته ثم قال :  
يا عيني ، الحمد لله الذي أعطاني ثم أخذ مني ، فالأموال والأولاد فتتكرجال والنساء ، فأخذها مني  
لأفرغ لبادقربي ، فأنصرف إبليس خائباً خاسراً أيضاً ، ثم جاء وكان أيوب عليه الصلاة والسلام  
في الصلاة ، فهاجسجد تشفع في أخوه له ، فاقضع بدن أيوب عليه الصلاة والسلام ، فحرقه حرقاً شديداً ،  
ووجد في نفسه قلاماً عظيماً فالتفت زوجته رحمة : ههنا من حزن لئال ومصيبة الأولاد ، وأنت بالليل  
قائم وبالنهار صائم لا تستريح ساعة ولا تجدراحة ، ثم ظهر على بدن أيوب عليه الصلاة والسلام جدي  
وأحاط به من رأسه إلى قدميه ، وبمال منه الصديد ووقع فيه السود ، وخرق أقرباله وأصدقائه  
عنه ، وكان له ثلاث نساء ، فطلبت لثان منهن طلاقاً فطلقتهما ، فبقت رحمة تحنمه ، وتقوم عليه  
ليلاً ونهاراً ، حتى جاءت لسوء من جيرانهم قتلن : بل رحمة نحن نخشى أن يسرى بلاء أيوب إلى أولادنا  
أخرجيه من جوارنا وإلا أخرجنا كرها فخرجت رحمة وهدت عليها ثيابها ، ثم صاحت بأهل  
صوتها واضربتاه والرفقاء أخرجوا من بلادنا وطردوا من ديارنا ، فعملت على ظهرها وعموعها نسيلا  
على وجهها ، فأنطلقت بكية إلى خرابية يطرح فيها السرقين ، ووضعت أيوب على السرقين ، فخرج أهل



القرية فظفروا إلى حال أيوب ، فقالوا : احملى عازوجك وإلا أرسلنا عليه كلابنا حتى يأكلوه ،  
 طمعت وهي باكية ، حتى أتت مفرق الطريق فوضعت ، وجاءت بنأس وجبل فأنجحت بيتا من  
 خشب ، ثم جاءت برماد فحرقته نحره ، وجاءت بحجارة فوسدت بها أيوب ، ثم جاءت بقصعة  
 كان يلقى الرعاة بها مواشهم ، ثم انطلقت إلى القرية ، فنادى أيوب : ارجى يا رحمة حتى  
 أوصيك إن كنت تريد أن تذهبى عنى وتدعينى هنا ، فقالت رحمة لا تخف يا سيدى ، فإن  
 لا أدمك ما دامت روحى فى جسدى ، فانطلقت إلى القرية وكانت تعمل كل يوم بكسرة خبز  
 ولعلم أيوب ، حتى علم حالى تلك القرية أنها امرأة أيوب فلم يطمعوها ، فقالوا تنحى عنا فلما  
 نستقبر منك ، فبكى رحمة وقالت : يا رب ترى حالى قد ضاقت فى الأرض ، والناس قد  
 قذرونا فى الدنيا ولا تخلصونا أنت يا رب فى الآخرة وطردونا من دارنا ولا تطردنا من دارك  
 يوم القيامة ، ثم انطلقت إلى امرأة خيل وقالت : إن جيبى أيوب جامع فأقرصينى خبزا ، قالت  
 للمرأة تنحى عنى لتلايراك زوجى ، ولكن أسطيفى ذؤابة من شعرك وهى الضميرة ، وكانت  
 لها اثنتا عشرة ذؤابة واقعة بالأرض ، ولها شبه فى الحسن يجنها يوسف عليه الصلاة  
 والسلام ، وكان أيوب يحب تلك الذؤابة جدا فحدا ، فجاءت بالقمراض وقطعتها وأعطتها لإلها  
 بأربعة أرغفة ، فقالت رحمة : يا رب إن هذا فى طاعة زوجى وفى طعام نيك أيوب بت  
 ذؤابى ، فلما رأى أيوب الحزن الصحيح اشتد عليه الأمر ، فظن أنها باعته نفسها ، فخلف  
 إن شعاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وهى التى قال الله تعالى فى كفارتها ( وخذ بيدك ضلثا )  
 أى بضة حشيش ( فاضرب به ولا تعث ) فلما قصت عليه القصة بكى أيوب وقال : يا رب  
 ذهبت حيلى حتى بلغ من أمرى أن زوجة نيك باعته شعرها وأخفقه على خصى ، وقالت رحمة :  
 يا سيدى لا تجزع اليوم فإن الشر يفت أحسن مما كان ، فقطعت الحزن وأطمعته أيوب وقصدت  
 عنده ، وكان أيوب كلبا سقطت دودة من بدنه وضعا على جده ويقول : كلوا مما  
 رزقكم الله تعالى ، فلم يبق لحم على بدنه حتى بقيت عظامه وعروقه وأعصابه ، فإذا طلعت  
 عليه الشمس تقلد شعاعها من قدماه إلى خلفه ، ولما بقي من جسده الشريف إلا قلبه  
 ولسانه ، وكان لا يخلو قلبه من شكر الله ولسانه من ذكر الله ، وبقي فى مرضه فى رواية  
 مائة عشرة سنة ، فقالت له رحمة يوما : أنت نبي كريم على ربك ، لو دعوت الله تعالى  
 أن يشفىك ، فقال لها أيوب عليه السلام كم كانت مدة الرخاء ، قالت مائة وثلاثين سنة ،  
 فقال إنى أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مائة ثلاثين سنة رخصا ، فلما لم يبق على  
 بدنه لحم جبل الدود يأكل بضمه بضاه ، فبقيت دودتان ، فطافتا جميع بدنه يطلبان اللحم ،  
 فلم يجدا غير قلبه ولسانه ، فجاءت إحداهما إلى قلبه فضنته ، والأخرى إلى لسانه فضنته ،

فحينئذ ذلك نادى أيوب عليه السلام ربه فقال: (أنى مضى الضر) أى علة البلاء (وأنت أرحم الراحمين) وهذا ليس بشكاية منه ، فلم يخرج به عن زمرة الصابرين ، ولما قال الله تعالى فى حقّه (إنّا وجدناه صابراً) لأنه لم يخرج لماله وأولاده بل إنما جزع خوفاً من القطيعة كأنه يقول : يا رب أصبر على كل بلاء منك مادام قلبى مشغولاً بحبك ولسانى بذكرك ، وإذا ذهب هذان العنوان تحصل القطيعة ، وأنا لا أصبر على قطيعتك وأنت أرحم الراحمين ، فأوحى الله تعالى إليه : يا أيوب اللسان لى والقلب والهود لى والألم منى ، فالجزع لماذا ؟ وقيل أوحى الله تعالى إليه أن سبحانه من الأنبياء طلبوا هذا منى وأنا اخترته لك زيادة فى كرامتك ، فهذا لك بلا صورة وولاء حقيقة ، وإنما جزع أيوب من أن يؤكل قلبه ولسانه لأنه مشغول بحسره تعالى وذكرك ، فلماذا لا يشتغل بشكر الله تعالى ولا يذكره ، ثم استقط الله اليهوديتين منه فوفيت واحدة فى الماء فصارت علقتا تستشقى به الأمراض ، والأخرى وفيت فى البر فصارت تملاً يخرج منه العسل فيه شفاء للناس ، ثم جاءه جبريل عليه السلام ومعه رمانتان من الجنة . فقال أيوب عليه السلام : يا جبرائيل هل ذكرنى ربى ؟ قال نعم سلم عليك وأمرتك أن تأكلهما قبرا حتى لححك وعظمك ، فمأأ كلهما قال له جبرائيل عليه السلام : قم فإذن الله قصام (وقال اركض برجلك) فخرّب برجله اليمنى فخرج ماء حار فاغتسل منه ثم ركض رحله اليسرى فخرجت عين باردة فخرّب منها ، فزال عنه كل ألم بظاهره وباطنه ، فإذا بدت أحسن من الأول ، ووجهه أ نور من القمر كما قال الله تعالى (فاستجبنا له) أى قبلنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال مقاتل : أحيام ورزقه مثلهم . وقال الضحاك : أوحى الله تعالى إليه أتريد أن أبشهم ؟ قال يارب دعهم فى الجنة ، فخلعنا آتاه أهله فى الآخرة وأعطاه مثلهم فى الدنيا بأن واد له أولاد كذلك (رحمة) أى قصة (من عندنا) لأيوب (وذكرى) أى عظة (للعابدين) ليعلموا بذلك أن أعد بلائى على الأنبياء ثم على الأولياء ثم الأئمة فالأئمة لا يفتنونهم ولا يفتنونهم ، فليصنعوا كما صنعوا وصبروا كما صبروا . فلم من هذا أن الطريق إلى الله تعالى إلى جادة الجنة أقرب من جادة للشدة أى السقاء . وروى أن الشبل رحمه الله حبس فى دار الشفاء ، فدخل عليه جماعة وقالوا : نعت أحبارك جئنا زائرين لك ، فأخذ الشبل يرميهم بالحجارة فيهربون ، فقال لو كنتم أحبائهم لصبرتم على بلائى . قال عليه الصلاة والسلام « صبر ساعة على الصية خير من عبادة سنة » ولذا قبل الصابر أفضل من الشاكر ، لأن الشاكر مع الزيد كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) والصابر مع الله تعالى كما قال الله تعالى (إن الله مع الصابرين) وكذا روى عن محمد بن مسلمة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لا خير لمبعد لا يذهب ماله

ولا يستقم جسمه ، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبره ( كذا في رتبة  
 الناصحين ) وروى ابن أبي الدنيا في الصبر وأبو الشيخ في الثواب ، كما في الجامع الصغير عن علي  
 رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الصبر ثلاثة » أي أنواعه  
 باعتبار متعلقه ثلاثة « صبر على للمصيبة » حتى لا يخطئها « وصبر على الطاعة » حتى يؤديها  
 « وصبر عن المعصية » حتى لا يقع فيها « فمن صبر على للمصيبة » أي على تلك التي حتى يردعها بحسن  
 عزائمها « كتب الله له » أي قدر أو أمر بالكتابة في اللوح والصفحة « ثلاثمائة درجة » أي  
 منزلة عالية في الجنة « مقدار ما بين المخرجين كما بين السماء والأرض » ومن صبر على الطاعة «  
 أي على فعلها وتحمل مشاق التكليف » كتب الله له ستائة درجة ما بين المخرجين كما بين تخوم  
 الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع « والتخوم جمع تخم كفلوس جمع فلس وهو حد الأرض  
 « ومن صبر عن المعصية » أي على تركها « كتب الله له تسعمائة درجة ما بين المخرجين كما بين  
 تخوم الأرض إلى منتهى الأرض » وهو أعلى المخلوقات مرتين : فالصبر عن المحرمات أعلى للراتب  
 لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب  
 النفوس القاضية ، وجوته الصبر على للمكروه لأنه يأتي البر والقاجر لاختيارا واضطرارا ( كذا  
 في التيسير شرح الجامع الصغير ) قبل الصبر أفضل من الشكر لأن الشاكرين مع الزيادة كما  
 قال الله تعالى ( لئن شكرتم لأزيدنكم ) والصابرين معهم الله تعالى كما قال تعالى ( إن الله  
 مع الصابرين ) عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال موسى عليه الصلاة  
 والسلام يوم الطور : يارب أي منزل من منازل الجنة أحب إليك ؟ قال الله تعالى يا موسى  
 حظيرة القدس ، قال يارب من يسكنها ؟ قال أصحاب للصاب ، قال يارب صفهم لي ،  
 قال الله تعالى : يا موسى هم قوم إذا أصابهم بلية صبروا ، وإذا أنصت عليهم شكروا ،  
 وإذا أصابهم معصية قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء سكان حظيرة القدس  
 ( كذا في الروضة ) روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله  
 صلى الله تعالى عليه وسلم « من أصيب بحصية في ماله أو جسده فكتمها ولم ينكها إلى  
 الناس كان على الله أن ينفرد به » ( كذا في الجامع الصغير ) فعل العاقل أن يصبر على  
 للصاب والبلاء والحن والتفكر في تلك للنفرة من الله تعالى وهو السيئات ورفع الدرجات ،  
 روى الإمام أبو الليث رحمه الله تعالى في التنبية عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس  
 رضي الله تعالى عنهما قال : شكى نبي من الأنبياء إلى ربه وقال : يارب البعد للؤمن  
 يطعمك ويحتجب بمعاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ، والبعد للكافر لا يطعمك ،  
 وتجزي على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا ، فأوحى الله تعالى إليه : إن العبادي

والبلاء لى وكل يسبح بحمده ، فيكون للؤمن عليه الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا ، وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلتقى فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق فأزوى عنه البلاء ، وأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلتقى فأجزيه بسيئاته ، ولى الخبر « إن مؤمنا وكافرا في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك ، فأخذ الكافر يذكر آلهته ليطرح هبكته حتى أخذ سمكا كثيرا ، وجعل للؤمن يذكر الله تعالى ويطرح هبكته ولا يجيء شيء ، ثم أصاب سمكة عند التروب فاضطربت فوقعت في الماء من يده فرجع للؤمن وليس معه شيء ، ورجع الكافر وقد امتلأت هبكته من السمك ، فأسف ملك للؤمن عليه ، فلما سعد إلى السماء أراه الله تعالى مسكن للؤمن في الجنة ، فقال والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا ، وأراه مسكن الكافر في النار ، فقال والله ما يضره ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إليه » انتهى .

### المجلس الحادى والخسون : فى بيان النار

سورة الزمر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وسبق الدين كفروا إلى جهنم زمرا ) أقواجا متفرقة بضبا فى إثر بعض على تفاوت أقدامهم فى الصلاة والشرارة ، وهى الجمع القليل جمع زمرة ، واشتقاقها من الزمر وهو الصوت ، إذ الجماعة لا تغلوا عنه ، أو من قولهم هاه زمرة قليلة الشر ، ورجل زمر قليل للروعة ( حتى إذا جادوها فغمت أبوابها ) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بسدها الجنة ، وقرأ الكوفيون فغمت بتخفيف التاء ( وقال لهم خزنتها ) قريبا وتويخا ( ألم يأتكم رسل منكم ) من جنسكم ( يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ) وتحكم وهو وقت دخولهم النار ؛ وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إهم طلوا أو يبينهم بإبان الرمل وبلغ الكتب ( قالوا بلى ولكن حقت كلمة للعذاب على الكافرين ) كلمة الله بالعذاب علينا ، وهو الحكم عليهم بالشفاعة وأهم من أهل النار ، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير الدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة ؛ وقيل هو قوله « لأملا أن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ( قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ) أنهم القائل تهويل ما يقال لهم ( فلبس منوى التكبرين ) اللام فيه للجنس والخصوص بالهم هذوف سبيل ذكره ، ولا يثنى إشعاره بأن مشواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها ، لأن كلمة العذاب حقت عليهم ، فإن تكبرهم وسأر مقابهم مسية عنه كما قال عليه الصلاة والسلام « إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار » ( قاضى يضاوى ) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على تمظيا جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناحان جناح بالشرق وجناح بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله تعالى له : صل على عبدي كما صلى على نبي فيصلي عليه إلى يوم القيامة » .

روى أنه يساق أعداء الله تعالى إلى النار تمسود وجوههم ونزول أعينهم ويحتم على أفواههم ، فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالسلاسل والأغلال توضع في لهم وتخرج من دبرهم وتسل يدهم اليمنى إلى عنقهم وتدخل يدهم اليسرى في صدورهم وتخرج من بين كتفهم ويشد بالسلاسل ، ويقرن كل كافر مع قرينه الشيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الللائكة بمقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أميدوا فيها كما قال الله تعالى ( كلما أرادوا أن يخرجوا منها أميدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ) ( دقائق الأخبار ) . وحكي أن أبا يزيد كان لا تقطع دموع عينه ولا يزال باكيا فسل عن ذلك ، فقال إن الله تعالى لو أوعدني أن أذهب حبسني إلى الجحيم أبدا لكان حقا على أن لا تقطع دموع عيني . فكيف وقد أوعدني أن يحبسني في النار التي قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة ( مشكاة ) .

وفي الخبر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « أنا نبي جبرائيل عليه السلام ، قلت يا جبرائيل صف لي جهنم . قال : إن الله خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احترت ثم أوقدها ألف عام حتى أبيضت ، ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت ، فهي سواد كالليل للظلم لا يمكن لها ولا يطفأ حرها » روى أن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى مالك بأن يأخذ جزءا من النار ، فيأتي آدم عليه الصلاة والسلام حتى يطبخ به طعاما ، فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار ؟ فقال جبرائيل عليه السلام : أريد منها مقدار تمر ، فقال مالك : لو أعطيتك مقدار تمر لهدمت السموات السبع والأرضون من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام ، أعطني نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لم تنزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام إلهي كم آخذ من النار ؟ قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها . فأخذ جبرائيل عليه السلام مقدار ذرة وغسلها سبعين مرة في سبعين نهرا ، ثم جاء إلى آدم عليه الصلاة والسلام فوضعا على جبل شامخ ، فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها ، وبقي دخانها في الأحبار والحديد إلى يومنا هذا . فهذه النار من دخان تلك الذرة ، فاعتبروا يا أولى الأبصار . وقال محمد بن كعب : إن لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع ، فإذا كانت الخامسة لم يشكلم بعدها أبدا يقولون ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فامرقنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ) فيقول الله تعالى عيالهم ( ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ) ثم يقولون ( ربنا أبصرنا وممنا فارجنا لعلنا نلحقا بالموثقون ) فيجيبهم الله تعالى

بقوله ( أولم تكونوا أنقسمتم من قبل ما لكم من زوال ) ثم يقولون ( ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ) فيجيبهم الله تعالى بقوله ( أولم نصوركم ما يتذكر فيه من تدبر وجاءكم النذير ؟ قد وقعوا لظالمين من نصير ) ثم يقولون ( ربنا غيبت علينا شقوتنا وكسا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ) فيجيبهم الله تعالى بقوله ( اخشوا فيها ولا تكلمون ) فلا يكلمون بعدها أبدا وذلك غاية حدة العذاب ( لا يدوتون فيها برءا ولا شرأا إلا صميا وغساقا ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أن دلوأ من ذلك الفساق ألقى على الدنيا لأحرق أهل الدنيا كلها . وقال ( كلما فضجت جلودهم بدلناهم بجلودا غيرها ليدوتوا العذاب ) قال النبي عليه الصلاة والسلام : تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة وكلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ولا يموتون فيها كما قال الله تعالى ( وبأية للوت من كل مكان وما هو بميت ) ( مشكاة الأنوار ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يؤتى بهم يوم القيامة من تحت الأرض السابعة ، وحولها سبعون ألف صف من الملائكة ، وكل صف أكثر من الثقلين سبعين ألف مرة يجرونها بأرمتها ، ولجهنم أربع قوائم ما بين كل فاختين مسيرة ألف ألف عام ، ولها ثلاثون ألف رأس وفي كل رأس ثلاثون ألف فم ، وفي كل فم ثلاثون ألف خرس كل خرس مثل أحد ثلاثين ألف مرة ، وفي كل فم عفتان كل شفة مثل طباق الدنيا ، وفي كل شفة سلسلة من حديد ، وفي كل سلسلة سبعون ألف حلقة ، ورسك كل حلقة ملائكة كثيرة ، فيؤتى بها من يسار العرش . ( دقائق الأخبار ) وفي الخبر : إذا كان يوم القيامة يقول الكفار ( ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ) . وقال مقاتل : يوضع لإبليس من دق النار فيرقاه ، فيجتمع عليه الكفار ومن اتبعه فيقولون : يا ملعون أنت أضللتنا عن طريق الحق ( وقال الشيطان لما قسى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ) . وإن لم آتكم برهان وكنتم لا ترونني ( فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ) ( مرة الواصفين ) . وقال إن أهل النار يمزعون ألف سنة ، ثم يقولون : كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون ( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من الهيم ) فيدعون مالكا ويضرعون ويسبحون بمالك قد حق بنا الوعد فدأظفنا العذاب قد فضجت منا الجلود إن أخرجتنا منها فإنا لآعود ، فيقول لهم مالك والحزنة ( أولم تك تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى ) فيقال لهم ( فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ) فيقولون ( ربنا غيبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ) فلا يجيبهم مقدار ما كان في الدنيا مرتين ثم يرد عليهم قوله ( قال اخشوا فيها ولا تكلمون ) فإذا استأسوا من الخروج منها يطلبون النيث من الله تعالى

ألف سنة يقولون ربنا أرسل علينا غيثا فنظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يحطرون ، فتطر عليهم العقارب كالغزال ، إذا لمع واحد منهم لا يذهب عنه الوجع ألف سنة ، ثم يسألون الله ألف سنة ، أن يرزقهم التيث فنظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب للطر ، فنزل عليهم الحيات كأنها البخت كل من أخذته بعضها لا يذهب عنه الوجع ألف سنة ، هذا معنى قوله تعالى ( زدناهم هذا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ) ( معكة الأنوار ) . ( حكي ) هن بعض أهل العلم أنه قال : دركات جهنم سبع : أولها السمر ، قال الله تعالى ( فسحقاً لأصحاب السمر ) ينزلها المكذبون ليعوذ بالله منها ومن سائرها . والثانية دركة لظى تترك الزكاة قال الله تعالى ( كلا إنها لظى نزاعة للشوى ) . والثالثة سقر ، قال الله تعالى ( عن المجرمين ما تسلكم في سقر قالوا لم نك من المسلمين ولم نك نعظم للسكين ) وأصل الأمور في الثرية الصلاة . والرابعة الجحيم ، قال الله تعالى ( فأما من ظنى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي الأولى ) وهي خلقت لتابع الهوى . والخامسة جهنم ، قال الله تعالى ( وإن جهنم لموعدهم أجمعين ) والسادسة الهاوية ، قال الله تعالى ( فأما هاوية . وما أدراك ما هي . نار حامية ) والسادسة الحطمة خلقت للتأمين ، قال الله تعالى ( كلا لينبذن في الحطمة ) ( أعرجية ) قال أبوهريرة رضى الله تعالى عنه « كما مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فسمنا موتا مع الحياة والشدة ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتندرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » وعن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يلقى على أهل النار الجوع فيمدل ألم الجوع ما فيها من العذاب فيستغيثون بالطعام يطعمون الزقوم » كما قال الله تعالى ( إن شجرة الزقوم . طعام الأليم . كأنه ليل يمل في البطن كحلجيم ) الآية ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ( كذا في زينة الواعظين ) . وفي الخبر « يدفع كل واحد من الزانية بالدقة الواحدة أربعين ألفا من أهل النار إلى جهنم » وم أي الزانية لمخلق الله فيهم الرحمة والرافة حللنا الله تعالى من أيديهم آمين . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في نجد عذاب الكفار في تفسير قوله تعالى ( بدلناهم جلودا غيرها ) يدلون جلودا يضاء كأمثال القراطيس . وقال ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قرئ عند عمر رضى الله تعالى عنه ( كلا نصبت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ) فقال معاذ عندي تفسيرها : تبدل في الساعة مائة مرة . فقال عمر رضى الله عنه : فكذا سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن : قال بلغني أنه يهرق أحدهم في اليوم سبعين ألف مرة كلا نصبت وأكلت لحومهم . قيل لم عودوا فنادوا ( كلا في الدرك الثور ) روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرس الكافر كجبل أحد وعلط جلده مسيرة ثلاثة أيام » ( كلا في الباب ) انتهى .

## المجلس الثاني والخمسون : في بيان الجنة

سورة الزمر - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة ) إسرأها بهم إلى دار الكرامة ، وقيل سبق مراكمهم إذ لا يذهب بهم إلا رآكبن ( زمرا ) على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة ( حتى إذا جاءوها ) ففتحت أبوابها ( حلف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة مفتوحة لهم قبل مجيئهم منتظرين ) وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يسترهم بمسكروه ( طبت ) طهرتم من دلس المعاصي ( فادخلوها خالدين ) مقدرين الخلود ، والقاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخالودهم ، وهو لا يمنع دخول المعاصي بسفوه لأنه تعالى يظهره ( وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ) بالبعث والكتاب ( وأورثنا الأرض ) يريدون للكان الذي استقروا فيه على الاستمارة ، وإرثها تملكها مختلفه عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه ( تتيوا من الجنة حيث نشاء ) أى يتبوا كل منا فى أى مقام أرادته من الجنة الواسع أن فى الجنة مقامات معنوية لا يتانع واردوها ( فتم أجور العاملين ) الجنة ( قاضى يضاوى ) .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من فنى الصلاة على نبي طريق الجنة » ( غفاء شريف ) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : للجان ثمانية أبواب من الذهب للروح بالجواهر مكتوب على الباب الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والأسخياء . والثانى باب للصالحين الذين يكتفون الصلاة والوضوء . والثالث باب للزكك أموالهم . والرابع باب للأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر . والخامس باب من قطع نفسه عن الشهوات . والسادس باب للحجاج والمتمرين والساج باب المجاهدين . والثامن باب للذين يفضون أبصارهم عن المحارم ويصفون الخيرات والחסنات من بر الوالدين وصلة الرحم ، وخير ذلك من الأعمال الحسنه ( دقائق الأخبار ) وأما الجان قبان : دار الجلال ، وهى من اللؤلؤ الأبيض . ودار السلام ، وهى من الياقوت الأحمر . وجنة للأوى ، وهى من الزبرجد الأخضر . وجنة الخلد ، وهى من لرجان الأصفر وجنة النعيم ، وهى من النضة البيضاء . ودار القرار ، وهى من الذهب الأحمر . وجنة الفردوس ، وهى لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها للسك . وحة عدن ، وهى من درة يضاء ومشرقة على الجان كلها ولها بابان من ذهب وما بينهما كما بين السماء والأرض ، وبنائها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وتراها المنير . ولطها للسك ، وفيها أنهار تجري فى جميع الجنان ، وهى الأنهار من اللؤلؤ وماؤها أبرد



من الثلج وأحلى من العسل ، وفيها نهر السكوتر ، وهو نهر محمد عليه الصلاة والسلام ، ولها نهر الكافور ونهر التسنيم ونهر الرحيق المختوم ونهر اللؤلؤ ونهر اللبن ونهر العسل ( مناقب الأخبار )  
عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليلة أسري بي إلى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت أربعة أنهار : نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى كالأقلام ( مثل  
الجنة التي وعد للذين آمنوا بها ) نهر من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لشاربين وأنهار من عسل مصفى ) فقلت لجبرائيل عليه السلام من أين نبع هذه الأنهار وإلى  
أين تذهب ؟ قال تذهب إلى حوض السكوتر ، ولكن لا أدرى بعينها ، فاسأل من الله حتى يملك  
ويربك ، فلما عليه الصلاة والسلام ربه ، جاء ملك فقال يا محمد فمض عنيك فضضت عني .  
فقال اتبع فتبعته فإذا أنا عند شجرة ، ورأيت عندها قبة من ذرة بيضاء ، ولها باب من ياقوت  
أخضر وقل من ذهب أحمر لو جئت الدنيا وما فيها ووضعت على تلك القبة لكات مثل طائر  
جالس على جبل أو بيضة أقيت عليه ، فرأيت تلك الأنهار الأربعة تجري من تحت تلك القبة ،  
فأردت أن أرسج ، فقال لتلك لم لا تدخل فيها ؟ قلت كيف أدخل وعلى بابها قفل ؟ قال لي  
مفتاحه في يدك ، قلت أين هو ؟ فقال : هو بسم الله الرحمن الرحيم ، قلت بسم الله الرحمن  
الرحيم فافتتح القفل . فرأيت تلك الأنهار تجري من أربعة أركان القبة ، فلما أردت  
الخروج قال لي الملك : يا محمد هل رأيت قفلة رأيت ، فقال انظر ثانيا ، فنظرت فإذا  
على أركان القبة مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ، فرأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ،  
ونهر اللبن من هاء الله ، ونهر الخمر من ميم الرحمن ، ونهر العسل من ميم الرحيم ، فعرفت أن  
مأخذ هذه الأنهار من البسملة ، فقال الله تعالى : يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من  
أمتك ، فإني أسقيه من هذه الأنهار » ( مشكاة الأنوار ) وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم أنه قال « إن الله لما خلق جنة عدن دعا جبرائيل عليه السلام فقال له اطلق وانظر  
إلى ما خلقت لعمادى وأولياي ، فذهب جبرائيل عليه السلام وطاف في تلك الجنة ،  
فأشرفت عليه جلالة من الخور العين من بعض القصور ، فبست إلى جبرائيل عليه السلام  
فأضاءت جنة عدن من ضوء ثنائها ، ففر جبرائيل عليه السلام ساجدا يظن أنه من  
نور رب العزة ، فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك ، فرفع رأسه فنظر إليها ، فقال سبحان  
الذي خلقك ، فقالت الجارية يا أمين الله أنت الذي لم تخلق ؟ فقال جبرائيل عليه السلام  
لمن خلقت ؟ فقالت خلقني الله تعالى لمن آثر رضا الله تعالى على هوى نفسه » ( مكاشفة  
القلوب ) روى عن كعب أنه قال « سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن أشجار الجنة  
فقال عليه الصلاة والسلام : لا تيس أغصانها ولا تنساق أوراقها ولا تفسى أرطابها ، وإن

أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى أصلها من درة ، ووسطها من ياقوت أحمر ، وأعلىها من الذهب ، وأغصانها من زبرجد ، وأوراقها من سندس ، وعليها سبعون ألف شخص ، وأقصى أغصانها ملحق بمساق العرش ، وأدنى أغصانها في حماء الدنيا ، ليس في الجنة غرفة ولا قبة إلا وفيها خضن مظل عليها ، وفيها من الثمار ما تشبه الأرض ، لا نظير لها في الدنيا إلا الشمس ، أصلها في السماء وموؤها في كل مكان » ( دقائق الأخبار ) وفي الخبر « إن وراء الصراط محاربي فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عيان من ماء يتجر من الجنة ، إحداها من العيين والأخرى عن اليسار ، وللمؤمنون حين يهاوزون الصراط يشربون من إحدى العينين ، فيزول عنهم الثقل والحياة والقنود والهم والبول ، فيظهر ظاهريهم وباطنيهم ثم يمشون إلى حوض آخر فيغتسلون فيه ، فتصير وجوههم كالتمر لينة البدر ، وتلين نفوسهم كالحرير ، وتطيب أجسادهم كالسك ، فيتمون إلى باب الجنة ، فتخرج الحور فتصانق كل واحد نزعها وتدخل بيته ، وفي البيت سبعون سريرا ، وعلى كل سرير سبعون فراشا ، وعلى كل فراش زوجة عليها سبعون حلة يرى مع ساقها من لطافة المثل »

يرينا الله تعالى ذلك ( دقائق الأخبار ) روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى خلق وجوه الحور العين من أربعة ألوان : أبيض وأخضر وأصفر وأحمر ، وخلق أبدانها من الزعفران واللك والكافور ، وشعرها من القرنفل ، ومن أصابع رجلها إلى ركبتيها من الزعفران للطيب ، ومن ركبتيها إلى نديها من العنبر ، ومن عتقها إلى رأسها من الكافور ، ولو بزقت واحدة منهن في الدنيا لصارت مسكا ، ومكتوب على صدرها اسم روحها واسم من أسماء الله تعالى ، وفي يد كل منهن أسورة ، وفي أصابعها عشرة خواتم من الجواهر واللؤلؤ » ( دقائق الأخبار ) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ملائكة يديون قصورا لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، فكمعوا عن البناء ، فقلت لهم : لم كنتم عن البناء ؟ فقالوا قد نمت خفتنا ، فقلت ما خفتكم ؟ قالوا ذكر الله ، فإن صاحب هذا القصر كان يذكر الله فلما كلف عن ذكر الله تعالى كففتنا عن البناء كما قال الله تعالى ( من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ومنه في الآخرة من نصيب ) » ( زبدة الواعظين ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على في كل جمعة مائة مرة ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » ( زبدة الواعظين ) ( وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة ) حال كونهم ( زمرا ) جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة ، وذلك قبل الحساب أو بعده يسيرا أو شديدا ، وهو للوافق لما قبل الآية من قوله ( ووضعت الكتاب ) والساكنون هم للملائكة يأمر الله تعالى يسوقونهم مساقا إعزاز وتشريف بلا تعب ولا نصب بل بروح وطرب للإسراع بهم إلى ديار

الكرامة والراد بهم للتقون عن الشرك ، فهؤلاء عوام أهل الجنة ، وفوق هؤلاء من قال الله تعالى في حقهم ( وأزلفت الجنة للمتقين ) وفوقهم من قال الله تعالى فيهم ( يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ) وقرى بين من يسأل إلى الجلاويين من غربت إليه الجنة ، وفي الحقيقة أهل السور هم الظالمون لأفسهم ، وأهل الزلفة القصدون ، وأهل الوفاء السابقون ، واعلم أنه إذا خضع في السور نسخة الإعادة ، واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتي كلا منهم عمله فيقول له : قم وانفض إلى الحشر ، فن كان له عمل جيد يشخص له عمله فضلا ، ومنهم من يشخص له عمله حراما ، ومنهم من يشخص له كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ، وبين يدي كل واحد منهم نور شعثمان كالصباح والنجم والشمس والقمر وكالشمس بقدر قوة عملهم وصلاح حالهم ، وعن يمينه مثل ذلك النور ، وليس من فمائلهم نور بل ظلمة شديدة تقع فيها الكفار والمرتاجون ، وللاؤمن بحمد الله تعالى على ما أعطاهم من النور ويهتدى به في تلك الظلمة ، ومن الناس من يسعى على قدميه ، ومنهم من يسعى على طرف يديه ، قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « كيف يحشر الناس لرسول الله ؟ » قال اتان على بئر وخمسة على بئر وعشرة على بئر « وذلك إذا اعتكروا في عمل يخلق الله سبحانه لهم من أعمالهم بئرا يركبون عليه كما يتناح جماعة مطية يتناحون عليها في الطريق ، فاعمل هداك الله عملا يكون لك بئرا خالصا من الشرك ، ومنه يعلم حال التشريك في ثواب العمل ، فتأول أن يهدي من التولى ، لكل واحد ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه . روى « أن رجلا من بني إسرائيل ورث من أبيه مالا كثيرا فابتاع سنانا ، فحبه على الساكن وقال : هذا يستأني عند الله ، وقرى دراهم عديدة في الضخاء ، وقال : أشتري بها حماري وعيبي ، وأعتق رقبا كثيرة وقال هؤلاء خدني عند الله ، وألقت يوما إلى أعمى يمشي تارة ويكبو أخرى ، فباتع له مطية يسير عليها وقال : هذه مطيتي عند الله أركبها قال عليه الصلاة والسلام في حقه واللهى نفسى يده لكأننى أنظر إليها وقد جىء بها إليه سرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى لاوقف « انتهى ( من روح البيان ) .

### المجلس الثالث والخمسون : في بيان استغفار الملائكة للمؤمنين

سورة طه — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الذين يعملون العرش ومن حوله ) وهم الكرويون أهل طبقات الملائكة وأولهم وجودا ، وعلمهم إياه وخفيهم حوله مجاز عن حفظهم وتدريبهم له ، وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانهم عنده وتوسطهم في نقاد أمره ( يسبحون بحمد ربهم ) يذكر الله سبحانه النساء من صفات الجلال والإكرام ، وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا ، لأن الحمد مفتضى حاله دون التسبيح ( ويؤمنون به ) أخبر عنهم بالإيمان إظهارا لفضله ،

وتمطبا لأعده ، ومساقي الآية لذلك كما صرح به بقوله ( ويستغفرون للذين آمنوا ) وإشعارا بأن حملة العرش وسكان العرش في معرفتهم سوادا على الجسة ، واستغفارهم : شغافهم وحملهم على التوبة وإلحاسهم بما يوجب للفترة ، وفيه فنيه على أن للشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة ، وإن تخالفت الأجناس لأنها أقوى للناسبات كما قال الله تعالى — إيمانهم إخوة — ( ربنا ) أي يقولون ربنا وهو يان ليستغفرون أو حاله ( وسعت كل شيء رحمة وعلما ) أي وسعت رحمته وعلمه ، فأزيل عن أصله للإعراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها ، وتهديم الرحمة لأنها المقصود بالذات ههنا ( فاعترف للذين تابوا واتبوا سبيلك ) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق ( وقهم عذاب الجحيم ) واحتفظهم منه ، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على هذه العذاب ( فاضى يضاهى ) .

قال الإمام محمد بن عروة السمرقندي في قوله تعالى ( الذين يعملون العرش ) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنها : إن حملة العرش أرجلهم في الأرض السعلى وردوسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لا يرفقون طرفهم . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : إن الله تعالى نظر إلى جوهرة فصارت حمراء ، ثم نظر إليها ثانية فذابت وارتفعت من هيئة ربها ، ثم نظر إليها ثالثة فصارت ماء ، ثم نظر إليها رابعة فجمد نصفها ، خلق من النصف العرش ومن النصف للنام ثم تركه على حاله ، فمن ثمة يرتعد إلى يوم القيامة . انتهى ما نقله السمرقندي . قال الإمام القرطبي : وأقول أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتبديدهم بتعليقه بالطواف به ، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به والاستقبال إليه . وعن علي رضى الله عنه : أن الذين يعملون العرش أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة مسيرة خمسمائة عام ، انتهى من كلام القشيري . قال الإمام أبو الليث السمرقندي في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى ( ثم استوى على العرش ) قال بعضهم هذه من التشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله . وذكر عن يزيد بن مهزيان أنه سئل عن تأويله فقال : تأويله الإيمان به ، وذكر أن رجلا دخل على مالك بن أنس فسأله عن قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) فقال الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالا فأخرجوه ، وذكر عن محمد بن جعفر أنه هذا . وعن أبي بن كعب أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربيع الليل قام فقال : أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء ثلوث بما فيه ، فقال أبو بن كعب : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، قال الربيع ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ،

قال الثالث : قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال النصف : قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال يارسول الله التلحين ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك . قال يارسول الله فأجبل صلاتي كلها لك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذن تكني همك وينظر ذنبك » ( شفاه شريف ) قوله ( ويؤمنون به ) أى يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا نظير له . فإن قلت : الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الإيمان لما قلناه قوة ويؤمنون به ؟ قلت : فائدة التلحين على شرف الإيمان وقضه والترغيب فيه ، ولما كان الله تعالى عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكمال صفاته وصفهم بالإيمان ( تيسير الحارثي ) فإن قلت : ما الفائدة في استغفارهم للؤمنين وأنهم نائبون صالحون موعودون بالنعمة والله لا يخلف للعباد ؟ قلت : هذه بتمرة الشفاعة ، وفائدة زيادة الكرامة والثواب ( كشف ) قيل هنا الاستغفار لهم من اللاتكة مقابل تقولهم ( آجبل فيها من يغد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ) فلما صدر منهم ما صدر أولا تباركوا بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالغنىبة لغيرهم ، فيجب على كل من تكلم في حق واحد أن يستغفر له اعتذرا لقوله السابق ( تيسير الحارثي ) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش أمر حمة العرش بعمله فقتل عليهم ، فقال الله تعالى : قولوا سبحان الله ، فقالت لللائكة سبحان الله فهل أحل عليهم ، فجاوبوا يقولون طول الدهر : سبحان الله إلى أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، فلما خلق آدم عليه السلام وعطس وألمحه الله تعالى قول الحمد لله ، فقال الحمد لله ، وقال الله تعالى : يرحمك الله لهذا خلقتك يا آدم ، فقالت لللائكة : هذه كلمة حسنة لا ينسى لنا أن تغفل عنها فضموها لهذا ، فقالوا طول الدهر : سبحان الله والحمد لله وسهل عليهم حمل العرش فوق الأول وداموا عليه إلى أن بعث الله تعالى نوحا عليه السلام ، وكان أول من اتخذ الأسماء قوم نوح عليه السلام . فأوحى الله تعالى إلى نوح ليأمر قومه أن يقولوا : لا إله إلا الله ويرضى نوح عليه السلام عنهم ، فقالت لللائكة : هذه كلمة ثالثة جليلة فضموها إلى هاتين ، فجاوبوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله إلى أن بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، فلما بعثه أمره بالقرآن ، ثم غدى ابنه بالكبش ، فلما رأى الكبش قال : الله أكبر ، فرحوا بذلك ، فقالت لللائكة : هذه كلمة رابعة شريفة فضموها إلى هذه الكلمات الثلاث ، فجاوبوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فلما حدث جبرائيل عليه السلام هذا الحديث لرحول الله عليه السلام قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال جبرائيل عليه

السلام انضم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات الأرج . (تنبية الغافلين) قال الإمام القشيري : جاء في بعض الأخبار أن ملكا من ملائكة قال : يا رب إني أريد أن أرى العرش ، فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار بها ثلاثين ألف سنة ، فقال الله هل بلغت العرش ؟ فقال لم أطلع بمحض قوة العرش ، فاستأذن من الله تعالى أن يعود إلى مكانه (هيئة الإسلام) قاله الإمام القرطبي : وأقول أهل الضمير على أن العرش هو السرور وأنه جسم جسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله ومجدهم بصفيته والطواف به كما خلق الله تعالى بيتا في الأرض وأمر بني آدم بالطواف به محطبا وتوقيرا (هيئة الإسلام) وقال شهر بن حوشب : إن حمة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على خلقك وعلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، قال وكانهم يرون ذنوب بني آدم فيستغفرون للذين آمنوا ويسألون الله تعالى لهم للتغفرة (تفسير الحارثي) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش العظيم عرف أنه أعظم الخلق قال : لم يخلق الله خلقا أعظم مني ، فاهتز خلق الله تعالى حية طوقت العرش ، والحية سبعون ألف جناح ، وفي كل جناح سبعون ألف ريشة ، وفي كل ريشة سبعون ألف وجه ، وفي كل وجه سبعون ألف فم ، وفي كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عند قطر المطر وعند ورق الشجر وعند الحصى وعند أيام الدنيا وعند للملائكة أجمعين ، فالتوت الحية بالعرش فالعرش نصف الحية (هيئة الإسلام) . حكى عن بعض أهل العلم أنه كان قبل أن يخلق الله تعالى الأرض مكان العرش ماء ، والعرش مستقر على الماء ، فأمر الله تعالى العرش أن يصعد فوق الماء فارفع ، فجعل يعلو فصار للماء الذي في موضعه كبة وشيع العرش وصعد معه إلى ما شاء الله ، فأمر بالرجوع إلى موضعه فقال : لولا أنت الله أمرني أن أرجع إلى مقرى لبيتك إلى مكانك ، فأوحى الله تعالى إلى ذلك الماء إنك لما أكرمت العرش وحيته لأجلى جعلت مكانك أفضل البقاع ، وجعلته قبلة للخلائق ومظنة لطلب الحوائج ؟ ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : من شيع ضيفا سبع خطوات أغلق الله عنه سبعة أبواب جهنم ، وإذا شيع بماء خطوات فتح الله عليه ثمانية أبواب الجنة حتى يدخلها من أي باب شاء ، (حقائق) وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح ، فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم خلق ما شاء على حسب الشيئة الأزلية ، ثم خلق العرش ، ثم خلق حمة العرش ، ثم السموات والأرض ، وإنما خلق العرش لأجل عباده ليعلموا إلى أين يتوجهون في دعائهم لكيلا يتعبدوا في السوء ، كما خلق السموات لكيلا يتوجهون في العبادة ، انتهى ما نقله المصنف.

قال الثعلبي في قوله تعالى ( ويحمل عرش ربك ) عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إن الله تعالى خلق العرش ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء ، الهواء والقلم والنون ، ثم خلق العرش من أنوار مختلفة ، من ذلك نور أخضر اخضرت منه الحضرة ، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة ، ونور أحمر احمرت منه الحمرة ، ونور أبيض لونه نور الأنوار ومنه ضوء النهار ، ثم جعل سبعين ألف ألف طبق ، ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويحمده ويقدس بأصوات مختلفة لو أذن الله تعالى للأشياء أن تسمع ذلك تهتدت الجبال والقصور وانخفضت البحار ، وقال في قوله تعالى ( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ) حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : في العرش مثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى ( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ) وفي الخبر : إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يندبوا ويروحووا بالسلام على حجة العرش غضيلا لهم على سائر الملائكة ، ما نقله الثعلبي قاله الإمام البغوي في تفسير قوله تعالى ( وسع كرسيه السموات والأرض ) وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : الكرسي موضوع أمام العرش ، ومعنى وسع : أي سطره مثل السموات والأرض . وقال علي ومقاتل : كل قاعة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين وهو بين يدي العرش انتهى كلامه . قال العلامة السيوطي : أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : يا أيها ذوو السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ، وأخرج أبو الشيخ عن حماد قال : خلق الله العرش من زمردة خضراء ، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء وخلق له ألف لسان ، وخلق في الأرض ألف أمة ، تسبح كل أمة بلسان من ألسن العرش ، وأخرج أبو الشيخ عن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : خلق الله تعالى أربعة أعياء يده أقم عليه السلام والعرش والقلم وجنة عدن ، وقال لسائر المخلوقين فكان . وأخرج أبو الشيخ عن عثمان بن سعد العامري في الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سيد السموات العرش .

ولقد لعلنا الكلام في هذا المقام كيلا نغفل أوصاف العرش على الأمام .

### المجلس الرابع والخمسون : في فضيلة الاستقامة

سورة فصلت — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إن الذين قالوا ربنا الله ) اعتزالا برؤيتهم وإقرارا بوجدانيته ( ثم استقاموا ) في العمل وتم تراخيهم عن الإقرار بالربوبية من حيث إنه مبدأ الاستقامة أو لأنها عبادة قلما تنبع الإقرار . وما روى عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص

العمل وأداء الفرائض ، فجزئياتها ( تنزل عليهم لللائكة ) فيما بين لهم بما يشرح صدورهم ويطلع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر ( ألا تخافوا ) ما تقدمون عليه ( ولا تهزنوا ) على ما خلفتم ، وأن مصدرية أو مخففة مقطرة بالياء أو مفسرة ( وأجسروا بالجنة التي كنتم توعدون ) في الدنيا على لسان الرسل ( نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ) نلهمكم الحق ونهملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تعمل بالكفرة ( وفي الآخرة ) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعاضد الكفرة وقرنائهم ( ولكم فيها ) في الآخرة ( ما تشتهى أنفسكم ) من اللذائذ ( ولكم فيها ما تدعون ) ما تدعون من الدعاء بمعنى الطلب ، وهو أهم من الأول ( نزلنا من غفور رحيم ) حال ما تدعون للاشعار بأن ما يمتنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ( قاضي يضاهي ) .

عن أبي طلحة رضى الله تعالى عنه أنه قال : لا دخلت على النبي عليه الصلاة والسلام قرأت من بصره وطلقاته ما لم أره قط ، فسأله فقال : وما يعنى وقد خرج جبرائيل عليه السلام آنفا ، فأثناني بشارة من ربي فقال : إن الله تعالى يشي إليك أجرك أنه ليس أحد من أمتك يصلى عليك إلا صلى الله تعالى عليه ولللائكة بها عشراء ( شفاء شريف ) قالوا في سبب النزول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فإن المشركين قالوا : ربا الله ولللائكة بنات الله ، واليهود قالوا ربنا الله وعزير ابن الله وعبد ليس بجي وأبو بكر قال ربنا الله وحده لا شريك له وعبد عبده ورسوله فاستقام ، ومعنى الآية : إن الذين آمنوا بوحداية الله وشقوا عنه الأتداد والصاحبة والأولاد ثم أقاموا على طاعته وأداء فرائضه عظمين له الذين إلى حين موتهم ( تمسير ) قال بعضهم : المراد من الاستقامة أخذ اللياق في عالم الأرواح وقال الاستقامة في الظاهر والباطن . فاستقامة العوام في الظاهر الامتثال بالأوامر والاجتناب عن المناهي ، وفي الباطن الإيمان والتصديق . واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زيتها وشهواتها . وفي الباطن بالتفريد عن سيم الجان خوفا إلى لقاء الرحمن ( شهاب الدين ) سئل أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال : أن لا يحسرك بأف شيا . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب . وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه : الاستقامة الإخلاص . وقال جلى رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أداء الفرائض ( معالم التنزيل ) وقال بعض أهل الحق : الاستقامة على ثلاثة أضرب استقامة باللسان واستقامة بالجان واستقامة بالنفس . فالاستقامة باللسان للدأومة على كلمة الشهادة . والاستقامة بالجان للدأومة على صدق الإرادة . والاستقامة بالنفس للدأومة على العبادات والطاعات . قال بعضهم : الاستقامة بأربعة أشياء الطاعة في مقابلة



الأمر ، والتقوى في مقابلة التهي ، والشكر في مقابلة النعمة ، والصبر في مقابلة الجنة ، وتعام هذه الأربعة بأربعة أخرى : قيام الطاعة بالإخلاص ، وتعام التقوى بالتوبة ، وتعام الشكر بعمرة المعجز ، وتعام الصبر بالانقطاع ( إمام لسي ) قال الفقيه أبو الليث : علامة الاستقامة أن يراعى عشرة أشياء فريضة على عبده : الأول حفظ اللسان عن التهمة لقوله تعالى ( ولا يفتب بضمك بضاً ) والثاني الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى ( اجنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ) ولقوله عليه الصلاة والسلام « إياكم وسوء الظن فإنه أكثلب الحديث » والثالث الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى ( لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ) والرابع خفض البصر عن المحارم لقوله تعالى ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) والخامس صدق اللسان لقوله تعالى ( وإذا قلتم فاعدوا ) والسادس الإتيان في سبيل الله لقوله تعالى ( أخفقوا من طيات ما كسبتم ) والسابع أن لا يسرف لقوله تعالى ( ولا تبذر بذرهم ) والثامن أن لا يطلب العفو والكبر لنفسه لقوله تعالى ( تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ) والتاسع المحافظة على الصلوات الخمس لقوله تعالى ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ) والعاشر الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى ( وأن هذا صراطي مستقيما فابعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) ( تفيه الصافلين ) عن أبي بكر الرازي أنه قال : الإيمان في قلب المؤمن كشجرة لها سبعة أعصان : غصن ينتهي إلى قلبه وثمرته صحة الإرادة ، وغصن ينتهي إلى لسانه وثمرته صدق القاعة ، وغصن ينتهي إلى رجله وثمرته النسي إلى الجماعة ، وغصن ينتهي إلى يديه وثمرته إعطاء الصدقة ، وغصن ينتهي إلى عينيه وثمرته النظر إلى العبرات ، وغصن ينتهي إلى حوافه وثمرته أكل الحلال وترك الشهوات ، وعص ينتهي إلى نفسه وثمرته ترك الشهوات ( رجبية ) وفي الخبر إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى الخلائق من قبورهم ، فتأتي الملائكة إلى ردوس المؤمنين ويمسحون ردوسهم من التراب ، فينثر التراب منهم إلا من جباههم مواضع سجودهم فتسمح للملائكة تلك المواضع فلا يذهب التراب منها ، فينادي لهم : يا ملائكتي ليس ذلك التراب من قبورهم إنما هو تراب محاربتهم ، دعوه عليهم حتى يبروا الصراط ويدخلوا الجنة ، حتى إن من نظر إليهم يبرف أنهم خواص عبادي « ( زهرة الرياض ) البشرون ثلاثة : عهد عليه الصلاة والسلام في الدنيا بقوله تعالى ( وجبر الصابرين ) وغير ذلك ، وللملائكة في وقت التزع بقوله تعالى ( وأجبروا بالجنة التي كنتم توعدون ) والله تعالى بقوله تعالى ( ييسرهم ربهم برحمة منه ورضوان ) الآية ( روضة العلماء ) يقال البشارة عند الموت على خمسة أوجه : الأول لامة للمؤمنين يقال لهم ، لا تخافوا بتأييد العذاب : يس لا تبكون في العذاب أبدا ، وتشفع

الأنبياء والمجاهدين ، ولا تحزنوا على فوت الثواب وأجروا الجنة : معنى مرجعكم الجنة . والثاني  
 للمخلصين يقال لهم : لا تخافوا على رد أعمالكم ، فإن أعمالكم مقبولة ، ولا تحزنوا على فوت  
 الثواب فإن الثواب مضاعف لكم . والثالث للتائبين يقال لهم لا تخافوا على ذنوبكم لأن ذنوبكم منقورة  
 ولا تحزنوا على فوت الثواب على ما فعلتم بعد التوبة يدل الله سيئاتكم إلى الحسنات . والرابع  
 للزهاد يقال لهم لا تخافوا الحشر والحساب ولا تحزنوا على قصان الأضعاف وأجروا الجنة بلا  
 حساب ولا عذاب . والخامس للعلماء الذين يعلمون الناس الخير وعملوا بالعلم يقال لهم :  
 لا تخافوا من أهوال القيامة فإنه يجرىكم بما عملتم ، وأجروا الجنة لكم ولئن اتقنى بكم ،  
 وطوبى لمن كان ستم عمره بالبشارة ، وإنا نكون البشارة لمن كان مؤمنا حسنا في عمله ،  
 فحزنا عليهم لللائكة فيقولون من أنتم ، لما رأينا أحسن وجوها ولا أطيب ريحا منكم ؟  
 فيقولون نحن أولياؤكم : معنى حفظناكم ، وكنا نكتب أعمالكم في الدنيا . فينبى للعالم  
 أن يتبه من القلة ، وعلامة الانتباه أربعة أشياء : الأول أن يدبر أمور الدنيا بالصناعة  
 والتسويق : والثاني أن يدبر أمور الآخرة بالحرم والتجمل . والثالث أن يدبر أمور الدين  
 بالعلم والاجتهاد . والرابع أن يدبر أمور الخلق بالنصيحة والودقة والندارة . ويقال أفضل الناس  
 من فيه خمس خصال : الأولى أن يكون مقيما على عبادة ربه . والثانية أن يكون مخلصا ظاهرا  
 وباطنا . والثالثة أن يكون الناس من شره آمنين . والرابعة أن يكون مما في أيدي الناس آيا .  
 والخامسة أن يكون مستعدا للموت ( تنبيه القائلين ) . وأما استعداد اللوت وفائدته لما روى  
 عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أ كثروا ذكر هادم اللذات » وهو اللوت ،  
 وهذا الحديث من حسان الصايح ، ومضاه أن اللوت يكسر كل لغة فأ كثروا ذكره حتى  
 تستدوا له ، فإن قوله عليه الصلاة والسلام « أ كثروا ذكر هادم اللذات » كلام موجز مختصر  
 لكن جمع فيه جميع اللواظ ، فإن من ذكر اللوت حقيقة ينص عليه لدته الحاضرة ويمتنع من  
 تنهيا في المستقبل ، وزهد فيما يؤلمه منها ، لكن النفوس الراكية والقنوب الخافكة تحتاج إلى  
 تكثير اللفظ وتطويل الوعظ ، وإلا لنى قوله عليه الصلاة والسلام « أ كثروا ذكر هادم اللذات »  
 مع قوله تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) ما يكنى السامع والناظر فيه ، لأن ذكر اللوت يورث  
 استحضار الانزعاج عن هذه الدار القانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الباقية ، إذ قد قال العلماء :  
 اللوت ليس بدمع مريض ولا نساء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة عنه  
 وتبدل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار ، كمال عليه الصلاة والسلام « المؤمنون لا يعنون  
 بل ينقلون » وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله مصيبة حيث قال ( فأصابكم مصيبة اللوت )  
 فالوت هو المصيبة العظمى وأعظم منة القلة عنه وعدم ذكره وقلة التفكير فيه مع أن فيه وحده عبرة

لمن اعتبر . وقد قال القرطبي في تذكرته : إن الأئمة قد اجتمعت على أن اللوث ليس له من معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ، وإنما كان كذلك ليكون الملاء على أجرة منعتهم الله ، لكن من غلب عليه حب الدنيا والالتصاف بالدين لئلا يذبحها محالة بفنل عن ذكره ولا يذكره بل إن ذكره عنده يكرهه ويشر منه طبعه لأن غلبته حب الدنيا في قلبه ورسوخ علاقته فيه بمنته عن التفكير في اللوث الذي هو سبب مفارقتها ولا يحب ذكره ، وإن ذكره ، يذكره كمرئئس على الدنيا ويشتغل بدمه ويزيده ذكره بمنأى من الله . ولقد أطننا الكلام في حق اللوث ( مجلس الروي ) قال يحيى بن معاذ قدس سره : للستقيم علامات : السمو في طاعة الله تعالى من غير علاقة ، والنصح للعامة ممن خبر طمع ، والتجبد للحق مع قلب وجل ، والاعتبار بما يرى في الدنيا من غير شهوة ، والتفكر في المآل من غير غفلة ( كذا في الخاتمة ) فمن كان حاله هكذا جرح عند اللوث بالكرامة والسعادة والرفق . روى أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبي علي الروذباري رحمه الله تعالى فتح عيفيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقوله : يا أبا علي قد بلغك الرتبة القصوى وإن لم تسألها وأعطيأك درجة الأكابر وإن لم ترجها . ( حكى ) أنه لما ملت سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى أكب الناس على جنازته ، وكان في البلد شيخ يهودي عمره قد أضافه عن السبعين سنة فسمع النصيحة فخرج ليظفر ما هو ، فلما نظر إلى الجبارة قال أترون ما أرى قالوا وما ترى ؟ قال : أرى قوما ينزلون من السماويين يكون بهذه الجبارة ثم أسلم وحسن إسلامه ( كذا في روض الرياحين ) .

### المجلس الخامس والخمسون : في فضيلة التوبة

سورة الشورى — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ) بالتجاوز عما تابوا عنه ، والقبول بمعنى إلى مفعوله فإن بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإنابة ، وقد عرفت حقيقة التوبة ، وعن علي رضي الله عنه : هي اسم يقع على ستة معان : على للباقي من الذنوب بالندامة ، ولتضييع الفرائض بالإعادة ، ورد المظالم ، وإدابة النفس في الطاعة كما ربيتها في العصية ، وإداتها مرارة الطاعة كما أدتها حلالة للعصية ، والكاء بدل كل ضحك ضحكته ( ويعنوا عن البهائم ) صغرها وكبيرها لمن يشاء ( ويعلم ما يفعلون ) فيعازي ويتجاوز عن إقامات وحكمة ، وقراء حمزة والكسائي وحسن « ويعلم ما يفعلون » بالناء ( ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) أي يستجيب الله لهم ، غداً اللام كما جئنا في « وإذا كالوهم » وللإراد إجابة الله والإنابة على الطاعة ، لأنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أصل الدعاء الحمد لله » أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها

( وبزیدم من فضله ) على ما سأئوم واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة ( والكافرون لهم عذاب شديد ) يدل على المؤمنين من الثواب والتفضل ( فاضى يصاوى ) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : لا يرى وجهى ثلاثة : عاقى الوالدين ، وتارك سنئى ، ومن ذكرت عنده فلم يصل على . صدق من نطق . لما نزلت هذه الآية ( ورحمق وسعت كل شئ ) تطاول إبليس عليه اللعنة قال : أنا شئ من الأشياء يكون لى نصيب من رحمة الله ولطاول اليهود والنصارى ، فلما نزل قوله تعالى ( فلما كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ) يسهأجلها للذين يتقون الشرك ويؤنون الزكاة ( والذين هم بآياتنا يؤمنون ) يسهأصدقون بآياتنا يسهأبليس من رحمة الله تعالى ، وقالت اليهود والنصارى : نحن سنق الشرك ونؤتى الزكاة ونؤتى من بآيات الله تعالى حتى نزل قوله تعالى ( الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ) يسهأصدقون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيسأ اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة . وهذه الآية فى سورة الأعراف ( تنبيه التأقلين ) قيل السجدة من الشيطان ، لكن السجدة سنة فى خمس مواضع : فى دفن الميت ، وفى تزويج البنات ، وفى أداء الديون ، وفى التوبة بعد العصية . وفى إحصار الطعام للمسافر ( تفسير كبير ) عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « إن لكل داء دواء ودواء الله توب . الاستغفار » وقال عليه الصلاة والسلام « أيها الناس توبوا إلى الله فأنى أتوب فى اليوم مائة مرة » وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يستغفر الله فى كل يوم مرتين فقد ظلم نفسه » وعن عداد بن أوس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بعصيتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى فإله لا يغفر الذنوب إلا أنت » الحديث . ( حكاية ) كان لى بنى إسرائيل هاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم حصاه عشرين سنة ، ثم نظروما فى مرآة ، فرأى فى لحينه عمراً أبيض ، فخرت لذلك فقال : إلهى أطعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فان رجعت إليك أتعبنى ؟ فسمع فائلاً يقول : أحببتنا فأحبيناك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأمهناك ، فان رجعت إلينا قبلناك ( حياة القلوب ) . حكى عن الشيخ الإمام أبى نصر السمرقندى أنه قال : كان الحسن البصرى فى أول حاله شاباً مليحاً يفسأ أحسن الثياب وطوف فى دور البصرة ويفرح فيها ، فبينما هو يمشى يوماً من الأيام إذ رأى امرأة ذات جمال وحسن فامة ، فمشى خلفها فالتفت إليه وقالت : أما تستنى ؟ فقال الحسن بمن ؟ فقالت بمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، قال فوقع فى قلبه شئ . ولكن لم يصبر ولم يبتالك فيه ولم يرجع

من خلفها ، فقالت ماذا تعني ؟ فقال لها إني خفت بينيك ، فقالت له قصد حتى أبصرتك بمرادك ، فغضب الحسن أنه قد خففها كما خففته ، فبعد إذا بجارية معها طبق منطى بمنديل ، فكشف عن الطبق فإذا عياها على الطبق ، فقالت الجارية له : إن سيدتي تقول : لا أريد عينا يفتن بسببها أحد ، فلما رأى وضع ذلك منها القمصر جلده ، وأمسك لحبته يده وقال لنفسه : أف لك من حية تكون أقل من امرأة ، وتندم وتاب في تلك الساعة ورجع إلى بيته وبات ذاكيا ، فلما أصبح جاء إلى دار تلك المرأة لأن يستحل منها ، فلما هو قد رأى باب دارها قد سد والثنايحان ينعن ، فسأل عن ذلك ؟ قيل قد توفيت صاحبة هذا الدار ، فانصرف وبكى إلى آخر ثلاثة أيام ، فرأها في الليلة الثالثة وهي في الحبة جالسة ، فقال لها احليني في حل ، قالت جلستك فيه لأنى قد نلت من الله خيرا كثيرا بسببك ، فقال لها عطيني ، قالت : إذا خلوت فاذكر الله تعالى ، وإذا أصبحت وأمسيت فاستغفر الله وتب إلى الله ، قبل قولها وكان مشهورا بين الناس بالزهد والطاعة ، وأصاب من العرجة ما أصاب عند الله ، وكان من أولياء الله تعالى (جواهر البخارى) وذكر أن آدم عليه الصلاة والسلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كلمات ما أعطانيها : الأولى أن قبوله توبتي كان بمكة وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون في كل مكان فيقبل الله تعالى توبتهم . والثانية آتى كست لا يسأ قطعا عصيت جلاني عريانا وأمة محمد يصون عرابا فيلبسهم الله تعالى . والثالثة آتى لما عصيت فرقت بيني وبين امرأتى وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة آتى عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله خارج الجنة فيدخلونها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) . وحكى أنه كان في بني إسرائيل امرأة بغي وكانت فاتنة للناس بمجالها ، وكان باب دارها مفتوحا وهي قاعدت في دارها على السرير حذاء الباب فتكل من نظر إليها الفتتن بها ، فطلب رجل أن يأتى إليها بعصرة دنائير أو أكثر حتى يؤذن له في الدخول عليها ، فر على بابها ذات يوم عابد من العباد ، فوقع بصره عليها في الدار فافتتن بها وجعل يجاهد نفسه ويدعو الله أن يزول ذلك عن قلبه ، فلم يزله ولم يملك نفسه حتى باع نفسه وما كان له ، وجمع من الدنائير ما يحتاج إليه ، فجاء إلى دارها فأمره بأن يسلم ذلك إلى جار لها وكيل عنها ووعدته وقتالحيته ، فجاء إليها في ذلك الوقت وقد تزينت بنفسها وحلست على السرير في بيتها ، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير ، فلما مد يده إليها عذركه الله برحمته ويركع عبادته ونحوه للتعصية ، فوقع في قلبه أن الله يراه في هذه الحالة وقد ضبط عمله كله ، فوفقت الحية في قلبه وارتعدت عرائسه وتمير لونه ، فنظرت للمرأة إليه فرأته متغير اللون ، فقالت له :

ما الذي أصابك ؟ قال إني أخاف الله فأدنى لي في الخروج ، فقالت ويحك إن كثيرا ليشتمون الذي وجدته ، فأى شيء هذا الذي أنت فيه ؟ فقال لها إني أخاف الله ، وإن لئال الذي دخلته هو لك حلال فأدنى لي في الخروج ، فقالت له : ألم تصل هذا العمل قط ؟ قال لا ، فقالت له من أين أنت وما اسمك ؟ فأخبرها أنها من قرية كذا واسمها كذا فأدنت له في الخروج من عندها وهو يدعوه بالويل والنبور ويكي على نفسه ، فوقفت الحية في قلب المرأة بركة ذلك العابد ، فقالت في نفسها إن هذا أول ذنب شرع فيه هذا الرجل وقد دخل عليه من الخوف ما دخل ، وإني قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة ، وإن ربه الذي هو يخاف منه هو ربي ، وخوفي منه ينبغي أن يكون أشد ، فتابت إلى الله وأمضت بابها من الناس ، ولبست ثيابا خففة وأقبلت على الله ، فكانت في عبادتها ما شاء الله ، فقالت في نفسها إني لو اتيت إلى ذلك الرجل فله بزوجي ، فأكون عنده وأعلم منه أمر ديني ويكون هو تعالى على عبادته الله ، فتجهزت وسملت من الأموال والخدام ما عادت ، فالتفت إلى تلك القرية وسألت عنه ، وأخبر العابد أن امرأة قدمت تسأل عنه فخرج العابد إليها ، فلما رآته للراءة كشفت عن وجهها لكي يعرفها ، فلما رآها عرفها العابد ونذكر الذي كان بينه وبينها ، فصاح صيحة فخرجت روجه فبقيت للراءة حزينة وقالت : إني خرجت لأجبه وقد مات ، فهل له أهل من أقربائه يحتاج إلى امرأة ؟ فقالوا إن له أخا صالحا ولكنه مصر ليس له مال ، فقالت لا بأس فلان لي من المال ما فيه فناء ، فجاء أخوه ، فزوج بها قوله بينهما سبعة من البين كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل ( ١ ) بركة التوبة والحمد لله ( كذا نقل عن البخاري عليه رحمة الباري ) قال الإمام الزندوسقي رحمه الله تعالى سمعت الإمام أبا محمد عبيد الله بن الفضل يقول : قالت الحكماء من رزق أربعا لم يحرم أربعا : من رزق النماء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى ( ادعوني أستجب لكم ) ومن رزق الاستخار لم يحرم الضرعة لقوله تعالى ( إنه كان غفارا ) ومن رزق الشكر لم يحرم للزبد لقوله تعالى ( لن شكرتم لأزيدنكم ) ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى ( وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ومضوا عن السيئات ) ( كذا في روضة العلماء ) عن أبي هاشم الصوفي رحمه الله تعالى قال : أردت البصرة فجلت إلى سفينة أركبها ، وفيها رجل معه تجارية ، فقال لي الرجل ليس هنا موضع ، فسأله التجارية أن يهملني ففعل ، فلما سرنا هنا الرجل بالنداء فوضع ، فقالت ادع ذلك السكين ليتفدى مني ، فجلت على أنني

( ١ ) هذه الحكاية وأمثالها فيها من البشاعة وتنويه الدين ما لا يمكن تصويره لما هو معلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصلاهم طاهرة من السفاح كما تشهد بذلك الأحاديث الصحيحة اهـ .

مكنين ، فلما تغدينا قاله يا جارية هاتى شرابك فخرت وأمرها أن لتقنى ، فقالت  
برحمك الله إن للغبف حقاً فتركى ، فلما دب فيه الشراب قال يا جارية هاتى هودلك  
وهاتى ما عندك ، فأخذت العود وخنت ، ثم التفت الرجل إلى قتل أحسن مثل هذا ؟  
قلت عندى ما هو أحسن وخير منه ، فقال قل ، قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ،  
ثم قرأت ( إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت ) فجعل الرجل  
يسكى ، فلما التفت إلى قوله تعالى ( وإذا الصحف نصرت ) قال يا جارية اذهبي فأنت  
حرة لوجه الله تعالى ، وألقى ما معه من الشراب وكسر العود ، ثم دعانى فاعتنتنى وقال :  
يا أخى أترى أن الله يقبل توبتى ؟ قلت : ( إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين )  
رواخيته واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيت له فى المنام قلت له إلام صرت ؟  
فقال إلى الجنة ، قلت بماذا ؟ قال بقراءتك على ( وإذا الصحف نصرت ) انتهى ( من للوعظلة ) .

### المجلس السادس والخمسون : فى فضيلة شهر شعبان المعظم

سورة التورى — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( الله لطيف بعباده ) يريهم بصنوف من البر لا تبليها الأفهام ( يرزق من يشاء ) أى يرزقه  
كما يشاء فيحصل كلا من عياده موع من البر على ما اقتضته حكته ( وهو القوى ) الياهر القديرة  
( المزير ) النيع الذى لا يخلب ( من كان يريد حرث الآخرة ) ثوابها شبه بالزرع من حيث  
إنه فائدة تحصل بحمل الدنيا ولذلك قيلو : الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الأصل إلقاء البلى  
فى الأرض ويخل للزرع الحاصل منه ( نزل له فى حرثه ) قمطيه بالواحدة عشرا إلى سبعة مائة  
لما فوقها ( ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمه منها ) شيئا منها على ما قسمناه له ( وماله فى  
الآخرة من نصيب ) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ( قاصى يضاهى ) .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى خلق جبراً من نور  
تحت العرش ثم خلق ملكاً له جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالغرب ورأسه تحت العرش  
ورجله تحت الأرض السابعة ، فإذا صلى العبد على فى شهر شعبان أمر الله تعالى ذلك الملك  
أن يغمس فى ماء الحياة ، فيمسي ذلك الملك ثم يخرج منه فينفض جناحه فيقطر من كل  
ريشة قطرات ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة » ( زبدة  
الواعظين ) قيل الله لطيف بهم بالأرزاق ، من الطيات ولم تدفع إليهم حصة . وقيل الله  
لطيف بعباده : يعنى يرسم من لا يرسم نفسه بالماية والرحمة ، وبالشوق إلى طاعته  
وطاعة رسوله بعد الوجوع من صفة التائقين ، وقيل الله لطيف بعباده : يعنى يرسم التائبين  
والمستغفرين . قال عليه الصلاة والسلام : « ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد

مذهب ناب إلى الله تعالى فيقول ليك يا هدى سل ما تريد ، وقيل الله لطيف أى رفيق ، وقيل  
الله لطيف بالبحر والاحسان بحيث لم يهلكهم بمصائبهم وبرزق من يصيه . وقيل الله لطيف :  
أى الذى يستقل الكثير من عطائه ويستكثر القليل من الطاعة من عباده ، حيث قال فى كلامه  
التقديم ( قل متاع الدنيا قليل ) ( زهرة الرياض ) وقال بعضهم : الله لطيف بعباده فى العرش  
والحاسبة كما جاء فى الخبر « يؤتى بعد يوم القيامة وتعرض سيئاته فيقول الله تعالى : أما  
استحييت من إذ عصيتى ؟ فرفع العبد صوته يكاء عديد ، فيقول الله احفظ صوتك حتى لا يسمع  
محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف أى سترتها فى الدنيا وأنا أغفرها اليوم ، فيسكى أشد منه  
من فرسه ، فيسمع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لى أنت أرحم الراحمين هبه لى ،  
فيقول الله تعالى : وهبت لك ولا تهزن يا حبيبى » ( زهرة الرياض ) عن النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم أنه قال « ضل شعبان على سائر الشهور كفضل على سائر الأنبياء ، وفضل رمضان  
على سائر الشهور كفضل الله تعالى على عباده » كما قال الله تعالى ( وختار ما كان لهم الخيرة )  
لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصوم شعبان كله ويقول : « يرفع الله أعمال العباد كلها  
فى هذا الشهر » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « أتدرون لم مى شعبان ؟ قالوا الله ورسوله  
أعلم ؟ قال لأنه ينتحب فيه خير كثير » ( روضة الطماء ) أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى  
الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « جل الله الرحمة مائة جزء ، فأملك  
عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة  
حافرها عن ولدها خشية أن يصبه الضرر » وفى رواية لمسلم « وأخر تسعة وتسعين برحم  
الله تعالى بها عباده يوم القيامة » ( طريقة محمدية ) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال :  
قال عليه الصلاة والسلام « أنانى جبريل ليلة التصف من شعبان وقال : يا محمد هذه ليلة تختج  
فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة ، قم وصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء ، فقلت يا جبرائيل ؟  
ما هذه الليلة ؟ فقال هذه ليلة يختج فيها ثلثمائة باب من الرحمة ، فينظر الله تعالى لجميع من  
لا يشرك بالله شيئا إلا من كان ساحرا أو كافرا أو مشافعا أو معصيا أو مصرا على الزنا  
أو آكل الربا أو ظلى الوالدین أو التام أو قاطع الرحم ، فإن هؤلاء لا ينفروا لهم حتى يتوبوا  
وتركوا ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام فصل وبكى فى سجوده وهو يقول : اللهم إني أعوذ  
بك من عذابك وسخطك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى  
ترضى » ( زينة الواعظين ) وعن يحيى بن معاذ أنه قال : إن فى شعبان خمسة أحرف يعطى بكل  
حرف عطية للمؤمنين : بالشين الشرف والشفاعة ، وبالميم الميزة والكرامة ، وبالباء البر ، وبالألف  
الألفة ، وبالنون النور ، وقد قيل : رجب تطهير البدن وشعبان تطهير القلب ورمضان تطهير الروح .



فان من يطهر البدن في رجب يطهر القلب في شعبان ، ومن يطهر القلب في شعبان يطهر الروح في رمضان ، فان لم يطهر البدن في رجب والقلب في شعبان ، ففي يطهر الروح في رمضان ؟ ولما قال بعض الحكماء ، إن رجب للاستغفار من الذنوب ، وشعبان لإصلاح القلب من السيوف ، ورمضان لتنوير القلوب ، وليلة القدر فتشرب إلى الله تعالى ( زبدة الواعظين ) روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من صام ثلاثة أيام من أول شعبان وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره كتب الله له ثواب سبعين نية ، وكان كمن عبد الله تعالى سبعين عاما ، وإن مات في تلك السنة مات شهيدا » وقال عليه الصلاة والسلام : « من عظم شعبان وانتقل الله تعالى وعمل بطاعته وأمسك نفسه عن العصية غفر الله تعالى ذنوبه ، وآمنه من كل ما يكون في تلك السنة من البلاء والأساوس كلها » ( زبدة الواعظين ) .

حكى عن محمد بن عبد الله الزاهد أنه قال : مات حديثي أبو حصص الكبير فضلت على جنازته ولم أزر قبره ثمانية أشهر ، ثم قصدت زيارته ، ونمت الليل فرأيت متغير اللون مصفر الوجه ، فقلت عليه فلم يرد السلام على ، فقلت سبحان الله لم لم ترد على السلام ؟ فقال رد السلام عبادة ونحن مقطوعون عن العبادة ، فقلت مالي أراك متغير الوجه وقد كنت حسن الوجه ؟ فقال لما وضعت في قبري جاء ملك فقام على رأسي وقال يا قبيح السوء ، وعد ذنوبي وسوء أفعالي وخرجني بمودفقتل جسدي نارا ، ثم تكلم معي قبري فقال : أما السنجيت من ربى ، ثم منطقتي ضلعة حتى اختلفت أخلاعى واضططت مفاسلى وبقيتلى المذاب إلى اليلة التي أهل فيها أهل شعبان ، فانا أنا عماد يادى من فوق أيها الملك ارفع عنه ، فانه أحيا ليله من شعبان في عمره وصام يوما من أيامه ، فرفع الله تعالى العذاب عنى بحرمة قيامى ليله من شعبان وصيام يوم منه ، ثم حشرنى بالجنة والرحمة . ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من أحيا ليله اليبدين وليلة النصف من شعبان لم يميت قلبه حين تموت القلوب » ( زهرة الراس ) روى عن عطاء بن يسار رضى الله عنه أنه قال : حاشى ليله بدلية القدر أفضل من ليله نصف شعبان . وقد وردت فضله أحاديث أخر متعددة . وكان التابعون من أهل الشام نكالة بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم رحمهم الله يعظمونها ويجهدون بالعبادة فيها . فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك ، فغلب منهم من قبله منهم وواقفهم على تمطيها لكن أكثر العلماء من أهل الحجاز أنكروا ذلك ، وقالوا ذلك كله بدعة ، والحق أن المؤمن إذا اختلف في تلك اليلة الخاصة بأنواع العبادات من الصلاة والتلاوة والذكر والسماء يجوز ولا يكره . وأما الاجتماع فيها في المساجد والجوامع الصلاة النافذة بالجماعة الكثيرة كما هو المعتاد في زماننا فيكره ، وهذا قول الأوزاعى إمام أهل الشام ومالهم وقبهم ، وهكذا إسراج السراج الكثيرة في المساجد وإتقاد القناديل الكثيرة

في الجوامع في تلك الليلة لا يجوز ، لما ذكر في القنية أن إسرار السرج الكثيرة ليلة البراءة في المسك والأسواق بدعة وكذا في الساجد ، وضمن القيم بل لو ذكره الواقف وشرطه لا يعتبر ذلك شرعا ، وإن لم يكن من مال الوقف بل تبرع به يكون ذلك بذيرا ، وإضاعة للمال والتبذير حرام بنص القرآن ، وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن إضاعة للمال ، واعتقاد أن ذلك قرينة من أعظم البدع وأقبح السيئات وكذا التنفل في تلك الليلة بالجماعة الكثيرة بدعة فيجوز يجب الاجتناب عنها ، لأن الفقهاء قد اتفقوا على كراهة الجماعة في النوافل ، ماعدا التراويح والاستسقاء والكسوف إذا كان سوى الإمام أربعة ، والصلاة التي تلي في تلك الليلة بالجماعة الكبيرة وتحصى صلاة البراءة بدعة أيضا لعدم وقوعها في عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والتابعين رحمهم الله تعالى ، بل إنما ظهرت بعد ثلاثة الرابعة من الهجرة فأنها حدثت في المسجد الأقصى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وأصلها على ما ذكره الإمام الطرطوسي : أن رجلا قدم بيته للقدس فقام يصلي ليلة النصف من شعبان في المسجد الأقصى فأحرم خلفه واحد ثم ثان ثم ثالث ثم رابع لما أعجبها إلا وهم جمع كثير ثم جاء في العلم الآتي فصلي معه خلق كثير ثم شاعت في الساجد وانتشرت في البلاد وانتشرت سنة بين العباد ، وقد ذمها العلماء من أعيان المتأخرين وصرحوا بأنها بدعة فيجوز مشتملة على منكرات ؛ فلي هذا ينبغي للعالمين عن تمييز تلك المنكرات أن لا يحضر الجماعة في تلك الليلة بل يصلي في بيته إن لم يجد مسجدا سالما من هذه البدعة ، لأن الصلاة في المسجد بالجماعة سنة ، وتكثير سواد أهل البدع منهي عنه ، وترك النبي عنه واجب ، وفعل الواجب متعين ، لاسيما لما كان مشهورا بين الناس بالعلم والزهد ، فإن الواجب عليه أن لا يحضر في مسجد شاهد فيه هذه المنكرات ، لأن حضوره مع عدم الإنكار يوم الساعة أن هذه الأفعال مباحة أو مندوبة إليها ، فيكون حضوره شبهة عظيمة في ظن العوام أن تلك الأفعال مستحسنة شرعا ، فإذا ترك عادة ولم يجر المسجد في تلك الليلة وأنكر بقلبه لم يجزه عن تمييزه يده ولسانه يعلم من الإثم ولا يقتدى به غيره ، بل يستشعر بعض الناس من عدم حضوره أن هذه الأفعال غير مرضية عند الله ، بل هي بدعة لا يسوغها الشرع ولا يرضاها أهل الدين ، فربما يمنع بعض الناس عن ذلك ، فيحصل له الثواب بعمل ما يقدر عليه من الإنكار بالقلب والامتناع عن الحضور . والحاصل أن تلك الليلة وإن ورد في فضلها أحاديث متعددة ، لكن ليس لأحد أن يعتمدها بإسنادها الشارح ونهى عنه ، مع أن بعض العلماء قالوا : لم يشت في قيامها شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه ، فصلي هذا يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يحذر من الاعتزال والليل إلى شيء من البدع والمحدثات ، ويصون دينه

من البديع التي استأنس بها وتربى عليها ، لأنها سم قاتل قل من سلم من آفاتنا وظهر له الحق معها ، لأن البديعة لها حلاوة في قلوب أهلها تستحسنها طبايعهم فلا يتركونها (هذا من مجالس الروي)

## المجلس السابع والخمسون : في بيان الحب في الله والبغض في الله

سورة الزخرف — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

(الأحاديث) الأجزاء (ومثله بعضهم لبعض عدو) أي يتعادون ومثله لا تقطع الطلق يظهر ما كانوا يتخالون له سببا للمذاب (إلا للتقين) فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى فائمة أبد الأبد (بإعجاب لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينلدى به للتقون للتحابون في الله ومثله (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للصادق (وكانوا مسلمين) حال من الراو : أي الذين آمنوا عظمين ، غير أن هذه العبارة أكد (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) ساؤكم للثمنات (مخبرون) تسرون سرورا يظهر جواره أي أثره على وجوهكم ، أو تريتون من الجبر وهو حسن الوجه والهيئة ، أو تكرمون إكراما يبالغ فيه ، والمجربة : الباطنة فيما وصف بالجليل (قاضي يضاوي) .

روى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زينوا مجالسكم بالصلاة على فان صلاحكم على نور يوم القيامة » (رواه صاحب الفردوس) وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى عبدا يوضع لهم يوم القيامة للنار يصدقون عليها ، هم قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يضطعمهم الأنبياء والشهداء ، فقالوا من هم يا رسول الله ؟ قال التحابون في الله والراودون في الله والتجالسون في الله » (رواه الطبراني في الأوسط) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا موسى هل حملت لي عملا قط ؟ قال إلهي حملت لك وصيت لك وصدقت لك وذكرتك ، فقال الله : يا موسى إن الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة لك ظل والذكر لك نور ، فأى عمل حملت لي ؟ فقال داني على عمل هو لك ، قال : يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل هاديت لي عدوا ؟ فلم أن أسب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله . هن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله يقول يوم القيامة : أين التحابون في ، فوعزني وجلالي اليوم أظلم بنظري يوم لا ظل إلا ظلي » رواه الطبراني ، وفي الخبر « أنه يؤتى برجل مؤمن في القيامة فتوزن أعماله فترجح - يثاقه على حسنة فيؤمر به إلى النار ، فيقول يارب أمهلني ساعة أستوهد من أي حسنة ، فيمهلني فيأتي إليها فيقول يا أمهل بالذي ربيتني في الدنيا وبلغتني إلى كل

إحسان هي لي حنة من حسناتك كي آتجو من النار ، فتقول يا بني إني عاجزة في عاني ، ومتعجرة في أمري فكيف يمكنني أن أخلصك اليوم ؟ فيأس منها ، وهكذا يأتي إلى جميع أقرباءه فيأس منهم جميعا ، فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيراه خليفه يسأل إلى النار ، فيقول له الخليل و هبت لك جميع حسناتي ليجو أحدنا من النار ، وذلك أهون من أن يكون كلانا في النار فتدخل إلى الجنة ، فيسرع إليها فينادي في الطريق ليس من الفتوة أن تضي خيلتك في النار فتدخل الجنة ، فيخرصا جندا ويشفع له ، فيأمر الله تعالى بهما إلى الجنة ، ( موعظة ) وروى عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من زار أخاه للسلام لله بكل خطوة حتى يرجع حتى رتبة ويحط عنه بها ألف سيئة ، ويكتب له ألف حسنة ويرفع له نور كنور العرش ، عند ربه ) رواه الحارث بن أبي أسامة . وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة قلت يا رسول الله ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : النبي في الجنة والصديق في الجنة والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه للسلام في ناحية للمصر لا يزوره إلا لله في الجنة » روى أبو نعيم الحافظ ، وروى عن جريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن في الجنة خرفة يرى ظاهرها من باطنها وبالكس أعينها الله المتحابين وللتراورين وللتبازلين فيه » رواه الطبراني . وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « المتحابون وللتراورون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف خرفة تضي على أهل الجنة كما تضي الشمس على أهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا نطفر إلى المتحابين في الله ، فإذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضي الشمس على أهل الدنيا ، عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله وللتراورون » وروى عن علي بن الحسين أنه قال « إذا اجتمع الأولون والآخرون نادى مناد : أين جيران الله في أرضه » أي في الدنيا « فتقوم طائفة من الناس يريدون الجنة ، فتقول لهم الملائكة أين تريدون ؟ فيقولون الجنة ، فتقول الملائكة أقبل الحساب ؟ فيقولون نعم ، فتقول للملائكة من أنتم ؟ فيقولون نحن جيران الله ، فتقول لهم وما جيرانكم ؟ فيقولون كنا متحابين في الله ، فتقول الملائكة ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين » وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى أن يحضر بين يديه رجلا من مؤمنان أحدهما عاص والآخر مطيع وقد ماتا على الإيمان ، فيأمر رضوان أن يذهب بالرجل الذي كان مطيعا إلى الجنة ويكرمه ، فيقول أنا كنت عنه راضيا ، ويأمر الزبانية أن يذهبوا بالذي كان عاصيا إلى النار ، ويمذوبه هذابا هديدا فيقول إنه كان حارب الحق ، فيذهب للطيع ضاحكا مسرورا نحو الجنة ، فإذا قرب من الجنة يسمع نداء من وراءه يقول :

الله يا صاحبي يا حبيبي ارحمني واشفع في ، فلما سمع للطبع ذلك النداء يقف في موضعه ولا يدخل الجنة . فيقول لا رضوان ادخل الجنة واشكر الله تعالى على ما نجوت من النار ، فيقول لا ادخل الجنة اذهب بي إلى النار ، فيقول رضوان كيف اذهب بك إلى النار وقد أمرني الله أن ادخلك الجنة وأحدمك ؟ فيقول الرجل أنا لا أريد خدمتك ولا الجنة ، فينادي مناد يا رضوان أنا أعلم بما في سر عبيد ولكن سله أنت تعلم ما في ضميره ، فيقول له رضوان لم لا تدخل الجنة وترضى بالنار ؟ فيقول لأن المصطفى الذي ذهب إلى النار كان يعرفني في الدنيا فنادى واعتذر إلى وطلب مني الشفاعة وأنا لا أقدر أن أخرج من النار وأدخله الجنة ، فلم يبق لي إلا أن اذهب إلى النار فأكون معه في العذاب ، فينادي منادى من قبل الرحمن : يا عبيد أنت يضطرك لم ترش أن يذهب ذلك إلى النار لأنه وآله في الدنيا رؤفة قليلة وكان يرفك وصاحبك أياما قليلة ، فكيف أرضى أنا بدخول عبيد النار وقد كان يعرفني في جميع عمره وأتخذني إلهاسين سنة ؟ فاذهب إلى الجنة فقد غفرت عنه ووهبت له . ( موعظة ) . وروى أن آخرين في الله التقياء ، فقال أحدهما للآخر من أين أقبلت ؟ قال : صحبت بيت الله الحرام وورثت قبر النبي عليه الصلوات والسلام فأنت من أين أقبلت ؟ قال من زيارة أخ أحبه في الله ، فقال فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حبي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليا فلما بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مائة حبة نالة . ( موعظة ) وحكي عن بعض العلماء في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام ( وجاءوا أباهم عشاء يبكون ) أي كذبوا ومعههم ذهب أخذوه قهرا ، قالوا لأبيهم هذا الذهب أكل أبوك يوسف ، فعلا يعقوب عليه السلام بالذهب فضلى رحمتين ثم قال : أيها الذهب أأكلت ولدي وقررة عيني ؟ فأطلق الله تعالى الذهب ، فقال معاذ الله يأتي الله فان لحوم الأنبياء لا تأكلها الأرض ولا النار ولا السباع ، ولكن أخذوني قهرا ليلاموا بي إليك ، فقال له يعقوب عليه السلام : أيها الذهب كيف وقعت في أيديهم ؟ من أين أقبلت وابن قصدت ؟ قال أقبلت من أرض جرجان وقصدت كنعان لأزور أخا في الله ، فقال يعقوب عليه السلام : لم تزوره ؟ فقال الذهب : لأن أبي حدث عن جدي وجدي عن جدك إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال : من زار أخا في الله كتب الله له ألف حسنة وعاش عنه ألف سنة ورفع له ألف درجة وأنجاه من عذاب يوم القيامة بريرة لنيه ، وجمع بينه وبين أخيه في الجنة كالسبابة مع الوسطى ، وكنت أريد زيارة ذهب هو رضيعي فسمعت موته ففتنى ذلك ، قال يعقوب عليه السلام : اكتبوا هذا الحديث عن هذا الذهب . يا إخواني إن الذهب يزور أخاه في الله لطلب الثواب من الله والنجاة من عذابه والجمع بينه وبين أخيه في الجنة ، فكيف لا تطالبون الثواب من الله بزيارة إخوانكم

والنجاة من عذابه والجمع بينكم وبين إخوانكم في الجنة ؟ انتهى ( موعظة ) وأما ثواب التزاورين في الله ، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من عبد يزور أخاه في الله إلا قال الله تعالى لي ملكوت عرشه : عبدى زارنى وعلى قراءه : أى ضيافته ، لا أرضى لعبدى قرى دون الجنة » رواه صاحب الفردوس بغير إسناد . وروى عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خرج رجل يزور أخاه في الله فأرصد الله على مدرج مسلكه ، قال أين تريد ؟ قال أريد فلانا ، قال ألق رابته ؟ قال لا ، قال ألقه له عندك تحرسها ؟ قال لا ، قال فقيم تزوره ؟ قال لى أحب فى الله ، قال لى رسول الله وإنه يهيك وإياه » رواه صاحب الفردوس . وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أفضل الأعمال الحب فى الله والبغض فى الله » هذا من حسان المصاييح رواه أبو هريرة ، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا بد أن يكون له أصدقاء يحبهم فى الله تعالى ، ولا بد أن يكون له من يشقه فى الله عند كونه باصيا لله تعالى ، لأن من يكون محبوبا لسبب فالضرورة يكون مبغوضا لخصمه ، وهو مطرد فى الحب والبغض ، لكن كل واحد منهما دفين فى القلب ، وإنما يترشح عند القلبة ؛ إذ عند غلبة الحب يظهر أفعال المحبين من التقربة واللواقة ، وتسمى موالاة ؛ وعند غلبة البغض يظهر أفعال البغضين من الباعدة والمناقاة ، وتسمى معاداة . فان قيل أى طريق يمكن إظهار البغض ؟ فالجواب أن إظهاره لا يحصل إلا أن يكون فى القول أو فى الفعل . أما فى القول فيكون تارة بكف اللسان عن مكاتبة ومحادثته وتارة بتفليظ القول عليه ، وأما فى الفعل فيكون تارة بقطع السعى فى إقامته وتارة بالسعى فى إفساده وإفساد ما ربه فيما يفسد عليه فى طريق المحبة لا فيما لا يؤثر فيه ، وهذا إذا صدرت عنه للعصية على طريق التصد كيرة كانت أو صغيرة . وأما ما جرى مجرى الحموة التى يعلم بأنه نادم عليها فمصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر لا سيما إذا كانت محبة بالجناية على حقتك أو حق من يتعلق بك ، بالإعراض عنه حسن ، لأن السوء ممن ظلمك وأساء إليك من أخلاق الصديقين . وأما من ظلم غيرك وصى الله تعالى فسلم الإعراض عنه إحسان إليه فلا يحسن الإحسان إليه ، لأن الإحسان إليه إساءة إلى المظلوم والمظلوم أولى بالمرامة ، وتقوية قلب المظلوم بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالى من تقوية قلب الظالم ( هذا من مجالس الروى ) .

وبعد أمددنا الكلام بساية تلك القوى ، السميع الجهر والحقى ، له الحمد فى الأولى والأخرى .

### المجلس الثامن والخمسون : فى بيان معاداة الشيطان

سورة النور — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ) فإشاعة القاحشة ، وقرأ نالغ والبزى

وأبو بكر وأبو عمرو وحمة بسكونها ( ومن يلح خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر )  
بيان لصفة التي عن اتباعه . والفحشاء ما أفرط فيه والمنكر ما أنكره الشرع ( ولولا فضل  
الله عليكم ورحمته ) بتوفيق التوبة للآخرة لذنوب وشرع الحدود للكفرة لها ( ما زكى ) ما طهر  
من دنسها ( منكم من أحد أبدا ) إلى آخر الدهر ( ولكن الله يزكى من يشاء ) يمهله على التوبة  
وقولها ( والله صبح ) بمقالهم ( عليهم ) بأفعالهم وبنياتهم ( قاضى يضاوى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثرتم على صلاة أكثركم أروا جاني الجنة »  
صدق من لطفى . وعن ابن هشام أنه قال : بلغنا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « أكثروا  
من الصلاة على لي الليلة الزهراء واليوم الأزهر فانهما يؤدبان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجسام  
الأنبياء » وما من مسلم يصلي على إلا حملها ملك حتى يؤديها إلى ربي حتى إنه يقول : إن فلانا  
يقول كذا وكذا » ( شفاء شريف ) وللإشارة لخطوات الشيطان سيرة الشيطان وطريقته . وللهي  
لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسوسه بإشاعة الفاحشة والإساءة إلى الإفاك والقول به  
( شيخ زاده ) قوله ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ) بالتوبة لما طهر منكم أحد إلى آخر الدهر من  
دنس الإثم ، ولكن الله تعالى يطهر التوابين بقبول توبتهم بلطفه وكرمه ( كشف ) . عن شقيق  
البلخي أنه قال : كان إبراهيم بن آدم يمشي أسواق البصرة ، فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا أبا  
إسحق إن الله تعالى قال في كتابه ( ادعوني أستجب لكم ) ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجيب لنا ؟  
قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء ، فكيف يستجاب دعاؤكم ؟ : الأول عرقم الله  
تعالى ولم تؤدوا حقه . والثاني قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم حيدر رسول الله وتركتم  
سننه . والرابع ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه وواقتموه . والخامس ادعيتم دخول الجنة  
ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النعمة من النار ورميتم فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن للوت  
حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلتم بعبود إخوانكم فلا ترون صوب أنفسكم . والتاسع  
أكلمتم نعمة ربكم ولم تشكروا له . والعاشر دقتم موتاكم ولم تعتبروا بهم ( حياة القلوب ) .  
وفي الخبر « إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس عليه اللعنة جسوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس  
ويشتغلهم عن الصلاة ، فيجئ الشيطان إلى من أراد الصلاة ، فيشغله حتى يؤخرها عن  
وقتها ، فإن لم يقدر على ذلك يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسميعها ، فإن لم  
يقدر على ذلك يخل قلبه بأشغال الدنيا ، فإن لم يقدر على شيء من ذلك ذهب خاسرا  
ذليلا ، فيأمر إبليس عليه اللعنة بأن يوثق ذلك الشيطان ويرى في البحر ، وإن كان يقدر  
على شيء من ذلك يكرمه ويعظمه » ( تنبيه السامعين ) عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « إن للشيطان لغة بابن آدم وللملك لغة ، فأما لغة الشيطان فلإفساد الشر وتكذيب  
( ١٥ — درة الناصحين )

الحق ، وأما لذلك فلا جدال فيه وتصديق الحق ، فمن وجد هذا فليعلم أنه من الله فليعبد الله تعالى ، ومن وجد الآخر فليتعبد من الشيطان الرجيم » ( مصابيح ) فالله من الإلهم وهو القرب ، فان كل واحد من تلك والشيطان يقرب من الإنسان لهذين الأمرين ، وهما الإلهاد بالخير والشر ، والمراد بهما الإلهامان اللذان يقعان في القلب ، أحدهما بواسطة الله والآخر بواسطة الشيطان ، وما وقع بواسطة الله يسمى إلهاما وما وقع بواسطة الشيطان يسمى وسوسة ، والقلب متجاذب بينهما ، لأنه بأصل فطرته يصلح لقبول آثار الله وآثار الشيطان صلاحا ومثاسا وبالا يرجع أحدهما على الآخر إلا باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو بمخالفة الهوى والإعراض عن الشهوات ( سناية ) وقال أبو الوليث : اعلم أن لك أربعة من الأعداء تحتاج إلى أن تجاهد كل واحد منهم : الأول الذي قال الله تعالى ( فلا تترنك الحياة الدنيا ) والثاني نفسك وهي شر الأعداء ، لما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » قال الله تعالى ( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ) والثالث شيطان الجن فاستد بالله تعالى منه كما قال الله تعالى ( إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ) والرابع شيطان الانس فاحذر منه ، فإنه أشد عليك من شيطان الجن ، لأن شيطان الجن يكون إغواؤه بالوسوسة فقط ، وأما شيطان الانس فالإغواية واللواجبة والاعانة ( تنبيه القائلين ) . وذكر عن وهب بن منبه أنه قال : أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمدا عليه الصلاة والسلام ويخيه عن كل ما يسأله ، فجاءه على صورة شيخ صبيح ويده عكازة ، فقال عليه الصلاة والسلام من أنت ؟ قال أنا إبليس ، قال لماذا جئت ؟ قال إن الله أمرني أن أتيك وأجيبك عن كل ما سألتني ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس كم أعدائك من أمي ؟ قال خمسة عشر : الأول أنت يا محمد . والثاني إمام هالك . والثالث غي متواضع . والرابع تاجر صادق . والخامس عالم مصل يتخضع . والسادس مؤمن ناسح . والسابع مؤمن رحيم . والثامن نائب ثابت على توبته . والتاسع متورع عن الحرام . والعاشر مؤمن يداوم على الطهارة . والحادي عشر مؤمن كثير الصدقة . والثاني عشر مؤمن حسن الخلق . والثالث عشر مؤمن ينفع الناس . والرابع عشر حامل القرآن يديم تحراءه . والخامس عشر قائم بالليل والناس نيام ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لإبليس كم رفاقك من أمي ؟ قال عشرة : الأول حاكم جائر . والثاني غي متكبر . والثالث تاجر خائن . والرابع شارب الخمر . والخامس القتات . والسادس صاحب الرياء . والسابع آكل مال اليتيم . والثامن للتهاون بالصلاة . والتاسع مانع الزكاة . والعاشر من يطيل الأمل ، فهو لاء إخواني وأصحابي ( قل من تنبيه القائلين ) وذكر في الخبر : أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبد في صومته



يقال له برصهما العابد وكان مستجاب الدعوات ، وكان الناس بأنونه عرجاناً ويرى للرمي بدعاه ،  
 فلما إبليس عليه اللعنة الشياطين قال : من رغبني هذا وبضله ؟ فقال شمرتمن الشياطين أنا أفتنه ،  
 فإن لم أفتنه فليست منكم ، فقال إبليس أنت له ، فانطلق حتى أتى ملكاً من ملوك بني إسرائيل وله  
 بنت من أحسن الناس وهي جالسة مع أبيها وأما وأخواتها فصرعياً ، ففزعوا لذلك فرعاً شديداً  
 فصارت البنت مهنونة وكانت على ذلك أياماً ، ثم أتاهم على صورة إنسان ، فقال لهم إن أردتم أن  
 تبرأ فاذهبوا بها إلى فلان الراهب وهو يرعياً ويدعوها ، فذهبوا بها إليه فبرئت من علتها ، فلما  
 رجعوا بها فادعوك ، فقال لهم الشيطان : إن أردتم أن تبرأ بالكلية فاجلوهاء عنده أياماً ، فانطلقوا  
 بها إليه وتركوها عنده ، فأبى الراهب فألقوا عليه وتركوها عنده ، فكان الراهب مقبلاً للصلاة  
 صديماً للقيام ، فأجلسها الراهب عنده فأطعمها حتى طال عليها الوقت ، فنظر إليها يوماً  
 فرأى وجهها وجسدها لم ير مثلهما في الحسن ، فمال قلبه إليها فوسوسة الشيطان ولم يصبر ،  
 ثم قربها فحملت منه ، ثم أتاه الشيطان فقال له : إنك أجبتها وليس لك نجاة من ذلك  
 بما صنعت بها إلا أن تقتلها وتدقها عند صومعتك ، فادعها فقل لها ماتت فاتهم  
 بدقوتك ، فذهبها ودقها ، فجادوا وسألوا عنها فقال ماتت بأمر الله تعالى فصدقوه ورجعوا  
 فانطلق الشيطان فقال لهم : إن الراهب قد وقع عليها ، فلما خشي أن يطلع عليها أحد  
 فذهبها ودقها ، فركب لذلك مع الناس مقبلاً إلى نحو الراهب وجفروا قبرها فوجدوها  
 مذبوحة ، فأخذوا الراهب وجلبوه ، وجاء الشيطان وهو على معبده فقال له أنا أنجيك منها  
 إن سجدت لي سبعة من دون الله تعالى ، فقال كيف أسجد لك وأنا في هذه الحالة ،  
 فقال أَرْضِي مِنْكَ أَنْ تَوِيءَ بِرَأْسِكَ وَفِيْصَحْدِهِ لَهْ رِجَاءُ بِرَأْسِهِ ، فقال الشيطان أنا برئ منك  
 إلى أخاف الله رب العالمين ، وهو قوله تعالى ( كَتَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا  
 كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ) فكانت عاقبتهم أنهما في النار خالدين  
 فيها وذلك جزاء الظالمين ) هكذا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، فإذا علمت  
 حال برصهما الذي صار في النار عنهما ، فاعلم أن الإنسان إذا اتبع مقتضى الشهوات  
 والنَّضْب يظهر تسلط الشيطان على قلبه بواسطة الهوى ، ويصير قلبه عفى الشيطان ومقره  
 تكون الهوى مرضى الشيطان ومرئيه ، وإذا جاهد نفسه ولم يتبع مقتضى الشهوات والنَّضْب  
 يكون قلبه مستقر لللائكة ومهبطهم ، لكن لما لم يكن قلب من اتلوا حالياً عن الشهوات  
 والنَّضْب والجُرس والطمع وغير ذلك من الصفات البشرية للنَّضْب عن الهوى لم يتصور  
 أن يوجد قلب خال من أن يكون فيه للشيطان جولان بالوسوسة ، ولا نزول وسوسة إلا  
 بذكر شيء سوى ما يوسوس فيه إذ عند حصول ذكر شيء فيه ينم ما كان فيه من قبل

إلا أن كل شيء سوى ذكر الله تعالى وما يتعلق به يهوى أن يكون محلاً للشيطان ، فأما ذكر الله تعالى فهو الذي يؤمن جانبه ويحذر أنه ليس محلاً للشيطان ، فلهذا ما هذتك وإعجل بالإعانة سهل عليك الله لذلك للسمآن ، مثل القلب كمثل حسن له أبواب كثيرة والشيطان يريد أن يدخل فيه من كل باب ويملكه ويستولي عليه ، فلا بد للعبد من حفظه ، ولا يقدر على حفظه إلا بحراسة أبوابه وسد مداخله وأبوابه ، ومداخله الصفات الذميمة ، فليس للأدنى صفات من الصفات الذميمة إلا وهي قوة من قوى الشيطان وسلاح من أسلحته وباب من أبوابه ومداخل من مداخله ( من عجالي الروي ) وشروط التوبة ثلاثة : الأول الرجوع عن المعاصي ، والثاني التمسك عليها ، والثالث التزم على أن لا يعود إليها أبداً . وروى عن جابر رضي الله تعالى عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له صلى الله تعالى عليه وسلم : يا هذا إن سرعة اللسان والاستغفار توبة الكذابين وتوثك هذه تحتاج إلى التوبة ، فقال يا أمير المؤمنين : وما توبة الصادقين ؟ قال هي اسم يقع على ستة معان : التداية على الماضي من الذنوب ، والإعادة لما ضيع من الفرائض ، ورد النظام ، وإزالة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإدلتها بمرارة الطاعة كما أدقها حلوة للمعصية ، والبقاء بدل ضحكك ضحكته ، كذا ذكره أبو السعود . قال تيمم الدين قدس الله سره : إذا أراد الله أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى طين القرب يخلصه من عبودية ماسواه بصرف جذبات المعصية ، ثم يوقه الرجوع إلى الخسرة ويقبل منه الرجوع بالتقرب إليه كما قال تعالى : من تقرب مني هربا تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، الحديث انتهى . معناه من تقرب إلى بالتوبة والطاعة تقربت إليه بالرحمة والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدت .

### المجلس التاسع والخمسون : في بيان الهجرة لطاعة الله

سورة المنكيات - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ) أي إذا لم تسهل لكم العبادة في طاعة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشى لكم ذلك . وعنه عليه الصلاة والسلام : من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان هرباً استوجب الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والقائه جواب شرط محذوف ، إذ المعنى إن أرضي واسعة ، إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ( كل نفس ذائقة الموت ) تناله لا محالة ( ثم إنا نرجعون ) للجزاء ، ومن هذا عاقبته ينبغي أن يجتهد في الاستعداد له ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنوبتهم ) لنزلتهم ( من الجنة غرة )

علاى . وقرا حمزة والكسائي لتثويتهم : أى لتثبيتهم من التواء فيكون انتماء بضمير  
لاجرائه جوى لتثويتهم أو بفتح الخافض أو تشبيه الظرف للوقت بالميم ( تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها نعم أجر العاملين ) وقرىء قنم ، والمخصوص بالمدح محمد وآل علي  
ما قبله ( فاضى يضاوى ) .

روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال -  
و لنصل على نور على الصراط ، ومن كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار ،  
صدق رسول الله . قال مقاتل والكلبي : نزلت هذه الآية في منضاء ملى مكة بقول : إن  
كنتم فى ضيق بمكة من إظهار الإيمان فأخرجوا منها إلى أرض المدينة ، إن أرضى : أى للمدينة  
واسعة أمية . قال جاهد هو أن أرضى واسعة فهاجروا فيها . وقال سعيد بن جبير : إذا عمل  
فى أرض بالمعاصى فأخرجوا فان أرضى واسعة . وقال عطاء : إذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان  
أرضى واسعة ، ولذلك يجب على كل من كان فى بلدة يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك  
أن يهاجر إلى حيث توباً له العبادة ، وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة ، وقالوا نحن  
إن هاجرنا نموت من الجوع وضيق العيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يذرم بترك الخروج .  
وقال مطرف بن عبد الله إن أرضى واسعة أى رزقى بكم واسع فأخرجوا ( معالم التنزيل )  
روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام : إذا مات  
للؤمن حلم روحه حول داره شهرا ، فينظر إلى من خلفه من عياله كيف يقسم ماله وكيف  
يؤدى ديونه ، فإذا تم شهرا رد إلى حرمه ، فيحوم حول قبره سنة وينظر من يأتيه ويدعو  
له ومن يحزن عليه ، فإذا تم سنة رفع روحه إلى حيث يجتمع فيه الأرواح إلى يوم ينفخ  
فى الصور ( بهجة الأنوار ) . سئل أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه : أى ذنب أخوف  
يلبسه الإيمان ؟ قال ترك الشكر لله على الإيمان ، وترك خوف سوء الخاتمة وظلم العباد  
( كنز الأخبار ) ويرسل الله تعالى إليه بعد موته عند حمل الجنازة أربعة ملائكة ، فإذا أتوا  
على رأس قبره نادى أحدهم انقضت الآجال واخطت الآمال ، ونادى الثانى ذهبت الأموال  
وبقيت الأعمال ، ونادى الثالث زالت الأشغال وبقي الوبال ، ونادى الرابع طوبى لك إن  
كان مطعمك من الحلال وكنت متخولا بخدمة ذى الجلال ( بهجة الأنوار ) . وحكى أن  
سليمان عليه الصلاة والسلام لما وضع عليه فى دنياه وحكم الانس والجن والوحوش والطيور  
وحكم الرياح عزت نفسه فاستأذن ربه فقال : يا رب ائذن لى حتى أعطى رزق كل مرزوق  
سنة كاملة ، فأوحى الله تعالى إليه إنك لا تستطيع ، فقال إلهى ائذن لى يوما ، فأذن له  
الله يوما ، فأمر سليمان عليه الصلاة والسلام الانس والجن أن يأتوا بجميع من فى الأرض ،

وأمر أن يطبخ ما يطبخ وأن يحضر ما يحضر ، فطبخ وحضر أربعين يوما ، ثم أمر الصبا أن لا تهب على الماء كولات حتى لا تفسد الطعام ، وأمر أن يصفى الطعام في صهراد واسعة ، فكان طوله الساط مسيرة شهر وقس عليه عمره ، ثم أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه الصلاة والسلام : بمن تبدى من المخوفات ؟ قال يسكن البر والبحر ، فأمر الله تعالى من مكان البحر المحيط حوتا بأن يأتي دعوة سليمان ، فرفع الحوت رأسه وتقدم نحو الساط وقال : يا سليمان قد جعل الله وزقي فري هذا اليوم عليك ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : دونك الطعام ، فابتدا لما تم لحظة حتى ابتلع ذلك الزاد كله ، ثم نادى يا سليمان أخبني فاني جائع ، فقال أما خبعت ؟ قال إلى الآن ما خبعت ، فعد ذلك خبر ساجدا وقال : سبحان من تكمل برزقي كل مذبذوق من حيث لا يشعر ( بنوح الأعرار ) وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأله نعمة فقال : كم رزقك في السنة ؟ قالت حبة من حنطة ، فجعل سليمان عليه الصلاة والسلام الملكة في قارورة ووضع معها حبة من حنطة وبعد رأسها ، فلما تمت السنة فتح فم القارورة فإذا الملكة أكلت نصف الحبة ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : لماذا لم تأكل نصفها الآخر ؟ قالت لأن توكلني كان على الله ، فأكل الحبة لأنه لا ينساني ، فلما صار توكلني عليك في القارورة تركت نصفها وقلت إن نسبي في هذه السنة أكلت النصف الآخر في السنة الآتية ( رجعية ) وفي الخبر : إذا أخذ العبد في التزح ينادى ملك الموت دعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الروح الصلوة فالدعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الخلقوم جاءه نداء دعه حتى يودع الأعضاء نفسها بضا ، فتودع العين العين تقول السلام عليكم إلى يوم القيامة ، وكذلك الأذنان واليدان والرجلان ، ويودع الروح النفس ، فتعوذ بالله تعالى من وداع الإيمان اللسان للفرقة والجنان ؛ فبقى البدان بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعينان لا نظر لهما والأذنان لا سمع لهما والبدن لا روح له ولو بقي القلب بلا معرفة فكيف حال العبد في اللحد ، لا يرى أحدا ولا أمه ولا أولادا ولا أصحابا ولا فرائها ولا إخوانا ولا حجابا ، فلو لم يربها كرمها قد خسر خسرانا عظيما ( زهرة الرياض ) وفي الخبر أيضا : إن ملك الموت إذا أراد قبض الروح يقول العبد لا أعطيك ما لم تؤمر به ، فيقول ملك الموت أمرني ربى بذلك ، ويطلب الروح منه العلامة والبرهان ، فتقول الروح : إن ربى خلقني وأدخلني في جسدي ولم تكن عند ذلك معي ، فالآن تريد أن تأخذني فيرجع ملك الموت إلى الله تعالى ويقول : إن هبلك فلانا يقول كذا وكذا ويطلب البرهان ، فيقول الله تعالى صدق روح عبدي ، يا ملك الموت اذهب إلى الجنة خذ نضاجة عليها علامتي وأرها روحه ، فيذهب ملك الموت ويأخذها وعليها مبعثوب : بسم الله الرحمن الرحيم فبهره لهاها ، طاردا رآها روح العبد يخرج مع النشاط ( زهرة الرياض )

روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : لا يخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة ، فلا ينظر إلى أبيه ولا إلى أولاده عند ذلك من عشق ذلك المكان ، ولا يخرج روح المنافق حتى يرى مكانه في النار ، فلا ينظر إلى أولاده ولا أبيه من فرح ذلك المكان ؛ قيل يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والمنافق مكانه في النار؟ قال إن الله تعالى خلق جبرائيل عليه الصلاة والسلام في أحسن صورة وله مائة ألف وأربعة وعشرون ألف جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أحضران مثل جناح الطاوس إذا نشر جناحا من تلك الأجسة بلاء ما بين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور والقصور والدرجات والخدام ، وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة النار وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والثرمانية ، وإذا جاء أجل واحد يدخل الفوج من ثلاثمائة مروه ويصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثاني فيصرون روحه من ركبتيه إلى بطنه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثالث ، فيصرون روحه من بطنه إلى صدره ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الرابع ، فيصرون روحه من صدره إلى الحلقوم ، وعند ذلك يكون وقت التزعم ، فإذا كان مؤمنا ينشر جبرائيل عليه الصلاة والسلام جناحه الأيمن فيرى مكانه في الجنة فيعشق ، ولا ينظر إلى أبيه ولا إلى أولاده من عشق ذلك المكان فيصعب بصره إليه ، وإن كان منافقا ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه في النار ، ولا ينظر إلى أبيه ولا إلى أولاده من فرح ذلك المكان فينصب بصره إليه ، فطسوي لمن كان قبره روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران ، ( روضة الرياض في دحكر نداء الروح بعد الخروج من البدن ) وفي الخبر : أنه إذا لم يرق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أتملت الدنيا أم الدنيا قتلتك ؟ وإذا وضع على اللقفل نودي بثلاث صيحات : يا ابن آدم أين بدنك القوي ما أضحك وأين لسانك القصيح ما أسكتك وأين أذنك السامعة ما أصمك ، وأين أحباؤك الخلس ما أوحشك ؟ وإذا وضع في العسكفن نودي من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم طوبى لك إن حبك رضوان الله والويل لك إن حبك سخط الله ، يا ابن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان والويل لك إن كان مأواه النيران ، يا ابن آدم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلتك فلا ترجع إليه أبد الآباء ، وتسير إلى بيت الأهوال وإذا حمل على الجنازة نودي من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم طوبى لك إن كان عملك خيرا ، وطوبى لك إذا صحت تابيا ، وطوبى لك إن كنت مطيعا لله ؟ وإذا وضع للعلاء نودي من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة ، فإن كان عملك خيرا تراه خيرا ، وإن كان عملك شرا تراه شرا ؛ وإذا

وضعت الجنازة على صغير القبر نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب ؟ وما حملت من الثنى لهذا القفر وما حملت من الثور لحمله الظلة ؟ وإذا وضع في البعد نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم كنت على ظهري ضاحكا فصررت في بطنى باكيا ، وكنت على ظهري فرحا فصررت في بطنى حزينا ، وكنت على ظهري ناطقا فصررت في بطنى صامتا ؟ وإذا أدير الناس عنه يقول الله تعالى : يا عبيد بقيت فريدا وحيدا وتركوك في ظلمة القبر وقد صيبنى لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أشقى عليك من الوالدة بولدها « كذا في دقائق الأخبار ، عليك بمضمونه جون تلك النصارى تكن في دابر السلام رفيق الأبرار ( كل نفس دافئة الموت ) أى واجدة مرارة الموت ، ومنجوعة فمص للفارقة كما يجد اللائق ذوق الذوق ، وهذا مبنى على أن النوى يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الرافض . وقال بعضهم : أصل النوى بالتم فيا يقل تناوله ، فالنوى إذن أن النفوس تهلك بملابسة جزء من الموت . واعلم أن للإنسان روحا وجسدا وبخارا لطيفا يتنحها هو الروح الحيوانى ، أما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذى يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة ، وعند انطفائه وخروجه من الصلاحية تزول الحياة وبخار الروح البدن ، مفارقة اضطرارية وهو الموت المصورى ، ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام ( ثم إلينا ) أى إلى حكمنا وجزائنا ( ترجعون ) من الرجوع وهو الرد : أى تردون ؟ فن كانت هذه طاقته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هينة ، هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض العاصى والبدع وهو لا يقدر على تغييرها ولتغ منها فيهاجر إلى أرض الطيعين من أرض الله الواسعة ( من روح البيان ) .

### المجلس الستون : في بيان فضيلة ليلة البراءة

سورة المدخل — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( حم والكتاب للبين ) أى القرآن ، والواد للعطب إن كان حم مقصوده وإلا فالتقسيم والجواب قوله ( إنا أنزلناه في ليلة مباركة ) في ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، ثم أنزل على الرسول نجوما في ثلاث وعشرين سنة وبركتها فذلك كان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية ، أولا فيها من نزول اللائكة والرحمة وإجابة الدعوة ونسمة العمة وفصل الأفضية ( إنا كما منكرين ) استئناف يبين للتغنى للازال وكذلك قوله ( فيها يفرق كل أمر حكيم ) لأن كونها مفرق الأمور المحسكة أو التلبسة بالحكمة يستلزم أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظامها ( قاضى يضاهى ) .

قال النبي عليه الصلاة والسلام « من نسي الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » ، وإنما أراد

بالنسيان الترتيب ، وإذا كان التارك يحطى طريق الجنة كان الصلى عليه سالكاً إلى الجنة الحديث .  
 وقال قتادة إن حم اسم من أسماء القرآن ، ويقال اسم من أسماء الله تعالى ، ويقال قسم أقسم الله تعالى به ، ويقال معناه قضى ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ويقال الحاء ، مفتاح كل اسم أوله حاء كالحكيم والحليم ، والهم مالى أوله ميم من الأسماء كالتين والتك والهمين . وفى تفسير أبي الليث ( حم ) يا محمد بحق الحى القيوم ( والكتاب للين ) بحق القرآن القارى بين الحق والباطل انتهى ( إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ) أى فى ليلة القدر أو البراءة . قال صاحب الكتاب ( فى ليلة مباركة ) ليلة القدر . وقيل ليلة النصف من شعبان ( إنا كنا منذرين ) مع ما يمد به خبر لجواب القسم : أى أنزلنا إنذارنا وتهديدنا للكافرين من العذاب والعقاب ( فيها يفرق ) أى فى ليلة القدر أو البراءة يغسل ويكتب ( كل أمر حكيم ) أى محكوم يرفعه من خبره وشر ووزق وأحل وكل ما هو كائن من هذه الليلة إلى الليلة الأخرى من السنة القابلة ( شيع زاده ) قوله : إن كان حم مقبلاً به فيكون حم مجرور المحل بإضمار حرف القسم ولا يجوز أن يكون منصوباً بحذف الجار وإرسال الفعل إليه لأنهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار وإضماره إن للضمير لا يكون مذكوراً لفظاً ، ولكن يكون أثره باقياً فى الكلام والمخدوف هو للتذكير أصلاً لبقاء له لا يحجب لفظه ولا بحسب أثره ، وههنا أثر الجار قائم فى حم شهادة للمخدوف عليه وهو الكتاب ( شيع زاده ) قوله : وإلا فلقسم أى وإن لم يكن حم مقبلاً بها سواء جعلت تعديداً للحروف أو لمسا للرسالة مرفوع المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف ( شيع زاده ) وإنما سميت براءة لأن الله تعالى يعطى فى هذه الليلة للأعمى والأشقياء براءة من الجنة كما قال الله تعالى ( براءة من الله ورسوله ) ويعطى للأمنى والأتقياء براءة من النار ، وفيها يرفع عمل الأرض من السنة إلى السنة ، وفيها يفرق الأرزاق كما قال الله تعالى ( فيها يفرق كل أمر حكيم ) وعن طى كرم الله وجهه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان قوموا ليلىها وسوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فى تلك الساعة إلى سماء الدنيا عند غروب الشمس فيقول : هل من سائل فأعطيه سؤاله وهل من مستغفر فأعفروه وهل من مستزقي فأرزقه ؟ حتى يطلع النجى » ( مجالس روى ) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب والإخلاص خمس مرات أنزل الله تعالى عليه خمسمائة ألف ملك مع كل ملك دفتر من نور يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « والذى بطنى بالحق نبيا من صلى فى هذه الليلة يعطى من ثواب النبيين والرسل والملوك والناس أجمعين » ( مشكلة الأنوار ) روى عن أبي نصر بن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما كانت الليلة الثالثة عشرة من

هسان أُمّاتي جبرائيل ، فقال يا محمد قم فقد جاء وقت التهجد لتسأل مرادك في أمّتك ، ففعل عليه الصلاة والسلام ، فأثناء عند انتحار المصبح فقال : يا محمد إن الله تعالى قد وهب لك ثلث أمّتك ، فبكى عليه الصلاة والسلام ، وقال يا جبرائيل أخبرني عن التثنية الباقيين ، فقال لا أدري ، فأثناء الليلة الثانية وقال : يا محمد قم فتهجد فضل عليه الصلاة والسلام ، فأثناء عند الفجر وقال : يا محمد قد وهب الله لك ثلثي أمّتك ؛ فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا جبرائيل أخبرني عن الثلث الباقي ، فقال لا أدري ، ثم أثناء ليلة البراءة فقال : يا محمد البشارة لك ، فإن الله تعالى قد وهب لك جميع أمّتك بمن لا يشرك بالله شيئا ، ثم قال جبرائيل عليه السلام : يا محمد ارفع رأسك إلى السماء فانظر ماذا ترى ، فنظر النبي عليه الصلاة والسلام فإذا أبواب السموات مفتوحة ولللائكة من سماء الدنيا إلى العرش في السجود يستغفرون لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعلى كل باب سماء ملك ، فعلى باب الأولى ملك ينادي طوبى لمن يركع في هذه الليلة ، وعلى باب الثانية ملك ينادي طوبى لمن يسجد في هذه الليلة ، وعلى باب الثالثة ملك ينادي طوبى للذاكرين في هذه الليلة ، وعلى باب الرابعة ملك ينادي طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة ، وعلى باب الخامسة ملك ينادي طوبى لمن مكن من خشية الله تعالى في هذه الليلة ، وعلى باب السادسة ملك ينادي طوبى لمن عمل خيرا في هذه الليلة ، وعلى باب السابعة ملك ينادي طوبى لمن قرأ القرآن في هذه الليلة ، ثم ينادي ذلك الملك ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ وهل من داع فيستجاب له دعاؤه ؟ وهل من تائب فيتاب عليه ؟ وهل من مستغفر فيغفر له ؟ وقال النبي عليه الصلاة والسلام « أبواب الرحمة مفتوحة على أمتي من أول الليل إلى طلوع الفجر ، فإن الله تعالى يتنق من النار في هذه الليلة أكثر من عدد شعر غنم لقينة بنى كلب » ( زبدة الواعظين ) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت « كنت تأتني مع النبي عليه الصلاة والسلام فانتهت لما وجدت النبي عليه الصلاة والسلام ، وصرت متعيرة فظننت أنه رجع إلى بعض نسائه في نومي ، فطلبته في بيوتهم فلم أجده ، ثم جئت منزل فاطمة رضي الله عنها فصرخت الباب ، فتودى من على الباب ؟ فقلت أنا عائشة جئت هنا في هذا الوقت لطلب النبي عليه الصلاة والسلام ، فخرج علي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين ، فقلت أين نطلب النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قالوا : نطلبه في الساجد فطلبناه لما وجدناه ، فقال علي : ماذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلا إلى قمع الفرقد ، فبحثنا إلى المأتم فإذا نور يسطع في القبرة ، فقال علي رضي الله تعالى عنه : ماذاك إلا نور النبي عليه الصلاة والسلام ، فبحثنا فرأيناه ساجدا وهو يبكي ولا يشعر به أحد قط ويتفرع ويقول في سجوده : إن كذبهم قاتهم عبادك وإن قضر لهم قاتك أنت العزيز الحكيم ، فلما رآه فاطمة وقفت على رأسه ورفعت وجهه من الأرض فقالت



يا أي ماذا أصابك أعدو تخضر أم وحى نزل ؟ قال : يا فاطمة ما حضر المدو وما نزل الوحي ولكن هذه الليلة البراءة أطلب من الله تعالى ، وقال يا عائشة : لو قامت القيامة فأنا أكون شاجدا وأطلب من ربي وأعفف ، ثم قال رسول الله عليه الصلوات والسلام : إن أردتم رضى فاسجدوا وأعينوني بالسواء والتضرع وقالوا على : اسجد أنت واطلب الرجال ويا فاطمة ويا عائشة اسجدا أنتما واطلبا الصبيان والنساء ، فسجدوا وبكوا إلى اتجار الصبح ، يا أهل المجلس أتم أولى بالتضرع لأن ذنوبكم أكثر فاتهم يكون لأجلكم فأولى أن تبكوا على أنفسكم ( روضة العلماء ) . هذا دعاء البراءة : اللهم إن كنت كتبت اسمي سيدا في ديوان السعداء فأثبتته فأنك قلت في كتابك الكريم السعداء ، وإن كنت كتبت اسمي سيدا في ديوان السعداء فأثبتته فأنك قلت في كتابك الكريم ( يحول الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) ( كذا في على القارى عليه رحمة البارئ ) وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فينزل أكثر من عدد شعركم ليلة بنى كعب » وإنما خصها لأنها أكثر شرا وغنا من سائر القبائل . والمعنى أنه تعالى يحول في تلك الليلة صفة الجلال القسنية لقهر المدو والانتقام من العصاة إلى صفة الجلال القسنية للرحمة وللنصرة ، وإنما حمل لفظ الحديث على هذا المعنى ، لأن النزول والصمود والحركة والسكون لما كانت من صفات الأجسام للتحيرة ، وقد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية أن الله تعالى منزّه عن الجسم والتحيز امتنع النزول والصمود من موضع أعلى إلى ما هو أسفل منه ، فيكون المعنى على ما ذكره أهل الحق هو نزول رحمته تعالى على عباده وإجابة دعوتهم وقبول توبتهم ( شرح ) وعن عبد الله بن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « خمسة أوقات لا يرد فيها الدعاء : ليلة الجمعة وليلة العشر من المحرم وليلة النصف من شعبان وليلة العيدين » ( زبدة الواعظين ) ، حكى أن عيسى عليه السلام كان سائحا فنظر إلى جبل عال قصده ، فإذا هو بصخرة في ذروة الجبل أشدّينا من اللبن فطاف حولها وتسبب من حسنها ؟ فأوحى الله إليه : يا عيسى أحب أن أئين لك أحب من هذا ؟ قال عيسى عليه السلام نعم ، فأنزلت الصخرة فإذا هو بشيخ لها عليه مدرعة من الشعر وبين يديه عكازة ويده عنب وهو قائم يصل ، فتسبب عيسى عليه السلام ، فقال يا شيخ ما هذا الذي أرى ؟ قال : رزقي في كل يوم ، فقال له منذ كم سنة تعبد في هذه الصخرة ؟ قال منذ أربعمائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : يا إلهي أخلقت خلقا أفضل من هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لو أن رجلا من أمة محمد أدرك شهر شعبان فسلم ليلة النصف صلاة البراءة لمي أفضل عندي من عبادة عبدي هذا أربعمائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : ليتني كنت من أمة محمد ( زهرة الرضا ) ، عن أن هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي

عليه الصلاة والسلام أنه قال : أتاني جبرائيل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال : يا محمد هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الجنة فقل وارفع رأسك ويدك إلى السماء ، قلت يا جبرائيل ما هذه الليلة ؟ قال هذه ليلة يفتح فيها ثلثة أبواب من الرحمة والغفرة فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك بالله إلا من كان ساحرا أو كافرا أو مشاهدا أو مدمن خمر أو مصرا على الزنا أو على الربا أو عاقا لوالديه أو ناعما أو قاطع رحم ، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا أو يتركوا ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام فقل وبكى في سجوده وهو يقول أعوذ بك من عقابك ومسخك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ( رتبة المجالس ) . وقيل فضل الله الشجر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض ، لتباعد النفوس وتمازج القلوب إلى احترامها وتنشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ، ويرغب الخلق في فضائلها . وأما تضاعف الحسنات في بعضها ، فمن الواجب اللذين والاختصاصات الربانية ( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) قال القائلاني في شرح التاية : كما أن شرف الأرملة وقصبتها يحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته ، فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والقاصد الباعثة ، وشرف النية في العمل أن يؤدي للمحبيب ويكون خالما لوجهه غير مشوب بغير آخر . قال عمر بن القارظ قدس سره :

وعندي عيدي كل يوم أرى به جمال هيئتها بسين قرية  
وكل الليالي ليلة القدر إن دنت كما كل أيام القدا يوم جمعة  
( من روح البیان )

### المجلس الحادى والستون : فى بيان يوم القيامة وحسابها

سورة الحاتية — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( وترى كل أمة جالية ) جتمعة من الجنوة وهى الجماعة أو بركة مستوفرة على الركب وترى جادية : أى جالة على أطراف الأصابع لاستيفازم ( كل أمة تدعى إلى كتابها ) صحيفة أعمالها ، وقرأ يقوب كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان ( اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) محول على القول ( هذا كتابنا ) أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه ، لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا بها أعمالهم ( ينطق عليكم بالحق ) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ( إنا كنا نستنسخ ) نستكتب لللائكة ( ما كنتم تعملون ) أعمالكم ( قاضى يضاوى ) .

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : إن الله تعالى وعدنى إذا مت أن يسمنى صلاة منب صلى على وأنا فى المدينة

وأمر في مشارق الأرض ومغاربها ، وقال : يا أبا أمانة إن الله تعالى يجعل الدنيا كلها في قبري ،  
وجميع ما خلق الله أممه وأنظر إليه ، فكل من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا . ومن  
صلى على عشرا صلى الله عليه مائة » ( قوله جاية ) أي مجتمعوا بركة مستوفزة على الركب ،  
يقال مستوفز في قعدة إذا قصد تعودا متصاهير مطمئن ( شيخ زاده ) وقيل الجنو جلوس على  
الركب حلة الخاصم بين يدي الحاكم ، وذلك لأنها خاتمة فلا مطمئن في جلسها ( شيخ زاده )  
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال ، « إذا كان يوم القيامة ، وجمع الخلائق في صعيد  
واحد جنهم وإنسهم والأمم جيا صفوا ، فيأدى مناد ستطون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقيم  
الحادون الله على كل حال ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثانيا ستطون اليوم من أصحاب  
الكرم ، ليقيم الذين تجبأ في جنوبهم عن الضاحج يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ،  
فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثالثا ستطون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقيم  
الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فيقومون فيسرحون  
إلى الجنة ، فإذا أخذ هؤلاء الثلاث منازلهم وذهبوا إلى الجنة ، خرج عتق من النار وأشرفه  
على الخلائق وله عيتان بصيرتان ولسان فصيح فيقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار  
عبيد فينتظمهم من الصفوف لقط الطير جب السسم فيختس بهم في جهنم ، ثم يخرج  
ثانية فيقول : إني وكلت بمن آذى الله ورسوله ، فينتظمهم من الصفوف فيختس بهم  
في جهنم ، ثم يخرج ثالثة . قال أبو التهاج : حسبت أنه قال وكلت بأصحاب التصاوير  
فينتظمهم من الصفوف فيختس بهم في جهنم ، فإذا أخذ من هؤلاء الثلاث نشرت الصحف  
وصب اليزان ودعيت الخلائق إلى الحساب » ( تبيينه الناقلين ) وذهب أكثر المفسرين  
إلى أن هذا الاستخار من اللوح المحفوظ يستفح لللائكة كل عام ما يكون من أعمال  
بنى آدم ، فيحسبون ذلك موافقا لما يسمونه . قالوا : والاستخار لا يكون إلا من أصل وهو  
أن يستنسخ كتاب من كتاب ( وسيط ) ويقال الشهداء على الناس سبعة : الأول لللائكة  
قوله الله تعالى ( ولللائكة يشهدون ) والثاني الأرض لقوله تعالى ( وقد الإنسان ما لها  
يومئذ تحدث أخبارها ) والثالث الزمان كما قال في الخبر « ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا  
على ما نعمل شهيد » والرابع اللسان لقوله تعالى ( يوم تشهد عليهم ألسنتهم ) الآية . والخامس  
الأركان لقوله تعالى ( اليوم نختم على ألواحهم ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا  
يكسبون ) والسادس للكتابان لقوله تعالى ( وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين  
يلامون ما تعملون ) والسابع الديوان لقوله تعالى ( هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ) فكيف  
يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهداء . وعن عمرو بن العاص رضي

الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل ؟ قال فيقوم أناس وهم يسرون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون ما كان فضلكم ؟ فيقولون إذا ظننا صبرنا وإذا أسئنا إلينا عطونا ، فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجرا العاملين ، ثم نادى للمنادى أين أهل الصبر ؟ فيقوم أناس منهم يسرون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقولون ما كان صبركم ؟ فيقولون كنا نصبر على مصيبة الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم نادى أين المتحابون في الله ، فيقوم أناس منهم يسرون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة ، فمن أنتم ؟ فيقولون نحن المتحابون في الله ، فيقولون ما كان تحايكم ؟ فيقولون كنا نتحاب في الله وتبادل في الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة . وقال عليه الصلاة والسلام : « وضح لليزان للحساب بعد دخول هؤلاء الجنة » .

واعلم أن كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة ، فله اليسر ومنه الصعوبة ومنه السهولة ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل ويكون للمؤمن والكافر والإس والجن إلا من ورد الحديث باستثنائهم ، وقال القاضي : لم أقف في حساب الأطفال والمجانين وأهل الفترة على نص صريح . وصحاب الوقف البعث ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض : أي تميز كل نبي بأمنه ثم تطاير الصحف ثم أخذها بالإيمان والتمثيل ثم السؤال والحساب ثم اليزان ، وإذا جمع الله الخلائق في العرصات وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كتنطير الثلج ، وينادى المنادى من قبل الرحمن : يا فلان خذ كتابك يمينك ويا فلان خذ كتابك جمالك ، ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك ، فلا يجدر أحد أن يأخذ كتابه يمينه إلا الأتقياء يعطون كتبهم يمينهم والأتقياء جبالهم والكفار من وراء ظهورهم . وكذلك الناس في المحاسبة على ثلاث طبقات : طبقة يحاسبون حسابا يسيرا ، وهم الأتقياء . وطبقة يحاسبون حسابا شديدا ثم يهلكون ، وهم الكفار . وطبقة يحاسبون ويناقشون ثم ينجون ، وهم الصاة . وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا تزول قنما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأل عن أربعة أشياء : عن عمره فبم أنفاه ، وعن جسده فبم أملاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق » ، ويسأل عما في كتابه ، فإذا بلغ آخر الكتاب يقول الله تعالى : يا عبدى أعملت هذا كله أم ملأته رادوا عليك في كتابك ؟ فيقول لا يا رب ولكن عملت ذلك كله ، فيقول الله تعالى : أنا الذي سترتها في الدنيا عليك وأنا أفضرها لك اليوم ، اذهب فإني قد غفرت لك . هذا حال من يناقش في الحساب ثم ينجو بفضل تعالى .

ومما يجب اعتقاده أن الله تعالى ملائكة يكتبون أعمال المباديين خير وشر هؤلاء وجدوا خطا ونسيانا في الصلة والمرض حتى أتيتهم وأخافهم فيه والحمد مؤمنا كان أو كافرا . روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحدثنا عن أخبار بني إسرائيل والأمم الماضية ، ثم قال في آخر حديثه : يا علي إن جبرائيل أرسله الله تعالى يخبرني عن أحوال أمي ، فقال يا محمد إن في أمك رجلا يقفون في الحساب بين يدي الله تعالى ثم يتكلمون معه كما يتكلم الخصم مع خصمه ، قلت يا أخى يا جبرائيل فهل يفتد أحد على ذلك ؟ فقال نعم يا رسول الله ، قلت أعني بهم يا أخى يا جبرائيل ، فقال هؤلاء يطول شرحهم حتى أستأذن ربى وآتى إليك ، فغاب عن ساعة ثم أقبل وهو يضحك ، قلت : ملاصحتك يا أخى يا جبرائيل ؟ فقال يا محمد قد وقع لي في هذه الساعة مكايات محبة ، قلت ما هي ؟ فقال الحكاية الأولى التي وعدتك بها يا رسول الله ، فاعلم يا محمد إذا كان يوم القيامة يسطى الله كل أحد كتابه ، فيأخذ ذلك العبد كتابه فينظر إليه ويقرؤه ويرى ما فيه من خير وشر ، ثم يقول الله تعالى يا عبدي أترأت كتابك فيقول نعم ، ولكن هذا الذي في كتابي ما علمته قط ، فيقول الله تعالى : يا عبدي أغيرك صممه ؟ فيقول يا رب لا أدري ، فيقول إن كراما كاتبين أحصوه عليك وأنت متغافل ، فيقول يا رب إن الملائكة الكاتبين هم عبيدك يقولون ماشاؤا ولا يتركونك معي فإن كان ولا بد قامت الحكم العدل لا تأخذ إلا بالبينة ، فيقول الله تعالى يا عبدي ومن شهد عليك وكلهم عبيدي وأنت اختصمت الملائكة للكرام وكتائبهم ؟ فيقول نعم يا رب لا أقبل شهودا على الإمامي ، فيقول الله تعالى وإذا أثبتت بالبينة منك أتقبل وتعرف ؟ فيقول العبد نعم يا رب ، فيقول الله تعالى للسان : بقدرتي أنطق ولا تنقل إلا حقا ، فإن هذا يوم يموت فيه الباطل ، فيسطق اللسان بكل ما عمل في دار الدنيا من القبيح والحسن ، فيقول العبد : إلهي وسيدى ومولاى أنت تعلم أنى لا حكم لي على اللسان وهو من طبعه أنه لا يزال ناطقا ولا أقبل شهادة ذلك فإنه كان عدوى لي الدنيا ، وجميع ما وقع لي من الآثام وقع بسببه ، وقد قال رسولاك أخبرا عنه : اللسان عدا وإنسان ، وأنت تهجم بالعدل لا تقبل شهادة العدو على عدوه ، فيقول الله لي عليك غير منبك لما تقول ؟ فيقول ذلك السد لأنكم بعد ذلك يا رب ، يقول الله ليديه ؟ انطلقا معاضل عبيدى ، فتطلقان بكل ما فعل بهما وجهدهان ، فيقول ذلك العبد : إلهي وسيدى ومولاى إنك أرسلت إلينا رسولا فشرع فينا شرعا فاتبناه بأذنك حتى قلت : من يطلع الرسول فقد أطلع الله ، فيقول الله تعالى : يا عبدي وما شرع رسولى ؟ فيقول : قد قال الشاهد الواحد في البيعة لا يكتفى واليدان شاهد واحد فلا يكتفى وبقي الشاهد الثانى ، فيقول الله وإذا شهد عليك الشاهد الثانى أتم وتعرف ؟ فيقول ذلك السد نعم ، فيقول الله للأرجل : ما تقولين

انطق بما فعل البعد والشهدى بالحق ، فنطق بقدره الله وتقول : إنه مشى وعمل من حسن  
 وتيسر وتسهل بكل ما فعل ، فليفت ذلك البعد وهو متعبر إلى أعضائه ومعاتبهم وتقول : وأعضائي  
 ملأوا غيركم بل أنا أتم وأتم أنا ، وإنما أنزع ربي لأجلكم لما رأيت أجهل منكم أدفع عنكم وأتم  
 تطعمون أنفسكم إلى النار ؟ فيقولون : أنت نسبتنا إلى الجهل والتقصير وما رأينا أجهل منك ،  
 إنما نحن مأمورون أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، ثم يصير ذلك البعد حائرا باهتا خبيلا ، ليأمر  
 الله تعالى الثبانية أن يسميوا ذلك البعد ، فيقول يارب أين رحمتك وأنت أرحم الرحمن ؟ فيقول  
 الله تعالى هي لمسلم ، فلو وقع الاعتراف منك حصل الاتصاف ، فيقول يارب إني متضرع ومترفع  
 ولكن خوف النار ألباني إلى ذلك ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي امضوا ببدي إلى الجنة ،  
 فإن قد غفرت له وغفوت عنه ، فيمضون به إلى الجنة وتقول تلك للملائكة ( وكان الإنسان  
 أكثر شئ جدلا ) يا عبد الله دخلت في رحمتي ( لدخلوها بسلام آمنين ) « هذه مكالمة تجري بين  
 مع النبي عليه الصلاة والسلام ، وقيل ( لتتنسخ ) أي تأخذ بسخته ، وذلك أن للملكين برضا  
 عمل الإنسان ، فيثبت الله سبحانه وتعالى منه ما كان له فيه ثوب أو عليه فيه عقاب وي طرح منه  
 القوم نحو قولهم هلم واذهب ، كذا في معالم التنزيل ( سنائية ) .

## المجلس الثاني والستون : في ذم حاق الوالدين وفضيلة برهما

سورة الأحقاف — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ) أي إصاء حسنا ( حملته أمه كرها ووضعته كرها ) ذات  
 كره أو حملا ذا كرم وهو الشقة ( وحمله وفصاله ) ومدة حمله وفصاله ، واتصاله القطام . وللرأفة  
 الرضاع التام للنهي به ، ولذلك خبر به كما يبر بالأمد عن اللدة ( ثلاثون شهرا ) كل ذلك بيان  
 لما تكابد الأم في تربية الولد بمبالغة في التوسية بها ( حتى إذا بلغ أشده ) إذا اكتمل واستحكم  
 قوته وعقله ( وبلغ أربعين سنة ) قيل لم يمت في إلا بعد أربعين ( قال رب أوزعني ) الهني  
 وأمله أولني من أوزعته بكنا ( أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ) يعني نعمته الذين  
 أو ما يسميها وظيفها ( وأن أعمل صالحا رضوا ) نكره لتعظيم أولائه أرادوها من الجلس يستجلب  
 رضا الله عن وجل ( وأصلح لي في ذريتي ) واجعل لي انصلاح ساريا في ذريتي واسعا فيهم ( إنه  
 ثبت إليك ) عما لا ترضاه أو يشغل عنك ( وإلى من للسلي ) المخلصين لك ( قاصي يصاصي ) .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام  
 « إذا كانت ليلة الجمعة يأتي قبري ألف ملك لزيارتي ، فإذا قرأوا الزيارة يسبحون في مشارق  
 الأرض ومزاربها ، فكل من سمعهم يصلي على ذهاب بصلاته حتى يضعوها تحت العرش ،

فيقولون يا ربنا هذه صلاة فلان ابن فلان ، فيقول الله تعالى إني صليت عليه أمثاله ، المجهول بها إلى جبرائيل يضعها عنده حتى تأتي صاحبها يوم القيامة ، وسأعطها في ميزان ذلك للعمل وتأتي لك الصلاة فيرجع بها للميزان ويضعها إلى الجنة ( موعظة ) قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ودعاهم وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين منهم والأصهار أسلم هو ووالدهاء وبشوه وبنته غير أبي بكر رضي الله عنه ( من للدائر ) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول وأنا بصرى ممن لم يؤد حق والديه ، قطعت يارسل الله فان لم يكن معصياً ، فلا إذا سمع قولهما فليقل سمعا وطاعة ، ولا يقتل لهما أب ولا ينهرهما وليقل لهما قولا كريما ، أو كما قال . وروى : أنه جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله أوصني بوصية أتضع بها في الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام : وهل لك والله ووالدة ؟ فقال نعم ، قال إذا أدبت حقهما وأطعتهما لك بكل لقمة قصر في الجنة ، صدق رسول الله . وجاء رجل أيضا قال : يا رسول الله إنني والله أتفق عليها وهي تؤذي بلسانها فكيف أصنع ؟ قال عليه الصلاة والسلام : وأد حقهما فلو قطعتم لحنك ما أدبت ربيع حقهما أما علمت أن الجنة تحت أقدام الأمهات ؟ فسكت الرجل وقالوا الله لا أقول لها شيئا ، ثم أتى الرجل والدته وقبل قدميها وقال يا والدتي بذلك أمرني رسول الله . وذكر النبي عليه السلام والسلام حديثا طويلا وقال في آخره « والتمسوا بحق نبيي ما من عبد رزقه الله مالا ثم بر والدته إلا كان معي في الجنة » فقال رجل يا رسول الله فإن لم يكن له والدته في الدنيا فما يفعل ؟ قال يتصدق عنهما بالطعام والقرآن أو بالدعاء فإن تركها فقد عتقها ومن عتقها فقد عصى ، وقال ما من عبد وصل القرينة ، ودعا لوالديه بالخبرة إلا استجاب الله تعالى له دعاءه وغفر له بركة دعائه لما ولو كانا لاسقين ( موعظة ) وعن أبي ذر الثمالي رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من مشى لزيارة والديه كتب الله تعالى له بكل خطوة مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة ، فإذا جلس بين يديهما وتكلم معهما بطيب الكلام أعطاه الله تعالى يوم القيامة ذراعى بين يديه فإذا خرج من عندهما خرج مغفورا له » وروى أنه كان في زمن عمر رضي الله عنه رجل تاجر فأتى إليه والدته يوما تطلب منه شيئا تفقه على نفسها فقالت امرأته إن والدك تريد أن تتركنا فقراء إذا كان كل يوم تطلب هكذا فبككت أمه وضمت ولم يسطها ، فبينما هو يمشي في بعض أسفاره مع التاجر إذا خرج عليه قطاع الطريق ونهبوا ما كان معه ثم أخذوا الرجل وقطعوا يديه وعلقوها في عنقه وتركوه

( ١٦ - درة الناصحين )

مطروحا مجتدلا في دمه على الطريق فر عليه قوم فحملوه إلى منزله فلما دخل عليه أقاربه قال لهم هذا جزائي فلو كنت أعطيت أمي يدي درهما ما قطعت يدي وما سلب مالي ، فأتت إليه والدته فقالت له : يا بني إني متحسرة عليك بما فعل العدو معك ، قال الرجل يا أمي هذا كله بدني إليك فأسألك الرسي ، قالت يا بني إني دسيت عنك ، فلما كان الليل أصبح الرجل وقد عادت يده كما كانت بغيره تعالى (موعظة) ، حكى أن شيخا كان مشهورا بالفضل ليوما قصد مكة وله أم لم ترض أن يسافر إلى مكة ، فلم يقتدر الشيخ على إرضائها ومضى إلى مكة فباعت أمه من خلفه وقالت يارب ابن ابني أحرقتي بنار القرقة سلط عليه عقابا وتشرعت وتناجت ، فلما بلغ الشيخ مدينة من اللدائن دخل مسجدا في الليل للعبادة ، فدخل لمس في بيت من البيوت ، فلم صاحب البيت أن في البيت لصا ، فصر الص إلى جانب المسجد ، فتقبوه فلما جاءوا إلى باب المسجد غاب الص فقالوا يل في المسجد ، فدخلوا فرأوا الشيخ قائما يصلي في الحال أخذوه طأوا به نلك للدينة ، فأمر الملك بقطع يديه ورجليه وإخراج عينيه فقطعوا يديه ورجليه وأخرجوا عينيه ونادوا في السوق هذا جزاء السارق ، فقال الشيخ لا تقولوا ذلك بل قولوا هذا جزاء من قصد طواف مكة بلا إذن أمه فلما رأوا أنه الشيخ وعلوا بهذه الحالة بكوا وجزعوا فأعادوا الشيخ إلى أمه ووضعوه على باب الصومعة وفيها تادى أمه وتقول يارب إن ابنتي ابني يلاء أعداء إلى حق أراء عنادي ، الشيخ أنا مسافر جائع فأطعمني قالت أتت إلى الباب ، قاله عالي من رجلين أمشي إليك ، قالت أمه امدد يديك ، قال مالي من يدين ، قالت أمه إن أطعمتك تحصل يني وبينك حرمة ، قال الشيخ لا تخافي مالي من عيبن ، فأخذت أمه رغيفا واحدا وماء باردا بكررت قدمت إليه ، فلما رأى الشيخ أمه وضع وجهه على قدمها وقال : أنا ابنتك العاصي ، فقلت أمه أنه ابنها وبكت قالت : يارب إذا كانت الحالة كذلك فاقبص روعي وروحه حتى لا يرى الناس سواد وجهنا ، فلم تهم للناجاة إلا وقد قبض روحهما ( من تفسير إنا عرضنا الأمانة ) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : و كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام وجماعة من الصحابة إذ أتني رجل فقال السلام عليكم ، قلنا وعليك السلام ، فقال يا رسول الله إن عبد الله بن سلام يدعوك ليودعك فإنه مريض وعلى خروج من الدنيا ، فلما سمع ذلك قام ثم قال : قوموا بنا نرور أخانا عبد الله ، ثم مضى عليه الصلاة والسلام صدر رأسه قال : يا عبد الله قل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فقالها في أذنه ثلاثة فلم يقلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال عليه الصلاة والسلام لبلال : يا بلال امض إلى امرأتك واسألها ما كان يعمل زوجها في الدنيا وما كان شغلها ، فمضى بلال رضي الله عنه وسألها



عن حميل زوجها فقالت لبلال : وحق رسول الله ما أعرف من يوم تزوجني أنه ترك الصلاة خلف رسول الله ، ولا مضى عليه يوم إلا وتصدق فيه بشيء ، إلا أن والده غدر راضية عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : اتقوني بها ، لمضى بلال إليها وقال أجبني النبي عليه الصلاة والسلام ، فقالت وما ذلك ؟ فقال ليصلح بينك وبين ربك عبد الله ، وأنه على خروج من الدنيا ، فقالت وحق رسول الله لا أمضى ولا أجعل في حل مما آذاني لأدنياء ولا أخراء ، ثم امتصت فأتى بلال إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأعلمه ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا حمير ويا علي اذهبا فاني آتي بهما ، فذهبا إليها فلما دخل عليهما قال : أيتها المجوز إنه عليه الصلاة والسلام يدعوكم ، قالت وما يريد مني وماه من حاجة ؟ قال لها لا بد أن تحضر معنا ، فثبت معهما حتى أتمته إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أيتها المجوز انظري إلى والده وما هو عليه ، فلما نظرت إليه قالت : يا ولدي والله لا أجعلك في حل من حقي لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام أيتها المجوز خف الله عز وجله واجعليه في حل ، فقالت كيف أجعله في حل وهو ضربي وطردني من بيته لأجل إفرأته فهو آذاني وعصائي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن معك على إن جعلته في حل ، فقالت أشهد يا رسول الله أنت ومن معك آتى جعلته في حل ، فقال عليه الصلاة والسلام يا عبد الله : قل أسبأ الله لا بأس به .

الله ، فرفع صوته بالشهادة ثم مات بعد ذلك فلما صلينا عليه ودفناه قال عليه الصلاة والسلام : يا محضر المسلمين ألا من كانت له والدة لم يرها خرج من الدنيا على غير الشهادة ؟ ( موعظة ) وعن أبي رضى الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ما من رجل مات والده وما غير راضين عنه إلا أخرج الله روحه على غير الشهادة ، ولا يخرج من قبره إلا على وجه مكتوب بهذا حزاء من عرق والده » وعن أبي مالك رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « ما من عبد آناه الله تعالى مالا ثم لم يؤد حق والديه إلا أخط الله عز وجل محله وأذاقه العذاب الأليم » الحديث ، روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين » كذا في الجامع الصغير ، لأنه تعالى أمر أنت بطاع الأب ويكرم لمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ، ومن أغضبه فقد أغضبه ، وهذا وعيد شديد يخبر أن العقوق كبيرة وعلم منه بالأولى أن الأم كذلك ، كذا في التيسير لأن حقها أكثر ، فلي العاقل أن يحترز عن أن يكون عاقا لوالديه اتى . قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى : لو لم يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه جرمة الوالدين ولم يوص بهما ، لكان يعرف بالفضل أن حرمتها واجبة ، وكان الواجب على العاقل أن يحرق حرمتها ويخصي حقها ويسمى في التحصيل

ومضاهما ، فكيف وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في جميع كتبه في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وقد أمر بطاعتها في جميع كتبه ، وأوحى إلى جميع الرسل وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما ، وجعل رضاه في رضا الوالدين ، وسخطه في سخطهما انتهى .  
(كذا في فضيلة الفاضلين)

### الجلس الثالث والستون : في بيان ذم سوء الظن والفتنة

سورة الحجرات - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اجنبوا كثيرا من الظن) كونوا منه على جانب وإيهام الكثير ليحاط على كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القيل ، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا فاطم فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ، وما يهزم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه فاطم ، وظن السوء بالزمينين ، وما يباح كالظن في الأمور العاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل - مستأنف للأمر ، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيمن الواو كأنه يتم الأعمال : أي يكثرها (ولا تجسسوا) ولا تبحثوا عن عورات المسلمين . وفي الحديث « ولا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله تعالى عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته » (ولا يفتن بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تشيل لما ياله الفتان من عرض للفتان على أفتى وجه مع مبالغات الاستفهام للقرر ، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق الهبة بما هو في غاية الكراهة وتجميل الاختيار بأكل لحم الإنسان وجعل للأكل أحوالاً وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريرا وتحقيرا لذلك . والمعنى إن صبح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب عما فرط منه ، والبالغة في الثواب لأنه يبلغ في قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب (فاض يضاوى) .

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « زينوا مجالسكم بالصلاة على ، ذات صلاتكم على نور لكم يوم القيامة » رواه صاحب الفردوس . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يرى وجهي ثلاثة : عاق الوالدين وتارك سنن ومن ذكرت عنده فلم يصل على » صدق من نطق . قبل سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام صم إلى رجلين خيين في السفر رجلا من قراء الصحابة لصيب متهما من طعامهما ويخدمهما في المنزل ويهيئ لهما المنزل والطعام ، فضم سلمان الفارسي إلى الرجلين للذكورين ، فنزل ذات يوم منزلا ولم يهيئ لهما شيئا ، فقال له انهب إلى رسول الله

فصله لنا فضل إدام ، فانطلق فقال أحدهما لصاحبه وقتئذ : إنظر انتهي إلى بر محمد بن  
 الشمورة بكثرة لثاء ثمارها ، فلما انتهى إلى رسول الله وبلغ الرسالة قال عليه الصلاة والسلام  
 له : كل لها إسكا قد أكلنا الإدام ، فارجع إليها . وأخبرها بما قال رسول الله ، فأبى النبي عليه  
 الصلاة والسلام وقال : ما أكلنا من إدام يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : إنى لأرى حمرة  
 اللحم في أفواهكم لا غنى بكم صاحبكم فقلت هذه الآية . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه  
 قال : قال عليه الصلاة والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو  
 قحم ذلك النورين الخلاق كلهم لو سمعهم » الحديث . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال  
 « أربعة من الجفاء : الأول أن يبول الرجل وهو قائم ، والثاني أن يمسح جبهته قبل أن يفرغ  
 من الصلاة ، والثالث أن يسمع النداء فلا يتشهد مثل ما يتشهد المؤذن ، والرابع أن  
 ذكرت صفة لا يصل على » ( سيد علي راحة ) وقال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف  
 رجل ذكرت صفة فلم يصل على » ( قاضي يضاوي ) وعن النبي عليه الصلاة والسلام  
 أنه قال « النية أشد من الزنا » قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الرجل  
 يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه ، وإنما صاحب النية فلا ينصر له حتى يفر صاحبه «  
 فظم من هذا الحديث أن النية من الكبائر . روى أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه  
 السلام : من مات تابيا من النية فهو آخر من دخل الجنة ، وموت مات مصرا عليها فهو  
 أول من دخل النار ( زبدة الواعظين ) « سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن النية فقال :  
 أن تذكر أحاك بما يكرهه ، فإن كان ذلك الشيء فيه فقد اعتبه ، وإن لم يكن ذلك  
 الشيء فيه فقد بهته » ( قاضي يضاوي ) كما روى عن عكرمة « أن امرأة طوية دخلت  
 على النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما خرجت قالت عائشة : هذه طوية التامة ، فقال  
 عليه الصلاة والسلام : القطن النية ، فلفظت مصفة من لحم ، فقالت عائشة ما قلت  
 إلا ما فيها ، قال عليه الصلاة والسلام : ذكرت قبح ما فيها « لأن النية أن تذكر أحاك  
 بما فيه ، وأما ما ليس فيه فهو البهتان ، وهو أعد من النية ، لأنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة  
 مواعين : الأول أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبتهان صدم ويقول : قد ذكرت  
 عنكم فلانا بكذا ، فاعلموا أنني قد كذبت فيه . والثاني أن يذهب إلى من قال عليه  
 البتهان ويطلب منه الاستحلال . والثالث أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ، ولما قيل  
 النية سواء ذكرت قصانا في نفسه أو بغيره أو ثوبه أو قوله أو نية أو ناسه أو شيء مما يتعلق  
 به حتى قولك إنه واسع الحكم أو طويل الدليل أو القامة كما في قصة عائشة ( زبدة الواعظين )  
 عن علاء بن الحارث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « المهازون والمهازون والشاؤون

بالنبيمة الباقون البراء الغيب يحصرهم الله يوم القيامة في وجوه الكلاب » (طريقة محمدية) عن  
 أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من مضى بالنبيمة بين اثنين سلط الله عليه في  
 قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » (موعظة) روى عن وهب بن منبه أنه قال : لما ركب نوح  
 عليه السلام السفينة أدخل معه من كل نوح زوجين حتى الكلب والهريرة ومنع الكل عن الهامة  
 فلا يتوالدوا فتضيق السفينة عليهم ، فلم يصبر الكلب فجامع ، فأراه الهرة ، فجاءت إلى نوح وأخبرته  
 عليه السلام ، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولأبيه على سيده ، ففعل ذلك مرة أخرى ، فجاءت  
 الهرة وأخبرته ، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولأبيه وأنكر الكلب ، فقالت الهرة : يا نبي الله رأيت  
 قد فعل فلان دعوت الله يظهر لك علامته وبصره بينك ، فدعا نوح عليه السلام ربه ، ثم إن الكلب  
 جلع فاشتد ذلك عليه بحيث لا يمكنه الانفصال حتى جاءت الهرة وأخبرته ، فجاء نوح عليه  
 السلام فرآهما كذلك فجلع الكلب من ذلك ، فدعا ربه فقال : يا أوب أجعل لها فيسطة  
 على رموس الخلائق وقت الجماع كما فضحتا ، فاستجاب الله تعالى دعاءه حتى إن الهرة  
 إذا جومت تصيح حتى يعلم الخلائق بصيحتها فتوبة لما كشفت ستر الكلب ، كذلك  
 ابن آدم إذا كشف ستر المؤمنين يكشف الله ستره يوم القيامة (زبدة الواعظين) .  
 عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب بني إسرائيل قحط ، فخرج موسى عليه السلام إلى  
 بالامستقاء ثلاثة أيام فلم يستقوا ، فقال موسى عليه السلام : إلهي إن عبادك قد خرجوا  
 ثلاثة أيام فلم تستجب دعاءهم ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني لا أستجيب دعاء قوم  
 فيهم رجل تمام قد أصر على النبيمة ، فقال موسى عليه السلام : يا رب من هو حق  
 تخرجه من بيتنا ، فقال الله تعالى : يا موسى أنهاكم عن النبيمة وأكون نعماً ، فتابوا  
 بأجمعهم فسقوا (زبدة الواعظين) عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال  
 « من اغتاب في عمره مرة بمات به الله بغير عقوبات : الأولى يصير بيناً من رحمة الله .  
 والثانية يقطع لللائمة عنه الصفة . والثالثة يكون نزع روحه عند موته شديداً . والرابعة  
 يصير قريباً إلى النار . والخامسة يصير بيناً من الجنة . والسادسة يشتد عليه عذاب القبر .  
 والسابعة يهبط عمله . والثامنة يتأذى منه روح النبي عليه الصلاة والسلام . والتاسعة  
 يسخط الله عليه . والعاشرة يصير مفلساً يوم القيامة عند الليران » (زبدة الواعظين) .  
 عن أبي أمامة الباهلي أنه قال « إن البعد يسطى كتابه يوم القيامة فيرى حسنت لم يكن عملها  
 فيقول يا رب من أين هذا لي ؟ فيقول الله تعالى هذا عمل من اغتابك من الناس وأنت  
 لا تشعر » ولما روى أن الحسن البصري قال له رجل فلان قد اغتابك ، فبحث إليه طيقاً  
 من الطرف وقال : بلنني أملك أهديت إلى حسنتك وأنا أهديت إليك هذا . عن أنس

ابن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من اغتاب أخاه تسلم حولائه قبله إلى دبره يوم القيامة » وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إياكم والنية لأن فيها ثلاث آفات : الأولى لا يستجاب له الدعاء ، والثانية لا يقبل له الحسنات ، والثالثة تزداد عليه السيئات » ( زبدة ) روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : « كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام فارتفع ريح حيفة مثنية ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أئمنون ما هذا الريح ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا ريح الذين يشاؤون الناس من المؤمنين » فإن قيل ما الحكمة في أن ريح النية ومنها كان يظهر في أول الأمة ولا يظهر في زماننا ، قلنا النية كثرت في زماننا وامتلات عنها الأنوف فلا تظهر رائحة النية كرجل دخل في دار الباعين فلا ينفث لشدة الريح ساعة وأهلها يأكلون الطعام ولا يتبين لهم الرائحة لامتلاء أنوفهم منها ( زبدة الواعظين ) . قيل النية على أربعة أوجه : مباح ومعيته توافق وكفر ، أما المباح فهو غيبة المجاهرين بالفسق وغيبة صاحب البدعة لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « اذكروا القاجر بما فيه كي يحلوه الناس » وأما للخصية فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب باسمه عند جماعة ويحلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة . وأما التناق فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب من غير ذكر اسمه عند من يعرف أنه يريد به فلانا ويرى من تحسه أنه متورع هذا هو التناق . وأما الكفر فهو ذكر إنسان بما ليس فيه من العيب عند جماعة باسمه ، فإذا قيل له لا تتعب ، يقول هذا ليس بنية وأنا صادق فيما قلت فيه ، وهذا كفر لأنه يستحل ما حرم الله تعالى ( زبدة الواعظين - ح م ) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « لا يدخل الجنة قتات » وفي رواية : « نعم » ( طريقة حميدة ) وروى عن حماد بن سلمة أنه قال : باع رجل غلاما ، فقال الرجل للشترى ليس فيه عيب إلا أنه نعام ، فاستحققه للشترى فاستتراه على ذلك العيب ، فكث الغلام حسده أبانا ثم قال لزوجته مولاة : إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن ينسري عليك ، أتريدين أن يعطيك عليك ؟ قالت لم ، قال لها خذي موسى واحلقي شعرات من بطن لحيتك إذا نام ، ثم جاء الغلام إلى الزوج فقال : إن امرأتك تخادعت عليك ، يعني اتخذت خدنا وتريد أن تقتلك ، أتريد أن يتبين لك ذلك ؟ قال لم ، قال فتناول لها فمعل ، فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات ، فظن الزوج أنها تريد قتله ، فأخذ منها الموسى فقتلها ، فجاء أولياؤها فقتلوه ، فجاء أولياء الرجل فوقع القتال بين الفريقين ( موعظة ) . ( حكى ) أن أبا الليث البخاري خرج حاجا ، فجعل في حيه درهمين وحلف وقال : إن اعتبت في طريق مكة ذاهبا أو جائيا فله من أن أصرف الدرهمين ، فخرج إلى منزله

والدريهان في جيبه ، قبل له في ذلك ، فقال : لأن أزنى مائة مرة أحب إلى من أن أغتاب مرة واحدة ، ثم قال : من اغتاب رجلا قتها جاء يوم القيامة مكتوبا على جبهته آيس من رحمة الله ، ومن اغتاب نبيّا كان كمن قتل نفسا بغير حق ، ومن اغتاب قبله فبأنه فسر عليها غفر له نصفه ذنوبه . فينبغي لصاحب النية أن يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس حتى أن يغفر الله له ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر أحدكم أخاه بالسوء فليستد بالله تعالى فإنه كفارة » واعلم أن النية إنما رخص فيها في خمسة مواضع : الأول أن للظالم بذكر ظلم الظالم عند السلطان يدفع ظله ، وأما عند غير السلطان فلا . والثاني عند التستيق إذا اقتصر إلى ذكر السوء ، وقد فالت هذا القول امرأة أبي سفيان حين جاءت النبي عليه الصلاة والسلام مستنبة « إن أبا سفيان رجل لا يصطفى ما يكفيني » الثالث تحذير المسلم من شر النير إذا علم . الرابع أن يكون معروفًا باسم فيه كالأعمش والأعرج والممدول إلى اسم آخر أولى . الخامس أن يكون مجاهرا بذلك السبب لا يكرهه كالخث ، قالوا من ألقى جلباب الحياء عنه فلا غيبة له ( كذا في ذببة الواعظين ) .

## المجلس الرابع والستون : في بيان معجزات النبي عليه الصلاة والسلام

### سورة القمر - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( اقتربت الساعة وانشق القمر ) روى أن الكفار سألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر ، وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ، ويؤيد الأول أنه قرئ « وقد انشق القمر » أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ( وإن يروا آية يرمضوا ) من تأملها والإيمان بها ( ويقولوا سحر مستمر ) مطرد ، وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر متراصة ومعجزات متتامة حتى قالوا ذلك ، أو محكم من اللرة يقال أمررت فاستمر إذا أحكته فاستحكم ، أو مستبشع من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أو ما رذاهب لا يبق ( وكذبوا واتبعوا أهواءهم ) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرها بلفظ الماضي للإشمار بأنهما من عاداتهم القديمة ( وكل أمر مستقر ) منه إلى غاية من خذلان أو قصر في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة ، فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر ، وقرئ « بالفتح أي ذو مستقر بمعنى استقراره ، والكسر والجزم على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة ( لاضى يضاهى ) .

وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنه قال « عاينت مجلس يضل فيه على عهد عليه الصلاة والسلام إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء ، فتقول لللائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على عهد عليه الصلاة والسلام » ( دلائل الحيرات )

وروى أن حبيب بن مالك كان ملكاً من ملوك الجاهلية في الشام وكانت العرب يسمونه رجلاً  
 قريش ، فلما جاء مكتوباً أبي جهل إليه لكدا وكذا كما ركب حبيب بن مالك ومعه اثنا  
 عشر ألف فارس ، ونزك بالأبطح وهو موضع قريب من مكة ، وخرج أبو جهل إليه وعظماء  
 مكة بالهدايا من البيد والحلل ، فأخذه عن يمينه وسأله عن محمد ، فقال يا أبا السدس هل بني هاشم ،  
 فقال لهم : ما تقولون في محمد ؟ قالوا نعرفه من صفته بالأمانة والصدق في القول ، فلما بلغ عمره  
 أربعين سنة ، جعل يسب آلهم ويظهر ديناً غير دين آباءنا . فقال حبيب أحضر واحداً  
 طوعاً ولو أبي فسكرها ، فبشوا إليه رجلاً ، فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه أبو  
 بكر رضي الله عنه وخديجة يكيان يقولان : نحاف عليك من سطوة هذا الكافر : أي من قهره  
 وعلمته وغضبه . قال عليه الصلاة والسلام لا تغلظني ولوما أمرى إلى الله ، فأقبل أبو بكر  
 الصديق بحقة حمراء وعمامة سوداء ، فلبسهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وخرج حتى  
 وقف بين يدي حبيب وأبو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه ، فلما رأى النبي عليه الصلاة  
 والسلام قام إكراماً للنبي عليه الصلاة والسلام ونسب له كرسيًا من ذهب وخديجة تدعو وتقول :  
 اللهم انصر محمدًا وأوضح حجته ، فلما جلس بين يديه والتور يتلأ من وحيه سكث وتطاولت  
 الأعناق ووقعت الحبة على الناس ، فرفع حبيب رأسه وقال : يا محمد أنت تعلم أن ثلاثين كلمة  
 معجزات ألك معجزة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ماذا تريد ؟ قال حبيب أريد أن تقيب الشمس  
 وتخرج القمر وتزلزل الأرض ، وينشق ثغيفين ويدخل تحت إرارك ، ويخرج نصفه من كم  
 يمينك ونصفه من كم شمالك ، ثم يجتمعان فوق رأسك ويشهد لك بالرسالة ، ثم يسر إلى السماء  
 قرا منيراً ثم يقب ، وتخرج الشمس بعده وتسجد إلى منزلها كأول مرة ، فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم إن فعلت ذلك كله أتؤمن بي ؟ قال نعم بشرط أن تغفر لي باقي قلبي ، فوثب : أي  
 قام أبو جهل إليه وقال : أحسنت يا أبا السدس لقد قلت وأبليت ، فخرج عليه الصلاة والسلام  
 ومعه إلى جبل أبي قبيس وصلى ركعتين وبسط يده يمينه ربه ، قرأ جبرائيل عليه السلام  
 ومعه اثنا عشر ألفاً من الملائكة وأيديهم رماح ، قال السلام عليك يا رسول الله إن الله  
 يقرئك السلام ويقول : حبيبي لا تخف ولا تهزن وأنا معك حيناً كنت ، قد ثبت لي على  
 وجري قصائي في الأول ما سألت حبيب عنه اليوم ، فإذهب إليهم وبلغ الحجة وأوضح شأنك  
 وبين رسالتك ، واعلم أن الله تعالى قد سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وأن حبيب بن  
 مالك بنتا سطيمة ، بنتا ساقطة من نساءها ما لها يدان ولا رجلان ولا عيتان فأخبرهم أن الله تعالى  
 رد عليها يديها ورجليها وعينها ، قرأ عليه الصلاة والسلام وقد أزداد مورا وسرورا  
 وجبرائيل عليه السلام في الهواء وصفت الملائكة صفواً حتى وقف رسول الله عليه الصلاة

والسلام عند مقام إبراهيم ، وكان ذلك وقت غروب الشمس ، فجعلت الشمس تركض ركضا  
أى تسرع حتى غابت واشتد الظلام ثم طلع القمر بدرا منيرا ، فلما ارتفع أثار إليه بأصبعه  
فحمل القمر يركض ركضا حتى نزل إلى الأرض ووقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام  
وهو يرتعد كالسحاب ، ثم انشق لصفين ثم دخل تحت ثيابه وخرج نصفه من كفه الأيمن ؟  
ونصفه من كفه الأيسر ثم عاد قرا منيرا ، ونادى رافضا صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد  
أن محمدا عبده ورسوله ، قد أطلع من صدقك وقد خاب من خالك ، ثم عاد إلى السماء قرا  
منيرا وقاب ، ثم عادت الشمس كما كانت أول مرة ، ثم قال حبيب بن ليلى الشمرط ، فقال إن لك  
بتنا سطيمة وإن الله قد رد عليها جوارحها ، فنهض حبيب قائما وقال يا أهل مكة لا كفر بعد  
الإيمان ولا شك بعد الإيقان ، اعلوا آتى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن  
محمد عبده ورسوله وأسلم معه أصحابه ، فقال أبو جهل أيها السيد تؤمن بهذا الساحر إذ رأيت  
سحره ؟ ثم خرج حبيب إلى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة : أشهد أن لا إله  
إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقال لها يابقي من أين تعلمت هذه الكلمات ، قالت  
أتى إلى في المنام رجل فقال لي إن أباك قد أسلم ، فان كنت مسلحة فقد رددت عليك أعشاء لأسالة ،  
فأسلمت في منامي وأصمت كما تراهي ، فوقع حبيب ساجدا فثوبا كرا نعمة الإيمان واردة يقينا  
ثم حمل حبيب بن مالك على خمسة جمال ذهبا وفضة وثمنا وأرسلها مع عبيده إلى رسول الله عليه  
الصلاة والسلام ، فلما قربوا من مكة ، فإذا أبو جهل يصطاد فقال لمن أنتم ؟ قالوا نحن لحبيب  
ابن مالك نريد رسول الله عليه الصلاة والسلام فحمل عليهم أبو جهل ليأخذها من أيديهم فأبوا  
حتى تضاربوا وقامت الحرب بينهم ، فاجتمع أهل مكة وأعمام النبي عليه الصلاة والسلام والعبيد  
يقولون : أهدى حبيب هذا لئال إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأبو جهل يقول أهداه إلى ،  
فقال النبي عليه الصلاة والسلام يا أهل مكة أترسئون بقولي ؟ قالوا نعم ؟ فقال نعم الجبال فلحن  
تكلمت يكون له لئال ، فقال أبو جهل : تؤخرها إلى الغد ، فرضى رسول الله عليه الصلاة  
والسلام ، فأتى أبو جهل إلى بيت الأصنام فبات تلك الليلة عندها تقرب لها قربانا ودعا الأصنام  
وتضرع إلى الصباح ، فلما أسفر الصباح أقبل أهل مكة بأجمعهم وأقبل رسول الله عليه الصلاة  
والسلام وأعمامه ، فأقبل أبو جهل ودار حول الجبال يقول : انطلق باللات والعزى ومناة فلم  
يزل على هذا حتى هجرت الشمس : أى ارتفعت فلم يسمع منهن شيء حتى قال أهل مكة حسبك  
يا أبا جهل فتقدم أنت يا محمد ، فأقبل إليهم ، فقال : أيها الخافقة بخلق الله انطلقى بقدرة الله تعالى ،  
فقام واحد منها وقال رافضا صوته : يا قوم نحن هدية من حبيب بن مالك إلى محمد عليه  
الصلاة والسلام ، فأخذ عليه الصلاة والسلام رماها إلى جبل أبي قبيس ، فأخرج الذهب



والصلاة وجعلها آية ثم قال كوني بمرأها ، فصارت كذلك إلى اليوم . قال الشيخ أبو حنيفة محمد بن حسن في القصة لما ظهر شأن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ أبو جهل في تدبير هلاكه فجمع رعاياه على أن يحفر بئرا فحفر وستر رأسه بالحشيش والتراب الضيف ، وأمر عبيده أن ينظروا فلما جاء محمد ووقع في البئر أن يمشوا عليه التراب ، فلما انتهى خبر مرضه إلى النبي عليه الصلاة والسلام قام من حسن خلقه ليعوجه ، فلما بلغ قريبا من باب داره جاء جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك ومنعه عن الدخول ، فرجع النبي عليه الصلاة والسلام ، فأخبر أبو جهل بذلك فقام من فراشه مسرعا وعدا خلفه النبي عليه الصلاة والسلام ليقوله لم رجعت ونسي البئر ووقع فيه ، فادلوا إليه حبال فلم يبلغ إليه ، فجمعوا الجبال والأطناب وكلما ازدادوا جبلا ازداد سقلا فنادى أبو جهل من البئر أن امضوا إلى محمدوا اتوني به فإنه لا يخلص أحد دونه ، فسالوا المحضور عنده فحضر إلى رأس البئر وقال له إن أخرجتك من هذا البئر أتؤمن بالله ورسوله ، قال نعم ، قد يعم عليه الصلاة والسلام وأمسك يدي أبي جهل فأخرجه من البئر ، فلما صعد قال : ما أسحرك يا محمد ، وهذه من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « من حفر بئرا لأخيه المسلم وقع فيه » (موعظة) وروى في بعض الأخبار « أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في حال صغره يلعب مع الصبيان ، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام اذهب إلى الجنة وحمل منها طستا وإبريقا من ذهب واملاهما من ماء الكوثر ، واذهب إلى محمد عليه الصلاة والسلام وشق صدره ثم استخرج منه قلبه ثم اغسله في الطست بذلك الماء الذي في الإبريق ثم املاهما بالإيمان والحكمة ثم ارجع إلى مكانك ، فبما جبرائيل عليه السلام كأنه طير في الهواء ورفق النبي عليه الصلاة والسلام من بين الصبيان وذهب إلى الصحراء ثم وضع تحت الشجرة فصرب جناحيه على صدره وشقه وأخرج قلبه ، ثم شقه وغسله بالماء الذي في الإبريق في ذلك الطست وأخرج منه كل ما كان فيه وقال هذا حظ الشيطان ثم أعاده إلى مكانه وقال : هذا قلب طهره الله من العيوب وذهب إلى السماء وبركه في ذلك المكان ، وذهب الصبيان إلى حليمة وقالوا : إن محمدا رمية طير وذهب به في الهواء ، فيسكت نطية وكشفت عن رأسها وثقت شعرها وصاحت وقالت واعمداه ، فاجتمع عندها الناس وأعمام محمد وأقاربه وأخبرتهم ، فركبوا الأفراس وذهبوا من كل وجه ، فوجدوا محمدا في ظل تلك الشجرة مستلقيا على قفاه مستغرقا في عرقه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم بالقصة ، فتهيجوا من ذلك الأمر وقالوا إن هذا شيء عجيب (موعظة) قال الشيخ أبو حنيفة : إن أبا جهل وأشراف قريش جاءوا إلى أبي طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن ابن أخيك هذا أظهر ديننا خلافا لما كنا عليه ، وهو يسب آلنا ونحن نعظمه شرفا لك ، فإن ترك ما جرى

عليه من الخلاف وما د إلى الوفاق وإلا لم يبق بيتنا إلا السرف ، فقال لهم أبو طالب : اتقوا حق أسديعه وأستخبروا بصرا ما يجيئني ، فدعا فخر وكان أبو طالب جالسا على سرير متكئا عليه . وجاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى هؤلاء الرؤساء من قريش حتى بلغ الشرر ، فتعدوا واستند بجنب أبي طالب فقالوا لأبي طالب : أما رأيته كيف ترك حرمته وخطى أعتاقه وقد يجنبك على سريرك ؟ فقال إن كان فيها يقول رثي عليه صادقا فاليوم قد على سرر وهذا يقصد على أعتاقكم ، فقالوا إن كان صادقا في دعواه ، قل له جـ . بحجة قدماك حتى قرره ونسأله ، فقال أبو طالب يا ابن أخي ما تقول فيها قالوا : قل عليه الصلاة والسلام نعموا ما سئلكم ، وكان في صحن الفار صخرة ، فاجتمعت أراؤم على أن يخرج من هذه الصخرة شجرة تنشق رأسها فصين يبلغ أحدها للشرق والآخر للغرب ، فاعتل النبي عليه الصلاة والسلام بالدماء فزل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله تعالى يقول : منذ خلقت هذه الصخرة طفت أئهم يطلبونك بهذه الصخرة . وقد خلقت تلك الشجرة في جوفها ، فأشار عليه الصلاة والسلام فانثقت تلك الصخرة فصين وخرجت منها تلك الشجرة وارتضت حتى بلغت عنان السماء على حسب ما طلبوا منه ، فقالوا ما أحسن ما حدث به ولكن لا تؤمن بك حتى ترد الشجرة إلى الصخرة كما كانت ، فتمكر النبي عليه الصلاة والسلام فزل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله يقرعك السلام ويقول : الدماء منك والإجابة مني ، فدعا عليه الصلاة والسلام فرجت الشجرة إلى حلقها فقاموا من اللوح فقالوا ما أسعرك يا محمد ما رأينا قط مثلك ( معجزات ) .

### المجلس الخامس والستون : في بيان البكاء

سورة الحشر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لله ) ليوم القيامة مما د به لدنوه أول أن الدنيا كيوم والآخرة غده وتمكيره للمعظم ، وأما تنكير النفس فلا استقلال الأفسس النواظر فيما قدمت للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك ( واتقوا الله ) تكميها لتجاركه ، أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل ، والثاني في ترك المحارم لأقترانه بقوله ( إن الله خير بما تعملون ) وهو كالوهدى على الناس ( ولا تكونوا كالذين نسوا الله ) نسوا حقه ( فأنساهم أنفسهم ) جلسهم ناسين لها حتى لم يسمروا ما ينصها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم ( أولئك هم الفاسقون ) أي الكاسون في الفسق ( فأنسى يضاهى ) .

عن أبي كاهل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : يا أيها كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لي وشوقا إلى كان حقا على الله أن يفر

له ذنوب ذلك اليوم وذنوب تلك الليلة ( زبدة الواعظين ) قيل كان لعنبر رضى الله عنه حمنة  
 سيكيب باسفه من الأسبوع إلى الأسبوع من الخمر واليخمر ، فلما كان يوم الجمعة مرض أسبوع  
 على نفسه ، فكأنما لم يجد في غير رضا الله تعالى جعل يضرب بالدرية نفسه ويقول : أصلت هذا  
 فلما جئت أراؤوا غلبه ، فادأ في ظهره وجنيه سواد من كثرة الضرب ، وكان إذ سمع آية العذاب  
 من القرآن عرضت عليه ، ويكون مرضا ويحيى ، أصحبه للعبادة وعلى وجهه شيطان من كثرة سيلان  
 دموع عينيه ويقول : ليتى لم تلدن أبى ، فيوما كان يمشى فسمع قارئا يقرأ القرآن ( إن عذاب  
 ربك لأرفع ماله من دافع ) فسقط عن دابته مضطربا عليه ، فحملوه إلى بيته فلم يخرج من بيته شهرا  
 ( مجالس الأبرار ) عن كعب الأحمار أنه قال : لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموع عينيه  
 أحب إلى من أن تصدق بوزن نقي ذهبا ، لأنه ما من بك يبكى من خشية الله تعالى  
 حتى تسيل قطرة من دموع عينيه على الأرض إلا لم تحس النار ( مجالس الأبرار ) روى  
 أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : ما زهد الزاهدون في شيء مثل الزهد في الدنيا ،  
 وما هرب للتقربون إلى جنى مثل الورع مما حرمت عليهم ، وما تعدد للتعبون إلى  
 يثقل من بكى من خشيق ، فقال موسى عليه السلام : يا أكرم الأكرمين وما أرحم  
 الراحمين لما تنبيه على ذلك ؟ قال الله تعالى : أما الزاهدون فأيسح لهم الجنة يتنوءون منها  
 حيث يشاءون ، وأما للتورعون مما حرمت عليهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما  
 الباكون من خشيق فهم مع رفيق الأعلى في الجنة ( موعظة ) وفي الخبر : إنا كان يوم  
 القيامة يوقف العبد بين يدي الله تعالى ، فيؤتى كتابه ويحد فيه سيئات كثيرة فيقول :  
 إلهي ما فعلت هذه السيئات ؟ فيقول الله تعالى إن لي شهودا تفات ، فبلغت إلى عيني وفعله  
 ولم ير أحدا من الشهود ، فيقول يا رب أين الشاهد ؟ فيأمر الله جوارجه بأن تشهد عليه ،  
 فتشهد فتقول الأدنان : إنا حمنا وعلنا أنه قد عمل والبيان إنا قد نظرنا واللسان أنا قد  
 قلت وكذا الأيدان والرجلان إنا لمنا والقهرج أنا زيت ، فيبقى العبد متعبا فيأمر الله تعالى  
 به إلى النار ، فيظهر من عيه البهني شعرة واحدة لتأذن من الله تعالى أن تكلم ، فيأذن  
 الله تعالى لها فتقول : يا رب ألت قلت : أى عبد أفرق شعرة واحدة من أجفانه بدموع  
 عينيه من خشيق إلا آتيته من النار ؟ فيقول الله تعالى بلى ، فتقول أنا أشهد أن هذا العبد  
 اللذنب قد أفرقني بالدموع من خشيتك ، فيأمر الله تعالى به إلى الجنة ، فينادى النادى  
 ألا إن فلان ابن فلان قد نجا من النار بشعرة واحدة من أجفان عييه ( حياة القلوب )  
 روى عن عطاء أنه قال : دخلت أنا وابن عمر وعبد بن عمرو على عائشة رضى الله تعالى  
 عنها فقال ابن عمر : يا عائشة حديثنا بأهيب شيء من النبي عليه الصلاة والسلام فبكت

وقالت : « أتاني رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة من ليالي ، فالتزق جلده بجفدي ثم قال : يا عائشة اللذي لي أن أعبد ربي ، قلت إني لا أحب هواي بل أحب قربك إلى الله تعالى ، فقام إلى قربة في البيت وهو يسكي فتوضأ وأكثر من صب الماء ، ثم التفت القرآن فبكي حتى جرت دموعه على الأرض : « بلال وهو يسكي » فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ وما يمنعني من العبادة وقد أمر الله تعالى على البارحة ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما حلفت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ) يا بلال لا يطفئها إلا ماء العين ، ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يفكر فيها » ( بحالي الأبرار ) وروى عن ابن عباس وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما أنهما قالوا : قال عليه الصلاة والسلام « إذا أقمتم صلاة العبد من خشية الله تعالى سقطت عنه ذنوبه كانهات عن الشجرة اليابسة أوراقها » ( حياة القلوب ) قيل : « إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال ، فتصد أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيجتهد النبي عليه الصلاة والسلام في دفعها فلا يقدّر ، فينادي يا جبرائيل يا جبرائيل اخلق الخلق النار قد قصدت أمتي تحرقهم ، ليأتي جبرائيل عليه السلام بفتح من الماء فيناولوه الرسول فيقول : يا رسول الله خذ هذا الماء ورشه عليها ، فإذا رشه عليها تطفأ في الحال ، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل ما هذا الماء لم أر مثله في إطفاء النار ، فيقول جبرائيل عليه السلام : ما هذا إلا دموع أمتك الذين سيكون من خشية الله تعالى في الخلوة ، فأمرني أن آخذه وأحفظه إلى وقت احتياجك إليه - فطفي به النار التي قصدت أمتك » ( موعظة ) يقال إن آدم عليه السلام بكى حين حبط من الجنة ثلاثة عام وما رفع رأسه إلى السماء خياء من الله تعالى وسجد سجدة على جبل الهند مائة عام يكي حتى جرت صرور عليه في وادي سرنديب ، فأثبت الله في ذلك الوادي من دموع عينه الدار صيني والقرنيل وشربت الطيور من دموع عين آدم عليه السلام : فقالوا لم تكرب شربا أعظم من هذا فظن آدم عليه السلام أنهم يسخرون منه لعيناه ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إن لم أخلق شربا الله وأعظم من ماء عيون العساء » ( زهرة الرياض ) .

( حكى ) أن رباحا العنبي اغترى غلاما أسود بأربعة دنانير ، فكان لا يشام ولا يبلغ حولا ينام ، فإذا جن الليل قال رباح : يا غلام لم لا تنام ولا تدعنا ننام ؟ فقال : يا مولاي إذا جن ظلام الليل ذكرت ظلمة القبر وظلمة جهنم فيطير نومي ، فإذا ذكرت الوقوف بين يدي ربي عظم عم قلبي ، وإذا ذكرت الجنة وتيممها تصاعف شوقي ، فكيف لي

بالنوم يا مولاي ؟ قلما مع رباح ذلك خر منشبا عليه ، قلما ألقى قال : يا غلام مثلي لا يصلح أن يملك مثلك ، اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ( مجالس الروي ) روى أن رجلا له ابن صغير بيت معه في الفراش ، ففي ليلة اضطرب ولم يمت ، فقال له يا ولدي أبك وجع ؟ قال لا يا أبي ، ولكن خذا يوم الخميس يوم أعرض ما كسبت من العلم ورسح مئطى مني في الأسبوع ، فأستأنف أن يجد الأستاذ خطأ ليضربني ويضرب علي ، فصاح الرجل صيحة وأهاله التراب على رأسه وبكى ، فقال : أنا أسقى بهذا الحوف ليوم العرض على الرحمن بما كسبت في الدنيا من الصيان كما قال الله تعالى ( وعرضوا على ربك هنا ) ( موعظة ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفتاه وعن جسمه فيم أبلاه وعن عمله ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ( طريقة ) قاله أهل للمرة : اغسلوا أربعا بأربع : وجوهكم بماء أعينكم ، وألسنتكم بذكر خالقكم ، وقلوبكم بخشية ربكم ، وذنوبكم بالتوبة إلى مولاكم . قال القفيه : الذنب على وجهين : ذنب فيما بينك وبين الله وذنب فيما بينك وبين العباد ؛ فأما الذنب الذي بينك وبين الله فتوبته الاستخفاف باللسان والتكلم بالقلب والإخبار أن لا يعود إليه أبدا ، فإن فعل ذلك فانه لا تنفعه التوبة ما لم يقض ما فاته ثم يندم ويستغفر الله ؛ وأما الذنب الذي بينك وبين العباد فما لم ترخصهم لا تنفعك التوبة حتى يحاللك ( موعظة ) فأما المبد للذكور في الحديث الشريف فهو وإن كان طالما لكونه تكرة في سياق النبي لكة مخصوص بقوله عليه الصلاة والسلام « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب » فلي ههنا يكون السؤال للذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفا ، فلا بد لكل من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش في الحساب ويطلب بمنازل الدر من الأعمال والأفعال ، ويحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا لزوم محاسبة النفس في تجارتها لآخرتها ومطالبها في أغلظها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يحفف عليه يوم القيامة حسابه ويخضره عند السؤال جوابه ويحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقضائه ويخوده إلى الحزني ولقت سيئاته ، فإذا لا بد للمؤمن من أن لا يفتل في تجارتها لآخرته عن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن هذه التجارة يربح بها الفردوس الأعلى والبلوغ إلى سكرة المنتهى مع النبيين والصديقين والشهداء ( من مجالس الروي ) .

قال الراغب : النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما لنفثه حتى يتخلف عن القلب ذكره ، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله

عن أحمد ، وما طر فيه نحو ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رفع عن أمي الخطأ والنسيان » فهو ما لم يكن سببه منه ، فقوله تعالى ( فذوقوا بما لسينم لقاء يومكم هذا ) هو ما كان سببه عن أحمد منهم وترك على طريق الإهانة ، وإذا نسب ذلك إلى الله تعالى فهو تركه لإمام استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال في الباب : قد يطلق النسيان على الترك ومنه قوله تعالى ( نسوا الله فانسهم ) أي تركوا طاعة الله ترك الناس تركهم الله . وقال بعض المفسرين : إن قيل إن النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم ، فهل كان الكفار يذكرون حتى الله سبحانه وتعالى ويترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد ؟ أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا إلى يوم اللقاء ثم نسوا ذلك بعد ما خلقوا ، والؤمنون اعترفوا بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله تعالى وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر . مثل ذوالنون المصري عن سر ميثاق مقام ( ألت بركم ) هل تذكره ، فقال كأنه الآن في أذن ( زوج البيان ) .

## المجلس السادس والستون : في بيان فضيلة الجمعة

### سورة الجمعة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة ) أي أذن لما ( من يوم الجمعة ) بيان لإذا وإنما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة ، وكانت العرب تسميه العروبة ، وقيل سماء كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه . وأول جمعة جمعها النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ، ثم دخل المدينة وصل الجمعة في دار أبي سالم بن عوف ( فاسموا إلى ذكر الله ) أي طامسوا إليه مسرعين فهدا ، فإن السعي دون العدو ، والذكر الخطبة ، وقيل الصلاة . والأمر بالسعي إلى ما يدل على الوجوب ( واذربوا السيخ ) أي واتركوا للعامة ( ذلكم خير لكم ) أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من العامة ، فإن شع الأخرة خير وأبقى ( إن كنتم تعلمون ) أي الخير والخير الحقيقيين ، أو إن كنتم من أهل العلم ( فاضى يضاهى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » وكذلك روى عن أبي البرداء أنه قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود يشهد لللائكة ، وإن أحد يصلي على إلا حرضت على صلاته حتى يفرغ منها » الحديث . وسبب نزول هذه الآية وهي ( يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة ) « أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب على المنبر يوم الجمعة إذا قبل حجة السكبي من نجارة الشام وضرب المظل ليؤذن الناس بقومه ، فخرج الناس إليه ولم

يقى في السجد إلا اثنا عشر رجلا ، قُذِلَتْ هذه الآية ( وإذا رأوا تجارة أو تمسوا أو تمسوا إليها وتركوا فلما ) فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسى بيده لو لم يقى هؤلاء الاثنا عشر رجلا منكم لسال الوادى نارا ، وهو قوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضا لقد استتار الأرض ) الآية ( سبحات ) من أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : الجمعة واجبة على من بينه وبين الجمعة مسافة يمكن الرجوع بعد أدائها إلى وطنه . قال عليه الصلاة والسلام : من ترك جمعة بلا عذر فليستصل بدinar فإن لم يجد فينصف دينار ومن ترك ثلاث جمع متواليات لأجل شهادة ( مصايح ) من أبى بكر رضى الله عنه من النسي عليه الصلاة والسلام أنه قال : من اغتسل يوم الجمعة كعرت عنه ذنوبه ، وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة ، فإذا صلى الجمعة أجر بعمل مائتى سنة . وعن سديد بن السبب أنه قال : لأن أصل صلاة الجمعة أحسب إلى من حبة تطوعا ، وكذا روى عن ميسرة أنه قال : مررت بقابر المسلمين قلت : السلام عليكم يا أهل القبور أشم لناسف ونحن لكم تبع ، فرحم الله تعالى إيانا وإياكم وظهر لنا ولكم ، فسحمت نداء من قبر يقول : طوبى لكم يا أهل الدنيا تهجون في كل شهر أربع مرات ، قلت أين نهج كذلك ؟ قال : هي الجمعة ، أما تعلمون أنها حجة مبرورة ؟ فياليتنا ندور على أبواب مساجدكم حتى ننظر أعمالكم ونسمع أذكاركم ، ولسكن قدر خينا عنكم يا أهل الدنيا بقولكم لنا رحم الله فلا للتوفى ( زينة الواعظين ) روى عن أبى عمرو عن أبيه عن جده عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : إن من وراء جبل قاف أرضا يضاء ليس فيها شيء من النباتات كأنها مثل القضة وسعها مثل الدنيا سبع مرات بمائة من اللاتكة لو سقطت إبرة لسقطت عليهم ، ولى يد كل منهم لواء طوله أربعون فرسخا ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يحتمون كل ليلة جمعة حول جبل قاف ، فينصرفون إلى الله تعالى ويدهون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فإذا انقبح الصبح يقولون : اللهم اغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة ، فيرفعون أصواتهم بالبكاء فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ماذا تريدون ؟ فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول الله تعالى : قد غفرت لهم ( مشكاة الأنوار ) روى في الخبر : أن الله تعالى خلق منارة من فضة يضاء في جانب البيت للصور وطول للنارة حسنة عام ، فإذا كان يوم الجمعة يصعد جبرائيل عليه الصلاة والسلام على تلك المنارة فيؤذن ، ويصعد إسرافيل عليه الصلاة والسلام على الثبر فيخطب ، فيؤم ميكائيل عليه الصلاة والسلام بالملائكة ، فإذا فرغوا من الصلاة يقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الأذان وعبته لجميع مؤذنى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في وجه الأرض ، ويقول إسرافيل عليه الصلاة والسلام ( ١٧ - دوة الناصحين )

الصلاة والسلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الخطبة وهبته لجميع الخطباء في وجه الأرض من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول ميكائيل عليه السلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الإمامة وهبته لجميع من يؤم يوم الجمعة في وجه الأرض ، وضول لللائكة كلهم : ما حصل لنا من الثواب لأجل الجماعة وهبناه لجميع من صلى الجمعة خلف الإمام ، فيقول الله تعالى : **يَمْلَأُ السَّمَاءَ مَلَكًا ثَلَاثِينَ مِائَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ، وعزى وجلالى قد غفرت اليوم لمن صلى من عبادى صلاة الجمعة امتثالاً لأمرى واقتداءً بهيئى محمد ( زبدة الراسخين ) . ( حكي ) أن رجلاً حمل حنطة على حمار وذهب إلى الرحى قال فلما أخذت الحنطة عن الحمار هرب على دلى حار في الأرض جاء فقال الثوبه لك اليوم في الماء فطسق أرضك وإلا تلفت نوبتك ، وكان اليوم يوم جمعة ، قتلت لنفسى صلاة الجمعة أحب إلى من غيرها وتركك السكل وصليت الجمعة ، ثم رجعت إلى البيت فإذا الحنطة قد طحنت والحبر قد طبع والأرض قد سقيت والحمار قد رجع إلى البيت ، قتلت لأمرائى كيف هذه الحالة ؟ قالت ذهب جبارنا إلى الرحى فطحن حوائقنا وهو يظنه جواققه ، فلما حمه إلى منزله عرفت أنه جواققنا فأخذته إلى بيتنا ، وأما الأرض فبهاء للاء من أرض الجار فامتلات ، فلما رأيت ذلك تركت أمور الدنيا كلها وحاومت على العبادات والطاعات ( مطالع الأنوار ) روى عن أنبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : **« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مَلَكًا قَائِمًا تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ قَرْنٍ مِنَ الْقَرْنِ إِلَى الْقَرْنِ مَسِيرَةَ الْقَهْقَمِ ، وَ عَلَى كُلِّ قَرْنٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ صَفٍّ مِنَ اللَّائِكَةِ ، وَ فِي وَجْهِهِ شَمْسٌ وَ عَلَى قَهْقَرِهِ قَمَرٌ وَ عَلَى صَدْرِهِ كَوَاكِبٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَيَقُولُ فِي سَجْدَتِهِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِمَنْ صَلَّى صَلَاةَ الْجُمُعَةِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَمْلَأُ السَّمَاءَ مَلَكًا ثَلَاثِينَ مِائَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ »** ( كنز الأخبار ) عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : **« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَفَرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَإِذَا مَشَى إِلَى الْجُمُعَةِ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عِبَادَةٌ عَشْرِينَ سَنَةً ، فَإِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ أُجِرَ بِمِثْلِ مِائَةِ سَنَةٍ »** الحديث ( حكاية ) كان في زمن مالك بن دينار أخوان هوسيان عبد أحدهما النار ثلاثاً وسبعين سنة والأخر خمساً وثلاثين سنة ، ثم قال الأصغر للأكبر يا أخى لبيد النار منذ كذا وكذا تعال نخبرها إن أحرقتنا كسائر الناس لم لبيدنا قط ، وإلا لبيدنا إلى اللوت ، فأوقدوا ناراً ، فقال الأخ الأصغر للأكبر : أنت تضع يده في النار أولاً أم أنا أضعها ؟ فقال بل أنت تضع يده تبدأ بها فوضع الأصغر يده فيها فأحرقت يده ، فقال ورحمك وزرع يده وقال لها : يا نار أهبنيك منذ كذا وكذا فتؤذي يا ظالمة ، ثم قال لأخيه الأكبر : يا أخى تعال تتركها ، فقال لا أترك وترك الأصغر وجاء مع صباه إلى باب مالك بن دينار وهو جالس واعظاً وقص عليه القصة وعرض عليه الإسلام



وحمل أهل بيته ، فبكى الناس كلهم فرحاً ، ثم قال له مالك بن دينار : اجلس لنا مع أصحابي أجمع لك من أصحابي غيثاً من أموال الدنيا ، قال لا أريد أن أبيع الدين بالدنيا ، ثم انصرف فوجد من جربات البلد خربة ، فدخل فيها مع عياله صلبوا الله تعالى ، فلما أصبح قالت امرأته اذهب إلى السوق واطلب حملاً واغتربه طعاماً ، فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد ، فقال في نفسه أحمل لله تعالى ، فدخل المسجد وحمل إلى الليل ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، فقالت له امرأته ألم تجد غيثاً ؟ قال حملت اليوم لواحد وقال أعطيك أجرتك هذا ، فباتوا جياحاً ، فلما أصبح ذهب إلى السوق فلم يجد حملاً ، ففعل لله كذلك ، ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، وسألت امرأته فأجاب كما أجاب أولاً فباتوا جياحاً ، فلما أصبح وكان اليوم يوم جمعة فلم يجد فيه حملاً ، فذهب إلى المسجد وحمل ركعتي الجمعة ورفق يده إلى السماء وقال : يا رب بحرمة هذا الدين وبحرمة هذا اليوم ارفع حزن ثقة عيالي عن قلبي ، وإني أستحي من عيالي وأخاف عليهم أن يرجعوا إلى دين أحى إلا كبر قلبي الجوع عليهم ، فلما دخل وقت الظهر جاء شخص حتى باب تلك الخربة وفتح الباب ، فخرجت امرأته فإذا هو شاب حسن الوجه يده طبق من ذهب مغطى بتنديل ، فقال لها خذي هذا وقولي لزوجك : هذا أجره حملك لله تعالى يوم الجمعة لأن العمل القليل في هذا اليوم كثير عند الله أجره ، فأخذت الطبق فكشفت مطاءه فإذا فيه ألف دينار ، فأخذت ديناراً واحداً وذهبت إلى الصراف فوزته الصراف فزاد وزنه على ذهب الدنيا مثليين ، فنظروا الصراف إلى ثقته فلم أنه ليس من دنائير الدنيا ، فقال لها من أين وجدت هذا قصصت عليه القصة ، فقال لها عرضي على الإسلام فسرخته عليه فأسلم فدفع إليها ألفاً من ذهب الدنيا ، فلما صلى الشاب الجمعة جاء إلى منزله صفر اليدين ، فوضع في منديل غيثاً من التراب وقال في نفسه لو سألتني امرأتى قالت ما فعلت أقول فعلت بالحق ، فلما دخل إلى بيته وجد فيه ربح الطعام ، فوضع التنديل عند الباب ثلاثاً فصرح ، ثم سألها عما رأى في البيت ، قصت عليه القصة ، فسجد لله تعالى شكرًا لما جاء من عند الله تعالى ، ثم قالت امرأته ما جئت به في التنديل ؟ فقال لا تسأل ، ففتحت التنديل فإذا التراب صار دقيقاً فإذا الله تعالى بحرمة صلاة الجمعة ، فسجد الشاب لله تعالى .

(هذه حكاية مختصرة من حديث الأربعين) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام ذهب إلى جبل بيت المقدس ، فرأى قوماً يبسدون الله تعالى بالجسد والنسي ، فسألم فقالوا نحن من أمتك فبهد الله تعالى ههنا عند سبعين مئة بالجسد والنسي لباساً لباس الصبر وطعامنا نبات الأرض وشرايتنا ماء المطر ، فقهرج لموسى عليه الصلاة والسلام بذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لأمة محمد يوم فيه رجسكتان خير من هذا كله ، فقال يا رب أي يوم

هو ؟ قال يوم الجمعة ، فسمى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم ، فقال الله تعالى يا موسى يوم السبت لك ويوم الأحد لموسى والاثنين للحليل إبراهيم والثلاثاء لكرام والأربعاء ليعسى والخميس لآدم والجمعة لحمد على الله عليه وسلم ولأمته ، فحبيب موسى عليه الصلاة والسلام من فضل هذه الأمة ( زبدة ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أنا نبي جبرائيل عليه الصلوة والسلام وفي كفه مرآة يضاء ، وقال عسده يوم الجمعة يرضها عليك ربك فتكون لك هيدا ولأمته بك ، وفي وسط اللوحة قطعة ، فقلت ما هذه النقطة ؟ قال هي ساعة من أربع وعشرين ساعة ، فمن دعا الله تعالى في تلك الساعة استجاب الله دعاءه وهو سيد الأيام » ( زبدة الواعظين ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان يوم الجمعة يبيت الله تعالى لللائكة على وجه الأرض وفي أيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة ، يقفون على أبواب المساجد ويكتبون اسم من دخل للمسجد وصلى الجمعة ، فإنا فرغوا من الصلاة يرجعون إلى السماء فيقولون يا ربنا كتبنا اسم من دخل للمسجد وصلى الجمعة ، فيقول الله تعالى يا ملائكتي ومن في وجلائي إني قد غفرت لهم وما عليهم شيء من دنوبهم » ( ردتق المجالس ) قال عليه الصلاة والسلام « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى حنطية ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة ، فإذا خرج الإمام إلى المنبر طويت الصحف ودرجت الأقلام واجتمعت لللائكة جند المنبر يسمعون الخطبة ، فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة » ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ، ولذا قيل : أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة ، ولذا جاء في الأمر : إن اللائكة يتفقدون البعد إذا تأخر من وقت يوم الجمعة ويقولون : اللهم إن كان ما أخره قرا فأفنه ، وإن كان مريضاً فافقه ، وإن كان غفلاً فصرغه فبأذنتك ، وإن كان ملوا فأمل قلبه إلى طاعتك ، وكانت الطرق في القرن الأول بعد المنبر محلولة من الناس بمشون بالسج ويذبحون فيها إلى الجامع كأهلهم البعد حتى اضطلع ذلك ( زبدة الواعظين ) .

## المجلس السابع والستون : في بيان الجسيم والزبابة

سورة التحريم — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ) بترك الناس وفضل الطاعات ( وأهلكم ) بالنصح والتأديب ، وقرئ : أهلكم عطفا على قوا فيصكون أنفسكم أخس القليلين على تلبية المخاطبين لا تارا وقودها الناس والحجارة ) تارا تشد بهما انقاد غيرها بالمطلب ( عليها سلائكة ) على

أمرها وهم الزبانية ( غلاظ شداد ) علاظ الأقوال شداد الأفعال ، أو غلاظ الخلق أمراء على الأفعال الشديدة ( لا يصون الله ما أمرهم ) فيأمرهم ( ويضلون ما يؤمرون ) فما يستقبله أو لا يتمون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به ( فاضى يضاوى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليردن على حوضي يوم القيامة أقوام ما أحرهم إلا بكثرة صلاتهم على « ( شفاء شريف ) وفي الخبر « إن العبد إذا بكى من خشية الله حتى خرج من عينه دموع خلق الله من تلك الدموع شجرة يقال لها شجرة السعادة ، فإذا هبت عليها ريح الخوف والحزن خرج منها صوت يقول : وا محمداه ، فيرد الله ذلك النداء إلى رسوله عليه الصلاة والسلام في قبره ، فيكفي لأمته فيخلق الله من دموع عينية شجرة يقال لها شجرة الشفاعة ، فإذا هبت عليها ريح النبوة والرسالة خرج منها صوت يقول : وا أمته ، فيرد الله ذلك الصوت على السموات ، فتسبح لللائكة ، فيسجدون لله ويكونون تضرعون ويقولون : وا أمة محمداه ، يوسع الله بكاءهم وتضرعهم ويقول يا ملائكتي ما يكميكم ؟ فيقولون ربنا أنت أعلم بكائنا وتضرعنا لأمة محمداه فيقول الله تعالى : يا ملائكتي اتشهدوا أني قد غفرت لمن بكى من خشية من أمة محمداه « ( حبياء القلوب ) قيل للرب من الناس هم الكفار ، والخطاة : الجهال الذين لا يقبلون النصيحة ، والحجارة جمع حجر على غير القياس والقياس فيه الأحجار كالأشجار جمع شجر ( ضمير النسب ) وقيل المراد من الحجارة هي الأصنام التي صنعوها من الحجر والخشب كقولهم تعالى ( إنكم وما تصنعون من دون الله حسب جهنم أنتم لها ولدهون ) وإنما جعل التذويب بها لينتقى عند أهل الأصنام أنها ليست بلائقة للعبادة وليرى ذلكا ومساتها بعد اعتقادهم عزنها وعظمتها ويدخل الأصنام فيها لا لتطهيرها بل لتطهير الكفار بها وما به العذاب لا يكون له العذاب كما قال الله تعالى ( يوم يحس عليها في نار جهنم يتكوى بها جباههم ) الآية . أدخلت الأموال في جهنم ليطرب بها مانع الزكاة والعذاب لأهل المال لا للمال ( من ضمير النسب ) . ( حكي ) أن زكرياء عليه السلام كان إذا جلس للعظة يثنت يمينا وشمالا ، فإذا لم ير ابنه يحيى عليه السلام ذكر آيات العذاب وإذا رآه لم يذكره من آيات العذاب شفقة لابنه لئلا يسمع منه امتناع النار ، فجلس يوما للعظة ، انظر القوم ولم ير ابنه لكثرة الناس ، وكان يحيى قد لف رأسه في صدره في وسط الناس ، فذكر زكرياء عليه السلام آيات النار وهو يبكي ، فقال حدثني جبرائيل عليه السلام أن في جهنم جيلا يقال له سكران ، وفي أصله واد يقال له غضبات ، خلق من غضب الرحمن ، وفي ذلك الوادي جباب من النار حتى كل جب مسجرة مائق عام ، وفي تلك الجباب توايت من النار وفي تلك التوايت سلاسل وأغلال ، فلما سمع يحيى عليه السلام قام مسرعا وخرج وهو

ينادى : آمن السكران آمن الضبان ، فوثب زكرياء عليه السلام وامرأته وخرجا فى أمره فلم يجداه فرأيا راعيا قنالا هل رأيت هاهنا كذا وكذا ؟ فقال لعلكما تطلبان يحيى ؟ قالا نعم ، قال تركته فى عتبه وهو يقول : لا أطمع طعاما ولا أنسرب شرابا حتى أعلم أنزلى فى الجنة أم فى النار ؟ فرأياه وهو ينادى فبالت أمه : يا بني بحق ما حدثك فى بطنى كذا وأرضعتك من ثديى كذا أقبل علينا واذهب معنا إلى التزل ، فأقبل وأطلق إلى التزل ، وقال له أبوه : إن لى إليك حاجة ننزع هذه للدرعة وتلبس هذه الجبة ففعل ذلك ، فطبخت له أمه مرقه من عدى فأكل ، فأخذه النوم فنام ، فتوى فى نومه : يا يحيى وجدت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى ، فقام فرحا بكيا ، فقال ردوا على مدرعتى وخذوا جبتكم طمت أنكم تريدون هلاكى ، فقال زكرياء عليه السلام : دعوا أنجرصل لنفسي لعل ينجو من النار ، فلما لمعت عباده أوحى الله تعالى إلى زكرياء عليه السلام : آنى قد حرمت عليكم النار ، ثم اطمانت قلوبهم وازدادوا فى عبادة الله كما قال الله تعالى فى سقيم ( لآتهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ) ( ذخرة العابدین ) وروى فى الخبر « أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام إلى مالك خازن جهنم بأن يأخذ من النار ، فيأتى بها إلى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعامه ، فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار ؟ قال جبرائيل عليه السلام : قدر ثمرة ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد فذاب السبع السموات والسبع الأرضين من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام : نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لم ينزل من السماء قطرة ولم يثبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام : إلهى كم آخذ من النار ؟ فقال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها ، فأخذ مقدار ذرة وغسلها فى سبعين نهرا من أنهار الجنة سبعين مرة ، ثم جاء بها إلى آدم عليه السلام ، فوضعا على جبل هاهنا من الجبال فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها وبلى دخاتها فى الأحجار إلى يومنا هذا ، فهذه النار من دخان تلك القدرة « فاعتبروا يا أيها الإخوان ( دقائق الأخبار ) قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن أهون أهل النار عذابا أن يذب الرجل وله نعلان من النار ينبل منهما دماغه كأنه مرجل على حمة يشتهل منه لب النار ويخرج جشاء بطنه من فميه ، وإنه ليرى أنه من أشد أهل النار عذابا وهو من أهون أهل النار » ( دقائق الأخبار ) .

( حكي ) عن منصور بن عمار أنه قال : كنت أطوف فى سكة من سكك الكوفة فى ليلة مظلة ، فسمعت صوتا فى منزل من منازلها يقول : إلهى بمرتك وحلاك لا تنظر إلى مصيق وأمر دينى وأقبل عذرى ، فإن لم تقبل عذرى فكيف يكون حالى ، فلما سمعت هذا قرأت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ) الآية . فسمعت صوتا

وحركة شديدة ثم سكنت الحركة فلم أسمع منها أراحيات فضيت ، فلما أصبحت خرجت من الطريق  
 لقدى جثت منه فرأيت القوم في ذلك المكان يكون وعجوزا تبكي وهي أم لثيت تقول : لا يحازي الله  
 قاتل ابن خيرا وهو من تلا آية المذاب وهو قائم يصلي في المحراب ، فلما سمعها لم يتحمل قلبه حتى  
 صاح وخر ميتا ؛ فلما سمعت هذا وكنت سمعنا رأيته تلك الليلة في القام العالي قلت له : ما فعل  
 الله بك ؟ قال فعل بي ما فعل بشهداء أحد وبدد . قلت فكيف هذا ؟ قال لأنهم قتلوا بسيف  
 السكفار ، وأنا قتلت بسيف الملك النصار ( مشكلة الأنوار ) وروى عن جابر بن عبد الله رضي  
 الله عنه عن النبي عليه والصلوات والسلام أنه قال : « إن في النار حياث وعقارب مثل أعناق الإبل »  
 فتلسع أحدكم لسمة يهد حرارتها أربعين خريفا « ( دقات الأخبار ) . ( حكى ) أن شيئا كان  
 يحشى على شطهر قرأى صيا يتوضأ وهو يبكي ، فقال الشيخ : يا صبي ما يبكيك ؟ قال الصبي  
 فرأت القرآن حتى جاءت هذه الآية ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ) الآية . تخفت أن  
 يلتقي الله في النار ، قال الشيخ يا صبي أنت مصوم فلا تخف إنك لا تستحق النار ، فقال  
 الصبي يا شيخ أنت قاتل ؛ ألا ترى أن الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم وضموها أولا منار  
 الحطب ثم وضموها الكبير ، فبكي الشيخ بكاء شديدا وقال : إن الصبي أخوف منا من النار  
 فكيف يكون حالنا . فاعتبروا يا أولي الأبصار ، لم لا تبكي على نفسك للرهوة بالنار  
 وللوت ركب على عتقك والقبر منزلك والقيامة موقفك والخصاء أقواء والقاضي الجبار  
 وللنادي جبرائيل والسجن جهنم والسجان الزبانية وأنت لا تصبر على حر الشمس ، فكيف  
 تصبر على لسع الحيات والعقارب ؟ ( جامع الجوامع ) . روى أنه عليه الصلاة والسلام قال  
 « سمعت ليلة للمراج دوبا ، فقلت لجبرائيل : يا جبرائيل ما هذا الذي ؟ قال حبر  
 ألقى في البحر منذ سبعين خريفا والآن انتهى إلى قعرها » كما قال أبو هريرة رضي الله  
 عنه « كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فسمعنا صوتا مع الحية والشددة ، قال  
 رسول الله عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حبر  
 أرسل في جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » ( زبدة الواعظين ) . ( وحكى ) أن  
 عابدا عبد الله تعالى مدة ثم توضأ يوما من الأيام وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده فقال :  
 إلهي قبل مني ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لا تتطلق يا ملعون فإن طاعتك مردودا ،  
 فقال العابد لم ذلك يا رب ؟ قال المنادي إن امرأتك غفلت فلا عتاقا لأمرى وأنت راض  
 عنها ، فجاء العابد وسأل عن حالها ؟ فقالت ذهبت إلى مجلس الفساد وصمت القلب  
 وتركنت الصلاة ، فقال العابد أنت طالق مني فاني لا أقبلك أبدا ، فطلق امرأته وتوضأ وصلى  
 ركعتين ثم رفع رأسه ويده وقال : اللهم تب علي ، فنودي الآن قد قبلت طاعتك ( عيون ) .

روى عن طي كرم الله وجهه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « تعوذوا بالله من  
 جب الحزن ، قيل يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال وادى جهنم تعوذ جهنم منه كل يوم سبعين  
 مرة فاعنه الله تعالى لا قراء للرائين » ( ربيعة الواعظين ) قال منصور بن حازم : بلغني أن مالك خازن  
 النار أي يابعد أهل النار مع كل رجل يد تقيمه وتقدمه وقفه بسلسلة ، فإذا نظر إلى النار كل  
 بضها بضامن خوف مالك ، وحروف البسلة تسعة عشر ، وهذه الزبانية كذلك ، سموا بذلك  
 لأنهم يفعلون بأرجلهم كما يفعلون بأيديهم ، ليأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار يد  
 واحدة وعشرة آلاف باحدى رجله وعشرة آلاف بيده الأخرى ويأخذ بالرجل الأخرى كذلك ،  
 فيعذب أربعين ألف كافر مرة واحدة بما فيه من قوة وعدة ، أحدهم مالك خازن النار ، وثمانية  
 عشر مثله وهم رؤساء للثلاثكة تحت كل ملك منهم من الحزنة ما لا يحصى عددهم إلا الله ، أعيينهم  
 كالبرق الحافظ ، وأسنانهم كياض قرن البقر ، وشفاهم خمس أقدامهم يخرج لهم النار من  
 أفواههم ، ما بين كفتي كل واحد منهم سيرة واحدة ، لم يخلق الله في قلوبهم من الرحمة والرافة  
 مقدار ذرة ، يهوى أحدهم في بحار النار مقدار أربعين سنة فلا تضره النار لأن النور أشد من حر  
 النار ، تعوذ بالله من النار ، فيقول مالك لزبانية : ألقوهم في النار ، فإذا ألقوهم في النار نادوا  
 بأجمعهم لا إله إلا الله ، فترجع عنهم النار ، فيقول مالك يا نار خذيهم ، فتقول النار كيف أحدهم  
 وهم يقولون لا إله إلا الله ، يقول مالك نعم بملك أمر رب العرش العظيم فأخذهم ، فثمهم  
 من يؤخذ إلى قديسه ، ومنهم من يؤخذ إلى ركبته ، ومنهم من يؤخذ إلى سرته ، ومنهم  
 من يؤخذ إلى ساقه ، فإذا هوت النار إلى الوجوه يقول مالك لا تحرق وجوههم قطالما سجدوا  
 لرحمن ولا تحرق قلوبهم قطالما عطشوا من هذه رمضان ( دقائق الأخبار ) .

### الجلس الثامن والستون : في بيان التوبة

#### سورة التحريم — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ) بالغة في النصيح وهو صفة الكاتب فإنه  
 ينصح نفسه بالتوبة ، وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة ، أو في النصيحة وهي الحياطة  
 كأنها تنصح ما خرق الذنب ( عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري  
 من تحتها الأنهار ) ذكر بسنة الإطعام جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه مفضل والتوبة  
 غير موجبة وأن البعد ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء ( يوم لا يخزي الله النبي ) ظرف  
 ليدخلكم ( والذين آمنوا معه ) عطف على النبي إحسانا لهم ولتمريضا لمن نالواهم ، وقيل مبتدأ  
 خبره ( نورهم بسمى بين أيديهم وبأيمانهم ) أي على الصراط ( يقولون ) إذا طغى نور  
 الناصقين ( ربنا آثم لنا نورنا واغمر لنا إنك على كل شيء قدير ) وقيل تتفاوت أنوارهم

بحسب أعمالهم ، فيأتون إتمامه فضلا ( فاضل يضاوى ) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » ( زبدة الواعظين ) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « التوبة على الذنب كالصابون على الثوب » قيل تمام التوبة يحصل بتأنيه أشياء : اندم على ما سلف من الذنب ، وقضاء الفرائض ، ورد الظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تمزم على أن لا تعود ، وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في العصية ، وأن تلبثها مرارة الطاعات كما أدتها حلاوة المعاصي ، وإصلاح لنا كقول والشروب ( موعظة ) . روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون من التائب ؟ قلنا الله ورسوله أعلم » قال عليه الصلاة والسلام : من تاب ولم يعلم العلم فليس بتائب ، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب ، ومن تاب ولم يرض الحياء فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يبدل أصحابه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يطو فراشه وبساطه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يتصدق « أى ولم يتصدق » بفضل ما فى يده فليس بتائب ، فإذا استبان من العبد هذه الخصال فهو تائب حقا « وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا قال العبد إني أخاف من النار ولم يكف عن الذنوب فهو كذاب عند الله غير تائب » وإذا قال العبد إني أشتاق إلى الجنة ولم يعمل لها فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إني أحب الله عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إني أشتاق إلى معاقبة الحور ولم يقدم لها مهرا فهو كذاب غير تائب ، فإن التائب حبيب الله وحبيب رسول الله كما قال الله تعالى ( إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ) « ( زبدة الواعظين ) عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التوبة النصوح النسم على ما مضى والإقلاع في الحال عنه والعزم على أن لا يعود أبدا . وقال الله تعالى ( إنما التوبة ) أى الرجوع عن النامى ( على الله ) على ليس للإيجاب كما قال المعتزلة لأنه لا وجوب على الله فى شيء بل بمعنى عسر ( للذين يعملون السوء ) أى للعصية ( بمحالة ثم يتوبون من قريب ) أى بزمان قريب قبل حضور سكرات الموت ( فأوثقك يتوب الله عليهم ) أى يغفر نوبهم ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ( وكان الله عليا حكما ) علما بأهل التوبة حاكما بقبولها ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يتقبل التوبة من العبد ما لم يفرغ من قبل توبته » ( مصابيح ) والفرغة : تردد الروح فى الخلق ، فرب الموت لا يمنع قبول التوبة ما لم يمان أحوال الآخرة ، وفيها لا تقبل توبة السوفيين وللقاضين كما لا يقبل إيمان

الكافرين حال اليأس كإيمان فرعون كما قال الله تعالى ( وليست لتوبة ) أى لا يقبل الله التوبة ( للذين يملكون السيئات ) أى الذنوب غير الشرك مصرين عليها ( حتى إذا حضر أحدهم الموت ) أى وقع فى سكرات الموت سوى علامات الموت ، فإن التوبة تقبل بالعلامات لأن فيها لايمان أحوال الآخرة ( قال إني تبعت الآن ) من ذنوبى يصنى لا تقبل التوبة نعمة لأنه حالة اليأس من الاختيار ( ولا الدين ) أى لا يجبل إيمان الدين ( يعمونون وهم كفار ) كما لا يجبل لإيمانهم بعد البعث أو فى القبر ( أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما ) قال صاحب الكشف : سوت هذه الآية بين الذين سوفوا توبتهم إلى أن حضر الموت وبين الذين ماتوا على الكفر فى أنهم لا توبة لهم ، قال عليه الصلاة والسلام « هلك للسوفون » وللسوف هو الذى يقول سوف أتوب . وكذا قال الله تعالى ( بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ) يبنى ذنوبه ويؤخر توبته ، قال عليه الصلاة والسلام « إذا تاب مؤمن كتب الله تعالى له بكل يوم مر عليه فى فسته عبادة سنة وأعطاه ثواب شهيد ، ورتوج يوم القيامة بألف تاج ، وفتح له فى قبره باب إلى الجنة ، ويقوم يوم القيامة ملك عن يمينه وملك عن شماله وملك من بين يديه وملك من خلفه ينترونه بالجنة » قال عليه الصلاة والسلام « إذا مات شاب تائب رفع الله العذاب عن مقابر المسلمين أربعين عاما لكرامته على الله » ( خاصة ) حكى « أنه دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبي عليه الصلاة والسلام وهو يبكي فقال له ما يبكيك يا عمر ؟ فقال يا رسول الله إن فى الباب شابا وقد أحرق قوادى بكاءه ، فقال عليه الصلاة والسلام أدخله على ، فأدخله عمر وهو يبكي ، فسأله النبي عليه الصلاة والسلام عن بكائه فقال يا رسول الله أبكاني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على ، فقال عليه الصلاة والسلام أأشركت بالله شيئا ، قال لا : قال عليه الصلاة والسلام : أقتلت نفسا بغير حق ؟ قال لا ، قال عليه الصلاة والسلام : إن الله يامر ذنوبك ولو كانت ملء السموات السبع والأرضين السبع ، فقال يا رسول الله ذنبي أعظم من السموات السبع والجيال الرواسي ، قال عليه الصلاة والسلام أذنبتك أعظم أم الكرسي ؟ قال ذنبي أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبتك أعظم أم العرش ؟ قال ذنبي أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبتك أعظم أم الله ؟ بيني خفران الله ورحمته قال بل الله أعظم وأجل ، قال عليه الصلاة والسلام أخبرني عن ذنبك ، قال أستحي منك يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام لا تستحي مني أخبرني عن ذنبك ، قال يا رسول الله إني كنت رجلا نباشا منذ سبع سنين حتى ماتت بنت من بنات الأنصار ، فنبشت قبرها وأخرجتها من كفنها وغلبني الشيطان فرجعت إليها وجامعتها ، فقالت لي البنت : أما تستحي من ديوان الله يوم يضع سكره لقصاء ويأخذ حق المظلوم من الظالم وقد تركتني عريانة فى عسكر الوقي



وأوقفني جنباً بين يدي الله ، فوثب رسول الله : أي قام بسرعة فقال له يا فاسق اخرج عن ماجراؤك إلا النار ، فخرج الشاب باكياً نالياً نحو الصحراء لم يأكل شيئاً ولم يشرب ولم يتم مسحة أيام ، حتى ذهبت طاقته وسقط على موضع ووضع وجهه على التراب ساجداً يقول : إلهي أنا هبلك للذنوب الخطيئة جئت إلى باب رسولك ليشفع لي عندك ، فلما سمع عظيم خطيئتي طردني عن بابي وأخرجني من عنده ، فبغت اليوم إلى بابك لتكون لي شفيعاً عند جيبك لأنك رحيم إلى عبيدك ولم يبق رجائي إلا بك وإلا فأرسل ناراً من عندك وأحرقني بها في دنياك قبل أن تحرقني في آخرتك ، ثم جاء جبرائيل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله : إن الله يقرئك السلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : هو السلام ومنه السلام وإليه يرجع السلام ، قال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى لك أنت خلقت عبيدي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام بل هو خلقني وخلقهم ، فقال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى أنت ترزقهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الذي رزقهم ورزقني ، وقال جبرائيل عليه السلام : يقول أنت تجبل توبتهم ؟ قال بل هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويفضو عن السيئات ، وقال جبرائيل يقول الله تعالى لك بشت إليك عبداً من عبادي وأظهر من ذنوبه ذنباً فأعرضت عنه أعهد الإعراض بسبب ذنب واحد ، فكيف يكون حال للذين غدا إذا حادوا بذنوب كالجبال العظام أنت رسول أرسلتك رحمة للعالمين ، فكان للمؤمنين رحماً وللمؤمنين شفيعاً واعص عن زلة عبيدي فاني قد غفرت له حويته ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجالاً من أصحابه فوجدوه وجسدهم بالنفوس والنفرا ، وجاءوا به إلى رسول الله فوجدوه في صلاة بالغرب فاتقدوا به ، فلما قرأ سورة الفاتحة وضم إليها المأكم التكاثر إلى أن قال حتى زرتم المقابر صاح الشاب صيحة وسقط ، فلما أتموا الصلاة وجدوا الشاب قد مات وفارق الدنيا رحمه الله تعالى (مشكاة الأنوار) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام عن الحليل عليه السلام « أنه قال ذات يوم : يا كريم العفو ، فقال جبرائيل عليه السلام أنتدري ما كريم عفو ؟ قال لا ، قال إذا عفا عن عبد لم يرش بذلك حتى يبدل سيئاته حسنات كقوله تعالى ( فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ) » (نكتة) .

حكى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وقتاً من الأوقات في حكة المدينة ، فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئاً ، فمال له عمر : أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك ؟ وكان خفياً ، فاستحيا الشاب أن يقول خفياً وقال في سره : إلهي إن لم تضجني عند عمر ولم تعضني وسترني عنده فلا أشرب الخمر أبداً ، فقال له أمير المؤمنين الذي أحمله خيل ، قال عمر أرني حتى أراه ، فسكرهها من يديه فراها عمر وقد صارت خلا نقيعاً .

فاختبروا أيها الإخوان حيث إن مخلوقا تاب من خوف محرم وهو أيضا مخلوق ، فبدل الله تعالى خمره بالحل ، فلو تاب العاصي للقلب للذنوب عن الأعمال القاسية خوفا من الله تعالى لبذل الله تعالى خمر سيئاته بخل الطاعات لا يكون هيبا من لطفه وكرمه ، لقوله تعالى ( فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ) ( من أساس الدين ) وفي الحديث « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : أخطأت يا رسول الله لما الحيلة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : للتوبة فان التوبة تسد الخطيئة » ( كذا في خلاصة الحقائق ) .

### المجلس التاسع والستون : في علامة السعادة والشقاوة

سورة الدثر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( كل نفس بما كسبت رهينة ) مرهونة عند الله ، مصدر كالشيعة أطلقت على القول كالرهين ولو كانت صفة قيل رهين ( إلا أصحاب اليمين ) فاتهم فكفوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم ، وقيل هم للآلئكة أو الأطفال ( في جنات ) لا بكنته وصفها ، وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله ( يتساءلون عن المحرمين ) أي يسأل بعضهم بعضا ، أو يسألون غيرهم عن حاتم كقولك توعده : أي وعده ، وقوله ( ما لك في سقر ) جوابه حكاية لما جرى بين السائلين والمحرمين أجابوا بها ( قالوا لم نكمن لتصلين ) الصلاة الواجبة ( ولم نك نعظم للسكين ) ما يجب إعطاؤه ، وله دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ( وكنا نخوض مع الخافضين ) نخرع في الباطل مع الشارعين فيه ( وكنا نكذب يوم الدين ) أخرجه لتعظيمه : أي كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة ( حق أنانا اليمين ) اللوتومقدماته ( لما تمنعهم شفاعاة الشافعين ) لو شفّعوا لهم جميعا ( فافهموا يشاؤهم ) .

عن أبي هريرة روى الله تعالى عنه أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله وحده من قلبه » روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قال لا إله إلا الله وحده دخل الجنة » قيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ قال تحبزه عن محارم الله تعالى « ( تذكر القرطبي ) عن أبي هريرة روى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا جمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة أذن لأمه محمد عليه الصلاة والسلام في السجود ، فيسجدون فيسبحون فيه طويلا ، ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا أهداكم لهداكم من النار » عن أنس بن مالك روى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذه الأمة مرهونة عذابها بأيديها ، فإذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل رجلا من المسلمين رجلا من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » ( رواه مسلم ) .

وعن أبيه برده أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » وفي رواية أخرى « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا » الحديث ( تذكرة القرطبي ) قال عليه الصلاة والسلام « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد ، والرغبة فيها تنصب القلب والبطن » ( طريقة محمدية ) قال أبو يزيد البسطامي : حافظي أحد إلا واحد من أهل بلخ قدم عليا فقال لي : يا أبا يزيد ما أحد الزهد عنكم ؟ قال إذا وجدنا أكثنا ، وإذا قدنا صبرنا ، فقال تفعل هذا كلاب بلخ ؟ قلت فما أحد الزهد عنكم ؟ قال إذا قدنا صبرنا وإذا وجدنا أكثرنا ( مكاشفة القلوب ) قال عليه الصلاة والسلام « من بات في طلب الحلال أصبح مغفورا » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة لم نبت من السحت » أي من الحرام « والنار أولى به » ( مكاشفة القلوب ) . اعلم أن علامة السعادة إحدى عشرة خصلة : إحداها أن يكون زاهدا في الدنيا وراغبا في الآخرة ، والثانية أن تكون همه في العبادة وتلاوة القرآن . والثالثة أن يكون قليل القول فيما لا يحتاج إليه . والرابعة أن يكون محافظا على الصلوات الخمس . والخامسة أن يكون ورعا فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات . والسادسة أن تكون محبة مع الصالحين . والسابعة أن يكون متواضعا غير متكبر . والثامنة أن يكون سخيا كريما . والتاسعة أن يكون رحيا بإخلاق الله تعالى . والعاشرة أن يكون ناهيا للملح . والحادية عشرة أن يكون ذا كرا للموت كثيرا ( تنبيه النافلين ) وعلامة الشقاوة أيضا إحدى عشرة : أولاها أن يكون حريصا على جمع المال . والثانية أن تكون همه في الشهوات ولذات الدنيا . والثالثة أن يكون فاحشا في القول ومعتكرا بقلبية . والرابعة أن يكون متهاونا بالصلوات الخمس . والخامسة أن تكون محبة مع القهار . والسادسة أن يكون سيء الخلق . والسابعة أن يكون محتالا لغورا . والثامنة أن يكون مانعا لمنعة الناس . والتاسعة أن يكون قليل للرحمة للمؤمنين . والعاشرة أن يكون بخيلا . والحادية عشرة أن يكون غاميا للموت . يعني أن الرجل إذا كان ذا كرا للموت فإنه لا يجتمع عن إطفاء الطعام ورحم المسلمين والسلامات ( تنبيه النافلين ) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله محفوفة ، وذكر الحسنات الماضية ولا يندري أقبلت أم ردت ، والنظر إلى من فوقه في الدنيا ، والنظر إلى من دونه في الدين يقول الله سبحانه وتعالى : أردتكم فلم تردني قرحتكم فلم تحبكم » ( منهاج التلمذ ) روى عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا من عري ، كساه الله من خصرة لباس الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما سقاء الله تعالى من رحيق مخزوم »

(مزمور) . حتى أنه كان في بني إسرائيل عابدهو يمد الله تعالى في الليل ويبيع متاعه للخلائق في النهار ويقول : يا نفس اتقي الله تعالى ، وكان يوما قد خرج من داره لبيع متاعه ، وجاء إلى باب الأمير ونادى باسم متاعه ، فرأت زوجة الأمير على بابها رجلا تاجرا حسن الوجه ما رأت مثله ومالت نفسها إليه ، فهدت ذلك التاجر إلى دارها فقالت : يا تاجر إنني عاشقة لك وللمال كثير ولباس حرير فاترك متاعك القليل واتزع لباسك واللبس لباس الحرير وخذ المال الكثير ، فالت نفسه إلى هذا الكلام فقال : يا نفس اتقي الله ثم قال إنني أخاف الله رب العالمين ، فقالت والله لا أفتح الباب حتى تسلم نفسك إلى . فقال التاجر يا نفس اتقي الله ثم تفكر ساعة في النجاة منها ، ثم قال يا زوجة الأمير أمهليني إلى أن أغوص وأصل ركبتين ، فغوصا وأرضع فوق الدار ثم صلا ركبتين فوقها ونظرا إلى الأرض فرأى الأرض بيضة مقدار عشرين ذراعا ، ثم نصب حينه إلى السماء ونادى ربه يا كيا فقال : إنني عبدتك منذ سبعين سنة خلصتني من شرها وإلا آتيك معها ثم قال يا نفس اتقي الله يا نفس اتقي الله ، فرمى نفسه من فوقها في الحال ، فقال الله تعالى لجبرائيل خذ يد عبيدي فقد رمى نفسه من خوف عقابي قبل نزوله إلى الأرض ، فنزل بسرعة فأخذه قبل نزوله إلى الأرض كأخذ الأم الابن وأخذ على الأرض كالطير ، ثم فزع إلى داره خالفا من شرها وفرحا من خلاصه وآتى أهله جائعا جوعا شديدا وبها كيا حزينا وقد عندها جلاء رجل من جيرانه يستقرض منه خبزا ، فقال العابد والله لا خبز لنا منذ أيام هئت فانتظر إلى التور ، فنظر للمستقرض إليه فرأى فيه خبزا مطبوخا فأخبر العابد ما حرامه ، فتعجب أهله وقالت له هذه الكرامة منك لا مني فما سرها ؟ فكشف العابد سره وشكرت أهله إلى الله شكرا كثيرا كما قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (زبد الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : إذا قامت القيامة وقام الناس والجنت واللك صفوا يحيى أطفال المسلمين فيكونون صفا ، وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب وأدخل أطفال المسلمين في الجنة ، فيجشون إلى بابها ويقفون فيه ويقولون : أين آباؤنا وأمهاتنا ؟ وإن دخول الجنة بغير آباءنا وأمهاتنا وليس بمناسب لنا ، فنقول لللائكة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأنهم عصوا ربهم وأبغوا أنفسهم وشياطينهم واستوجبوا النار ، فإذا صعد الأطفال هذا القنال صاحوا صيحة عظيمة وبكوا بكاء كثيرا ، وحينئذ يقول الله تعالى المليم السلام يا جبرائيل ما هذه الصيحة ؟ فيقول جبرائيل عليه السلام هي صيحة أطفال المسلمين يقولون لا حاجة لنا إلى الجنة ولا يكون لنا قادات الجنان بغير آباءنا وأمهاتنا ، ونرجو من الله تعالى أن ينفو عنهم ويهب ذنوبهم لنا ويدخلهم معنا الجنة وإلا فليدخلنا معهم النار ،

وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب واحلب آباءهم وأمهاتهم من أي مكان كانوا فسلبهم إلى أطلعاهم لأنني قد غفرت ذنوبهم وبشفاعتهم وأدخلتهم معهم الجنة ، فلما سمعوا هذا الكلام من الله تعالى فرحوا وسروا ووجدوا آباءهم وأمهاتهم وأخذوا بأيديهم ودخلوا الجنة معهم « هذا ملوك الحديث . ذكر ابن المبارك رحمه الله عن أبي صالح الكوفي رحمه الله أنه قال في قوله تعالى ( الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يسمهون ) قال الله لأهل النار وهم في النار : اخرجوا فيفتح لهم أبواب النيران ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج وللذين ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم فذلك قوله تعالى ( الله يستهزئ بهم ) ويضحك منهم للذين حين غلقت دونهم وذلك قوله تعالى ( فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ) قال ابن المبارك رحمه الله أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى ( فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون ) قال ذكر لنا أن كعبا يقول : إن بين الجنة والنار كوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوه كان في الدنيا اطلع عليه من بين الكوى كما قال الله تعالى في آية أخرى ( فاطلع فرآه في سواء الجحيم ) قال ذكر لنا أنه اطلع فرأى حجاج القوم تنلى ( تذكرة القرطبي ) روى عن أبي الهيثم عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يسلط على أهل النار الجوع ، وعذاب الجوع يكون عليهم أشد من سائر العذاب فيكون يطلبون الطعام ، تحطمهم الزبانية صرعا وهو حشيش في البرية إذا أكله الجمل يقف في حلقومه فيموت ، فإذا أكل أهل النار ذلك الضرع يقف في حلقومهم فيطلبون ماء ، فيؤتون بعشيرة من ماء حمم إذا قربوا للشربة إلى أفواههم تقع لحوم وجوههم على الشربة من شدة حرارة ذلك الماء ، فإذا شربوا قطعت أعضاؤهم في بطونهم ، فينظرون وينضرمون إلى الزبانية ، فتقول الزبانية لهم ألم يأتكم نذير في الدنيا ؟ فيقولون بلى ولكن لم نسمع كلام الرسل ولم نصدقهم ، فتقول الزبانية الآن لا يبعدكم الجزع والتضرع ، ثم ينضرمون إلى حالكم فلا يجيبهم إلى ألف سنة ، فإذا تم الألف يقول مالك لهم ( إنكم ما كنتم ) فيها ، ثم ينضرمون إلى الله تعالى ويقولون ( ربنا غلبت علينا حقوتنا ) التي كتبت علينا فلم نهتد ( وكنا نوما ضالين ) عن الهدى ( ربنا أخرجنا منها ) من النار ( فإن عدنا ) فلنا مصيبة مما تكره ( فلنا ظالمون ) أي كنا من الظالمين : يعني إن فلنا مصيبة بعد ذلك فأدخلنا النار وهدبنا بنوع من عذاب جهنم ، ثم يأتي الخطاب من الله تعالى بعد ألف سنة ( قل اخشعوا فيها ولا تكلمون ) أي اسكتوا فيها ولا تكلموني في رفع العذاب فاني لا أرفعه عنكم ؛ لأنها ليست مقام سؤال ، فبعد ذلك يأسون ويذلون ويمدون ، وبعد ذلك لا يقدر على التكلم وتكون أصواتهم كصوت الكلب ويكونون محرومين عن جميع الخيرات « ( تفسير يس ) .

## الجلس السبعون : في بيان أحوال النفس

سورة القيامة — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يقول الإنسان يومئذ بما لم يعمل وأخر ) بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمل ، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها عمله ، أو بما قدم من ماله تصدق به وبما أخر نخله أو بأول عمل وآخره ( بل الإنسان على نفسه بصيرة ) حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها ، ووصفها بالبصيرة على الحجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء ( ولو ألقى مطالبه ) ولو جاء بكل ما يمكن أن يتذكر به جمع معان وهو العند أو جمع معلومة على غير قياس كالتأخير في التذكر فإن قياسه معان ، وذلك أولى وفيه نظر ( فاضى يضاهى ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من هربت عليه حاجته فليكثر من الصلاة على فانها تكشف المصوم والنموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج » . وعن بعض الصالحين أنه قال : كان لي جار نساج فبات فرأيت في المنام قلت ما فعل الله بك ؟ فقال غفري . قلت بم ؟ قال كنت إذا كتبت اسم محمد عليه الصلاة والسلام في كتاب صليت عليه ، فأعطاني ربي مالا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ( من دلائل الخيرات ) قوله : ينبغي الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ؟ أي من عمله لا يحتاج إلى أن ينبته غيره لأنه على نفسه حجة ( تحسير ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : لليزان كفتان إحداها بالشرقي والأخرى بالمغرب ( بمصرة ) وقال عليه الصلاة والسلام « كفتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحانه الله ومحمد سبحانه الله العظيم » ( بخاري ) وقال عليه الصلاة والسلام « من سن سنة حسنة » يعني في الإسلام فهو مقتدى به في هذه السنة « فله أجرها وأجر من عمل بها » يعني كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » فهو مقتدى به في هذه السنة السيئة « فعليه وزرها ووزر من عمل بها » يعني من أتى بعده بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزره ( بخاري ) وعن معاذ بن جبل قال « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ولهم ألقاه » ( تنبيه الطالبين ) قال الله تعالى في سورة غفلت ( حتى إذا ما جاموها عند عليهم مصهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ) قال داود عليه السلام : يا رب إنه أريد أن أعاهد الصراط واليزان في دار الدنيا ، فقال الله تعالى : يا داود اذهب إلى وادي كذا ، فأذهب الله الغياب عنه حتى رأى الصراط واليزان على الصفة التي جاءت في الأخبار ، فبكى داود عليه السلام بكاء شديدا وقال : إلهي من يقدر من عباده أن يعلا كفة الميزان بالحسنات

فقال الله تعالى : فوعزني وجلالي من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة بالاعتقاد صبر على الصراط كالبرق الخاطف ، ومن تصدق بشئ ثمرة لأجله علماً للبران ، وللبران أعظم من جبل قاف ( مشارق الأنوار ) قال الله تعالى في سورة يس ( إنا نحن نحي الموتى ) أي الأموات عند البعث ( ونكتب ما قلدوا ) من الأعمال من خير وشر ( وآثارهم ) أي عملوا من سنة حسنة أو سيئة ، قال عليه الصلاة والسلام : علامة الشقاوة أربعة : لسان الذنوب اللامية وهي عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات اللامية ولا بدري أقبلت أم ردت ، وانظر إلى من فوقه في الدنيا وإلى من دونه في الدين ، يقول الله تعالى أردنه ظم يردني فركته ( منهاج التعلّم ) قال عليه الصلاة والسلام : لأن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم بعد موته ( مصابيح ) قوله ( ونكتب ما قلدوا وآثارهم ) أي خطاهم إلى السجد ، روى عن أبي سعيد الخدري قال : هكته بنو سلة بعد منازلهم من السجد فأزل الله تعالى ( ونكتب ما قلدوا وآثارهم ) عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : أراد بنو سلة أن يتحولوا إلى قرب السجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمرى المدينة فقال : يا بني سلة ألا تحبون آثاركم فأقاموا ، عن أبي موسى الأنصري أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : أعظم الناس أجراً في الصلاة أبدم يحيى والذي ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصل ثم يسلم ( وكل شيء أحسنه ) أي حفظناه وعددناه وبيناه ( في إمام مبین ) وهو اللوح المحفوظ ( تفسیر معالم ) قال الفقيه أبو الميث : يوم القيامة يؤتى بأربعة أقوام ويحضر كل واحد منهم ولم يقل عندهم : أولهم الذي يستلزم بآتي غنى ومشغول بحقوق أمواله فلم أعبده ، فيقول الله تعالى : إن سليمان ملك ما بين الشرق والغرب ولم يعبس ربه ، فحذرته غير مقبول فيساقون إلى النار . والثاني الفقير يستلزم بفقره ، فيلزمه بيعي عليه السلام أيضاً ، والثالث العبد يستلزم بعبدة مولاه ، فيلزمه يوسف عليه السلام ، والرابع المريض يستلزم بمرضه ، فيلزمه بأبواب عليه السلام ( عليه السالطين ) ويقال إن الله تعالى يحتاج بأربعة أشخاص على أربعة أجناس يوم القيامة : يحتاج على الأغنياء سليمان بن داود عليهما السلام ، فيقول النبي يا رب كنت غنياً فالتمس شغلي عن عبادتك ، فيقول الله تعالى لم تكن أغنى من سليمان ، فلم يمنعه غناه عن عبادتي . ويحتاج على العبد يوسف عليه السلام ، فيقول العبد يا رب كنت عبداً والرق مني عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له إن يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتي . ويحتاج على الفقراء عيسى عليه السلام ، فيقول الفقير يا رب إن حاجتي مني عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له أنت أخرج أم عيسى ؟ لم يمنعه فقره عن عبادتي . ويحتاج على الرعي بأبواب عليه السلام ، فيقول للرعي يا رب للرض مني عن عبادتك ،

فيقول الله تعالى له أمر منك أهدأ من مرضي أبوب ؟ ولم يمنعه ذلك من عبادتي ، فلا يكون لأحد عندك عذر يوم القيامة ( عليه السالطين ) قيل ساعدا الليل والنهار أربع وعشرون ، فالإنسان متنفس في كل ساعة ساعة وثمانين نفسا ، في الليل والنهار يتنفس أربعة آلاف وثلاثمائة وعشرين نفسا ، وفي كل نفس يسأل بسؤالين وقت الخروج ووقت الدخول : يصفى أى عمل حملت في خروج النفس ودخوله ( روضة العابدین ) فإذا طمت هذا ينهى للعالم الزاهد أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، كما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية وفيها ثمانية عشر ألفايد بامل أفعال الأنبياء » قالوا يا رسول الله كيف ذلك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يفضيرون الله تعالى ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » فكل من هاهد منكرا من أحد ولم ينه فهو شريك له فيه كالمتجمع للنية فهو شريك في الشرب ، وكذا كل للعاصي ، مثلا من جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وإن لم يشرب . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، وألا تنهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ قال بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، واتمروا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » فلناعل لشكر النهي عن المنكر حتى لا يجتمع إيمان ، كما يقال خلوا أقبوال العالم السود ولا تأخلوا فله ، لأن قوله من الحق وفله من الشيطان .

( حكي ) أن رجلا قال لأبي القاسم الحكيم : ما بال علماء زماننا لا ينعظ الناس بمواعظهم كما كان ينعظ السلف ؟ فقال إن علماء السلف كانوا أبقاظا وكان الناس نياما ، فيه الأيقاظ النيام ، وعلماء زماننا نيام والناس موتى ، فكيف يحيى النيام للموتى ؟ كما يقال : مكتوب في التوراة : من يزرع الخير يصد السلامة . وفي الإنجيل : من يزرع الشر يصد الندامة . وفي الفرقان ( من يعمل سوءا يجز به ) . ( حكي ) عن عكرمة أن رجلا مر على شجرة تعبد من دون الله فتعجب عليها ، فأخذ فاسا وركب حمارة وتوجه إلى الشجرة ليقطعها ، فليقه إبليس في صورة إنسان ، فقال له أين تذهب ؟ فقال إلى شجرة تعبد من دون الله وعهدت الله بهذا أن أقطعها ، فقال له إبليس عليه اللعنة : مالك ولها دع قطعها فلم يدع ، فتخاصما فصرع إبليس ثلاث مرات ، فلما عجز إبليس عنه قال له ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فقال الرجل أنفعل ذلك ؟ فقال نعم ، فرجع إلى منزله فلما رجع إلى سجادته صار يجد تحتها كل يوم أربعة دراهم إلى ثلاثة أيام ، فلما أصبح بعد ذلك لم يجد شيئا ، فأخذ الفأس وركب حمارة وتوجه نحو الشجرة ، فقام إبليس على تلك الصورة فقال له أين تريد ؟ قال أريد قطع تلك الشجرة ، فقال إبليس لا تطيق ذلك ، فتخاصما فصرعه إبليس لكنه الله ثلاث مرات ، فتعجب الرجل فقال



بأي سبب أنت غالب على وكتت غالباً عليك قبل ؟ فقال إبليس عليه اللعنة ثم كان خروجك أول مرة لله تعالى ، فلو اجتمع أعوان كلهم عليك لا يقاومونك ، وأما الآن فلما خرجت حيث لم تجد الدرام تحت سجادتك فلا جرم كنت غالباً عليك ، فارجع وإلا أضرب عنقك ، فرجع الرجل وترك قطع الشجرة (زبدة الواعظين) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنزل قدام عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفتاه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه فمأمله به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق » هذا الحديث من حسان الصايح ، والمبد للذكور فيه وإن كان عاماً لكونه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً بغير حساب » غلغل هذا يكون السؤال للذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفاً فلا بد لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة وناقش في الحساب ومطالب بمناقب القدر من الخطرات والمخاطر ، وأنه تعالى لا يبيح من هذه الأخطار إلا بقومه بحاسبة النفس في تجارتها لأخرتها ومطابقتها في أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يخط عليه يوم القيامة حيايه ، ويحضره عند السؤال جوابه ، ويعمن مقبله ومآبه ، ومن لم يحاسبها تنوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقفاته ، وتعوده إلى الخزي والقت سيئاته ، فإذن لا بد للمؤمن أن لا يغل في تجارتها لأخرتها عن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن علمه التجارة ربحها الفردوس الأعلى ويبلغ سدره للنتى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (مجالس الروي) .

### المجلس الحادى والسبعون : فى بيان عيد الفطر

#### سورة الأمل - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفصح من تركي) تظهر من الكفر والنسبة ، أو سكر من التقوى من الزكاه ، أو تظهر للصلاة ، أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصل) كقوله تعالى (أقم الصلاة للذكرى) ويجوز أن يراد بالذكر بكسرة التحريم ، وقبل من تركي تسدى للفطر (وذكر اسم ربه) كبر يوم العيد فصل صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفتلون مايسعدكم فى الآخرة ، والخطاب للأشقي على الالتفات أو على إظهار كل أو لكل فإن السعى للدنيا أكثر فى الجنة (والآخرة خير وأبقى) فإن نعيمها متلذذ بالذات حالى من الفوائد لا انقطاع له (إن هذا فى الصحف الأولى) الإشارة إلى ما سبق من قد أفصح فانه جامع أمر الدنيا وخلاصة الكتب للآخرة (صحف إبراهيم وموسى) يدل من الصحف الأولى ، قال النبي عليه الصلاة والسلام «من

قرأ سورة الأمل أعطاه الله عشر حسنات بعد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى وعهد عليهم الصلاة والسلام . ( قاضي مضامير ) .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : « إن رسول الله عليه الصلاة والسلام صعد للنبأ فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثانية فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثالثة فقال آمين ، ثم استوى فجلس ، فقال له معاذ بن جبل : صعدت فأمنت ثلاث مرات لما حكته يا رسول الله ؟ قال أتاني جبرائيل قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان ولم يسم إلى آخره ولم يضره دخل النار فأبده الله منها فقلت آمين ، وقال من أدرك أجريه أو أحدهما ولم يرها مات دخل النار فأبده الله منها فقلت آمين ، وقال من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبده الله منها فقلت آمين » ( زبدة ) قيل ( قد أفلح من ترك ) يعني بالوالدين كقوله تعالى ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه والوالدين إحسانا ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من ترك الليل إلى الظلمة كقوله تعالى ( ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من ترك النية كقوله تعالى ( ولا يخب بفسخ ميثاق ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من ترك حبة الدنيا كقوله تعالى ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من ذكر الله كثيرا كقوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من صبر على مصيبة الله كقوله تعالى ( إنا بما يولي الصابرون أجرهم خير حساب ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني من تطهر ظاهره وباطنه كقوله تعالى ( ظهر اقصا في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني تلاوة القرآن كقوله تعالى ( وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني بإخلاص عمله كقوله تعالى ( إلا من تاب و آمن وعمل عملا صالحا فأؤتيك بدل الله سيئاتهم حسنات ) وقيل ( قد أفلح من ترك ) يعني نهى النفس عن الهوى كقوله تعالى ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي لأوى ) ( شيخ زاده ) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى : يا ملائكتي كل عامل يطلب أجره وعبادي الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أحورهم اشهدوا أني قد غفرت لهم ، فينادي مناد يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيئاتكم بالحسنات ، فيقول الله تعالى : يا عبادي صمتم لي وأفطرتم لي قوموا معي » ( زبدة الواعظين ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « رمضان أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يستق

في كل ساعة من رمضان من الليل والنهار ستائة ألف عتق من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر ، وفي ليلة القدر يتقى بدمه من أعتق من أول الشهر ، وفي يوم القدر يتقى بدمه من أعتق في الشهر وليلة القدر » ( تبيينه العاقلين ) من أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « صوم العبد مطلق بين السماء والأرض حتى يؤدي صدقة القطر ، وإذا أدى صدقة القطر جعل الله جناحين أخضرين يطير بهما إلى السماء السابعة ، ثم يأمر الله تعالى أن يحمل في قنديل من قناديل العرش حتى يأتي صاحبه » ( زبدة ) قال أنس بن مالك : للؤمن خمسة أعياد : الأول كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد ، والثاني اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد ، والثالث اليوم الذي يجاوز فيه الصراط ويؤمن من أهواله القيامة ويخلص من أيدي الحشوم والزيانية فهو يوم عيد ، والرابع اليوم الذي يدخل فيه الجنة ويؤمن من الجحيم فهو يوم عيد ، والخامس اليوم الذي ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد ( أبو اليث ) ، وعن وهب بن منبه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إن إبليس عليه اللعنة يبيع في كل يوم عيد فيجتمع أهله عنده فيقولون يا سيدنا من أغضبك إنا نكسره ، يقول لا شيء حولكن الله تعالى قد غفر لعله الأمت في هذا اليوم فليكن أن تشغلهم بالذات والشهوات وشرب الخمر حتى يفضهم الله ، فقل العاقل أن يمنع نفسه في يوم العيد عن الشهوات والنهي ويدوم على الطاعات ، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام « اجتهدوا يوم القدر في الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة والتسبيح والتهليل ، فإنا اليوم الذي ينظر الله تعالى فيموتونكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة » ( درة العاقلين ) . ( حكى ) أن صالح بن عبد الله كان إذا كان يوم القدر ذهب إلى للملى ، فرجع بعد أداء الصلاة إلى داره وجمع أهله وعياله عنده وجلس على عنقه سلسلتين حديد وحال الرمد على رأسه وجده وبكى بكاء شديدا ، فقالوا يا صالح هذا يوم العيد ويوم السرور لنا حالك هذا ، فقال عرف ذلك ولكن أنا عبد أمرني ربي أن أحمل هملا له ففعلت ، فلا أدري أقبه أم لا ، وكان يجلس في طرف للملى فقيل له لم لا تجلس في وسط للملى ؟ قال جئت سائلا للرحمة وهذا مجلس السائقين ( زبدة الواعظين ) قال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القدر يبعث الله الملائكة فيهبطون إلى الأرض في كل الساعات ، فيقولون يا أئمة محمد اخرجوا إلى ربكم بحكمهم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله اتهلوا بالملائكة التي قد جعلت ثوابهم على صيامهم ورضائهم ومنفرتي » ويقال إن الحكمة في عيد الدنيا تذكرة عيد الآخرة ، فإذا رأيت الناس بعضهم يذهب مشاة وبعضهم ركباتا وبعضهم لابسا وبعضهم عرباتا وبعضهم يلبس أطلعا

وبعضهم يلبسوا وبعضهم لاعبا ضاحكا وبعضهم باكيا ، فذكر سير القيامة فانه كذلك كآلال الله تعالى ( يوم نحشر للثقلين إلى الرحمن وقبما ونسوق الجحيم إلى جهنم وردنا ) وقال الله تعالى ( يوم ينفع في الصور فئاتون أفواجا ) وقال الله تعالى ( يوم يبيض وجوه وتسود وجوه ) ولذا قيل إن الأعياد مصيبة للأيتام ولبعض أصحاب الأموات .

حكى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه خرج لصلاة العيد والسيبان يلبسون وفيهم من جالس في مقابلتهم وعليه ثياب بدلة وهو يركب ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أيها الصبي مالك تبكي فلا تلمس مسم ؟ فلم يعرفه الصبي ، فقال له أيها الرجل مات أبي بين يدي رسول الله في غزوة كذا وتزوجت أمي وأكلت أموال وأخرجني زوجها من بيتي ، وليس لي طعام ولا شراب ولا ثياب ولا بيت ، فلما نظرت اليوم إلى السيبان ذوي الآباء أخذني غصية أبي فذلك أبكي ، فأخذه رسول الله يده فقال له يا صبي هل ترضاني أن أكون أبا وعائلة أما وعليا هما والحسن والحسين أخوين وفاطمة أختك ؟ لم عرف الصبي أنه رسول الله ، فقال لم لا أرضى يا رسول الله ؟ فقلت النبي عليه الصلاة والسلام إلى منزله وألبسه أحسن الثياب وأشبه وزنه وطيئه فخرج الصبي ضاحكا مبتشرا ، فلما رآه السيبان قالوا له كنت قبل هذا الآن تبكي فإياك صرت الآن مسرورا ؟ فقال كنت جائعا فشبت وكنت غاربا فلبست وكنت يتيما فكان رسول الله أبي وعائلة أمي والحسن والحسين أخوي وعلي هي وفاطمة أختي أفلا أفرح ؟ فقال السيبان يا ليت آباءنا قتلوا في سبيل الله في تلك الغزوة فلكون كذلك ، فلما تولى النبي عليه الصلاة والسلام خرج الصبي وهو يحشو التراب في رأسه ، فاستنثا وقال الآن صرت غريبا ويتيما ، فضمه أبو بكر الصديق إلى نفسه رضي الله عنه ( زبدة ) . صدقة الفطر واجبة على كل من لا اعتقادا على الحر المسلم لتلك الثياب فمثل من الخواصح الأصلية وإن لم يكن ثيابا وبه تحرم الصدقة ، وتجب الأنحية عن نفسه وولده الصغير الفقير وعبده للخدمة ولو كان كافرا وكذا مدبره وأم ولده لأن زوجته وولده الكبير وطفله النبي بل من مال الطفل والمجنون كالطفل ولا من مكاتبه ولا من صيده للتجارة ، ووقت أداء صدقة الفطر قبل صلاة العيد . روى « أن عثمان بن عفان رضي الله عنه نسي زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعل كفارته حتى رقية ، ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله نسيت زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعلت كفارته حتى رقية ، فقال عليه الصلاة والسلام : لو اعتقت باعثنان مائة رقية لم تبلغ ثواب زكاة الفطر قبل صلاة العيد » ( رتبة الواعظين ) قيل لأي شيء الركوع واحد والسجدة ثنتان مع أن كلا منها فرض ؟ قيل لأن الركوع أدعى للعبودية والسجدة شاهدةان ، فكلما لم يقبل الركوع إلا بالسجود فمكذلك

لا يقبل الصوم إلا بصدقة الفطر فانها شاهدة عليه ( زبدة الواعظين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من أعطى صدقة الفطر كان له عشرة أشياء : الأول يطهر جسمه من الذنوب ، والثاني يمتلئ من النار . والثالث يصير صومه مقبولا » كما قال الحسن البصري : إن صدقة الفطر للصوم كسجدة السهو للصلاة ، فكما تجبر سجدتها لسهو كل واقع في الصلاة فكذلك الصوم يجبر بصدقة الفطر كل واقع فيه والثابع لأن الحسنات بذهبن السيئات . « والرابع يستوجب الجنة . والخامس يخرج من قبره آمنا . والسادس يقبل ما عمل من الخيرات في تلك السنة . والسابع تجب له مغفلة يوم القيامة . والثامن يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والتاسع يرجع منهزه من الحسنات . والعاشر يحو الله تعالى اسمه من ديوان الأشقياء » ( شيخ زاده ) ونفسا خراجها قل صلاة العيد ، ولا تسقط بالتأخير ، وهي نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو تمر وعبر والزبيب كالبر وعندها كالشعير ؛ والصاع ثمانية أرطال ، ودفع قيمة ذلك أفضل وعليه الفتوى لأنه أدفع لحاجة الفقير ( ملحق الأبحر ) وقال عليه الصلاة والسلام « من أعطى صدقة الفطر كان له بكل حبة بمطبخها سبعون ألف قصر طول كل قصر ما بين للشرق والغرب » ( مشكاة الأنوار ) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من هوال كان كصيام الدهر كله » وفي رواية أخرى « أعطاه الله تعالى ثواب ستة أنبياء : أولهم آدم عليه السلام ، والثاني يوسف عليه السلام ، والثالث يعقوب عليه السلام ، والرابع موسى عليه السلام ، والخامس عيسى عليه السلام ، والسادس محمد عليه الصلاة والسلام » والله أعلم بالصواب ( زبدة الواعظين ) يجب إخراج صدقة الفطر على الكبير والصغير سواء كان حيا أو مجنونا عندهما ؛ وعند محمد وزفر لا يجب على الصغير والمجنون ، ولو كان له داران دار يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها ويؤجرها يستبرئتها مائة درهم ويجب عليه صدقة الفطر ، وكذلك لو كان له دار واحدة يسكنها وفضل عن سكنها بها شيء يستبرئ قيمة الفضل وكذلك في الثياب والمكاث ( محيط البرهان ) .

### الجلس الثاني والسبعون : في فضيلة عشر ذي الحجة

سورة والفجر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( والفجر ) أسم بالصبح أو قلعه كقولته تعالى « والصبح إذا تنفس » أو بصلاته ( وليال عشر ) عشر ذي الحجة ، ولذلك قرر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتكثيرها لتعظيمه ، وقرئ ( وليال عشر ) بالإضافة على أن المراد بالشر الأيام ( والشفع والوتر ) والأشياء كلها شفعها ووترها أو الحق كقولته تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » والمخالق هو الله لأنه فرد ، ومن قسمها بالناصر الأربعة والأفلاك أو البروج والسيارات أو شفع

الصلوات وترها ويومي النحر وعرفة ؛ وقد روى عن فروعا أو بشرها فلهذه أفراد بالذكر من أنواع الدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخل إلى الدين أو مناسبة لما قبلها أو أكثر منفعة موجبة للشكر ( والليل إذا يسر ) إذا مضى كقوله تعالى « واقبل إذا أدبر » والتفريد بذلك لما في التماقيب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة ، أو يسرى فيمن قولهم صلى للقيام ، وحذف الياء فلا اكتفاء بالكسرة تخفيفا ( هل في ذلك ) القسم وللقسم به ( نعم ) حلف أو محلف به ( لذي حجر ) يعتبره ويؤكده ما يريد تحقيقه ، والحجر : النقل ممن به لأنه بهجر عما لا ينبغي كما من عقلا ونهية وحصة من الإحصاء وهو الضبط والقسم عليه محذوف وهو لم يمتدح يمل عليه قوله ( ألم تر كيف ) الآية ( فاضى يضاوى ) .

وعن الحسن بن علي أنه قال : إذا دخلت للمسجد فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا على حيث كنتم فإن صلاتكم تبتلى » وفي حديث أوس رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة على » وعن سلمان بن سعيد رحمه الله عليه أنه قال : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام في الثوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأثونك فيصلون عليك أنفق سلامهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم ( شفاء شريف ) قال بنى العلماء : من صام هذه الأيام أكرمه الله بشجرة أشياء : البركة في عمره ، والزيادة في ماله ، والحفظ في عياله ، والتكفير لسيئاته ، والتضعيف لحسناته ، والتسهيل لسكرات موته ، والضياء لظلمات قبره والتقليل لميزانه ، والتجاة من دوكانه ، والصعود على درجاته . وكذا روى : إن الله اختار من السنة ثلاث عشرات : الشهر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر ، وعشر الأضحي لما فيه من يوم القنوة ويوم عرفة والأضاحي والتلبية والحج وأنواع الناسك ، كما جاء في الخبر « إن الله تعالى يباهى ملائكته فيقول : انظروا إلى عبادي حيث جاءوا من كل فج عميق شعثا غبرا ليشهدوا منافع لهم يشهدوا لي بملأكتي أي قد ظفرت لهم » وعشر الحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء ولورود هذه الآثار وأمثالها ، قال الفقهاء رحمهم الله : لو قال رجل لله على أن أصوم الفضل الأيام في سنة هذه بعد رمضان يجب عليه الشهر الأول من ذي الحجة ، لأن الأيام الفائقة من السنة هذه الأيام ، وفي الخبر « من صام يوم عرفة من ذي الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين سنة وكتبه الله من القانتين » ( زينة الواقفين ) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام : يعني أيام شهر ذي الحجة ، قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل

خرج بنفسه وماله فلم يرجع بذلك » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ما من أيام أحب إلى الله أن يعبده فيها من عشر ذي الحجة يمتد الصوم كل يوم منها صيام سنة وقيام كل ليلة منها قيام ليلة القدر » وفي الخبر أن موسى عليه السلام قال : يا رب دعوت فلم تجب دعوتي لمسلمي حيثما أدعوك به . فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إذا دخل أيام العشر من ذي الحجة قل لا إله إلا الله أخلص حاجتك ، قل يا رب كل عبادك يقولها ، قال يا موسى من قال لا إله إلا الله في هذه الأيام مرة لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة لميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى لقلت وتورجعت هذه للقالة هذين جميعا . وروى عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اليوم الذي غفر الله فيه لأدم عليه السلام أول يوم من ذي الحجة ، من صام ذلك اليوم غفر الله له كل ذنب . واليوم الثاني استجاب الله دعاء يونس عليه السلام فأخرجه من بطن الحوت ، من صام ذلك اليوم كان كمن عبد الله تعالى سنة لم يصم الله في عبادته طرفة عين . واليوم الثالث الذي استجاب الله فيه دعاء زكريا عليه السلام ، من صام ذلك اليوم استجاب الله دعوته . واليوم الرابع الذي ولد فيه عيسى عليه السلام من صام ذلك اليوم نفي الله عنه البأس والفقر ، فكان يوم القيامة مع السفرة البويرة الكرام . واليوم الخامس اليوم الذي ولد فيه موسى عليه السلام ، من صام ذلك اليوم برئ من النفاق أو من عذاب القبر . واليوم السادس اليوم الذي فتح الله تعالى لبيبه فيه الخير ، من صامه ينظر الله إليه بالرحمة فلا ينوب بعده أبدا . واليوم السابع اليوم الذي يخلق فيه أبواب جنة ولا تفتح حتى تغشى أيام العشر ، من صامه أعلق الله عنه ثلاثين بابا من السر وفتح له ثلاثين بابا من اليسر . واليوم الثامن اليوم الذي يسمى يوم القروية ، من صامه أعطى من الأجر ما لا يملئه إلا الله تعالى . واليوم التاسع اليوم الذي هو يوم عرفة ، من صامه كان كفارة لسنة عامية وسنة مستقلة وهو اليوم الذي أنزل فيه ( اليوم أكملت لكم دينكم وآتيتكم نعمتي ) . واليوم العاشر هو يوم الأضحى من قرب قربانا فيه فباول فطرة قطرت من دمه غفر الله له دنوبه ودنوب عياله ، ومن أطعم به مؤمنا أو تصدق فيه بصدقة بشفه الله تعالى يوم القيامة آمنا ويكون ميزانه أثقل من جبل أحد » ( مجالس ) .

( حكي ) عن سيان التوردي أنه قال : كنت أطوف بمقابر المسلمين في البصرة من ليالي ذي الحجة ، فلما نور في قبر رجل فوقت متفكرا فلما صوت طل يقول : يا سيان عليك بصيام عشر ذي الحجة يسط لك نور مثل هذا ( زبدة الواعظين ) وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من صام اليوم الأخير من ذي الحجة واليوم الأول من المحرم فقد حتم سنة الناصية وفتح السنة القابلة بالصوم وجعل الله له كفارة خمسين سنة » وعن عائشة

رضى الله عنها أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من يوم يستق الله تعالى فيه من آثار أكثر مما يستق في يوم عرفة » (كذا في زبدة الواعظين ) خلتما آيتك ولا تكن من الجاحدين . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل ما قلت أنا وما قال الأنبياء قبل في هذه الأيام البشرية لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وقال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل فيها أفضل من عشر ذي الحجة ، قيل يا رسول الله ولا رمضان ؟ قال بل السبيل رمضان أفضل ، ولكن هذه الأيام حرمين أعظم » ( موعظة ) قوله ( والشفع والوتر ) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الشفع يوم التروية ويوم عرفة والوتر يوم العيد . وعن قتادة وجهه أنهما قال : الشفع هو الخلق كله والوتر هو الله تعالى وقد قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » ممناه ليعلموا أن الله تعالى واحد . وعن الحسن أنقال : الشفع هو أربع صلوات : الفجر والظهر والعصر والمساء ، والوتر هو صلاة للقرب ، أقسم الله تعالى بالصوات الخمس التي يصلها أهل الإسلام . وقال بعضهم الشفع يوم الخميس ويوم الاثنين والوتر يوم الجمعة ، أقسم الله بهذه الأيام الثلاثة لفضلها وشرفها على سائر الأيام . وقال بعضهم : الشفع رجب وعبان والوتر رمضان ، أقسم الله تعالى بهذه الشهور لشرفها وفضلها على سائر الشهور . وقال بعضهم : الشفع آدم عليه السلام وحواء رضي الله عنها والوتر محمد عليه الصلاة والسلام ، أقسم الله تعالى بهم لكثرة فضلهم وشرفهم ( والليل إذا يسر ) قال بعض العلماء : هي ليلة الزدقة ، أقسم الله تعالى بها لفضلها وشرفها بسير الحاج فيها . وقال الشيخ أبو سعيد هي ليلة للعراج يدل عليه قوله تعالى « سبحانه الذي أسرى ببنه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الآية ( تفسير حنفي ) . ( والفجر ) أي الأول على أن يكون الفجر إما بمعنى المصبح أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب الشرق . والثاني أن يكون مصدرا بمعنى خروج المصبح بخلق الظلام أي بشقه ، يقال فطقت الشيء فطقا عققته ، أقسم الله به لما يحصل من انقضاء الليل لظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق وذلك معاكس لتغور للوقت وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل ( هيج زاده ) . ( وليال عشر ) أي عشر ذي الحجة ، أقسم به لأنه أيام الاشتغال بنسك الحج وأعماله والحج للبرور من أفضل الأعمال لكفارته ذنوب العمر . وفي الخبر « ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام هذا الشهر » ولما أسر القياي الشر بشر ذي الحجة ، قيل للتراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر يوم عرفة أو فجر يوم النحر ، أقسم بفجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحاج إلى جبل عرفات للوقوف ، أو أقسم بفجر يوم النحر لأنه يوم عظيم يأتي فيه الإنسان بالقرآن ( هيج زاده ) . ( والشفع والوتر ) والأشياء كلها شفعا ووترها ، على أن يكون الشفع والوتر معا كناية



من جميع الأعشاب من حيث إن شيئاً ما من أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها  
جواهرها وأعراضها لا يتصور كونه حالياً عيباً ، فالتقسيم بهما قسم لجميع الأشياء بهذا الطريق  
وكذا إدا جعل الشمع كناية عن جميع المخلوقات ، لأنه تعالى : خلق من كل شيء منها زوجين ذكرًا  
وأُنثى ، فاعلموا صانعاً عالماً واسعاً قادراً وعاجزاً حاداً وبارداً رطباً وإبسا غليظاً وعصياً إلى غير  
ذلك ، وجعل النور كناية عن الخلق لأنه فرد لا تصديه ، وقال بمنى للتكلمين : لا يجوز أن يقال  
النور هو الله تعالى إدا لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن  
غيره . روى أنه صلى الله عليه وسلم سمع من يقول : الله ورسوله قهارة عنه ، قال : قل الله  
بسم رسوله ( شيخ زاهد )

### المجلس الثالث والسبعون : في بيان فضيلة ليلة القدر

سورة القدر — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إنا أنزلناه في ليلة القدر ) الضمير للقرآن ، فغنىه بضمه من غير ذكر شهادة له بالنباهة  
الغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسد إنزاله إليه ، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله ( وما  
أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ) وإنزاله فيها بأن ابتدئ بإنزاله فيها أو أنزاله  
جملة من الروح المعنوي إلى السماء الدنيا على السفرة ، ثم كان جبرائيل عليه السلام ينزل به على  
النبي عليه الصلاة والسلام نحو ما في ثلاث وعشرين سنة ، وقيل معنى إنزاله أنزلناه في فضلها وهي  
في أواخر العشر الأخير من رمضان ولعلها السابعة منها ، والداعي إلى إختلافها أن يحيى من يريد بها  
ليالي كثيرة ، وتسعينها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى ( فيها يفرق كل أمر  
حكيم ) وذكر الألف إما للتكثير أو لما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ذكر إسرائيل  
لبس السلاح وغزا في سبيل الله ألف شهر ، فتجب المؤمنين وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا  
ليلة هي خير من مئة ذلك النازي ( تنزل الملائكة والروح فيها ) أي في ليلة القدر ( يأنزلونهم )  
بيان لما له فضل على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو إلى سماء الدنيا أو خيرهم إلى المؤمنين  
( من كل أمر ) أي من أجل كل أمر من الخير والبركة قدر في تلك السنة إلى القابل ، وقرئ  
« من كل أمر » أي من أجل كل إنسان ( سلام ) خبر مقدم ( هي ) أي ليلة القدر مبتدأ  
مؤخر : أي ما هي إلا السلامة : أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة ، وقرئ في غيرها السلامة  
والبلاد ، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ( حتى مطلع الفجر ) أي وقت  
مطلعه : أي طلوعه ، وقرئ بالسكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالكرفي  
( قاضي يضاوي ) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة » روى عن أبي عبد الله بن أبي حمص الكبير قال : مات وراي بالكوفة فرأته في المنام ، فقال له ما فعل الله بك يا وراي ؟ قال غفر لي ربى ، فقال بماذا ؟ قال بإحراق الصلوات عقيب اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن يكتب صلواته بالقرطاس بعد انفران ، فكيف لا يغفر الله تعالى لها لنا وقلبا ( كذا في زبدة الواعظين ) قيل عظم الله تعالى القرآن بثلاثة أوجه : الأول بأن استبدل إزاله إليه وجهه عنصايه دون غيره . والثاني جاء بالضمير دون الاسم الظاهر شهادة له بالعبادة في رغبة القدر لسكال الصرف . والثالث رفع مقدار الوقت الذي أنزل فيه ( كشاف ) وإنما سميت لية القدر قدرا لأن فيها تدبير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه الية من السنة للقبلة يقدر الله تعالى ذلك في بلاده وعباده . ومعنى هذا أن الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بعمل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويرفهم إليه وليس للراد منه أن يحدثه في تلك الية ، لأن الله تعالى قدر التقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل . قيل للحسين بن الفضل أليس أنه قدر الله التقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال نعم ، قيل له فما معنى لية القدر ؟ قال سوى التقادير إلى التواتير وتنفيذ القضاء للقدر ( تحسير لباب ) وإنما سميت لية القدر ، لأنها يقدر فيها الأمور والأحكام كلها من تلك السنة إلى السنة التالية ، ثم تسلم الدبرات دقة الرحمة والعذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودقة الثبائن والأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ، ودقة الأمطار والرياح إلى إسماعيل عليه السلام ، ودقة قبض الروح وانتقاء الآجال إلى عزرائيل عليه السلام لقوله تعالى ( فيها يفرق كل أمر حكيم ) أو القدر بمعنى الضيق ، لأن الأرض تضيق تلك الية لكثرة نزول الملائكة عليهم السلام ( مشكلة الأنوار ) قيل سبب نزول الملائكة إلى الأرض في لية القدر أنهم لما قالوا ( آجصل فيها من بضد فيها ويضغك السماء ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك ) قال إنى أعلم ما لا تعلمون ) أظهر أن الأمر خلاف ما ظنوا وبين حال المؤمنين قتلوا يسلمون عليهم ويمتدرون مما قالوا ويدهون ويستخفون لهم ( بخارى ) وسبب نزول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « ذكر جبرائيل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبدا يقال له صمون النازي ، وهو غزا الكفار ألف شهر ، وكان سلاحه على حمل وليس له غيرها من آلة حرب ، وكلما ضرب الكفار بهذا القمح قتل ما لا يحصى عددهم ، وإذا عطش يخرج من موضع الأستان ماء حذب فيشربه ، وإذا جاع يلبث منه لحم يأكله ، فكان على هذا كل يوم حتى مضى من عمره ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فحجز الكفار عن رده ، فقالوا لامراته وهي كافرة إنا نعطيك أموالا كثيرة إن قتلت زوجك ،

قالت أنا لا أقدر على قتله ، قالوا ، تعطيك جبالاً شديداً تدعى به يديه ورجليه في نومه ونحن نقتله ، فشدته  
 المرأة في نومه فاستيقظ فقال من شدني ؟ قالت أنا هددت لأجربك ، فجذب يده فقطع الجبل  
 ثم جاء الكفار يسلمة فشدته للمرأة بها فاستيقظ ، فقال من هدني ؟ قالت أنا هددت لأجربك  
 فجذب يده فقطع السلسلة ، ثم قالت كالأولى ، قالوا امرأتي أنا ولي من أولياء الله تعالى لا يسلب على  
 شيء من أمر الدنيا إلا عصى هذا ، وكان له شعر طويل ، فسمعت امرأته قائلاً نائم قطعت ذوابه  
 في حال نومه ، وكانت ثمانى قطع من شعر رأسه وكلها تجر على الأرض ، فشدت بأربع ذواب  
 منها يديه وبالأربع الأخرى رجليه في نومه ، فاستيقظ فقال من هدني ؟ قالت أنا هددت لأجربك ،  
 فلم يقدر على قطعها ، فأخبرت امرأته الكفار ، فجاءوا وذهبوا به إلى مذبحهم وكان فيه عمود  
 فأوثقوه على ذلك العمود ، قطعوا أذنيه وعينه وعضيه ولسانه ويديه ورجليه وكلهم يجنحون  
 في ذلك البيت ، فأوحى الله تعالى إليه : أي شيء تريد بهم أمسه ؟ قال أن تعطيني من القوة  
 حتى أحرك عمود هذا البيت فينهدم عليهم ، فقواء الله وحرك الله فوق السقف عليهم وأهلكوا  
 جميعاً وامرأته معهم ، فأتجاء الله تعالى منهم ورد الله عليه أعضاءه ، فبعد ذلك عبد الله ألف شهر  
 مع قيام ليلاً وصيام نهارها ، ف ضرب بالسيف في سبيل الله فبكي أصحاب النبي عليه الصلاة  
 والسلام اشتياقاً لذلك ، فقالوا يا رسول الله هل تدري ثوابه ؟ قال عليه الصلاة والسلام  
 لا أدري ، فأنزل الله جبرائيل عليه السلام بهذه السورة وقال يا محمد أعطيتك وأنتك ليلة القدر  
 العبادة فيها أفضل من عبادة سبعين ألف شهر ، وقال بعضهم : قال الله تعالى : يا محمد ركنان  
 في ليلة القدر خير لك ولأمتك من ضرب السيف ألف شهر في زمان بن إسرائيل (مثنائية)  
 وقيل سبب نزولها أنه لما دنا وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وقرب فراقه عن أمته بكى رسول  
 الله وحزن وقال : إذا خرجت من الدنيا فمن يبلغ سلام الله على أمي ، واعتم قلبه عليه الصلاة  
 والسلام ، فصرح الله قلبه لقوله ( تنزل الملائكة والروح ) حتى يبلغوا سلامي ولا أمتع عنهم  
 فلا تحزن يا حبيبي (موعظة) قال الإمام الرازي : فإذا طلع الفجر في ليلة القدر نادى جبرائيل  
 عليه السلام : يا محضر الملائكة الرحيل الرحيل ، فيقولون يا جبرائيل ما صنع الله بالمسلمين  
 في هذه الليلة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول لهم : إن الله تعالى نظر إليهم بالرحمة  
 وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر . قالوا من هؤلاء الأربعة ؟ قال مدمن الخمر وفاق الخوارج  
 وقاطع الرحم ولشاحن : بنى للصارم وهو الذي لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام (زبد الواعظين)  
 عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : من صلى في ليلة القدر ركعتين  
 قرأ في رحمة كتاب مرة والإخلاص سبع مرات فإذا سلم يقول استغفر الله  
 وأتوب إليه سبعين مرة ، فلا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه ، ويصنع الله تعالى

ملائكة إلى الجنان يرسون في الأشجار وينبثون القصور ويجرون الأنهار ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ذلك كله » ( تخيير الحنفي ) قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن الله ينزل في كل ليلة القدر رحمة واحدة تصيب جميع المؤمنين من شرق الأرض إلى غربها ويوق منها جنة ، فيقول جبرائيل عليه السلام : يا رب بلغت رحمتك جميع المؤمنين وبقيت فضة ، فيقول الله تعالى اصرفها إلى التوابع الذين ولدوا في هذه الليلة ، فيصرف جبرائيل تلك الرحمة إلى مواليد الإسلام والكفار ، وصارت تلك الرحمة لأولاد الكفار خاصة ، وهي تجرم إلى هلاك السلام فيموتون بها مؤمنين » كما قال موسى عليه السلام في مناجاته : إلهي أريد قربك ، فقال الله تعالى قرني لمن استيقظ ليلة القدر ، وقال إلهي أريد رحمتك ، فقال الله تعالى رحم من يسكن ليلة القدر ، وقال إلهي أريد الجواز على الصراط كالبرق ، فقال الله تعالى ذلك لمن تصدق ليلة القدر ، وقال إلهي أريد أن أقعد تحت ظل أشجار الجنة وأكل من ثمارها ، فقال الله تعالى ذلك لمن سبغ تسبيحة ليلة القدر ، وقال إلهي أريد النجاة من النار ، فقال الله تعالى ذلك لمن استغفر الله تعالى ليلة القدر إلى الصبح ، وقال إلهي أريد رضاك ، فقال الله تعالى رضا لمن صلى ركعتين ليلة القدر ( زبدة الواعظين ) روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أبواب السموات مفتوحة في ليلة القدر لمن صعد يصلي فيها إلا جبل الله تعالى له بكل تكبيرة غرس شجرة في الجنة لو سار الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وبكل ركعة يتنازل الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وبكل آية من قراءته في الصلاة نازل في الجنة وبكل جلسة درجة من درجات الجنة ، وبكل تسليمة حلل الجنة » ( زبدة الواعظين ) روى في الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال « ينزل في ليلة القدر أربعة ألوية : لواء الحمد ولواء الرحمة ولواء النفرة ولواء الكرامة ، ومع كل لواء سبعون ألف ملك ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : من قال في تلك الليلة ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله غفر له بواحدة وآجها من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة ، فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض ، ولواء النفرة على قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة في بيت المقدس ، وكل واحد منهم على باب تلك الليلة في باب المسلمين سبعين مرة يسلم عليهم » ( سنن أبي داود ) وعن وهب ابن منبه أنه قال : كان عابدي بني إسرائيل عبد الله تعالى ثلثمائة سنة ورجا أن يوحى إليه ، وقد أنبت الله تعالى له نخلة تثمر كل ليلة ما يكفيه وكان قلبه مطمئنا إليه ، فلم يوح إليه ، فتودى إلى لأدعى إلى رجل قلته مطمئن مبري ، قال يا رب ما يطمئن به قلبي ؟ قيل بالشجرة التي تأكل منها فقطع تلك الشجرة وشرع في العبادة ، فقال له رب : إن لبادي ليلة هي ليلة القدر خير

من عبادتك كلها . وقال بنو الماء : هنا شكة شريفة : وذلك أن نوح عليه الصلاة والسلام دعا الخلق أئب سنة إلا خمسين عاما وأنت يا محمد دعوت الخلق ثلاثا وعشرين سنة ، وأنت خير من نوح عليه الصلاة والسلام ، ومدتك القلبية خير من مدته نوح عليه الصلاة والسلام ، وتوابعك إلى أكثر من توابع نوح عليه الصلاة والسلام ، فكذا الضارب بالسيف أئب شهر والقائم أئب شهر وإن كان كثيرا ، فصلاة الراكعين من أمتك وإن كانت قليلة في تلك الليلة أفضل من ذلك كله ، يعلم الخلاق أن فضلي ورحمتي على محمد وأمة أفضل من رحمتي على جميع الخلاق (تفسير الخنزي) . واختلفوا في وقتها : فقال بعضهم إنها كانت في عهد رسول الله ثم رقت ، وذهب عامة الشافعي إلى أنها باقية إلى يوم القيامة . واختلفوا في تلك الليلة : فقال بعضهم أول ليلة من رمضان ، وقال بعضهم ليلة سبعة عشر . وقال الأكثر في الشهر الأخير من رمضان . وأخفى عامة الصحابة العلماء على أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان . (حكى) أن أبا يزيد البسطامي قال : رأيت ليلة القدر في جميع عمرى مرتين ، وهي واقعة في موقع السابغ والخمرين . وذكر في حقائق الخنزي أن يقال : إن حروف ليلة القدر تسعة أحرف ، وقد ذكر الله تعالى لتظلية القدر في ثلاثة مواضع ، فتكون سبعا وعشرين ، والسر في إختفائها على الأمة أن يجتهدوا في العبادات جميع ليالي رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، والصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، والاسم الأعظم في الأسماء ، ورضاه في الطاعة ليرعبوا ويجتهدوا في جميعها (مشكاة الأنوار) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من قام ساعة في ليلة القدر قدر ما يحب الراعي هامة أحب إلى الله من صيام الشهر كله » والذي يثنى بالحق نبي القراماة آية من القرآن ليلة القدر أحب إلى الله من أن يغم في غيرها من الليالي « وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قلت : يا رسول الله لو وافقت ليلة القدر لما أقول ؟ قال « قل : اللهم إنيك هو كريم تحب الطوافه عن » (موعظة) . واختلف للتصرون في معنى الروح : قال بعضهم هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وعن كعب الأحمار أن سدره للنبي فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ينزلون مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر ومقام جبرائيل في أوسطها يدعون المؤمنين وللمؤمنات بخير ولا يترك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أحدا من الناس إلا صالحه . وعلمة ذلك أن من اقتصر بعباده ورفق قلبه وسمعت عناه فهو من مصالحة جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وقال بعضهم : للراه من الروح هو ملك عظيم لو انقم السموات والأرض لكانت لقمة له لاراه للملائكة إلا في ليلة القدر ينزل خمسة للؤمنين مع الملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل طائفة من الملائكة لا تراه الملائكة إلا في ليلة القدر . وقيل خلق الله تعالى بأكلون

ويلبسون لباساً من اللؤلؤ ولا من الإنس ولعلهم خدام أهل الجنة . وقيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام ، إذ الروح اسمه ينزل موافقة للملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل هو ملك رجلاه تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش الأعلى ، وله ألف رأس أعظم من الدنيا ، وفي كل رأس ألف وجه ، وفي كل وجه ألف فم ، وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ، فينزل تلك الآية ويستغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ( تفسير التيسير ) وقال بعضهم : لئلا من الروح الرحمة يحث الله تعالى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الرحمة على عباده الأحياء فتفضل منهم ، فيقول الله يا جبرائيل اقسم الباقي على السموات فيفضل ، فيقول جبرائيل يا رب قد فضلت رحمتك عنهم ماذا تأمر ؟ فيقول الله تعالى : يا جبرائيل خزائن رحمتي مملوءة لا قسم الباقي على الكفار في عار الحرب فيقسم جبرائيل على من علم أنه يموت مسلماً ( شيخ زاده ) .

## المجلس الرابع والسبعون : في فضيلة الأضحية وبيان تكبيراتها

سورة الكوثر - ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( إنا أعطيناك الكوثر ) أى الخير للقرط الكبير من العلم والعمل وشرف الدارين . وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « أنه نهر في الجنة وعدته ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد يابساً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد ، حافاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظلم من شرب منه » . وقيل حوض فيها . وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم ( فصل لربك ) فتم على الصلاة خالصاً لوجهه الله خلاف السامى عنها للرأى فيها ، حكراً لإتمامه ، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر ( وأمر ) البدن الذى هو خيار أموال الرب وتصدق على المحايير خلافاً لمن يدهم ويمنع عنهم المأمون ، فالسورة كالقابلة للسورة للتمسك ، وقد فر الصلاة بصلاة العيد والشكر بالضحية ( إن هاتك ) إن من أبضك لبضه لك ( هو الأجر ) الذى لا عقب له إلا لا يبقى منه نمل ولا حسن ذكر ، وأما أنت فبقي ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، وذلك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ، من النهى عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الكوثر سقاء الله من كل نهر فى الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعد كل قرآن قربه العباد فى يوم النحر » ( فاصى يضاوى ) .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من صلى على منظرها إلى جبل الله تعالى من تلك الكلمة ملكاً له جناحان جناح بالشرق وجناح بالغرب ورجلاه تحت العرش يقول له الله تعالى صل على عبدى كما صلى على نبي ، فيصل عليه إلى يوم القيامة » ( رتبة الواعظين ) روى مسلم عن أنس

رضي الله عنه أنه قال « نام عليه الصلاة والسلام نومة خفيفة ، ثم قام ورجع رأسه متبها ، قبل له ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال نزلت على آتفا : أى قرىيا سورة اقرأ علينا (إنا أعطيك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شئت هو الأثر ) » سبب نزولها ما روى عن ابن صالح عن ابن عباس أنه قال : إن العاص بن وائل بن هشام رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام يخرج من المسجد وهو داخل ، فالتقيا عند الباب وتحدثا وجماعة قريش في المسجد ، فلما دخل العاص حاجهم قالوا من ذا الذى تحدثه ؟ قال ذلك الأثر ، وإنما قال هذا لأن قريشا سموا عمدا أترعند موت ابنه إبراهيم ، وكان في الجاهلية إذا لم يكن الرجل ولد ذكر يسمونه أتر ، فسمع النبي عليه الصلاة والسلام ما قاله العاص فعزن قلبه ، فأنزل الله تعالى تسلية لقلبه وحوال لمحدوه ، ثم عاش ابنك فلا يخلو إما أن يكون نبيا أولا ، فإن لم يكن نبيا فلا يمكن لك فيه شرف ، وإن كان نبيا فلا تكون أنت خاتم النبيين وقرئت اسمي باسمك في التوحيد والأذان والصلاة وكثير من الأشياء وأنت صاحب الكوثر فكيف تكون أنت أتر ؟ ( روضة العلماء ) وهو أى إبراهيم مات في حال الرضاع ، وروى أنه كان طفلا ابن سبعين يوما أو زيادة . وأبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة : قاسم وهو ولد قبل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وصار إلى النبي قبل نبوته في مدة سبعة عشر يوما على القول الأصح ، وإبراهيم مرت أقواله آتفا . وعبد الله ، قالوا اسمه طيب وطاهر وهو ولد بعد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام في مكة ومات في حال صغره ، وقال يستهم إن طيا وطاهرا شير عبد الله . وأما بناته فأربع : فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهن ، ولهن كلهن من بطن خديجة سوى إبراهيم فإنه ولد من جارية بطنية اسمها ملركة : وأولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ماتوا قبله غير فاطمة الزهراء وهى ماتت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ، وهى أضل بناته ( كذا في شرح البركوى لقنوى ) روى أن الكوثر نهر في الجنة ، وقيل حوض فيها ، وقيل في الوقت ، وقيل فضائل كثيرة ، وقيل المقام الممود ، وقيل خلق حسن ، وقيل رحلة ذكره ، وقيل هذه السورة ، وقيل أولاده وأتباعه ، وقيل علماء أمته ، وقيل القرآن العظيم ، وقيل علماء أولاده ، وقيل ما أوحى إليه مطلقا ، وقيل النبوة ، وقيل أصحابه العظام ، وقيل تفسير القرآن ، وقيل تحقيق الشرائع ، وقيل كثرة أمته ، وقيل الكرامات الواقعة ، وقيل الشفاعة الكبرى ( شهاب الدين ) وجه المقابلة أن الله تعالى وصف الكافرين في السورة للتقسمة بأربعة أمور : الأول البخل ، وهو المراد من قوله تعالى ( الذى يدع اليتيم ولا يحسن ) الآية . والثاني ترك الصلاة ، وهو المراد من قوله ( فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ) . والثالث الرياء في الصلاة وهو المراد من ( ١٩ - سورة الناصحين )

قوله (الدين هم راءون) - والرابع منع الزكاة ، وهو المراد من قوله (ويعتصمون للراعون) فذكر في مقابلة (عن سلامهم ساهون) قوله فصل ، وفي مقابلة (الدين هم راءون) قوله (لربك) ، وفي مقابلة (الذي يدع اليتيم - ويعتصمون للراعون) قوله (وانهر) لأن بذل خيار الأموال يقابل البخل ، وصرفها إلى الخارج يقابل منع الماعون (شيخ زاده) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كان له سعة فلم يضح ، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرايا » وفي رواية « من كان له سعة فلم يضح فلا يخرج من مصلانا » وعن علي رضي الله عنه « من خرج من بيته إلى شراء الأصعية كان له بكل خطوة عشر حسنة ومحا عنه عشر سيئات ورفح له عشر درجات ، وإذا أنكم في شرائها كان كلامه تسبيحا ، وإذا تعد ثمنها كان له بكل درهم سبعمائة حسنة ، وإذا طارحها على الأرض يريد طبخها استغفر له كل خلق من موضعها إلى الأرض السابعة ، وإذا أهرق دمها حلق الله بكل قطرة من دمها عشرة من اللاتكة يستغفرون له إلى يوم القيامة ، وإذا قسم لحما كان له بكل لقمة مثل عتق رقبة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام » (جواهر زاده) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لمائسة « يا عائشة قد مني أضحتك واشهد بها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر لك الله تعالى ما سلف من دنوبك قتلت يا رسول الله أنا خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل لنا وللمؤمنين عامة » وعن وهب بن ميه أنه قال : إن داود عليه الصلاة والسلام قال : إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ قال ثوابه أن أعطيه مكل شجرة على جسده عشر حسنة وأهوا عنه عشر سيئات وأرفح له عشر درجات ، وله بكل شجرة قصر في الجنة وجارية من الحور العين ومركب من ذوات الأجنحة خطوها مد البصر يركبها أهل الجنة فيطير بها حيث يشاء . أما قلت يا داود أن الضحايا هي للطايا وترفع البلايا يوم القيامة ؟ (زهرة الرياض) حكى عن أحمد بن إسحق أنه قال : كان لي أخ فقير ، وكان مع قفري يضحى كل سنة بشاة ، فلما توفي صليت ركعتين فقلت : اللهم أرني أخى في نومي فأسأله عن حاله ، فتمت على الوضوء فرأيت لي منامي كأن القيامة قد قامت وحشر الناس من قبورهم ، فإذا أخى راكب على فرس أشهب وبين يديه نجائب ، فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ فقال غفري ، فقلت بـ ؟ فقال بسبب درهم تسدقت به على امرأة عجوز فقيرة في سبيل الله ، فقلت ما هذه النجائب ؟ قال ضحاياي في الدنيا والتي أركبها أول أسحيتي ، فقلت إلى أين قصدت ؟ قال إلى الجنة فغاب عن بصري (سنانية) وأما إذا لم يكن للمؤمنين مركب من الأصعية فيكون عمله الصالح يركبها له بخلق الله تعالى من أعماله الصالحة بهرا يركب عليه إذا خرج من قبره ، فيتقدم إلى ربه تعالى (سنانية) عن أنس وعن علي رضي الله عنهما أنهما قالوا : قال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا حشر المؤمنون من قبورهم يقول الله تعالى يا هؤلاء كفى لا تمشوا عبادي راجلين بل أركبهم على



جهانهم ، فانهم اعتادوا الركوب في الدنيا ، كان في الابتداء صلباً أيهم مركبهم ثم بطن أيهم مركبهم ،  
 خفين ولدتهم أيهم طجراً أيهم مركبهم إلى أن يتم الفراعنة ، ثم عني أيهم مركبهم ، ثم الفرس والبغال  
 مراكبهم في البراري والسفن والزوارق في البحار ، وحين ماتوا فأعاق إخواتهم ، وحين قاموا  
 من قبورهم لا تشومهم راجلين فانهم اعتادوا الركوب وقد تموا نجائهم ، وهي الأضحية لقوله تعالى  
 ( يوم نحشر الثقلين إلى الرحمن وفداً ) أي ركباناً وقد قال عليه الصلاة والسلام « عظموا ضحاياكم  
 لانها على النصر لمطاعاكم » ( رجبية ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرب  
 قرباناً إذا قام من قبره رآه فأعيا على رأس قبره ، فإذا لم يصر من الذهب وبعينه من يوقبت الجنة وقرناه  
 من الذهب ، فيقول لمن أنت وأي شيء أنت وما رأيت أحسن منك ؟ فيقول أنا قرأتك الذي قربتني  
 في الدنيا ثم يقول اركب على ظهري ، فيركب عليه ويلعب به ما بين السماء والأرض إلى ظل  
 العرش » ( رجبية ) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاتاً ونسكاً نسكنا بهر منا ،  
 ومن لم يصل صلاتاً ولم يضع فليس منا إن كان ضياً » وقال عليه الصلاة والسلام « خيار  
 أمتي يضحون وشرار أمتي لا يضحون » وقال عليه الصلاة والسلام « ألا إن الأضحية  
 من الأعمال للنجاة ، تنجي صاحبها من شر الدنيا والآخرة » ( زبدة الواعظين ) . الأضحية  
 واجبة على كل مسلم مقيم موسر وهو أن يملك نصلاً وهو مائتا درهم أو قيمتها فأغلا عن  
 حوائجه الأصلية لا يعتبر فيه وصف الثمن ولا يعتبر الحولان كالزكاة ، فإن الزكاة يعتبر فيها  
 الحولان ، ومن كان فقيراً فوجد المال في أيام الأضحية نجب عليه الأضحية ، ومن كانت  
 ضياً فغلب ماله في أيام الأضحية سقطت عنه الأضحية ( كذا في كتب الفقه ) وإنما  
 يجوز الأضحية من أربعة أصناف من الحيوان : الإبل والبقر والغنم والنعمة ذكورها وإناثها ،  
 ومن البقر ما نمت له سكتان وطعن في الثالثة ، ومن الإبل والبقر يكل للواحد عن واحد إلى  
 سبعة كلهم يريد التربة ، فلو أراد أحدكم بخصيه اللحم أو كان كافراً لا يجوز هب واحد  
 منهم ولم ينقص لصيب أحد منهم ، ويجوز الجذع كالجماء والحصى والتولاء . الجذع : غلة  
 لها ستة أشهر ، والجماء : هي التي لا قرن لها . والتولاء : هي الجبونة ، ولا يجوز العمياء التي  
 ليس لها عينان ، ولا العرجاء التي تمشي بثلاث قوائم ، ولا العوراء التي لها عين واحدة ،  
 ولا النجاء التي لا يلع على عظمها ، ولا ما ذهب أكثر من ثلث أذنها أو عينها أو ألبها  
 ( كذا في كتب الفقه ) وأول وقتها بعد الصلاة في الليل ، ولا يذبح قبلها بخلاف القرى ،  
 وآخره قبل غروب اليوم الثالث ، والأفضل أن يذبح بنفسه إن قدر وإلا يأمر غيره .  
 ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ، ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل  
 الذبح : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ،

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر وبسم الله أكبر ، فيذبح ثم يصلي ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام : « ألقوا ما في أيديكم من الكين ثم اركعوا ركعتين » ، فانه ما ركعها أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه ، ويقول بعد السلام : اللهم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ( منابه الدين ) ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين إلى زوالها . ويان صلاحها أنه إذا دخل وقت الصلاة بارتفاع الشمس وخروج وقت الكراهة يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة يكبر تكبيرة الإحرام ، ثم يضع يديه تحت سترته ويثنى ثم يكبر ثلاث تكبيرات ، يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة قدر ثلاث تسيحات ، ويرفع يديه عند كل تكبيرة ويرسلهما في أثنائهن ، ثم يذمهما بعد الثالثة ويتعوذ وبسْمِ ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يكبر ويركع ، فإذا قام إلى الواجب وهو تكبيرات الزوائد : يصي إلى الركعة الثانية يبدأ بالقراءة ويفعل هكذا بعد قراءة الفاتحة والسورة ، ثم يركع ويسجد ، وتكبيرة هذا الركوع واجبة لقارتها إلى الزوائد الثلاث ، والتكبيرات التسع واحدة منها فرض وهي تكبيرات الافتتاح ، وواحدة منها سنة وهي تكبيرة الركوع الأول ، وسبعة منها واجبة وهي الزوائد مع تكبير الركوع الثاني .

( كذا في كتب الفقه ) .

( مسألة ) رجل له مائة درهم فاشترى بعشرين أضحية يوم الثلاثاء مثلا فهل سكت الأضحية يوم الأربعاء ، وجاء الأضحية يوم الخميس لا يجب عليه أن يضحي ، لأن الأضحية إنما تجب في يوم الأضحية وهو قير فيه ( كذا في فتاوى الواقعات ) .

### المجلس الخامس والسبعون

#### في فضيلة قراءة سورة الإخلاص مع البسملة

سورة الإخلاص — ( بسم الله الرحمن الرحيم )

( قل هو الله أحد ) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق ، وارتضاعه بالاستدالية وخبره الجملة التي بعده ولا حاجة إلى العائد لأنها هي هو أو لما سئل عنه : أي الذي سألتوني عنه هو الله ؛ إذ روي أن قريشا قالوا : يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت هذه الآية ( الله الصمد ) السيد للصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصد وهو للوصوف به على الإطلاق ، فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عدله محتاج إليه في جميع جهاته وتربيته لهم بصمدية بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله للاستعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية ، وإحلاء الجملة عن العاطف لأنها كالتبعية للأولى أو الدليل عليها ( لم يد ) لأنه لم يجاس ولم يحتقر إلى ما يصيه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة

والفناء عليه ، ولعل الاختصار على الماضي لوروده ودا على من قال : اللاتكة بنات الله والسيح ابن الله أو ليطابق قوله ( ولم يولد ) وذلك لأنه لا يختص إلى شيء ولا بسبقه عدم ( ولم يكن له كفوا أحد ) أي ولم يكن أحد يكافئه : أي يماثله من صاحبة وغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كموا ، لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ما تقدم تقدبها للأهم ، ويجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا ، أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ، ولعل ربط الجمل الثلاث بالمعطف لأن المراد منها أن أقسام الأمثال ، فهي بكلمة واحدة متب عليها بالجمل الثلاث ( فمضى ينادي ) .

كان سبب نزول هذه السورة كما قال أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأبو العباس والشعبي وعكرمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين : أنه اجتمع كفار مكة وهم طهر بن الطفيل وزيد بن قيس وغيرها وقالوا : يا محمد صف لنا ربك من أي شيء هو ؟ أهو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس ؟ كان آلهتنا من هذه الأشياء ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه « هو لا يشبه عينا » فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ( قل ) يا محمد ( هو الله أحد . الله الصمد ) قال ابن عباس : الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، فلو كان مجوفا لاحتاج إلى شيء وهو لا يحتاج إلى شيء بل كل الخلق محتاجون إليه ، ولو كان محتاجا إلى شيء لكان لا يليق بالربوبية ( من حديث الأربعين ) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة « لا تنافي حتى تعمل أربعة أشياء : حتى تحصى القرآن ، وحتى تجعل الأنبياء لك شفعا يوم القيامة ، وحتى تعمل للسلمين راضين عنك ، وحتى تعمل حجة وحسرة » فدخل عليه الصلاة والسلام فبقيت على الفراش حتى أتم الصلاة فلما أتمها قالت يا رسول الله : فذاك أبي وأمي أمرني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها ، فتبسم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال « إذا قرأت ( قل هو الله أحد ) فكأنك تحمت القرآن ، وإذا صليت على وعلى الأنبياء من قبلي فقد صرتا لك شفعا يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكأنهم راضون عنك ، وإذا قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حجبت واعتصرت » ( تفسير حنفي ) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر حشر مرات لم يصل إليه ذنب وإن جهده الشيطان » وهي سورة مكية ، وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسعة وأربعون حرفا . وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله تعالى من الأجر كمثل أجر مائة شهيد » ( من حديث الأربعين ) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن في الجنة شجرة تسمى حولب ، وعليها أثمار أكبر من التفاح وأضفر من الرمان وأحلى من

العسل وأشد ياخنا من اللبن وألين من الزبد » قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : من يأكلها  
يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « من سمع اسمي صلى على فهو يأكلها » ( زهرة اليراس )  
وإنما سميت سورة الإخلاص لأنها تخلص قارئها من هدايا الدنيا والآخرة وسكرات اللوث وظلمات  
القبر وأهوال القيامة .

(حكى) أن رجلا مات فزاده أبوه في الشام تلك الليلة كأنه في الجحيم والأغلال ، ثم رآه في ليلة  
ثانية في الجنة ، فقال رأيت في البارحة كذا لما هذا ؟ فقال مرعلينا رجل قرأ قل هو الله أحد  
ثلاث مرات وذهب أجره لنا ، قسم علينا فهذا الذي تراه لصيبي منه ( تفسير خازن ) عن أنس  
ابن مالك رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة الإخلاص مرة فكأنما  
قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ  
القرآن كله ، ومن قرأها عشر مرات بنى الله تعالى له بيتا في الجنة من باقوة حمراء » وفي الخبر « من  
قرأ سورة الإخلاص في الفرائض غفر الله له ولوالديه وها اسمه من ديوان الأشقياء وكتبه في ديوان  
السعداء » ( مجالس ) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه  
قال « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار حتى جاء جبرائيل عليه السلام بسورة قل هو  
الله أحد ، فقلت أن الله تعالى لا يمدب أمتي بعد نزولها لأنها نسة لله ، ومن تعبد قراءتها  
تنار الله من عتات السماء على رأسه ورئت عليه السكينة وتفتت الرحمة ، فيظفر الله تعالى إلى  
قارئها فينخر له مغفرة لا يمدب بعدها أبدا ، ولا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه » ( تفسير  
حنبل ) . أخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلي أنه قال : « أن جبرائيل عليه السلام النبي  
عليه الصلاة والسلام وهو يتبوك في سبعين ألفا من الملائكة ، قال جبرائيل عليه السلام :  
يا رسول الله اشهد جنازة معاوية (١) » فخرج النبي عليه الصلاة والسلام ووضع جبرائيل عليه  
السلام جناحه على الأرض ، فواضعت حتى نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
إلى المدينة وصلى على معاوية مع جبرائيل عليه السلام والملائكة ، ثم قال النبي عليه الصلاة  
والسلام : يا جبرائيل بم بلغ معاوية هذه المزية ؟ فقال بقرائه قل هو الله أحد فأتى وقاعدا  
ورأى ما وثيا » . « روى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج مهاجرا إلى المدينة اجتمع  
كفار مكة على باب دار الندوة ، وهي في سكة أبي جهل عليه اللعنة ، وقتلوا من يرد محمدا  
إليها أو رأسه تعطيه مائة ناقة حمراء سوداء الحديقة ومائة جارية رومية ومائة فرس عربية ،  
فقام رجل يقال له سراقبة بن مالك وقد : أنا أردت إليكم ، فضعنوا له هذه الأموال ،  
فخرج خلفه وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام فسل سيفه ليقتله ، فزّل جبرائيل عليه

(١) معاوية هذا غير معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل المشهور به .

السلام فقال : يا رسول الله إن القسطنطين الأرض لأمره ، فقال رسول الله يا أرض خذيه ، فتسفل  
فرسه في الأرض إلى الركبة ، فقال يا رسول الله لأفضل ، الأمان الأمان ، فدعا رسول الله فأتجه  
الله بدعائه عليه الصلاة والسلام ، فسار ساعة ثم سل سيفه وأراد قتله ، فتسفل فرسه في الأرض  
حتى أخذته الأرض إلى سريره ، فقال الأمان الأمان يا رسول الله لأفضل بعدها شيئا ، فدعا رسول  
الله عليه الصلاة والسلام فأتجه الله تعالى ، فنزل عن فرسه وحشا بين يدي ناقدة رسول الله وقال :  
يا رسول الله أخبرني من إهلك حيث كانت له قدرة عظيمة مثل هذه أمن الذهب أم من القصة ؟  
فنكس رسول الله عليه الصلاة والسلام رأسه ساكتا فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد ( قل  
هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ) و ( قل اللهم مالك للكل توفي  
اللك من تشاء ) و ( فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا  
ينظرؤكم فيه ليس كنتم شيء وهو السميع البصير ) فقال مرافقه يا رسول الله امرض على الإسلام ،  
فرض عليه الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه » ( من حديث الأربعين ) وقد كان النبي عليه الصلاة  
والسلام يقرأ سورة الإخلاص مع التوذين ويغث على يديه ويعسج بها على حبله عند النوم إذا  
كان وجعا ويأمر بذلك . قال بعض العلماء : ومن واظب على قراءتها زال كل خير وأمن من كل  
شر في الدنيا والآخرة ، ومن قرأها وهو جائع شبع أو عطشان روى . عن أنس بن مالك رضي  
الله تعالى عنه أنه قال « كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام ببيوتهم ، فطلعت الشمس بنياد وشماص  
نورها لم ير مثله فيها مضى ، وكان بينه وبين المدينة مسيرة شهر ، فطلعت الشمس يوما مغبرة ،  
فنزل جبرائيل عليه السلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل مالي أرى الشمس مغبرة ؟  
فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام لكثرة أجنة لللائكة ، فقال عليه الصلاة والسلام : ولم ذلك ؟  
قال جبرائيل عليه السلام : لأن معاوية مات بالمدينة اليوم ، فحث الله سبعين ألف ملك يسألون  
عليه ، قيل لم ذلك ؟ قال لكثرة قراءته قل هو الله أحد بالليل والنهار في مشيه وقيامه وقعوده  
وذاهبها وجائيا وعلى كل حال ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال : يا رسول الله هل لك أن أتبع  
الأرض فتصلي عليه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لم ، لضرب بجانبه على الأرض فضاقت ،  
ورفع له سريره حتى نظر إليه وحلقه صفوف من اللائكة كل صف سبعون ألف ملك ، فصلى  
عليه الصلاة والسلام عليه ثم رجع إلى بيوتهم » روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه  
أنه قال : إن الله تعالى جزأ القرآن وهو بتعدد الزاوي للمعجزة بمعنى تقسمة ثلاثة أجزاء . فبطل

قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن ، وسه كونه جزءا يجوز أن يكون باعتبار الثواب  
بشيء أن الله تعالى بسط على قريش هذه السورة ثواب قراءة ثلث القرآن من غير تخصيص أجر ( كذا  
قوله النووي ) وقيل إن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام وصفات الله ، وقل هو الله أحد ،  
أحد هذه الثلاثة ، وهو صفات الله تعالى ( ابن ملك على الشارح ) .

( حكي ) أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالسا على باب المدينة إذ مرّت حارة رجل . فقال عليه  
الصلاة والسلام . هل عليه دين ؟ فقالوا عليه دين أربعة دراهم ومات ولم يؤدها . فقال عليه الصلاة  
والسلام : صلوا فاني لأصل على من كان عليه دين ومات ولم يؤده . قرئ جبرائيل عليه الصلاة  
والسلام فقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : بعثت جبرائيل بصورة وأدى إليه .  
ثم فصل فانه مغفور له ، ومن صلى على جنازة عمر الله له ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :  
يا جبرائيل من أين له هذه الكرامة ؟ فقال : نقرأه كل يوم مائة مرة سورة قل هو الله أحد ،  
لأن فيها بيان صفات الله واثناء عليه . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من قرأها في عمره مرة  
لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة خصوصا من قرأها في الصلوات الخمس في كل يوم مرة »  
يشفع يوم القيامة لجميع أقربائه وعشيرته ممن قد استوجب النار » ( حديث الأربعين ) . وفي الحديث  
« من قرأ قل هو الله أحد مع التسمية غفر الله له ذنوب خمسين سنة » ( تفسير حنفي ) .

( حكي ) عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام مائة حمامة من حمام مكة بلارءوس ، فلما اتبه  
فهم رؤاه على اللبر ، فقال له لعلك قرأت سورة الإخلاص مائة مرة بلا تسمية ، فقال صدقت  
( تفسير حنفي ) عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال . « لما أسرى بي إلى السماء  
رأيت العرش على ثلاثمائة وستين ألف ركن ، من الركن إلى الركن مسيرة ثلاثمائة ألف سنة .  
وتحت كل ركن اثنا عشر ألف صحراء ، كل صحراء من اللثري إلى اللثري ، وفي كل صحراء ثمانون  
ألفا من الملائكة يقرءون قل هو الله أحد ، فإذا فرغوا من القراءة يقولون يا ربنا وبأسيدنا قد  
وهبنا ثواب هذه القراءة لمن قرأ سورة الإخلاص من الرجال والنساء ، فتمسحوا من ذلك ، فقال  
عليه الصلاة والسلام : أتصحبون يا أصحابي ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام :  
والذي نفسي بيده إن ( قل هو الله أحد ) مكتوب على جناح جبرائيل عليه السلام ( الله الصمد )  
مكتوب على جناح ميكايل عليه السلام ( لم يلد ولم يولد ) مكتوب على جناح عزرائيل عليه السلام  
( ولم يكن له كفوا أحد ) مكتوب على جناح إسرافيل عليه السلام ، لمن قرأ من أمي

سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب من قرأ التوراة والإنجيل والفرقان العظيم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : المسببون أصحابي ، قالوا نعم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسي بيده إن ( قل هو الله أحد ) مكتوب على جبهة أبي بكر الصديق ( الله الصمد ) مكتوب على جبهة عمر القاروقى ( لم يلد ولم يولد ) مكتوب على جبهة عثمان بن النورين ( ولم يكن له كفوا أحد ) مكتوب على جبهة على السخى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، فمن قرأ سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين « ( حياة القلوب ) » روى أن رجلا شكى إلى النبي عليه الصلاة والسلام من الفقر ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إنا دخلت منزلك ، فقرأ سورة الإخلاص ، ففعل ذلك فوسع الله عليه الرزق « وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الإخلاص في مرضه الذي يموت فيه لم يمت في قبره ، وأمن من ضيق القبر ، وحملت للائكة بأجنحتهم حتى يجوزوا به من الصراط إلى الجنة » - ( كنا في تذكرة القرطبي لكن شرطه مع البسطة ) .

## خاتمة

نسال الله حسنا

قال المؤلف : الحمد لله وحده بين المؤمنين بالبحار المارفة المطلوبة ، وأنهم علينا بإتمام الهدية للنقطة من الكتب للرجوة ، وصير حال الخريج فرجا بغطام السموع من الأتلام للنسوبة ، والصلاة والسلام على من هو أفضل الرسل وأكمل البرية ، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا ما نالوا باهتمام الشريعة النبوية ، يسر الله لنا شفاعتهم يوم القيامة والجمعة .

وقد نمت على يد الحقير الفقير العاصي ، الراجي رحمة ربه القدير ، يوم يؤخذ بالنواصي  
« عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخويوي » أكرمه الله في الدارين بطلقه وكرمه للولوي ،  
وفخر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما ، بحرمة سيد الأنبياء والمرسلين ،  
وكان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف هجرية ، على صاحبها أفضل  
الصلاة وأزكى التحية آمين .

---



# فهرس

## صحة

٣	مقدمة الكتاب
٥	دعاء يقال عند ابتداء المجلس
	دعاء يقال عند ختام المجلس
	دعاء يقال عند ختام الكتاب جميعه
٦	دعاء يقال عند الانتهاء من الطعام
٧	المجلس الأول
١٠	في فضيلة الشهر رمضان
١٤	في فضيلة الصوم
١٨	في فضيلة العلم
٢٠	في فضيلة شهر رمضان
٢٣	في الطشتان القلب بمشاهدة قلعة الله تعالى
٢٧	في فضيلة إعطاء الصدقة في سبيل الله
٣١	في ذم أكل الربا
٣٤	في فضيلة الصلاة مع الجماعة
٣٨	في فضيلة التوحيد
٤١	في فضيلة التوبة
٤٥	في فضيلة رجب المرجب
٤٩	في فضيلة الرجل على النساء
٥٣	في فضيلة بر الوالدين
٥٦	في فضيلة الحق ورحمته
٥٩	في بيان فضيلة السلام
٦٤	في وفاة النبي عليه الصلاة والسلام
	في ذم شارب الخمر

صفحة	
٦٨	المجلس الثامن عشر : ١ في ذم الحسد
٧١	» التاسع عشر : ٢ في نزول المائدة من السماء بدءاً عيسى عليه السلام
٧٤	» العشرون : ٣ في فضيلة حياض ستة أيام من شواله
٧٧	» الحادي والعشرون : ٤ في فضيلة الظهر والحضة
٧٩	» الثاني والعشرون : ٥ في بيان الإيمان
٨٣	» الثالث والعشرون : ٦ في بيان ترك أوامر الله تعالى
٨٥	» الرابع والعشرون : ٧ في قوله تعالى (والذين يكتزون الذهب والنفضة) الآية
٨٩	» الخامس والعشرون : ٨ في فضيلة رجب
٩٣	» السادس والعشرون : ٩ في فضيلة السجاء
٩٧	» السابع والعشرون : ١٠ في بيان الرزق
١٠١	» الثامن والعشرون : ١١ في بيان دم إعانة الظالم
١٠٥	» التاسع والعشرون : ١٢ في بيان أحوال الناس يوم القيامة
١٠٧	موعظة حسنة
١٠٨	المجلس الثلاثون : ١٣ في بيان مغفرة توبة الطالب
١١٢	» الحادي والثلاثون : ١٤ في بيان العدل والإحسان
١١٥	» الثاني والثلاثون : ١٥ في بيان معراج النبي عليه الصلاة والسلام
١٢٤	» الثالث والثلاثون : ١٦ في بيان فضيلة الإنسان
١٢٧	» الرابع والثلاثون : ١٧ في بيان صلاة التهجد
١٣١	» الخامس والثلاثون : ١٨ في بيان فضيلة الأصحاب
١٣٥	» السادس والثلاثون : ١٩ في بيان ذم الدنيا وزوالها
١٣٩	» السابع والثلاثون : ٢٠ في بيان عدة اللوث
١٤٣	» الثامن والثلاثون : ٢١ في بيان تارك الصلاة
١٤٧	» التاسع والثلاثون : ٢٢ في بيان ذم المعرض عن القرآن
١٥٠	» الأربعون : ٢٣ في بيان ألم اللوث
١٥٦	» الحادي والأربعون : ٢٤ في بيان الساعة
١٦١	» الثاني والأربعون : ٢٥ في بيان التواضع
١٦٥	» الثالث والأربعون : ٢٦ في ذم للمعية والظلم

صفحة	
١٦٨	المجلس الرابع والأربعون : في الذكر والتوحيد
١٧٢	» الخامس والأربعون : في فضيلة الذكر
١٧٦	» السادس والأربعون : في بيان خيانة أمانة الله
١٨٠	» السابع والأربعون : في فضيلة قراءة القرآن الكريم
١٨٤	» الثامن والأربعون : في بيان عذاب الكفار في الجحيم
١٨٨	» التاسع والأربعون : في بيان ذبح سيدنا إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام
١٩٢	» الخسون : في بيان صبر أيوب عليه السلام
١٩٠	» الحادي والخسون : في بيان النار
٢٠٢	» الثاني والخسون : في بيان الجنة
٢٠٥	» الثالث والخسون : في بيان استغفار الملائكة للمؤمنين
٢٠٩	» الرابع والخسون : في فضيلة الاستقامة
٢١٣	» الخامس والخسون : في فضيلة التوبة
٢١٧	» السادس والخسون : في فضيلة شهر شعبان العظيم
٢٢١	» السابع والخسون : في بيان الحب في الله والبغض في الله
٢٢٤	» الثامن والخسون : في بيان معاداة الشيطان
٢٢٨	» التاسع والخسون : في بيان الهجرة لطاعة الله
٢٣٢	» الستون : في بيان فضيلة ليلة البراءة
٢٣٦	» الحادي والستون : في بيان يوم القيامة وحسابها
٢٤٠	» الثاني والستون : في ذم طاق الوالدين وفضيلة برهما
٢٤٤	» الثالث والستون : في بيان ذم سوء الظن والقيية
٢٤٨	» الرابع والستون : في بيان معجزات النبي عليه الصلاة والسلام
٢٥٢	» الخامس والستون : في بيان البكاء
٢٥٦	» السادس والستون : في بيان فضيلة الجمعة
٢٦٠	» السابع والستون : في بيان الجحيم والزهانية
٢٦٤	» الثامن والستون : في بيان التوبة النصوح
٢٦٨	» التاسع والستون : في بيان علامة السعادة والشقاوة
٢٧٢	» السبعون : في بيان أحوال النفس

صفحة	
٢٧٥	المجلس الحادي والسبعون : في بيان عيد القطر
٢٧٩	» الثاني والسبعون : في فضيلة عشر ذي الحجة
٢٨٣	» الثالث والسبعون : في فضيلة ليلة القدر
٢٨٨	» الرابع والسبعون : في فضيلة الأضحية وبيان تكبيراتها
٢٧٨	» الخامس والسبعون : في فضيلة قراءة سورة الإخلاص مع البسملة
٢٨٣	خاتمة الكتاب



# منتدى سور الانزبكية

---

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)